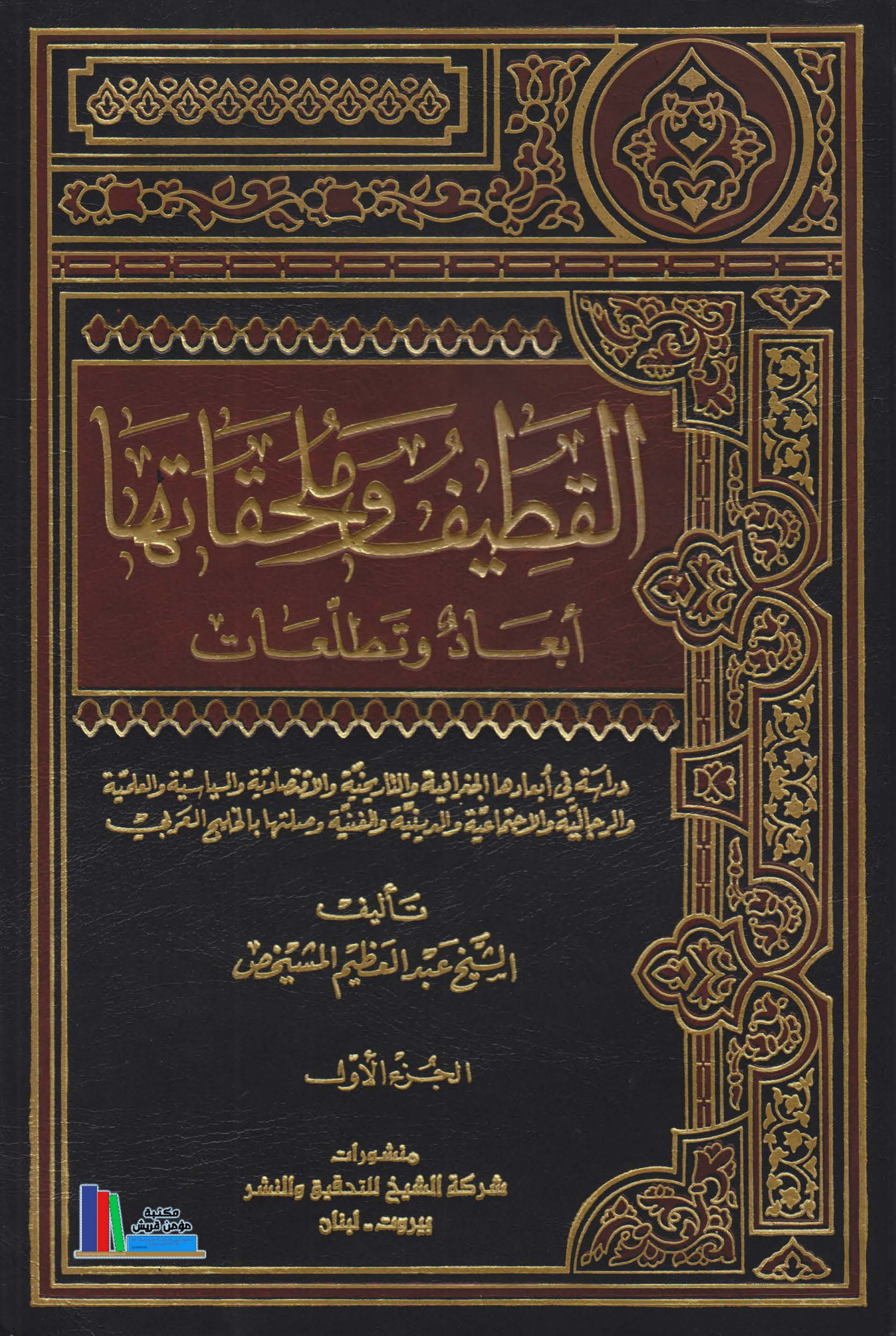

القطيف وملحقاتها
أبعاد وتطلعات
دراسة في أبعادها الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والعلمية
والرجالية والاجتماعية والدينية والفنية وصلتها بالخليج العربي
تأليف
الشيخ عبد العظيم المشيخص
الجزء الأول
منشورات
شركة الشيخ للتحقيق والنشر
بيروت - لبنان
مكتبة
مؤمن قريش

القطيف وملحقاتها

أبعاد وتطلعات

١



القطيف وملحقاتها

أبعاد وتطلّعات

دراسة في أبعادها الجغرافية والتاريخيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والعلميّة
والرجاليّة والاجتماعيّة والدينيّة والفنيّة وصلتها بالخليج العربي

تأليف

الشيخ عبد العظيم المشيخص

الجزء الأوّل

منشورات

شركة الشيخ للتحقيق والنشر

بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ م -١٤٢٣ هـ



منشورات :

شركة الشيخ للتحقيق والنشر

بيروت - لبنان

الإهـــداء

إلى رفيق العلم والمهجر
الشيخ حسين صالح آل الشيخ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة
الإمام الحسن (ع) العامة
النجف الأشرف
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م

ص ب /
ت /

العدد /
التاريخ ١٠/ ذي الحجة
١٤٢٠ هـ

إلى /

الموضوع /

النجف من مراكز العلم والفكر والأدب في دنيا العرب والإسلام، فقد أنجبت موجاتها المشرقة
إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وهي تتشرف بها من العلماء والعلميين والأدباء
لقد ساهمت النجف بصورة إيجابية ومتميزة في إقامة صروح الثقافة القديمة والحديثة وبرز
منها على ساحة العلم والأدب جمهرة من أقطاب العلماء وفطاحل الفقهاء، ونوابغ الشعراء
الذين يعتز بنتاجهم الأدب العربي كان في طليعتهم في هذا العصر حجة الإسلام والمسلمين الأستاذ
الشيخ عبد الحميد الخطي حفظه الله الأديب المجدد والأستاذ عبد الرسول البحاني عضو الرابطة
الأدبية في النجف الأشرف وغيرهم من فحول الأدباء والشعراء الذين ظهرت آثارهم باعتزاز على
مسرح الأدب العربي

وليس من الإنصاف في شيء أن نهمل دراسة هذا البلد الأمين الذي هو من مصادر الإشعاع
في الحضارة العربية، ولا يقتصر في خدماته العلمية والثقافية عن أي مركز من مراكز العلم
في البلاد العربية لأنه زاهر ونافس في النجف الأشرف وغيرها من معاهد الثقافة والعلم
وقد انبرى مشكوراً وموفقاً لأداء هذه الخدمة ولدنا العلامة الشيخ عبد العظيم نصر
المتخصص [illegible] وفقه الله ورعاه فتحدث بصورة موضوعية وشاملة إلى
جميع أنحاء النجف ومن مختلف أبعادها الجغرافية والتاريخية والاقتصادية
والسياسية والعلمية والرجالية والاجتماعية والدينية وغيرها مما يرتبط
بالموضوع وهذا الكتاب يقدم للمتعطشين إلى معرفة هذا البلد الزاهر بآثاره، ودراسة
الأستاذ عن النجف بهذه السعة تستحق التقدير فجزاه الله عن العلم وعن النجف خيراً
وإننا بدورنا نبارك له هذا الجهد الخلاق ونتمنى له المزيد من البحوث التي تنفع الناس
ونصا فيه بكل إخلاص، والسلام عليكم

باقر شريف القرشي

المؤسس
الشيخ هادي شريف القرشي
(قدس سره)

تقريظ حجة الإسلام والمسلمين المؤرخ والكاتب الكبير، الشيخ باقر شريف القرشي (حفظه الله وأبقاه):

بسم الله الرحمن الرحيم

القطيف من مراكز العلم والفكر والأدب في دنيا العرب والإسلام، فقد امتدت موجاتها المشرقة إلى معظم أنحاء العالم الإسلامي، وهي تنشر فيضا من العطاء العلمي والأدبي.

لقد ساهمت القطيف بصورة إيجابية ومتميزة في إقامة صروح الثقافة القديمة والحديثة، وبرز منها على ساحة العلم والأدب جمهرة من أقطاب العلماء، والفقهاء، ونوابغ الشعراء الذين يعتز بنتاجهم الأدب العربي، كان في طليعتهم في هذا العصر حجة الإسلام والمسلمين الأُستاذ الشيخ عبدالحميد الخطي (حفظه الله) والأديب المجدد الأستاذ عبدالرسول الجشي عضو الرابطة الأدبية في النجف الأشرف، وغيره من عيون الأدباء والشعراء الذين ظهرت آثارهم باعتزاز على مسرح الأدب العربي.

وليس من الإنصاف في شيء أن نهمل دراسة هذا البلد الأمين، الذي هو من مصادر الإشعاع في الحضارة العربية، ولا يقصر في خدماته العلمية والثقافية عن أي مركز من مراكز العلم في البلاد العربية

كالأزهر، والنجف الأشرف وغيرها من معاهد الثقافة والعلم، وقد انبرى مشكوراً وموفقا لأداء هذه الخدمة ولدنا الشيخ عبدالعظيم نصر المشيخص القطيفي وفقه اللّه ورعاه، فتحدث بصورة موضوعية وشاملة عن جميع أنحاء القطيف، وعن معظم أبعادها الجغرافية، والتاريخية والاقتصادية والسياسية والعلمية والرجالية والاجتماعية والدينية، وغير ذلك مما يرتبط بالموضوع، وقد أتحف بذلك المتعطشين إلى معرفة هذا البلد الزاهر بمآثره، ودراسة الأُستاذ عن القطيف بهذه السعة تستحق التقدير فجزاه اللّه عن العلم وعن القطيف خيرا، وإنًا بدورنا نبارك له هذا الجهد الخلاق ونتمنى له المزيد من البحوث التي تنفع الناس..ونصافحه بكل إخلاص، والسلام عليه.

باقر شريف القرشي

النجف الأشرف

في ١٥/ ذي الحجة / ١٤٢٠هـ.

المقدمة

أهمية التأليف:

المتصفح لأوضاع العالم الإسلامي المزري، والواقف على المخططات الاستكبارية التي يسعى إليها خصوم الإسلام في كل عصر وزمان، يرى مسيس الحاجة لحركة المؤلفين، وتكثير الكتب الإسلامية النافعة على صعيد العالم بأسره، بالخصوص الآن أكثر من ذي قبل بعدما سعى العدو لإفساد الجيل عبر قنواته المختلفة المقروءة والمسموعة.

إننا بحاجة إلى ثلاثمائة دار إسلامية واسعة الانتشار في مختلف البلاد الإسلامية وغيرها؛ لتطبع وتنشر كل دار عشرة ملايين من الكتب، بمختلف اللغات العالمية والمحلية، حتى نتمكن من خلال هذا الطريق من إيصال صوت الإسلام إلى ربوع العالم المختلف.

وإذا وقفنا عند أرقام الكتب المذهلة التي يسعى الغربيون إلى طباعتها ونشرها، نرى الصهيونية العالمية تنشر العديد من الكتب في ربوع الوطن العربي لتهويدهم فكريا وعقائديا، وإفسادهم بمختلف الطرق والأساليب، فقد ألفت امرأة غربية (١١٤) كتابا، طبع كتاب واحد منها بـ(١٠٣) لغات في العالم، وطبع من كتبها مئات الملايين، وقد ترجمت كتبها المختلفة إلى اللغة العربية المختلفة كتابة ونطقا.

كما سعت المسيحية إلى ترجمة الإنجيل إلى (ألف) لغة ونشروه في جميع أنحاء العالم، وأنه تُصْرف في إحدى الدول الغربية في العام الواحد (٢٠٠) مليار دولار للإعلام بمختلف أنواعه.

أما نحن الشعوب العربية إن بدرت منا بادرة حسنة من تأليف أو طباعة استقبلها القارئ ـ هذا إذا كان هناك قارئٌ ـ العربي المسلم بالنقد المتعجرف تارة، والألسن الحاسدة تارة أخرى!! مما يؤدي إلى تثبيط المؤلفين والكتاب العاملين في الحقول الإصلاحية المختلفة.

وقد أخبرني أحد الأصدقاء (رحمه اللّه تعالى) أنه عندما أقدم على تكوين مشروع مطبعة إسلامية تخدم الدين والمبادئ الحقة، واجه كثيرا من النقد حتى قال له بعضهم: إنك تضيع فيها وقتك وتهدر فيها طاقتك !! مما أدى به إلى ترك هذا العمل، وبعد أيام دخل على بعض الفقهاء المعاصرين وشرح له الوضع، فقال له: امضِ بهذا لعمل، إنه يعادل عبادة العباد في محاريب عبادتهم كلما نشرت كتابا واهتدى به أحد. بعدها عزم على تكوين مطبعة، وتمكن من نشر آلاف الكتب الإسلامية النافعة.

هذه الحملات الرعناء التي تصدر عن جهل تارة، وعن حسد وسوء نية تارة أُخرى من بعض المسلمين، ما هي إلا جهالة مبطنة ودليل واضح على فقدان الوعي، مع أنهم في أمس الحاجة إلى الكتاب والمؤلف، حتى يتمكنوا من نشر قيمهم السماوية، وتعاليمهم الربانية.

تفهموا النقد رجاءً:

وثمة مشكلة يقع فيها الناقد العربي اليوم أكثر من غيرها، وهي أنه لم يتعرف على معنى للنقد الصحيح، لم يفرق بين النقد الأدبي، وبين النقد الفكري، والحديث هنا مع من يرى نفسه من أهل الثقافة

والعلم والمعرفة، لقد وجدت أكثر الناقدين في مجتمعات الإسلام لم يفرقوا بين ما هو بحاجة إلى نقد أو لا يحتاج أصلا إلى عملية نقدية؟ وما هو الفرق بين النقد العلمي والفكري والأدبي؟

بينما يقود حركة النقد العلمي والفكري، والأدبي في البلاد العربية اليوم شرذمة من الجهال، لا تتسم بأي نوع من الثقافة والوعي، وإن تسمى بعضهم بالعلماء، ورجال الفكر والثقافة. لقد جاشت هذه المشاعر في نفسي وأنا أتصفح بعض المطويات والمقالات والكتب التي تنقد على غير بصيرة من أمرها، أو ما أسمعه من بعض أساليب اللاذع الذي يصدر عن بعض شرائح المجتمع، حيث يشعرني ذلك برغبة في التقيؤ!

ومما يؤسف له حقا، أن الناقد اليوم أشبه شيء، بعدسة مكبرة تحاول البحث عن نقاط ضعف ما كتب من تراث علمي وأدبي، وفكري في الوسط الإسلامي، مما يؤدي إلى إضعاف حركة التأليف، والبحث العلمي الجاد، والغريب أن النقاد في هذه الأيام هم الطبقة التي ليس لها دراية بالعلم وماهيته، والفكر ومقاصده، فهم أشبه شيء بفاقد للعلم ويدعيه، وفاقد للمعرفة ويتبجح أن له معرفة، وقد يحكم على كتاب ومؤلفه جهلاً، وتراه ينقد مصنفاً، ويتحدث على كاتب معين مع أنه ـ للأسف الشديد ـ لم يقرأ له كتاباً واحداً، ولم يطلع على أفكاره، وأغلب المثقفين، أو الجماهير العربية اليوم في البلاد العربية تكرر نقد من نقد قبلها، وتقرأ آراء من انتقد، والأغلب لم يكلف نفسه عناء قراءة، ومطالعة ما يجب نقده، وعلى هذا المنهج الخاطئ كثير من الناس!! وقد تكون مؤسسات وحكومات أيضاً.

بيد أننا لنجد أن النقد العلمي من أقوى عوامل التحديث في ثقافتنا العربية، إذا وجد ناقد متعقب عن دراية وعلم وأخلاق، وسعى للبحث عن عملية النقد الموضوعي النزيه، والمهتدي بعلم صحيح،

ولقد شاء القدر أن يكون الكتّاب في المجتمع الإسلامي بين نقّاد مهما يكن بهم من قصور، فمنهم من جاء ببعض الضوء البسيط، فأنار بذلك الحركة الفكرية الأدبية في مجتمعه، ولو إلى حد محدود، ولكن لم يظهر فينا أدنى من نقّاد الفكر المتبصرين لما ينقدونه ويدرسونه، فتهنا في ضباب من الغموض يكتنفنا من كل جانب!!

فأصبح الكتّاب العرب شبه (المغبونين) على حد قول المفكر المصري زكي نجيب محفوظ عندما تحدث عن المراحل الحرجة التي يمر بها الكتّاب العرب فقال: الذين بأقلامهم أراد اللّه لهم أن تكون أقلامهم موارد أرزاقهم، أو مناطق شهرتهم العالمية أو المحلية، فالمشكلة التي يعاني منها الكتّاب في كل مكان، أنه ليس لهم (نقابة) بحيث يكون لها من القوة ما لسائر النقابات، إن للطابعين نقابة بحيث إذا لم يعجبهم الحال يوماً، فأضربوا اهتزت لهم البلاد، واستمعت إلى شكواهم في اهتمام، أما هؤلاء الذين يمدون الطابعين بما يطبع فليس لهم هذه القوة كلها[1] مما زاد في الطين بلة، وجعل المشكلات الكتابية في تفاقم، حتى سُرقت المصنفات وكتبت لغير مؤلفيها، وحرفت الكتب الإسلامية، وتُقُوِّلَ فيها على مؤلفيها لا سيما كتب العقائد، والمذاهب والأديان مما زاد في تفاقم المشكلة العقائدية وتوسيع رقعة الخلاف المذهبي[2].

---

(١) نشور ولباب ص١٣٢.

(٢) كما هو حاصل بالنسبة إلى كتاب فصل الخطاب في تحريف رب الأرباب، فقد نقل لي الإمام الشيرازي ﷺ أن هذا الكتاب حرف على مؤلفه، ومؤلفه أراد أن يثبت في هذا الكتاب أن القرآن لم تمسه أيدي التحريف نهائيا، بينما من أراد أن يزيد في رقعة الصراع المذهبي ويعمقه، حرف الكتاب عن الأصل وسرق الأصل من المكتبة العامة للمخطوطات الشيعية، ونقل لي أيضا أنه رأى الكشكول للشيخ البحراني محرفاً، وبعض كتب الشيخ المفيد التي تتحدث عن اليهود والنصارى محرفة.

المثقف العربي بين محنتين:

وإذا نظرنا نظرة ثاقبة متبصرة لما يعيشه المثقف العربي من وضع مزرٍ فهو على حالين لا ثالث لهما، هما:

الوضع المادي المزري الذي يعيشه، فلا يستطيع -الكاتب العربي- مع ما يؤلفه من مصنفات كثيرة أن يجد سبيلا لنشرها، مما يؤدي به إلى مرحلة التثبيط الدائمة، فتسبب له الإحباط من كل ما يتصل بعالم الثقافة والعلوم.

والعامل الثاني: محاربة المثقف العربي فيما يؤلفه ويتحدث عنه سواء على صعيد الحكومات، أو صعيد التيارات الناقدة على غير هدى وبصيرة، فقد وصل الحال ببعضهم أن يسجن وينفى من وطنه بسبب كتاب ألفه يوقظ فيه ضمير الأمة الإسلامية إزاء أوضاعها المزرية، وآخر أودع في السجن مدة طويلة لأنه أثبت للقارئ العربي المسلم إسلام شخصية دار حولها الجدل التاريخي القديم والحديث، وثالث حدثني أنه سافر لطباعة كتاب له في إحدى دول الشرق، وتفاجأ بمبعوث من إحدى سفارات الدول الإسلامية المحاربة لبعض عقائد وأفكار مذهب من المذاهب، فأخذ الكتاب منه جبرا وطبع على نفقة بعض السفارات الإسلامية وحرف تماما عن محتواه، مما سبب له -أي المؤلف- الانهزام النفسي والتثبيط الفكري عن التأليف والتصنيف...!

وعندنا صادرت بعض وزارات الإعلام في الدول الإسلامية بعض كتبي، وأقدمت على حرقها؛ لأنها تروي عن الإمام علي عليه السلام بعض رواياته التي سمعها من النبي صلى الله عليه وآله أُصبت من جراء هذا الحدث بالانهزام لعدة سنوات وأعرضت عن البحث، والتأليف إلى أن سمع بذلك بعض المراجع العظام، فبعث لي برسالة يشد من عزمي، ويشجعني على المضي

قدما نحو هذا العمل، وقال لي: إن هذا العمل ينبغي أن يمنحك دافعا وصمودا في مواصلة البحث والتأليف؛ لأنك تنظر إلى اللّٰه والإصلاح، والآخرة، وعدوك ينظر إلى الدنيا وزخارفها ونشر الفساد، وذكر لي كيف أن بعض الدول الغربية والشرقية تحاربه وتحاول بقدر الإمكان منع مصنفاته، وتقدم على سجن كل من تجد عنده كتاب من مصنفاته!!

إن المثقف الواعي والكاتب المتبصر لا يستطيع المكوث في بلده؛ لأنه لن يتمكن من البوح بأفكاره ونظرياته، وإن كان جريئا في ذلك كان الموت! أو السجن أحد الخيارين.

ونلحظ ذلك التوجه، أو الحالة التي وصل إليها المثقف العربي المنهزم -بسبب ما آل إليه وضعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المزري- في الدراسات الروائية التي صدرها الجيل المثقف في تلك الحقبة الزمنية الصعبة.

فقد صدر مؤخراً عن الدار المصرية اللبنانية كتاب «المثقف العربي المغترب» للكاتب، والناقد حسين عيد. ويقع الكتاب في مائة صفحة.

ويتناول الكتاب ملامح المثقف العربي في ست روايات هي «الغد والغضب» للكاتبة المغربية خناتة بنونة، وقد صدرت عام ١٩٨٦، ورواية «الممر» للكاتب السوري ياسين رفاعية، وصدرت عام ١٩٧٨، و «اللعبة» للكاتب العراقي يوسف الصائغ، وصدرت عام ١٩٨٣، «نجران تحت لصفر» للكاتب الفلسطيني يحيى خلف ١٩٧٦، و «بالأمس حلمت بك» للكاتب المصري بهاء طاهر وصدرت عام ١٩٨٤، وأخيراً «مرايا النار» للكاتب السوري حيدر حيدر الصادرة عام ١٩٩٢.

وقد ركز الناقد في كتابه على دراسة هذه الروايات العربية لكونه وجد فيها عينة، تمثل مختلف التيارات الروائية العربية الحديثة، والصادرة خلال الربع الأخير من القرن العشرين.وتتجلى صورة المثقف العربي في الروايات الثلاث الأولى منهزماً في مواجهة الواقع الخارجي مما يدفعه للانسحاب ضائعاً في متاهة الاغتراب، ومتوهماً بإمكانية قيادة الشباب نحو تغيير المجتمع، وهو انعكاس للانقسام في شخصية المثقف العربي بين عزلته في عالمه الفكري، ورغبته الكامنة في المشاركة في تغيير وجه المجتمع الذي يعيش فيه.

ويتحدث حسين عيد عن الأسباب التي أدت إلى عزلة المثقف العربي وانطوائه، ويرى أن الأمر يرجع إلى افتقاد المثقف العربي إلى دور يؤديه في المجتمع، وربما للنظرة السائدة في الوطن العربي إلى أن « الثقافة هي: سلاح من لا سلاح له »، وقد يكون السبب تضخيم المثقف لذاته، وشعوره بالزهو والتميز على الآخرين في مجتمع تصل فيه نسبة الأمية إلى نسب عالية، بالإضافة لتهميش المجتمع لأبنائه المثقفين حيث تتم كل التحولات الكبيرة دون مشاركتهم، مما يزيد في رقعة الاختلاف بين طبقات المجتمع الواحد، فتضيع عند ذلك هويته وحضارته ومعالمه..

إنني هنا أدعو كافة طبقات المجتمع الإسلامي إلى المحافظة على الهوية الإسلامية التي يسعى الغرب بكافة طرقه المختلفة لمسخها من عقول جيلنا الناشئ، وأن يهتموا بتراثهم، وحضارتهم، ويدونه قبل أن تسلب من أيديهم وتنسب لغيرهم!

لماذا الحديث عن القطيف بالذات؟

لأن القطيف من أقدم المناطق استيطانا واستقرارا على هذه الأرض، فقد كانت مأهولة بالسكان منذ قيام العصور الجليدية المتأخرة

في أوربا، أي قبل خمسين ألـف سـنة تقريبـا، كمـا أن شـعوب العصـور البرونزية استقرت علـى ترابهـا، وكـان ذلـك عـام ٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ قبـل الميلاد.

كمـا أن عـامل الطقـس وخصوبـة التربـة، ووفـرة الميـاه، وكثافـة الغابـات الخضـراء، كـانت عوامـل مهمـة وأساسـية في نـزوح بعــض الشعوب الفينيقية إلى القطيف والتي استوطنتها فترة طويلـة مـن الزمـن قبل أن تنزح إلى مواطنها الحالية. فقد قال المؤرخ الغربي جيوفري بيبي في كتابه (البحــث عـن دلمـون) عندمـا دخـل القطيـف وتجـول في مياههـا وسواحلها وبساتينها الخضـراء: إن منطقـة القطيـف عبـارة عـن بحريـن أخرى تماماً، حيــث ينبعـث المـاء الوافـر إلى السـطح دون مسـاعدة مـن الإنسان، وقد ظهرت هناك منطقــة بحجـم الجـزء الشـمالي المـزروع مـن البحرين بنفـس الخضـرة اللامحـدودة، ولكنهـا منطقـة محـاصرة، حيـث أخذت كثبان الرمال الهلاليــة الشـكل تضغـط بقـوة علـى المـزارع مـن الشمال والغرب، ولقد أخذت تلك الأمواج تنهــال في بعـض الأمـاكن بمواقع بوسط النخل، وبرزت مداخل الآبــار المهجـورة وسـط الكثبـان، لتنبئ أنّ الزراعة قد غطت مساحة أكبر، وتقـع بسـاتين القطيـف علـى طول الساحل الجون[١] العميق فهي محل أطماع الكثـيرين.. بـالخصوص منطقة دلمون الواقعة في مدينة تاروت، ودارين فقد تمكن لصوص الآثـار من سرقة أغلب المأثورات الحضارية الـتي خلفتهـا الشـعوب والقبـائل، التي استوطنت هذه المدينة[٢].

كما أن المصادر التاريخية للشعوب تؤكد علـى أطمـاع الإسـكندر

---

(١) اسم قديم يطلق على القطيف للاستعمار البرتغالي.

(٢) للمزيد راجع كتاب (البحث عن دلمون) للمؤرخ الغربي جيوفيري بيبي.

الأكبر الذي قرر أن يغزو القطيف، بعد أن تناهى لمسامعه ثراؤها الاقتصادي ووفرة مياهها وخصوبة تربتها، لكنه لم يتمكن من ذلك، فقد توفي في نفس الليلة التي جهز فيها أسطوله البحري، وكان ذلك عام ٣٢٣ ق.م، فتعاقب بعد ذلك نزوح عرب الجزيرة العربية، فكان من بينهم قوم الأساورة، والزط، والسيابجة، وقبائل عبدالقيس ببطونها المختلفة، وبعد بزوغ نور الإسلام على يد خاتم النبيين محمد ﷺ بعث بخمس عشرة رسالة يحث أهل الخليج عامة، والقطيف خاصة على الدخول في الإسلام، فدخلوا طائعين مؤمنين برسالته ونبوته ومكارمه ومبادئه الحق، فتعاقبت عليها خلفاؤه الأربعة، والدول التي نشأت بعد الخلافة الراشدة، لاسيما الدولتين الأموية والعباسية اللتين بعثتا بولاتهما إلى هذه المنطقة، فقد ساهمتا في الحياة السياسية والاجتماعية، والاقتصادية في القطيف، وبعدها سقطت المنطقة في يد حركة القرامطة الذين سفكوا الدماء وهتكوا الأعراض وغصبوا الحقوق وأحدثوا البلبلات الفكرية والعقائدية.. فقد ظهر القرامطة عام ٢٨٦هـ في البحرين، واستطاعوا السيطرة على المنطقة، واتخذوا الأحساء عاصمة لدولتهم الكبيرة واستمر حكمهم قرابة (١٨٠) عاماً، وقد انتهى حكمهم بشكل نهائي في انتفاضة عام ٤٨٠هـ.

ثم أُحتلت القطيف من قبل الأسر السياسية التي تربعت على رقعتها الجغرافية منها: أسرة بني ثعلب، ثم أسرة العيونيين (٤٤٦ ـ ٦٣٦هـ)، وأسرة العصفوريين، وأسرة بني جروان (٧٠٥ ـ ٨٢١ هـ)، ثم جاء حكم بني جبر، وآل مغامس، حتى جاء الأتراك، وحكموا المنطقة حوالي ١٢٠ عاماً.

واستطاع الاستعمار البرتغالي إنهاء الوجود العثماني، حيث بنى

البرتغاليون قلعتهم في تاروت، ولقد قاوم الأهالي هذا الاستعمار حتى اندحر، وعاد الأتراك مرة أخرى وعاشت المنطقة اضطرابات داخلية على أثرها دخل على الخط الاستعمار الهولندي، ومن بعدهم الاستعمار البريطاني الذي لعب دور شرطي المنطقة، حيث كانت أساطيله البحرية معسكرة بشكل دائم في المياه الخليجية، فتمكن من استعمار المنطقة فترة زمنية طويلة، ثم انتهز بنو خالد الفرصة واستطاعوا السيطرة على المنطقة بقيادة براك بن غرير، والذي امتد سلطانه إلى نجد، حيث استطاعت قبيلة آل (حميد) أن تسيطر على بعض الأجزاء من المنطقة، وهم فرع من قبيلة بني خالد التي تنتمي إلى زعيمهم (براك بن غرير بن عثمان بن سعود بن ربيعة)، وهو أول حكام بني خالد، فقد مرت فترات حكمهم بمراحل متتالية، ومتعاقبة على المنطقة، فالفترة الأولى من عام (١٠٧٧هـ إلى عام ١٢٠٤هـ) وكان ملكهم في هذه الفترة ملكاً على فترات مستقلة سوف نشير إليها في الفصول الخاصة بذلك.

ومع نشوء الدولة السعودية الأولى شن البدو حملاتهم على الأحساء والقطيف، وسيطروا على المنطقة، حتى قوض دولتهم العثمانيون على يد إبراهيم باشا في ١٨٣٢م.

فطلب الأهالي عودة العثمانيين، فأرسلت إليهم حملة برية، واستولت على المنطقة في عام ١٨٧١م، وذلك للأمن من قطاع الطرق والبدو عبر المجازر الرهيبة التي ارتكبت بحق الناس، ولقد عاد الحكم السعودي الأول إلى حكم المنطقة في فترات متقاربة مع الحكم العثماني، حيث استطاع الحكم السعودي طرد الحكومة العثمانية من المنطقة.

وتمكن من ضم المنطقة إلى بقية أجزاء المملكة وكان ذلك في ٩ـ جمادى ٢ ـ ١٣٣١هـ.على يد الملك عبد العزيز دون مشقة أو إجبار، فقد

منحت المنطقة للملك عبد العزيز كما تمنح العروس لزوجها في ليلة زفافه.

فأخذت نهضتها العلمية، والحضارية، والجغرافية، والاقتصادية في تطور دائم ومستمر، حتى أصبحت من كبريات مدن المملكة ذات الأهمية العظمى بالنسبة للاقتصاديات والأنشطة العلمية والثقافية والجغرافية، وهذا ما سوف تعرفه من خلال الصفحات القادمة.

هذا الكتاب(١):

هذا الكتاب جهد سنوات طويلة من البحث، والتنقيب والدراسة، أقدمت عليها بعد أن رأيت خلو المكتبة العربية، والإسلامية من كتاب شامل عن القطيف وملحقاتها، وقد رأيت عدداً كبيراً من البلدان العربية والإسلامية لا تعرف شيئاً عن مدينة تاريخية لعبت دوراً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً مهماً في مسيرة الحياة البشرية على هذه الأرض، وقد اعترفت بهذه الحقيقة الكاتبة والأديبة المصرية الدكتورة بنت الشاطئ عند زيارتها للقطيف بقولها:.. عندها ذكرت القطيف فيما ذكرنا، ورأينا حقا علينا أن نلم بمكان لعب في تاريخنا

---

(١) وإن كانت هناك بعض الدراسات التي صدرت عن القطيف إلا أنها لم تعطِ الصورة الحقيقية التي عليها القطيف، بالخصوص ملحقاتها التي عانت طويلا من عدم الإنصاف من قبل من كتب عن القطيف. وإننا بدورنا نشكر كل من كتب عن هذه المنطقة، بالخصوص الأستاذ محمد سعيد المسلم رحمه الله الذي كتب بشكل موجز، عن القطيف وملحقاتها في كتابه الذي طبع عام ١٣٦٢م، تحت عنوان (ساحل الذهب الأسود) فجزاه الله عن أهل القطيف خيرا، وغيره من الذين كتبوا كتباً أو بحوثاً ثقافية أو أدبية أو علمية أو تاريخية عن القطيف.

الديني والسياسي والأدبي دوراً ذا بال ... وكم خجلت وأنا أرى في أيديهم كتبنا ومجلاتنا، ونحن الذين لا نشعر بهم أو نلقي إليهم بالاً[1] لذلك أقدمت على تأليف هذا الكتاب الذي يحمل بين طياته عدة فصول، وهي كما يلي:

١ـ أبعادها الجغرافية، وذكرت فيه أبعادها الجغرافية من كافة النواحي، البرية والبحرية.

٢ـ أبعادها التاريخية، والشعوب والقبائل والحركات والدول التي استقرت ولعبت على أرضها و في تاريخها دورا كبيرا منذ ٢٥٠٠ سنة ق.م إلى الأدوار التاريخية لحكومة المملكة العربية السعودية.

٣ـ أبعادها الاقتصادية، وتحدثت فيه عن مواردها الاقتصادية التي استقطبت الشعوب والقبائل، والدول لاستعمارها، وكيف كانت سوقا تجاريا عالميا.

٤ـ أبعادها السياسية، والأحداث المهمة التي مرت على تاريخها السياسي، منذ عام ٢٥٠٠ سنة ق.م، ومرورا بالحقبات التاريخية التي مرت عليها منذ تاريخ فجر الإسلام، والخلافة الراشدة، والدول الاستعمارية والحركات الانفصالية، والدولة السعودية.

٥ـ أبعادها العلمية، ودرستها دراسة مفصلة منذ أن كانت، وتحدثت عن صلتها بالمراكز العلمية في ذلك الوقت كالنجف

---

(١) أرض المعجزات ص ١٣١، بنت الشاطئ. كما ذكرنا كلمتها المطولة في الفصل الخاص بالحركة العلمية، والبعد الثقافي فراجع.

وكربلاء وقم ومدارس البحرين، والسيدة زينب أخيرا، وعن الاتجاهات العلمية والمشارب الفقهية فيها، وذكرت فيها الحركة العلمية ورجالها الذين قاموا بدور مهم في تاريخ العلم والعلماء، وكما ذكرت فيه ترجمة موجزة لأهم العلماء، ورجالات الأدب والخطابة والطب والفن والتخصصات الأخرى.

٦- وفي الفصل السادس تحدثت فيه عن كل قرية، ومنطقة تتصل بتاريخ القطيف العلمي والعقائدي والاجتماعي والاقتصادي، وإنني هنا بذلت ما في وسعي من أجل إيجاد أكبر قدر ممكن من المعلومات عن المناطق الملحقة بالقطيف (قراها ومدنها)، ولا أدعى أنني تمكنت من إحصائها، ولكن أغلبها، وأرجأت الباقي لكتاب شامل لكل منطقة من مناطق القطيف، أتحدث فيه بشكل أكثر عمقاً، ودراسة وتفصيلاً، وفي هذا الفصل تحدثت فيه عن نبذة تاريخية لكل قرية وأهم أبعادها الاقتصادية والسياسية والعلمية، والاجتماعية وأهم الأعلام فيها لمختلف العلوم والفنون، وذكرت فيه مناطق القطيف من سيهات إلى صفوى، ومن تاروت إلى الأوجام كل في فصل مستقل.

ملاحظة مهمة:

ليس هذا الكتاب كتاب تراجم رجالية؛ لأنه قد يؤخذ عليّ ملاحظة لماذا ترجمت لبعض الشخصيات وتركت البعض؟ بل هو كتاب تاريخي، ومعلوماتي بدرجة أولى لا غير، وإن ذكرت ترجمة لبعضهم لتوفر المعلومات الجاهزة بين أيدينا، حيث جعلت الجزء الثالث -من

هذا الكتاب- في التراجم والسيرة الذاتية لكل علم من أعلامها، وهذا بحاجة لوقت طويل.

نسأله سبحانه وتعالى أن يعيننا على استكماله، ونشرة في المستقبل القريب، وأن يجعله لي ذخيرة في يوم المعاد.

نسأل اللّٰه أن يهدينا سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم الوكيل.

كما أرجو من القارئ العزيز إسداء ملاحظاته البناءة، وإرسالها إلينا على العنوان التالي:

عبدالعظيم بن نصر المشيخص

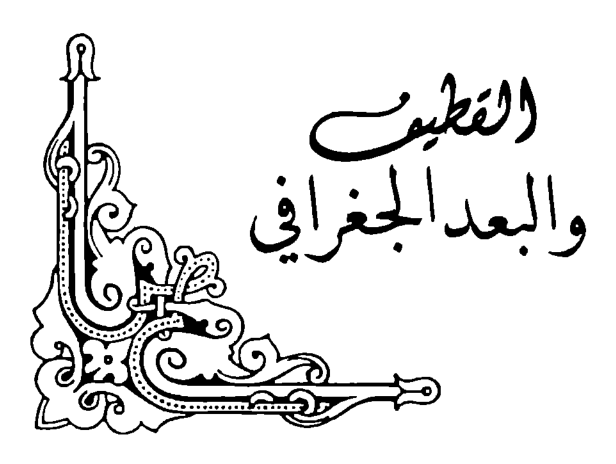
المملكة العربية السعودية

المنطقة الشرقية – القطيف

صندوق بريد ١١٥١

الرمز البريدي ٣١٩١١

البريد الإلكتروني: manm@ayna.com



القطيف
والبعد الجغرافي

يتألف الخليج جغرافيا من ضفتين مهمتين بالنسبة لموقعه الحساس، والمهم على الدول الخليجية ضفة غربية، وأخرى شرقية، وكل منهما مهمة من حيث المكان والزمان، فتعد الأولى لهذا الخليج الحد الفاصل الذي يفصل ما بين بلاد فارس وجزيرة العرب، ويؤلف حدودها الشرقية، ولا يزال هذا شأنه وشأنها منذ عرف الناس التاريخ، ومنذ اشتغالهم بتدوينه، فهي عربية منذ أن وجد العرب في هذا المكان والزمان.

ويبلغ طوله من شماله إلى جنوبه نحو ألف ميل، ويبدأ في الشمال عند التقائه بشط العرب بجوار مدينة (الفاو) العراقية، ويواصل سيره جنوبا حتى يبلغ كراتشي، إحدى ثغور دولة باكستان اليوم والهند من قبل، فيتصل بالمحيط الهندي.

ويتألف شط العرب من اجتماع نهري دجلة والفرات في أسفل العراق في موضع يقع شمالي البصرة، ولا يبعد كثيرا عنها، واسمه گرمة علي ويواصل السير جنوبا مارا بمدينة البصرة، وهي مبنية على ضفته الغربية، ويبلغ طوله نحو ١٥٠ ميلا.

ولقد جرى الجغرافيون العرب القدماء على أن يقسموا الضفة الغربية للخليج العربي إلى قسمين وهما: شمالية وجنوبية.

وتمتد الأولى من شمالي البصرة، وتسير جنوبا حتى شمالي عمان، وكانوا يطلقون عليها اسم (الهجر) هجر في القدم، وتمتد المنطقة الجنوبية من شمالي الحسا ـ الأحساء ـ حتى المحيط الهندي حيث يصب الخليج، وتشمل مقاطعة عمان، على أن العمانيين يعتبرون حدودهم الشمالية إلى قطر، وبذلك يدخلون منطقة الحسا ـ الأحساء ـ في أراضي عمان.

ويتصل بالخليج بضفته الغربية خليج عربي آخر يمتد من منطقة عدن، ويواصل سيره شرقاً حتى يبلغ الخليج فيتصل به، ويسمونه بحر العرب، وتقوم على ساحل الخليجين مدن عديدة كبيرة، وصغيرة عامرة بالسكان الذين يعملون بالزراعة والتجارة وصيد الأسماك والغوص وصيد اللؤلؤ قديما، وحديثا النفط و الصناعة..

وأما الضفة الشمالية فكانت تتألف من عدة قبائل تسكنها، وأكثر قبائلها هي العدنانية، ومنهم عبد القيس وتميم وبكر بن وائل وغيرهم، وتدخل في معييتها الضفة الشمالية منطقة القطيف حيث تقع على خط ٥٠ درجة من خطوط الطول و ٢٦ درجة و ٣٢ دقيقة من خطوط العرض، وتمتد واحتها على الساحل الغربي من خليج (كيبوس)، المسمى قديما بخليج القطيف على حد تعبير المؤرخ الغربي الوريمر في كتابه (دليل الخليج العربي ج ٥، ص ١٨٩٠)، والمتفرع من الخليج العربي خليج صغير يبدأ جنوبا من الدمام، وينحني غربا إلى الداخل حيث تقع مدينة القطيف، ثم يتوغل إلى الشمال، وينعطف إلى الشرق حتى رأس تنورة، وتقع جزيرة تاروت.

أما من الناحية الغربية، فتحدها صحارى، وهي تمتد غربا من الجوف الواقع غربي بقّيق ووادي المياه الستارين، وشمالاً تحدها أراضي

الكويت، وجنوبا الأحساء والعقير. وتقع القطيف في منتصف الساحل الذي يمتد من الكويت حتى قطر...[١].

وتعتبر القطيف عصباً اقتصادياً وتجارياً مهماً منذ أن كانت من حيث موقعها الجغرافي، وهي -على حد قول الرحالة الشهير ابن بطوطة عندما زار البحرين-: مدينة كبيرة ذات نخل كثير، يسكنها طوائف العرب، وتقع على منطقة ساحلية من الأهمية بمكان[٢] ولا زالت تُعد من أهم كبريات مدن المملكة العربية السعودية، فهي عصب اقتصاد البلاد، ومن منابع الخير والزاد.

وأما الناحية الجيولوجية لمنطقة القطيف، فهي تقع على نهاية المنطقة الرسوبية في الجزيرة العربية، فالجزيرة العربية تنقسم جيولوجيا إلى قسمين رئيسين هما:

قسم غربي يتمثل في الصخور، وهي القاعدة الثابتة، وتسمى (الصخور الأركية)، وتتواجد عادة في الدرع الغربي من الجزيرة.

وقسم شرقي، ويحتوي على مساحة كبيرة من الذراع العربي، وهو مطل على جزء مهم من بحر تشس tethys القديم، وتقع فيه منطقة القطيف وملحقاتها، وعدد كبير من دول الخليج العربية.

وتعتبر هذه الأرض من الأراضي الرواسبية التي تراكمت عليها الرواسب من الصخور الجيرية، والطينية والرملية، وقد تمت دراسة هذه المنطقة جيولوجيا للأرض الرسوبية قبل عام ١٣٨٣هـ من قبل وزارة

---

(١) للمزيد راجع الخليج تاريخ سياسي أمين سعيد ص٩- ١٢.

(٢) الحياة في الخليج في العصور الوسطى د، زيان ص١٠٠.

البترول والثروة المعدنية، وخرجت بعدة تكوينات جيولوجية لهذه الأرض منها ما يعود بحكم الزمن الأول لتاريخ هذه الأرض ومنها ما يعود إلى الزمن الثاني لهذه الأرض، وتتبعها الأزمنة الثالثة والرابعة وهي كما يلي:

الزمن الأول: وتتكون فيه نوعية الحجارة الجيرية والرملية، ونوعية تسمى بـ(الرمل الطفال)، وهي عبارة عن خمس طبقات..

الزمن الثاني: وتتكون من الحجر الرملي والحجر الجيري، إلى جانب الدولومايت والعدسات والرمال الجيرية والعضوية والجيرية الطباشيرية والانهيدارية والرملية..

الزمن الثالث: وتتكون من الحجر الجيري والطين والرمل والجبس والصوان والسجسل، ولها مسميات تذكر في تخصصات هذا العلم لسنا في صدد الحديث عنها.

الزمن الرابع: وهي تتكون من عدة طبقات من الرمل والطين والسبخات وصدف البحر، ويتراوح سمكها بين صفر و٢٦ مترا، وتتواجد هذه النوعية بكثرة في جزيرة تاروت، وتكاد تنعدم من داخل المنطقة.

هذه أهم الأنواع الجيولوجية التي تتكون من الرواسب الصخرية والرملية والطينية لمنطقة القطيف، إذ أصبحت هذه التشكيلات الرملية، والصخرية والسبخات المختلفة تمثل أهم مظاهر الجيومورفولوجية في القطيف[١].

---

(١) واحة القطيف دراسة في الجغرافية الإقليمية ص ١٢ دراسة غير منشورة.

وكما تغطي الأراضي الرملية مساحة كبيرة في منطقة القطيف أي ما يعادل قبل خمس عشرة سنة ٣٠٪ من مساحة المنطقة، ويمكن تقسيم هذه الأراضي إلى قسمين هما: الكثبان الرملية والسهول الرملية، والكثبان الرملية توجد بكميات كبيرة في وسط المدينة الذي تحفه واحات الزراعة من الناحية الغربية، وهي كثبان صغيرة وبسيطة، وتتكون عادة بسبب الرياح الشمالية الغربية المتجهة إلى المنطقة في فصول الخريف والشتاء والربيع.

أما في الجهة الشمالية فتنتشر الأشجار الكثيرة من النخيل البرية الممتدة على طول البر بين القطيف والجبيل.

وهناك أنواع من التلال البسيطة، والمرتفعات الصخرية البسيطة في مختلف جهات المنطقة، وتتراوح ارتفاعاتها بين ١٠ إلى ١٥ مترا، وهي عادة من الطين والحصاة.

المنـــــاخ:

يتأثر مناخ المنطقة بمجموعة من العوامل المناخية المؤثرة، التي تغيره بين الحين والأخر، بالخصوص منطقة القطيف؛ لأنها تقع بين دائرتي عرض ٢٦ و٢٧ شمالاً، وهذا الموقع يجعلها تتميز بوفرة الإشعاع، وبطول النهار بالنسبة لليل صيفا، فزاوية سقوط الأشعة على سطح الأرض في القطيف تبلغ ٨٧ درجة حينما تتعامد الشمس على مدار السرطان يوم ٢١ أبريل و٢٢ ديسمبر، فإنْ درجة سقوط الأشعة تكون ٦٣ درجة، فإذا علم أن أكبر زاوية تسقط بعد أشعة الشمس على الأرض قيمتها ٩٠ درجة في حال تعامدها على سطح الأرض تبين الدور الذي تساهم به زاوية السقوط ٨٧ درجة في رفع درجة الحرارة بالقطيف، وملحقاتها صيفا، كما يتبين الدور الذي تساهم به زاوية السقوط ٤٠ درجة في دفء المنطقة شتاءً.

وأما عن درجات الحرارة فتتأثر درجاتها بقوة الإشعاع الشمسي، وبطول النهار بالنسبة لليل، ويضاف هنا عامل آخر، وهو درجة صفاء الجو التي تعدل من أثر المناخ، ويوضح هذه الناحية الجدول التالي الذي يكشف معدل درجات الحرارة العظمى ومعدل درجاتها الصغرى والمعدل الشهري للحرارة..

ويتميز مناخ القطيف أيضاً بصيف طويل، إذ تبدأ الحرارة بالارتفاع في شهور معينة تختلف في كل سنة باختلاف العام الهجري، والتغيرات الشهرية والسنوية، وفي شهر مايو ثم يونيو ثم يوليو يشتد ارتفاع الحرارة، وفي أغسطس تبدأ في الهبوط مرة أخرى..

وأما اتجاهات الرياح فتكون أكثر ثباتا في فصلي الشتاء والصيف منها في الاعتدال، فإن الرياح التي تهب على القطيف تكون شمالية غربية باردة شتاء؛ لأنها قادمة من جهات شديدة البرودة، وتكون شمالية منعشة صيفا بسبب قدومها من جهات حارة، وللرياح الشمالية الغربية أثرها في عملية نقل الرمال التي تتعرض لها بعض جهات القطيف، هذا إلى جانب الرياح الجنوبية الشرقية المدارية القادمة من المحيط الهندي، والتي تزيد من رطوبة الجو، ومن مظاهر التلطف، وتأتي في مقدمة المنخفضات الجوية، وهي رياح حارة شديدة الحرارة في فصل الصيف ودافئة في فصل الشتاء يصحبها ارتفاع في نسبة الرطوبة، وإذا ارتفعت هذه الرياح المصحوبة بالرطوبة تسمى عند الأهالي بـ(رياح الكوس)، كما تسمى رياح الجنوب، وهي تهب من تلك الجهة نفسها.

وأما بالنسبة للأمطار فتعتبر في منطقة القطيف قليلة جدا إذا ما قورنت بالأعوام السابقة التي يتحدث عنها الآباء والأمهات، وفي العشرين سنة الماضية قلت الأمطار بشكل ملحوظ، إذ لا يزيد معدلها السنوي عن ٨٤ ملم تقابلها ٣٠٠٠ ملم يمكن أن تتبخر سنوياً، أي أن مجموع التبخر فيها يعادل كميات المطر النازلة ٣٧ مرة، وكمية المطر تلك تدخل إلى المناطق الصحراوية الجافة التي لا تتعدى خط المطر المتساوي ١٥ بوصة (٤٥٠ مم)، وكما أن الأمطار فيها تسقط في فصلي الشتاء والربيع إلاّ أن فصل الصيف جاف جداً. وإليك عزيزي القارئ جدولة توضيحية لنسب درجات الحرارة، ومعدلات الرطوبة من عام ١٩٩٠م إلى عام ١٩٩٨م وهي كما يلي:

جدول عام ١٩٩٠م:

الشهر	متوسط درجة الحرارة الكبرى	متوسط درجة الحرارة الصغرى	متوسط الرطوبة النسبية	كمية المطر
يناير	٢٠	٩	٧٠	٢٧
فبراير	٢١	١١	٦٦	٧
مارس	٢٥	١١	٥٢	-
أبريل	٢٨	١٨	٥٢	٢
مايو	٣٩	٢٠	٢٧	-
يونيه	٤١	٢٤	٢٩	-
يوليه	٤٥	٢٨	٣١	-
أغسطس	٤٢	٢٥	٣٠	-
سبتمبر	٤٠	٢٣	٤٠	-
أكتوبر	٣٦	٢٠	٥٧	-
نوفمبر	٢٧	١٢	٥٨	-
ديسمبر	٢٧	١٢	٧٠	-
مجموع كمية الأمطار خلال السنة		٣٥		

لعام ١٩٩١م:

الشهر	متوسط درجة الحرارة الكبرى	متوسط درجة الحرارة الصغرى	متوسط الرطوبة النسبية	كمية المطر
يناير	٢١	١١	٨٨	٢٩
فبراير	٢١	١٢	٧٨	٢
مارس	٢٤	١٣	٧٥	٢٥
أبريل	٢٣	١٩	٤٨	-
مايو	٢٤	٢٠	٥٤	-
يونيه	٣٩	٢٤	٦٠	-
يوليه	٤٠	٢٥	٦١	-
أغسطس	٣٩	٢٥	٦٢	-
سبتمبر	٣٧	٢٣	٥٥	-
أكتوبر	٣٥	٢٢	٥٦	-
نوفمبر	٣٠	١٤	٥٦	-
ديسمبر	٢٣	١٣	٧٠	١٦
مجموع كمية الأمطار خلال السنة		٧٢		

لعام ١٩٩٦م:

الشهر	متوسط درجة الحرارة الكبرى	متوسط درجة الحرارة الصغرى	متوسط الرطوبة النسبية	كمية المطر
يناير	١٩	١١	٦٣	٤،٥
فبراير	٢٤	١١	٥٢	١١
مارس	٢٣	١٦	٥١	٢٨
أبريل	٣٠	١٧	٣٣	-
مايو	٣٨	٢١	٣٦	-
يونيه	٤١	٢٢	٦٢	-
يوليه	٤٣	٢٧	٤٧	-
أغسطس	٤٢	٢٥	٥٦	-
سبتمبر	٣٩	٢٥	٤٩	-
أكتوبر	٣٤	٢٩	٥٢	-
نوفمبر	٢٦	١٤	٦١	-
ديسمبر	٢٥	١٢	٧٦	-
مجموع كمية الأمطار خلال السنة		٤٣،٥		

لعام ١٩٩٧م:

الشهر	متوسط درجة الحرارة الكبرى	متوسط درجة الحرارة الصغرى	متوسط الرطوبة النسبية	كمية المطر
يناير	٢٢	٨	٧٢	٤٠
فبراير	٢٢	١٠	٥٨	-
مارس	٢٦	١٢	٧٩	٤٥
أبريل	٣٢	١٧	٥٩	-
مايو	٣٨	٢٠	٣٥	-
يونيه	٤٢	٢٤	٤٨	-
يوليه	٤٢	٢٥	٤٧	-
أغسطس	٤١	٢٥	٤٣	-
سبتمبر	٤٠	٢٢	-	-
أكتوبر	٣٧	٢١	٥٤	-
نوفمبر	٢٧	١٧	٦٩	٣
ديسمبر	٢٢	١٢	٧١	٨٠
مجموع كمية الأمطار خلال السنة		١٧٢		

لعام ١٩٩٨م:

الشهر	متوسط درجة الحرارة الكبرى	متوسط درجة الحرارة الصغرى	متوسط الرطوبة النسبية	كمية المطر
يناير	١٧	٨	٦٦	٧٠
فبراير	٢١	١٠	٥٨	٣٣
مارس	٢٧	١٤	٥١	٤،٥
أبريل	٣٤	١٨	٣١	-
مايو	٣٧	٢٢	٣٤	-
يونيه	٤٣	٢٤	٥٢	-
يوليه	٤٢	٢٧	٥٩	-
أغسطس	٤٣	٢٧	٦٨	-
سبتمبر	٤٠	٢٤	٥٥	-
أكتوبر	٣٦	١٩	٥٨	-
نوفمبر	٣١	١٥	٥٩	-
ديسمبر	٢٨	١٢	٧٠	-
مجموع كمية الأمطار خلال السنة		١٠٧،٥ [١]		

---

(١) معلومات غير منشورة من وزارة الزراعة والمياه في القطيف.

معلومات عن التربة وموارد المياه في القطيف:

لقد نشرت اللجنة الهندسة الاستشارية consul ting eng ineering group المتخصصة في دراسة التربة والمياه، دراسة شاملة عن نوعية التربة والمياه في المنطقة الشرقية، بالخصوص (نوعية التربة والمياه في منطقة القطيف وملحقاتها)، وكانت هذه الشركة قد كلفت من قبل وزارة الزراعة والمياه في المنطقة، وقد كان ذلك عام ١٣٩٧هـ، وقد شملت هذه الدراسة معظم مناطق القطيف، وقد وزعت هذه الدراسة في هذه المناطق على تسعين قطاعا، يفصل بين كل قطاع، وآخر مسافة ٣٠٠ متر، ورُعيَ في اختيار هذه القطاعات أن تمر بجميع الأشكال الأرضية وأن تمثل المنطقة جغرانيا، وهذا إلى جانب الدراسة الأخرى التي قامت بها وزارة الزراعة نفسها عام ١٤٠٠هـ، وقبلها أيضا دراسة شركة (ايطال كونسلت) التي أجريت على تربة المنطقة عام ١٣٨٩هـ التي خصصت الجزء الأكبر في دراستها على منابع المياه الجوفية في المنطقة.

ومجمل هذه الدراسات التي أجريت على تربة، ومياه منطقة القطيف تنقسم إلى قسمين هما:

١ـ أراضي المناطق الجافة: وهي تغطي معظم أراضي المنطقة، وهي تتكون من نفس هذه المادة، وتندرج تحت الأراضي المالحة والأراضي الجيرية إلى جانب أراضي الحجر الجيري، والذي يتواجد بشكل كثير فيها، وهي بدورها تنقسم إلى قسمين هما:

أ ـ الأراضي المالحة: ويتميز هذا النوع من التربة بأنه ذو قطاع عميق خاصة في أحواض السبخات، وبالارتفاع الشديد في درجة الملوحة خاصة زيادة أملاح كلوريد الصوديوم، وقوامها رملي إلى رملي طيني، ويرتفع بها مستوى الماء، وهي مغطاة عموما بقشرة ملحية ذات

سُمك متفاوت بقدر ما، ولونها فاتح يميل أحيانا إلى اللون القاتم، وهذه الأرض غير ملائمة للزراعة قبل استصلاحها وغسلها، لإزالة أملاحها، مع عمل المصارف اللازمة لتصريف مياه الغسيل..

ب- الأراضي الجيرية: وهي تتميز بوجود طبقة من تجمع كربونات الكالسيوم تحت سطح التربة مباشرة، وملوحتها أقل من السابقة، ولونها رمادي إلى بني، ونسبة المادة العضوية فيها منخفضة، وتختلف سعتها المائية كما تختلف سعتها التبادلية تبعا لقوامها.

٢- أراضي الحجر الجيري: وهي أراضٍ صخرية غير صالحة للزراعة، وتعتبر جزءا من تكوين المناطق المتواجدة في مناطق بسيطة جداً، وتتميز هذه التربة بأنها قليلة العمق، وبأنها مفككة وخشنة الحبيبات.

أراضي المناطق الحديثة التكوين: وهذه التربة يوجد منها في منطقة القطيف بكثرة جداً، وتنقسم إلى نوعين هما:

أراضي الوديان: وتتميز هذه الأراضي بجودة التربة، ونسبة الأملاح فيها غير مرتفعة وهي جيدة التصريف نسبياً، وتعتبر أفضل الأراضي المنتجة بالقطيف تربة الأراضي الرملية، وتتميز هذه الأراضي الرملية بأنها مفككة، ويلونها الفاتح، وتنخفض بها السعة التبادلية، وهي جيدة التصريف، ومنسوب الماء الأراضي بعمق، وتعتبر هذه التربة قليلة الخوص بسبب تواجد الطين فيها..

وكما أن هذه التربة في القطيف تعاني من عدة مشاكل أهمها مشكلة الملوحة المتواجد في تربة المنطقة، كما أن هذه الملوحة انعكست على المياه، إذ تبلغ الملوحة فيها ٢٠٠٠ جزء في المليون، وهذه الملوحة

تؤدي إلى تجمع الأملاح وتراكمها بعد تبخر المياه. كما أنها تعاني من ارتفاع درجات الحرارة صيفا مع قلة الأمطار شتاء، فارتفاع الحرارة من شأنه أن يزيد من نشاط عملية التبخر مما يؤدي إلى ترسب الأملاح في التربة.

أما مصادر المياه المغذية للتربة، فهي كثيرة جداً لوجود المياه الجوفية، والعيون الارتوازية بكثرة فيها كما سوف تعرفه في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى، وإن اختصت القطيف الأم ببعض العيون مثل:

١ـ عين دبيبية.
٢ـ عين المقتتة.
٣ـ عين السليماني.
٤ـ عين أبو لوزة.
٥ـ عين القصاري.
٦ـ عين الحر.
٧ـ عين الحذيلة.
٨ـ عين البشري.
٩ـ عين غراء.
١٠ـ عين أم عمار.
١١ـ عين المروانية.
١٢ـ عين الخليفية.
١٣ـ عين المنصوري.
١٤ـ عين النشلات.
١٥ـ عين المربع.
١٦ـ عين القصير.

السكان:

ليس هناك إحصائية دقيقة عن التعداد السكاني لمنطقة القطيف وملحقاتها، باعتبار أن هناك أسراً كبيرة لم تدخل ضمن نطاق التعداد السكاني الذي أجري في الآونة الأخيرة، وإذا عدنا إلى الإحصائيات التي أعدها جملة من الرحالة، والكتاب والمحللين نراها تتفاوت وتتباين تبايناً واضحاً بينها وبين التعداد السكاني المعاصر، فقد كانت تلك الإحصائيات يعتمد في الغالب على مظاهر العمران الجغرافي، وتارة على التعداد المهني، وآخر على الإحصائيات الميدانية التي تفقد مصداقيتها إذا عرفنا أن هناك جملة كبيرة من العوائل لم تشملها هذه الإحصائيات لظروف خاصة، بها وتارة لعدم الإفصاح عن تعداد أفراد العائلة الواحدة، وتارة للهجرات الجغرافية التي تحدث في المنطقة سواء كانت داخل المملكة أو خارجها لأسباب متعددة.

لقد تحدث بعض الرحالة والكتّاب عن بعض الإحصائيات السكانية، فكان لكل واحد منهم طريقته الخاصة في الإحصاء، وإن كانت لا تخلو من بعض الملاحظات إلا أنها تعطي بعض النسب البسيطة لتعداد السكان لأهل المنطقة وهي كما يلي:

ففي عام ١٢٣٥ هـ ١٨١٩م قدر الرحالة سادلير عدد السكان لأهل المنطقة بنحو ٣١٠٠٠ نسمة[١].

وفي عام ١٢٧٩هـ ١٨٦٢م قدرهم بلجريف بنحو ١٠٠٠٠٠ نسمة[٢].

---

(١) نقلاً عن بعض الإحصائيات في شركة أرامكو السعودية، وهي متوفرة في أرشيفها التراثي الوثائقي الذي تحتفظ به عن المنطقة.

(٢) المصدر السابق.

وفي عام ١٣٢٤هـ ـ١٩٠٦م قدرهم لوريمر الإنجليزي بنحو ٣١٠٠٠ نسمة[(١)].

وفي عام ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣م قدرهم فؤاد حمزة بنحو ٤٠٠٠٠ نسمة[(٢)].

وفي عام ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م قدرهم حافظ وهبة بنحو ٣٠٠٠٠ نسمة[(٣)].

وفي عام ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م قدرتهم إدارة التخطيط العمراني في المنطقة بنحو ٢٢١٥٨٠ نسمة[(٤)].

وهناك عدة ملاحظات على هذه الإحصائيات لما فيها من ضعف شديد، إذ إن التعداد السكاني في المنطقة، أو في أي منطقة من المناطق لا يخضع لتدقيق شديد، وإحصاء دقيق، لعدة أسباب أهمها:

عادة بعض الأهالي يتخوفون من إعطاء المعلومات الدقيقة لأي جهة كانت، والهجرات التي نزحت من داخل المنطقة إلى مناطق خارجة عن المنطقة، وتارة أخرى خارج المملكة، وكما هو معروف أن نسبة كبيرة، نزحت إلى العراق، وأخرى إلى إيران على فترات متتالية بسبب

---

(١) ذكر الوريمر هذه الإحصائيات للتعداد السكاني لأهل المنطقة عن طريق دراسة ميدانية استغرقت منه شهورا بل سنوات، والقارئ لكتابه (دليل الخليج العربي) يكتشف ذلك ويلمسه، واعتمد ـ كما يقال ـ في كمية التعداد السكاني على مستر جاسكين المساعد السياسي في الشؤون الخليجية وقد ذكر هذا في كتابه (دليل الخليج العربي) ج ٢، ص ٧٣٠.

(٢) راجع كتاب قلب الجزيرة العربية ص ١٩٨.

(٣) كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢١١.

(٤) إدارة التخطيط العمراني في القطيف، وكانت الإحصائية عام ١٤٠٥هـ.

الظروف الاقتصادية في ذلك الوقت، أو لظروف سياسية وأخرى صحية[(١)].

---

(١) كما هو معروف في عام ١٣٢٧هـ حدثت مجاعة شديدة، مما سبب ارتفاع عدد الوفيات في المواشي والناس، وأطلق عليها الأهالي سنة (المجاعة)، وكما أن في عام ١٣٣٦هـ انتشرت الحمى الصفراء، وسببت ارتفاعا في عدد الوفيات.

أما سنة الطاعون التي حدثت في عام ١٣٣٧ هـ ففيها نزل بمنطقة القطيف الوباء الذي سمي بالطاعون، أو بسنة الرحمة حيث إن هذا الوباء تسبب في موت كثير من الناس حتى أدى إلى خوف الأهالي، فلم يترك أحدا مطمئناً على حياته لما يشاهد يومياً من خلو بعض البيوتات تماماً من أهلها.

وكما حدثت في الساعة الثانية ليلة الجمعة ١٣٤٤/٣/١٣ هـ في نهاية صيف ذلك العام عواصف شديدة أهلكت الحرث والنسل، مع أن الآباء والأمهات يقولون: إنها استمرت نصف ساعة فقط، إلا أنها خلفت دماراً شاملاً في الأرواح، والممتلكات، وأطلق الأهالي على هذه السنة بـ(الطبعة).

أما عن سنة البطاقة فيقول الحاج مهدي سويدان في بعض المقالات المنشورة له في مجلة الواحة العدد الثاني ما يلي: حدثت عام ١٣٦٠ هـ بسبب حصار المحيطات، والبحار التي توصل بواسطتها وسائل النقل البحرية جميع المواد الغذائية للقطيف من أنحاء العالم، والذي كان لا يستطيع أحد أن ينفذ من خلال البحر بشيء أبداً؛ لأن الحرب العالمية الثانية قائمة على قدم وساق، مما أدى إلى ندرة المواد الغذائية، والاستهلاكية والضرورية، وانعدامها تقريباً من الأسواق فما يحتاجه الإنسان لم يجده بأضعاف الأثمان حتى بلغ مثلاً فنجان القهوة فارغاً بخمسة ريالات، وقلة التمر الواحدة (وزنها اثنان وثلاثون كيلواً) بأربعين ريالاً بالرغم من قلة الدخل وعدم تنوع مصادره، ولكن متى وجد عند من يملك القلال شيء لا يستطيع ان يتصرف فيه إلا خفية لكي لا يراه أحد من الناس، فيبلغ عنه الحكومة التي فرضت على الملاكين بيعه عليها لطرح التمور في الأسواق بالبطاقة لكي يباع على الناس بالرطل حسب أعداد أنفس الأسرة من أجل أن لا يموتوا جوعاً في كنفها، إذ الرز والسكر

إن الإحصائيات السابقة لأهالي المنطقة لم تشمل كافة المناطق والبيوت والأحياء، بل كانت في أغلب الأحيان تقتصر على بعض المعلومات الواردة في الإحصائيات الحكومية، كالمستشفيات ومراكز الشؤون الصحية لعدد المواليد والوفيات ونسب المراجعين، لذلك لا تفي بالغرض المطلوب.

تعداد أقرب للواقع:

وإذا عدنا إلى الإحصاءات التي قامت بها وزارة الرعاية والصحة في المنطقة، نراها تعطي تعداد سكان المنطقة الذي يقول العاملون بها: إنه أقرب للواقع؛ لكونهم قاموا بها عبر دراسة ميدانية للقطيف وملحقاتها، باستثناء مناطق صفوى، والأوجام وأم الساهك، التي لو يشملها هذا التعداد وهي تقدر بـ(٢٥٨٨٥٥) نسمة، ونستثني نسبة كبيرة من الذين لم يشملهم التعداد الخاص بهذا القطاع من الذي يتلقون علاجاتهم عن طريق شركات حكومية، وأهلية ففيها نسبة كبيرة لا ينبغي إهمالها، بالإضافة إلى تعداد منطقة صفوى والأوجام وأم الساهك الذي يقدر بـ(٣٨٤١٩). فتخرج النتيجة كالتالي:

تعداد وزارة الصحة يقدر بـ(٢٥٨٨٥٥) بالإضافة إلى تعداد منطقة صفوى والأوجام وأم الساهك بـ(٣٨٤١٩) بالإضافة إلى نسب متفاوتة

والدقيق وغيرها لم تكن متوفرة في البلاد، وإنما الجريش والتمر هما الموجودان في السوق بالبطاقة من قبل الحكومة بأثمان موحدة، وأسعار مقبولة، وبتقنين البيع لعموم الفائدة وتغطية عجز الأطعمة لكي لا يحرم الفقير، ويتمتع الغني مما جعل توزيع المواد الغذائية (خصوصاً حب الجريش والتمر) مقنناً لإعطاء كل حسب أفراد العائلة. المصدر.

عن طريق التخرصات تقدّر بـ(٥٠ ألف تتوزع على سائر المناطق) فالمجموع عندنا تعداد أقرب للواقع الحقيقي وهو (٣٤٧،٢٧٤)[1].

وإليك عزيزي القارئ جداول توضيحية للتعداد الذي قامت به وزارة الصحة لعام (١٤١٩هـ) لمناطق القطيف وهو كما يلي:

المنطقة	إناث	النسبة٪	ذكور	النسبة	المجموع
القطيف_١	٢٢١٦	٥٠,٣	٢١٩٠	٤٩,٧	٤٤٠٦
القطيف_٢	٣٢٢٣	٥٠,٠	٣٥٢٣	٥٠,٠	٧٠٤٦
القطيف_٣	٥٥٩١	٤٨،٧	٥٨٨٩	٥١,٣	١١٤٨٠
الشويكة	٦٠١٣	٤٩,٣	٦١٨٣	٥٠,٧	١٢١٩٦
تاروت	٤٩٩٤	٥٠,٩	٤٨١٨	٤٩,١	٩٨١٢
السنابس	٤٣٢١	٤٩,٠	٤٤٩٨	٥١,١	٨٨١٩
الربيعية	٣٢٩٠	٤٨,٦	٣٤٧٩	٥١,٤	٦٧٦٩
دارين	١٨٠٣	٤٦,٤	٢٠٨٣	٥٣,٦	٣٨٨٦
المحدود	٧٣٦١	٤٩,٩	٧٣٩١	٥٠,١	١٤٦٥٢
الناصرة	٥٤٧٠	٥١,٥	٥١٥١	٤٨,٥	١٠٠٧٥
المنيرة	٥٦١٠	٥٠,٣	٥٥٤٣	٤٩,٧	١١١٥٣
البحاري	٤٤٠٧	٥٠,٣	٢٢٠٨	٤٩،٩	٥٥٤٣
العوامية	٧٨١٠	٤٩,٨	٧٨٧٢	٥٠,٢	١٥٦٨٢
القديح	٧٥٩٥	٥٠,١	٧٥٦٤	٤٩,٩	١٥١٥٩
التوبي	٢٥٤٢	٤٩,٧	٢٥٧٣	٥٠,٣	٥١١٥
الخويلدية	٢٨١٨	٤٩,٣	٢٨٩٩	٥٠,٧	٥٧١٧
حلة محيش	٢٠٤٢	٥١,٩	١٨٩٢	٤٨,١	٣٩٤٤
الجارودية	٣٥٤٣	٤٨,٥	٣٧٦٣	٥١,٥	٧٣٠٦
أم الحمام	٥٠٦٧	٥٠,٣	٥٠٠٦	٤٩,٧	١٠٠٧٣
الملاحة	١٣٦٣	٤٩,٢	١٤٠٧	٥٠,٨	٢٧٧٠
الجش	٤٩٤١	٥٠,٥	٤٨٤٤	٤٩,٥	٩٧٨٥
النابية	٢٣٣٧	٥١,٥	٢٢٠١	٤٨,٥	٤٥٣٨

---

(١) معلومات استنتاجية من المؤلف بالاعتماد على معلومات ميدانية، ومعلومات رسمية من قبل وزارة الصحة لعام ١٤١٩هـ ـ ١٤٢٠هـ.

المنطقة	إناث	النسبة٪	ذكور	النسبة	المجموع
سيهات_١	٦١٢٠	٥١,٢	٦٠٧١	٤٩,٨	١٢١٩١
سيهات_٢	٦٨٩٧	٤٨,٢	٧٤١٢	٥١,٨	١٤٣٠٩
سيهات_٣	٥١٥٨	٥١,٢	٤٩١٧	٤٨,٨	١٠٠٧٥
المجموع	١١٦٢٦٥	٤٩,٩١	١١٦٦٨٤	٥٠,٠٩	٢٣٢٩٤٩

جدول توضيحي لتعداد سكان منطقة القطيف لعام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م

وفيما يلي جدول توضيحي لنسب السعوديين وغيرهم، وعدد العوائل السعودية وغيرها على حسب كل منطقة من مناطق القطيف.

نسبة السكان السعوديين والأجانب				
التسلسل	المنطقة	السعوديون	غير السعوديين	عدد سكان المنطقة
١	القطيف١	٦٤٢٥	٤٧٢	٦٨٩٧
٢	القطيف٢	٦٩٤٥	٦٠٣	٧٥٤٨
٣	القطيف٣	١٠٤٥٥	١٢٣٦	١١٦٩١
٤	الشويكة	١٠٣٧٧	٤٤٥	١٠٨٢٢
٥	تاروت	١٢٧٠٠	٤٠	١٢٧٤٠
٦	السنابس	١٣٠٩٣	٩٣	١٣١٨٦
٧	الربيعية	٨٥٢٢	٥٦	٨٥٧٨
٨	دارين	٤٠٣٦	٣٥١	٤٣٨٧
٩	الحدود	١٤٠٦٧	١٦٦٤	١٢٧٤٠
١٠	الناصرة	٨٥٩٨	٣٤٥	٨٩٤٣
١١	المنيرة	٨٧٣٤	٥١	٨٧٨٥
١٢	البحاري	٣٩٩٠	٩٦	٤٠٨٦
١٣	العوامية	١٦٠٧١	١٠٨٣	١٧١٥٤
١٤	القديح	٢١٠٣٢	١٣	٢١٠٤٥
١٥	التوبي	٦٤٦٩	١٤	٦٤٨٣
١٦	الخويلدية	٧٢٥٥	٢٥	٧٢٨٠
١٧	حلة محيش	٤٤١٢	٥٨	٤٤٧٠
١٨	الجارودية	٨١٨٢	٣	٨١٨٥
١٩	أم الحمام	١١٦٤٥	٣١	١١٦٧٦
٢٠	الملاحة	٢٧٩٦	٣٠	٢٨٢٦
٢١	الجش	٦٢١٨	٢٥١	٦٤٦٩

نسبة السكان السعوديين والأجانب				
التسلسل	المنطقة	السعوديون	غير السعوديين	عدد سكان المنطقة
٢٢	النابية	١٠٤٧٤	٣٤	١٠٥٠٨
٢٣	سيهات_١	١٦٣٨٧	٨٧	١٦٤٧٤
٢٤	سيهات_٢	١٦٥٨٠	١٢٣٦	١٧٨١٦
٢٥	سيهات_٣	٩٩٣٥	٩٢٠	١٠٨٥٥
٢٦	الأوجام	٥٦٩٨	٧٥	٥٧٥٥
٢٧	صفوي	١١٩٧٨	٢٣١١	١٤٢٨٩
٢٨	الخزم	١٣١١٠	٦١٨	١٣٧٢٨
٢٩	أم الساهك_١	٢٩٨١	٣٤٥	٣٣٣٠
٣٠	أم الساهك_٢	٤٦٤٨	٢٨١	٣٩١٩

وهذا جدول توضيحي لعدد العوائل السعودية وغيرها[(١)]

عدد العوائل السعودية والأجانب في القطيف				
التسلسل	المنطقة	السعوديون	غير السعوديين	المجموع
١	القطيف١	٦٥٩	١٠٣	٧٦٢
٢	القطيف٢	١٤٣٥	٢١٣	١٦٤٨
٣	القطيف٣	١٠٤٤	٢٥٣	١٢٩٧
٤	الشويكة	١٥٨٥	٨٠	١٦٦٥
٥	تاروت	١١٥٠	٤	١١٥٤
٦	السنابس	١٢٦٥	٢٠	١٢٨٥
٧	الربيعية	٧٨٩	٩	٧٩٨
٨	دارين	٤٢٩	٣٠	٤٥٩
٩	المحدود	١٨١٠	١٤٠	١٩٥٠
١٠	الناصرة	١٦٨٣	٨	١٦٩١
١١	المنيرة	١٦٥٣	٧	١٦٤٢
١٢	البحاري	٣٨٩	٢٥	٤٢٣
١٣	العوامية	١٦٣٦	٤	١٦٤٠
١٤	القديح	١٨٨٠	٤	١٨٨٤
١٥	التوبي	٦٣٦	٠	٦٣٦

(١) معلومات من وزارة الصحة لعام ١٤١٩هـ. غير منشورة.

عدد العوائل السعودية والأجانب في القطيف				
التسلسل	المنطقة	السعوديون	غير السعوديين	المجموع
١٦	الخويلدية	٥٤٩	٣	٥٥٢
١٧	حلة محيش	٤٠٩	١	٤١٠
١٨	الجارودية	٨٢٣	١	٨٢٤
١٩	أم الحمام	١٣٧٥	٤	١٣٧٩
٢	الملاحة	٣٥٠	٠	٣٥٠
٢٠	الجش	٨٥٤	٠	٨٥٤
٢٢	النابية	١١٧٠	٦	١١٧٦
٢٣	سيهات-١	١٨١٣	٢٢	١٨٢٥
٢٤	سيهات-٢	١٦٥٣	١٧٩	١٨٣٢
٢٥	سيهات-٣	١٢١٥	١٥٩	١٣٧٤
٢٦	الأوجام	٦٢٧	١٤	٦٤١
٢٧	صفوى	١٦٣٧	١٠٦	١٧٤٣
٢٨	الحزم	١٧٢٠	١٠٩	١٨٢٩
٢٩	أم الساهك -١	٣٧٥	١٠	٣٨٥
٣٠	أم الساهك -٢	٥٦١	١٥	٥٦٧

البعد الديموغرافي للسكان:

أما عن خصائص السكان فيها، فقد أكدت الإحصاءات الرسمية التي قامت بجمعها وزارة الصحة لعام ١٤١٩هـ أن هناك ارتفاعاً ملحوظاً في معدلات النسب بالنسبة للنوع الأنثوي، وهذه النسبة كما هو معروف لدى الجميع مرتفعة في كل مجتمع من المجتمعات البشرية لعدة أسباب لسنا هنا بصددها. وإليك جدولاً توضيحياً وهو منشور في بعض كتيبات وزارة الإحصاءات العامة لمنطقة الشرقية[1]:

(١) عُرض هذا الجدول على المتخصصين في وزارة الإحصاء للمنطقة الشرقية عام ١٤١٩هـ، وتورنت هذه الإحصاءات.

فئات السن	النسبة النوعية
أقل من سنة	١٠٣١
١_٤	١٠١١
٥_٩	١٠١٥
١٠_١٤	١٠٠٦
١٥_١٩	١٠٢٩
٢٠_٢٤	١٢٠١
٢٥_٢٩	١٠٦٧
٣٠_٣٤	١١٣١
٣٥_٣٩	١٠٠١
٤٠_٤٤	١٠٧٥
٤٥_٤٩	١٢٦٠
٥٠_٥٤	١٠٩١
٥٥_٥٩	١٥٨٦
٦٠_٦٤	١٤٨٥
٦٥_٧٠	١٢٩٤
٧٥_٨٠	٧٠٠
٩٠_	١٥٠

كما أن بعض أهالي المنطقة يعانون من الأمراض الوراثية بسبب زواج الأقارب، بالخصوص مرض (فقر الدم) الذي تصل نسبته إلى ٣٠٪ حسب آخر إحصاء أوردته وزارة الصحة، وهو مرض يسبب تحول كريات الدم الحمراء إلى ما يشبه المنجل بسبب نقص الأوكسجين في الدم، وهذا النقص ينتج عن تركيب الدم في الأبوين، فعندما توجد نوعيتان متشابهتان، فإن هذا يساعد على تكوين كريات الدم الحمراء على شكل منجل بحيث تسبب تكسراً حاداً في مجريات الأوعية الدموية للمصاب، بالخصوص إذا كانت هذه الدماء متقاربة، كأن يكون الزوجان من نفس القبيلة أو العائلة، ولوجود هذا المرض في المنطقة،

فقد تم تأسيس مستشفى خاص لرعاية المصابين بهذه الأمراض في القطيف[1]..

نظرة في أبعادها الاجتماعية:

أما الخصائص الاجتماعية لسكان المنطقة فتقل فيها نسبة العزوبة فأهلها الملتزمون بالإسلام سعوا لتطبيق نظام الزواج المبكر، فإذا بلغ الشاب وأنهى مراحل تعليمية زوجوه، وما أن تبلغ الفتاة سنها الشرعي حتى اعتبرت ربة بيت، وكان الزواج المبكر لوقت قريب معمولا به في المنطقة، وأن اختلف الوضع بعض الشي الآن، إلا أنه لا زالت المنطقة أفضل من سائر مدن المملكة في هذه الناحية.

فقد تحدث أحد الباحثين في دراسة له عام ١٤٠٦هـ والذي درس القطيف دراسة جغرافية إقليمية، عن هذه الناحية بقوله: تتضح الخصائص لسكان القطيف من دراسة الحالة المدنية على الصعيد الزوجي للفرد هل هو متزوج، أم غير متزوج، أم أرمل، أم مطلق، فيتبين لنا أن المتزوجين من الجنسين يشكلون أكثر من نصف السكان ممن أعمارهم ١٢ سنة فأكثر، بينهم غير المتزوجين ثم الأرامل فالمطلقات، وتختلف نسب هذه الحالات داخل المجتمع القطيفي بحسب عدة متغيرات منها التركيب النوعي، والتركيب العمري، وكذلك التركيب بحسب

---

(١) دراسة هذه الناحية من الحياة الديموغرافية للسكان تتطلب وقتاً طويلاً، ومتابعة مستمرة لما هو جديد على صعيد الإحصاءات الرسمية، ولذلك أردنا أن نلقي بعض الضوء على هذه الناحية، فأوجزنا الحديث عنها، وتركنا التعمق للباحثين في هذا الجانب أن يغنوا المكتبة الإسلامية بدراسة ضافية عن هذا الجانب.

دراستنا للقرى ووسط المدينة إليك جدول توضيحي:

القطيف	لم يتزوج		متزوج		أرمل		مطلق	
	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى
	٤٢	٢،٢٨	٥٥،٧	٢،٦١	١،٢	٨،٧	٠،٧	١،٥

ويشكل غير المتزوجين في المنطقة من سن ١٧ فأكثر نسبة مرتفعة بالنسبة للمملكة إجمالا، لكنها تبقى أخفض من مثيلتها في المنطقة الشرقية.

أما نسبة الأرامل من الجنسين فهي أخفض منطقة من مثيلتها من مناطق المملكة، لأن المترملين أسرع في إعادة زواجهم من جديد، أما عن نسبة المطلقات فهي أيضا نسبة منخفضة بالنسبة لمثيلتها من مدن المنطقة الشرقية..[١].

نظرة في أبعادها التعليمية:

معظم سكان القطيف متعلمون، ونسبة الأُمية فيها قليل جداً، أما ما عليه القطيف قبل ثلاثين عاما من تمدنها ورقيها، فكانت نسبة الأُمية فيها تصل إلى نصف السكان، وكان ذلك الإحصاء عام ١٣٩٤هـ وبعد أن انتشرت الكتاتيب، والمدارس الحكومية في أرجائها تمكنت الدولة من القضاء على الأمية بنسبة كبيرة جداً، فأصبحت عام ١٤١٩هـ تشكل ٢٠٪ من سكانها، أما الآن فأهل القطيف أغلبهم من المتعلمين ومن حملة الشهادات العليا، ونسبة كبيرة تلقوا تعليمهم وحصلوا على شهاداتهم من أكبر الجامعات المحلية والخارجية.

تتوزع مهن سكانها على الوظائف التالية:

---

(١) الحميدي معلومات غير منشورة مصدر سابق، ص ١٠٩.

١ـ في القطاعات العلمية (رجال دين، وطلبة علم، وخطباء).

٢ـ الخدمات العامة.

٣ـ الزراعة.

٤ـ النقل والموصلات.

٥ـ التجارة والعقار.

٦ـ الصيد.

٧ـ الصحافة والتحرير.

٨ـ المقاولات والشركات والمؤسسات المحلية.

٩ـ نسبة كبيرة في القطاع الوظيفي في شركة أرامكو السعودية (شركة استخراج النفط) وتشكل نسبة كبيرة من أبناء القطيف وملحقاتها.

١٠ـ القطاعات التعليمية بفروعها الكثيرة، كوزارة المعارف لتعليم الأولاد، ووزارة الشؤون التعليمية للبنات والجامعات.

١١ـ عدد كبير في الوظائف الحكومية في مختلف قطاعاتها الصحية والشؤون البلدية والاقتصادية والزراعية والعسكرية والبحرية والبرية.

القطيف
في أدوارها التاريخية



يعد سكان القطيف من أقدم الناس استيطانا واستقرارا في هذه المنطقة، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه المنطقة كانت مأهولة بالناس أيام العصور الجليدية المتأخرة في أوربا، أي قبل خمسين ألف سنة، وأن ساحل الخليج، ولاسيما المنطقة الواقعة بين الدوادمي وشمال القطيف، كانت مزدحمة بالسكان في العصور البرونزية، أي حوالي (٣٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ قبل الميلاد)، وكما أن عوامل الطقس، وخصوبة التربة، وكثافة الغابات الخضراء كان لها الأثر في نزوح الشعوب والقبائل الأخرى للاستيطان فيها، وقد أكدت بعض الأدبيات الثقافية نزوح عرب الجزيرة العربية القاطنين في الجزء الجنوبي والشمالي منها إلى منطقة القطيف على أثر موجات الجفاف التي ألَمَّت بالمنطقة قبل قرون، مما جعل المنطقة معبراً للهجرات الجماعية البشرية، بحثاً عن مناطق أكثر وفرة في المياه والموارد الطبيعية (الزراعية).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشعوب الفينيقية[1] نزحت من جنوب الجزيرة العربية ثم أقامت على ساحل الخليج العربي قبل أن تستقر في موطنها المنسوب إليها حالياً (فينيقيا) بدليل أنها سمَّت بعض مناطقها بأسماء مدن المناطق كاسم الجبيل وصور وغيرهما.

---

(١) اسم يوناني يطلق على النخل، وقد سكنت هذه الشعوب في المنطقة قبل أن ترحل إلى بلاد الشام واليونان.

كما أن هناك شواهد كثيرة تدلل على استيطان العنصر البشري في هذه المنطقة قبل ما يزيد عن ستة آلاف سنة قبل الميلاد، أي قبل نحو ٨٠٠٠ عام تقريبا، والمراجع إلى الشواهد التاريخية القديمة للمنطقة، يقف على أهم معالمها التاريخية القديمة فبعض المدن المعاصرة كان لها حقبة تاريخية قديمة، وإن كان في المنطقة كثير من المدن التي اندثرت، واندثر باندثارها التاريخ، كمدينة الزارة وجزيرة دارين القديمة، ومنطقة جاوان الواقعة في شمال القطيف، ومنطقة الرفيعة الواقعة في جزيرة تاروت، وبعض المناطق الواقعة غرب القطيف إلى غيرها من المعالم التي اندثرت بسبب العوامل الطبيعية أو لأسباب جغرافية أو اقتصادية أو...الخ.

وإذا وقفنا عند المؤسسات الأثرية التي قامت بدراسة شاملة لمعالم القطيف التاريخية، نراها تؤكد بما لا يدعو إلى الشك على توغل طبقات مختلفة من الشعوب والقبائل التي استوطنت هذه المنطقة، فآبار القطيف وصفوى تُعد من أقدم الآبار التاريخية التي أنشأت في المنطقة، وهي تقع على مسافة ٣،٥ كم من الساحل، وتمتد لمسافة ١٢كم بين مدينتي القطيف وصفوى، وتدخل في معيتهما المناطق الواقعة في الوسط بين المدينتين، أو المناطق الواقعة على جوانب المنطقتين، فيكثر فيها الآبار التي يعود تاريخها إلى العصور السلوقية أو البارثية أو الرومانية التي استوطن بعضها هذه المناطق، كما أفادت هذه الدراسة أن هذه الآبار التي يقع أكثرها في مناطق جرداء اليوم كانت فيما مضى مأهولة بالسكان، فقد عثر على بعض الأواني الخزفية، وبقايا أقمشة وجدت حول هذه الآبار، وأغلب هذه الأواني تتكون من قطع مكسورة لفخاريات هيلينية، وأباريق إسلامية وفخاريات برتغالية.

كما أن هذه المؤسسة الأثرية عثرت على بعض المقابر المرتفعة،

وبها بعض المدافن المجهزة، التي يعتقد أنها تعود إلى عصر الهيلينيين الذي عاشوا قبل ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وكما وجدت في مدينة تاروت، وبالتحديد في منطقة محلة الأطرش، ومحلة الرفيعة، وجدت فيهما مواقع للمقابر قديمة بها صناديق وأدوات من صنع الإنسان تشمل أواني من الحجر الصابوني، وتحفاً صغيرة إلى جانب الفخار والمعادن والمرمر وحجر الأزورد، إلى جانب مواد أخرى وجدت منتشرة فوق الرمال، وأثبتت هذه المؤسسة أن هذه المناطق الواقعة ضمن منطقة القطيف كانت مصدرا للأواني غير المنقوشة والأواني المزخرفة، وأن تاريخها يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، بالإضافة إلى ٢٧ موقعاً عثر فيها على بعض الآثار القديمة يرجع معظمها إلى الفترة الهيلينية، وهي الفترة التي تبدأ بعصر الإسكندر الأكبر حتى عصر النفوذ البارثي، ومنها ما يعود إلى العصر الإسلامي ومنها ما يعود إلى العصور البرتغالية، وكما أن هذه المنطقة سُكِنَتْ من قبل البشر الذين يعود تاريخهم إلى ما قبل الألف السادس قبل الميلاد، وهم طبقة العبيد الذين عرفوا في بلاد ما بين النهرين (العراق) ...[1].

القطيف ضمن نشوء الحضارات:

تمتد المناطق التي عرفت بمناطق نشوء الحضارات من حدود الإمبراطورية الفارسية عند مشارف الهند شرقاً، وإلى حدود الإمبراطورية الرومانية عند شواطئ المحيط الأطلسي غرباً، تقع شبه الجزيرة العربية في النصف الجنوبي من القسم الأوسط، وقد بدأ أقدم دور حضاري كبير في المنطقة نشوء الحضارات فعلاً في القسم الأوسط من هذه المنطقة،

---

(١) المسح الأثري الشامل لتاريخ المنطقة الشرقية، العدد الثالث، ١٣٩٨هـ، ص٣٣.

ولكنه ابتدأ في النصف الشمالي منها، في مصر وادي الرافدين وسورية، وكان ذلك منذ الألف السنة الرابعة ق.م.

أما شبه الجزيرة العربية فقد عرف عنها نشوء الحضارات فيها منذ القرن الرابع، أو الثامن، بالخصوص في الجزء الجنوبي الغربي، والقسم الشمالي الذي تقع فيه الأحساء والقطيف، فقد عثر على مخلفات أثرية في هذه المنطقة تشير إلى تقدم في فن المعمار وإلى تنظيم واضح في مجال الأمور الداخلية للبلاد، وإلى معرفة بالكتابة والخط المتطور، كما تشير إلى نشاطات عسكرية وسياسية، وتجارية.

وهذا يدلل على اتصال هذه المناطق -القطيف، والأحساء، والبحرين- بحضارة العبيد في وادي الرافدين بالعراق، فالنقوش، والفخاريات، وعمارة بعض البيوت تدل على ذلك.

وكما أن بعض الباحثين يعتبر هذه المناطق من المناطق التي نشأت فيها هجرات الحضارة السامية، حيث أقام هؤلاء رأيهم على بعض الدراسات التي قد تثبت أن الفينيقيين وهم فرع الكنعانيين أحد الشعوب السامية، قد هاجروا إلى هذه المدن.

وقد دعم هذا الرأي البحاثة العربي لطفي يحيى في كتابه (العرب في العصور القديمة) بدليلين هما:

١- النص الذي أخذ من رحلة المؤرخ الجغرافي اليوناني (سترابون) الذي كتب في أواخر القرن الأول ق.م. وأوائل القرن الأول الميلادي، وفيه يتحدث عن الخليج الذي يطل عليه منطقة البحرين وما حولها فيشير فيه إلى جزيرتين هما (أرادوس، وصور) أن بهما معابد تشبه معابد الفينيقيين، إن أهل الجزيرتين يؤكدون أن المدن والجزر

الفينيقية التي تحمل هذين الاسمين في الأصل هما جزر تربط بين الساحل السوري والخليجي.

٢ـ أما الاستنتاج فهو أن الفينيقيين حين ظهروا لأول مرة على مسرح التاريخ في مدنهم على الساحل السوري، ظهروا كملاحين مهرة دون أن نعرفهم في الفترة البدائية فيها فن الملاحة، وتدربوا عليه حتى وصلوا إلى درجة الصقل والإيجاد، استنتاجنا: أنهم لا بد قد مروا بهذه المرحلة التمهيدية على شواطئ الخليج العربي بالخصوص هذه المناطق الثلاث وهي البحرين، والأحساء، والقطيف.

والراجح تاريخاً أن لهذه المناطق الثلاث (البحرين، والأحساء، والقطيف) اتصالاً وثيقاً بحضارة وادي الرافدين أي منذ عام (٤٠٠٠ ـ ٣٣٠٠ق.م.) ويدل على ذلك أيضا الآثار التي كشفت عنها المنقبون الأثريون من بينها قطع من الفخار المصنوع والمزخرف على النمط العبيدي والمعاصر لثقافة العبيد في وادي الرافدين، والتي عثر عليها في مواقع الدوسرية على شاطئ الخليج جنوب الجبيل، وعثر عليها أيضا في جزيرة تاروت الواقعة على الخليج العربي مما يلي واحة القطيف[1].

ولقد وصف أرتميدروس حين ذكر المدن التي لعبت دوارا كبير في الحركة التجارية في شبه الجزيرة العربية، الجرهاء وسكانها في دول الخليج والسبئين، قد أصبحوا، بسبب تجارتهم أغنى الجميع (يقصد سكان الجزيرة العربية) فلديهم قدر كبير من الأدوات المصنوعة من الذهب والفضة مثل النمارق والكراسي الأوعية، وكؤوس الشراب، كما تتصف منازلهم بالبذخ إذ أن أبوابها وجدرانها وسقوفها مطعمة

---

(١) المصدر السابق ص ٦٥.

بالعاج والذهب والفضة، ومرصعة بالأحجار الكريمة.. بل وعدها بعض الكتاب: أنها من الأهمية بمكان للحركة التجارية التي تصل الجزيرة العربية بحواضر حضارة وادي الرافدين، فجرهاء كانت إحدى المنطقتين التي أفاض الكتاب الكلاسيكيون في وصف سكانها بالثراء الذي يصل إلى حد البذخ، كما يبدو أن النشاط التجاري يرجع إلى فترات زمنية موغلة في القدم، كما تدل على ذلك آثار الأماكن القريبة منها في الدوسرية وجزيرة تاروت، وإبقيق، وكلها تشير إلى علاقة حضارية قوية مع حضارة عصر العبيد التي سادت وادي الرافدين في أواسط الألف الرابعة ق.م.

سكان جرهاء القطيف:

الجرهاء، مدينة تقع على حد قول المؤرخ الغربي المعروف (سترابون) على خليج عميق أسسها مهاجرون كلدانيون من أهل بابل، قد استوطنوا لأول مرة عندما نفى (سنحاريب) قراصنتهم من بابل، وأرسلهم خصيصاً إلى مكان يدعى (الجرهاء شرق الجزيرة العربية، في أرض سبخة فبنى أهلها بيوتهم بحجارة من حجارة الملح، ترش جدرانها بالماء عند ارتفاع درجات الحرارة لمنع قشورها من السقوط، وتقع على مسافة (٢٠٠) من البحر، وهم يتاجرون بالطيب والمر، والبخور، تحملهم قوافلهم التي تسلك الطرق البرية.. وقد أشار إلى الجرهاء كتّاب آخرون، عاشوا بعد (ايراتوستينس) صاحب المعلومات عن هذه المدينة، وكانت تأكيداتهم على أنها مدينة تقع على الخليج، وهي مدينة تجارية كبيرة، وسوق من الأسواق المهمة في البلاد العربية، وملتقى طرق القوافل الواردة من العربية الجنوبية والواردة من الحجاز والشام والعراق، كما أنها مدينة تجارية بحرية تستقبل تجارة إفريقيا والهند والعربية الجنوبية،

وتعيد تصديرها إلى موانئ البحر المتوسط ومصر... كما أنها من الشهرة بمكان بسبب مركزها التجاري، وذيوع خبر ثراء أهلها وغناهم، حتى إنهم كانوا يكنزون الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وجعلوا سقوف بيوتهم وأبوابهم وغرفهم من تلك الأحجار النفيسة الغالية، وهذا الذي جر أطماع الطامعين لاستعمارها في القدم.

حتى إن الإسكندر الأكبر قد أزاح عن غير قصد السيطرة الفارسية على الخليج العربي أثناء غزواته لفارس، ليصبح تجار مدينة الجرهاء أحرارا في استغلال تجارتهم البحرية عن طريق الساحل الشرقي للخليج العربي، وأصدر الإسكندر الأكبر بعد ذلك أوامره بالسعي الحثيث لاكتشاف ساحل الخليج بشكل أكبر وأكثر معرفة، فبعد أن انتهى من حربه مع المستعمرات الهندية توجه بالدعوة إلى تكوين أسطول ضخم لاستكشاف جزر الخليج العربي، فأبحرت في البداية ثلاث بعثات استطلاعية إلى الساحل الشرقي من الخليج تحت قيادة (أرجيز archias)، حيث وصلت تلك البعثات إلى جزر البحرين، ولم تتجاوزه إلى الأعماق لأسباب لم يكشف التاريخ عنها، ومن ثم عادت البعثات بروايات عن حالة من الثراء الخرافي الذي يضارع ثراء فينيقيا، وعليه تم تجهيز أكبر أسطول بحري في ذلك الوقت بأمر الإسكندر لغزو الجزر الساحلية الخليجية، فحال بين ذلك وفاته عام ٣٢٣ قبل الميلاد.. ومن المنقولات التي لم أقع لها على مصدر أن الإسكندر الأكبر من عادته في رحلاته التي يجوب فيها البلدان أن يحمل معه طاقما خاصاً ذا معرفة جيولوجية بأحوال التربة، فلا يسكن في بلد حتى يرفع له رأي الخبراء بكون هذه الأرض صالحة لسكنه، فعندما وقف على أرض القطيف أمر برفع شيئا من تربتها، فقال: «إنها نعم الأرض، ولكن أهلها كثيرو حسد..!»، ولعله لم يقف هو بنفسه -كما مرَّ سابقاً- على ذلك؛ لأنه

مات قبل أن يتمكن من الوصول إلى الجرهاء (القطيف)، ولكن الاحتمال يبقى أن الأسطول الاستكشافي الذي وصل إلى المنطقة رفع له شيئا من تربتها. والله أعلم.

وقد ذكر بطليموس في بعض كتبه، بعد أن أعطى تعريفا لها وتحديدا لموقعها الجغرافي قال: وهي مدينة مشهورة باللؤلؤ...[(١)]

الجرهاء وجدلية الموقع:

وإلى الآن على حد علمي لم أطلع على مصدر من المصادر التاريخية القديم منها والحديث، متيقن يقول: إن هذه المنطقة (الجرهاء) موقعاً جغرافياً معروفاً، بل أغلب المصادر تؤكد على أنها مدينة تجارية كبيرة تقع في الجزء الشرقي للجزيرة العربية، وذكر بعض الباحثين أنها في مدينة القطيف، وكان اعتماده في النقل على العالم المشهور (بطليموس) حيث قال: إن القبيلة المعروفة بـthaimon (تميم) اقترن اسم الجرهاء بها، وهي قبيلة هاجرت إلى الجزء الشرقي من الجزيرة العربية، وذكر البحاثة الغربي المعروف (نو، جروم) بإن هذه المدينة تقع في الجزء الساحلي الغربي من الخليج، وتعرف باسم (تيلوس ty los)، وهي جزيرة صغيرة تقع خارج القطيف وتعرف باسم (تاروت)[(٢)].

وكما أن منطقة بلبانا (bilbana)، أو كما تسمى أحيانا بلعانا ذكرها عالم الآثار الغربي بيتر بروس بقوله: إنها مدينة واقعة في القطيف المنتشرة حوالي المدينة، ويؤيد هذا القول أن بطليموس يقول:

---

(١) المفصل في تاريخ العرب، ج ٢، ص ١٦.

(٢) أطلال، ج ٦، ص ٩٥، و قد وردت في المصادر العربية بعدة ألفاظ مختلفة وهي: جرهاء، وجرا، وجرعاء، وجرها..

إن قبيلتين من شعوب هذه المناطق عاشت على ضفاف الخليج العربي بالقطيف الذي أطلقوا عليه خليج (كيبوس) copeus، وأن إحدى هاتين القبيلتين كانت تعرف بهذا الاسم، والثانية باسم كاتيني، وأن اسم القطيف على ما يظهر ينتمي إلى اسم القبيلة الثانية.

وتشير بعض المصادر الأدبية إلى وجود الكنعانيين في هذه المنطقة الذين عرفوا فيما بعد بـ (الجرهائيين)، فقد كانوا يبحثون عن المياه العذبة بعد أن نزحوا إليها بسبب الجفاف الذي حدث في مناطقهم السابقة، وقد سكن المنطقة من سلالة الكنعانيين مجموعتان، انقسمتا إلى قسمين: أحدهما سكن القطيف في مدينة تاروت التي يطلق عليها في مصطلحاتهم (ثيروس) وهم (العمالقة) الذين اشتهروا بالزراعة، وحفر الآبار، وتطوير نظم الري، والقسم الثاني منهم الفينيقيون الذين سكنوا البحرين في مدينة (عراد) التي يطلق عليها في مصطلحاتهم أيضاً (آراد)، فعرفوا بشغفهم لخوض المغامرات البحرية والتجارة البحرية.

وقد ساهموا في نهضة المنطقة علمياً وثقافياً، فقد أخذت عنهم الحروف الهجائية كما ينقل.

وكما أن هناك بعض المصادر تشير إلى أنها مدينة تجارية كبيرة، وتاريخها موغل في القدم، تقع في الساحل الغربي للخليج العربي، وبالتحديد في ميناء العقير حالياً.

وأغلب الظن أنها مدينة تقع في القطيف لوجود الآثار التاريخية القديمة التي تدلل على شهرتها قديما وحديثا، لاسيما الموانئ البحرية، والتجارة الطبيعية، بالخصوص تجارة التمر، والمرة، والبخور والعطوارت التي اشتهرت بها القطيف، وعلى وجه الدقة مدينة (تاروت) لما سوف تعرفه من مزيد بيان في الفصول القادمة (والله أعلم).

القطيف والقبائل العربية قبل الإسلام:

يذكر كثير من الباحثين أن أقدم القبائل التي استوطنت الخليج بشكل عام، والقطيف بشكل خاص قبيلة تنوخ، وهم من اليمن وهم قحاطنة، وسموا بهذا الاسم؛ لأنهم تعاهدوا مع بعض القبائل من قضاعة، وبعض بطون نمار بن الخام، وهي قبيلة من آل كهلان، وبعض بطون قبائل الأزد على الاستقرار في هذه المناطق، فسموا بهذا الاسم أي أنهم قبائل متعددة امتزجت من أجل هدف واحد.

وكما أن القبائل المنتمية إلى الأزد هاجرت إلى الخليج لاسيما جزر البحرين وهجر والزارة على فترات متتالية بعد انهيار سد مأرب، وتابعهم بالسير على منهج الهجرات قبيلة عبدالقيس، وبكر بن وائل، وبنو تميم، كما أقامت في المنطقة بعض الشعوب المهاجرة من أوطانها وهم: الأساورة[1] والزط[2] والسيابجة[3]، فأخذوا ينتشرون في أنحاء

---

(١) مفردها أسوار وهم قوم من الهند نزلوا بالبصرة قديماً، وانتشروا في ربوع الساحل الشرقي للخليج العربي، أسلموا على عهد رسول الله ﷺ، ودخلوا الإسلام وحسن إسلامهم، من ثم ذابوا في القبائل العربية. ذكرهم البلاذري في كتابه فتوح البلاذري، ص ٣٦٠، ومباركيورى الهندي في كتابه العرب والهند، ص ٧٠.

(٢) قوم من الهند جاءوا من السند، وتنسب إليه الثياب الزطية، وكانوا ينزلون الخط من البحرين على حد قول الأزهري في كتابه تهذيب اللغة، ج ١٣، ص ١٩٥ وأسلموا ودخلوا إلى الإسلام، وبعد إسلامهم كونوا حركة مناهضة لحكومتي الدولة الأموية والعباسية، ذكرهم المسعودي في كتابه مروج الذهب، ج ١، ص١٦٨، والبلاذري في فتوح البلاذري، ص٣٦٧.

(٣) أصلهم من الهند نزحوا للاستيطان -قبل الإسلام- في مدينة القطيف وهجر، وكانوا يقومون بحراسة السفن من القرصنة البحرية، دخلوا إلى الإسلام، واصبح شأنهم شأن الزط، ذكرهم البلاذري في كتابه ص ٣٦٧.

السواحل الخليجية، لاسيما أنهم فضلوا الاستقرار في ثلاثة مواطن رئيسية عرفوا بها بعد ذلك وهي: البحرين وهجر والخط (الزارة)، وكما أقاموا عدة مراكز تجارية ومنتديات أدبية كبيرة في أنحاء هذه المناطق المختلفة، فقد عرفت عنهم بعض الأسواق التي أخذت أبعادها التجارية والعلمية والأدبية كأسواق البحرين والخط والزارة ودارين والعقير وبينونة والمشقر وهجر وغيرها[١].

وأما قبيلة عبد القيس التي استقرت في القطيف فكان لها تاريخ عريق وحافل بالمغامرات والبطولات والعلم والثقافة والأدب وأنها جاءت من تهامة، وانقسمت إلى أقسام فنزلت قبيلة جذيمة بن العوف الخط (القطيف)، وسكنت شن بن أفصى ما جاورها حتى العراق، ويقال: إن نكرة بن الكثير بن أفصى بن عبدالقيس سكنت وسط القطيف وما حولها، ونزلت قبيلة عامر بن الحارث الجوف والعيون والأحساء على أطراف الدهناء وخالطوا هجر[٢]، ويقال: إن قبيلة عبدالقيس ببطونها المختلفة استطاعت أن تنشر أفرادها في أصقاع الساحل الغربي للخليج العربي، فقد سكنت صلالة والعقير والبيضاء والعراق، وتضاعف وجودها في المناطق العراقية بعد إسلامها مباشرة، بالخصوص البصرة والكوفة، غير أن سيادتهم على المنطقة في البحرين والأحساء والقطيف كانت باقية، وظلت مستمرة بعد ظهور الإسلام.

القطيف في العصور الإسلامية:

لما كانت سنة ٨هـ وجه رسول ﷺ العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي حليف بني عبد شمس إلى البحرين لدعوة أهلها إلى الإسلام

---

(١) الخليج العربي في العصور الإسلامية، العقيلي، ص٣٨.

(٢) معجم ما استعجم، البكري، ص ٨٣.

أو الجزية، وكتب إلى المنذر بن ساوى وإلى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم، فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء، وكتب بينه وبينهم كتاباً هذا نصه:.بسم اللّه الرحمن الرحيم, هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين، صالحهم على أن يكفونا العمل، ويقاسمونا التمر، فمن لم يفِ بهذا فعليه لعنة الله و الملائكة والناس أجمعين.

وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ ديناراً من كل بالغ، وعن عباس بن هشام عن أبيه عن الكلبي عن ابن عباس قال: كتب الرسول ﷺ إلى أهل البحرين بعد البسملة: أما بعد فإنكم إذا أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكوة، ونصحتم اللّه ورسوله وآتيتم عشر النخل، ونصف عشر الحب، ولم تمجسوا أولادكم، فلكم ما أسلمتم عليه غير أن بيت المال للّه ورسوله، وإن أبيتم فعليكم الجزية. ويقال: إن ذلك سنة ٦هـ. وقال ابن الأثير في تاريخه:.و وأما المنذر بن ساوى والي البحرين حين أتاه كتاب رسول اللّه ﷺ السابق، فلما أتاه العلاء الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام والجزية وكانت ولاية البحرين للفرس، فأسلم المنذر بن ساوى، وأسلم جميع العرب بالبحرين فأما أهل البلاد من النصارى واليهود والمجوس فكأنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية كل بالغ دينار، ولم يكن بالبحرين قتال إنما بعضهم أسلم، وبعضهم صالح. وفي سنة ١٠ هـ مضى وفد من البحرين إلى النبي ﷺ بالمدينة.

وفد عبدالقيس يدخلون على النبي ﷺ:

قال صاحب السيرة الحلبية: وفد عبدالقيس على النبي ﷺ، وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانياً قد

قرأ الكتب، فقال أبياتا خاطب بها النبي ﷺ منها قوله:

يا نبي الهدى أتاك رجال قطعت فدفداً وآلاً فآلا
نتقي منه وقع يوم عبوس اوجل القلب ذكره ثم هالا

وذكر بعضهم أن وفد عبدالقيس كان قبل فتح مكة، ويمكن أن تكون وفادتهم قد تكررت وجزم بذلك في المواهب، وجاء في رواية أنه ﷺ بينما هو يحدث أصحابه، قال لهم: سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق. وفى رواية يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الإسلام قد أنضوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس، فقام عمر رضي الله عنه، فتوجه لحو مقدمهم، فلقي ثلاثة عشر راكباً، وقيل عشرين، وقيل أربعين رجلاً، فقال: مَن القوم؟ قالوا: من بني عبدالقيس، فقال: أما أن النبي ﷺ قد ذكركم آنفا، فقال: خيراً، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ فقال لهم: مَن القوم؟ قالوا: من ربيعة، فقال: مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى، فقالوا: يا رسول اللّٰه إنا نأتيك من شقة بعيدة أي لأن مساكنهم بالبحرين، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحرم..الخ. وقد كانوا دخلوا عليه بثياب سفرهم، وكان فيهم عبداللّٰه بن عوف الأشجع، وهو رأسهم، وكان أصغرهم سنا، فتخلف عند الركائب حتى أناخها، وجمع المتاع، وذلك بمرأى من النبي ﷺ، وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيدي رسول اللّٰه ﷺ فقبلهما، وكان رجلاً دميماً ففطن لنظر رسول اللّٰه ﷺ إلى دمامته، فقال: يا رسول اللّٰه إنه لا يستقي من حولك الرجال (أي لا يشرب في جلودهم) إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فقال له رسول ﷺ: إن فيك خلتين يحبهما اللّٰه ورسوله: الحلم والأناة، فقال: يا رسول اللّٰه أنا أتخلق بهما أم اللّٰه جبلني

عليهما؟ قال ﷺ: بل الله تعالى جبلك عليهما، فقال: الحمد الله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله، وبعد أن سألوه بجملة مسائل، وأجابهم عنها علمهم الإسلام وأوامره ونواهيه، فأسلموا على يده الشريفة، وحسن إسلامهم. انتهى ببعض التصرف الذي لا يمس المعنى..

في السنة الثامنة من الهجرة النبوية (٦٢٩هـ) بعث الرسول الأكرم ﷺ بكتابين إلى أهالي البحرين وهجر، وتدخل في معيتهما في ذلك الوقت القطيف الأم، أحدهما إلى المنذر بن ساوى، والثاني لمرزبان الفرس (سيبخت) يدعوهما فيهما إلى الإسلام، فأسلما وأسلم من معهما من جميع العرب والفرس، ويحدثنا المؤرخون أن هذه المنطقة (الخط) وعاصمتها (الزارة) قبل دخولها في الإسلام، كان بها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل، وهم مقيمون في باديتها، وكان عليها المنذر بن ساوى العبدي والياً من قبل الفرس، فلما كان العام السادس للهجرة وجه النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي حليف بني عبد شمس، ومعه كتاب إلى المنذر بن ساوى هذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، إنني أحمد الله الذي لا اله إلا هو، أما بعد فإن من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذاك المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا، له ذمة الله ورسوله، من أحب ذلك من المجوس فهو آمن: ومن أبى فعليه الجزية ».

فلما قَدِم العلاء دفع الكتاب إلى المنذر، فلما قرأه ابتدره العلاء قائلاً: « يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا ولا يصغرن بك في الآخرة، إن المجوسية شرُّ دين ليس فيها كرم العرب، ولا علم أهل الكتاب،

ينكحون من يُستَحَى نكاحه، ويأكلون ما يُكره من أكل، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم الرأي، فانظر لمن لا يكذب ألاّ تصدقه، ولمن لا يخون ألاّ تأتمنه، ولمن لا يخلف ألاّ تثق به، فان كان أحد هكذا، فهو هذا النبي الأميّ، الذي لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه، أو ليت ما نهى عنه أمر به، أو زاد في عفوه، أو نقص من عقوبته، إن كان ذلك منه إلاّ على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصيرة».

فعقب المنذر على كلامه بقوله: «قد نظرت في هذا الذي بيدي من الملك فوجدته للدنيا، ونظرت في دينكم، فوجدته للدنيا والآخرة، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت».

كما أن البلاذري في كتابه (أنساب الأشراف) قال: إن هذه المنطقة كان بها ذلك الوقت شخصيتان جديرتان بالأهمية، إحداهما شخصية المنذر بن ساوى الذي كان والياً على العرب من قبل الفرس، والأخرى شخصية سيجمنت مرزبان هجر سيد البلاد الذي يرجع إليه أمر الأقليات الأخرى من أهل المدن، وقد وجه الرسول ﷺ لكل منهما كتاباً، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب وبعض العجم، وقد كتب المنذر بن ساوى رسالة إلى النبي ﷺ قال فيها: «أما بعد يا رسول اللّه فإني قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحب الإسلام ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث لي يا رسول اللّه في ذلك أمرك»، فأجابه الرسول ﷺ بكتاب هذا نصه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمد رسول اللّه إلى المنذر بن ساوى سلام عليك فإني أحمد اللّه الذي لا إله إلاّ هو، وإنه من ينصح فلنفسه، ومن يطع رسلي فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا

عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وإنك مهما تصلح، فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على مجوسيته أو يهوديته فعليه الجزية».

ويجمع المؤرخون على أن هذه المنطقة لم يكن بها قتال، وإنما بعضهم أسلم، والبعض الآخر صالح على أنصاف الحب والتمر، وقد اتفق العلاء بن الحضرمي مع أهل الأرض من المجوس والنصارى واليهود، فكتب بينه وبينهم صلحاً هذا نصه: هذا ما صالح العلاء بن الحضرمي أهل البحرين.. صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر، فمن لم يفِ بهذا فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، هذا عدا جزية الرؤوس، إذ فرض على كل واحد ديناراً، وقد بلغ ما جمعه العلاء من هذه الجزية مائة وخمسين ألف دينار، فأرسلها إلى المدينة بمعية أبي عبيدة بن الجراح، فلم يرَ النبي ﷺ مالاً أكثر منه لا قبله ولا بعده، ويمكننا أن نستدل من ذلك على كثافة سكان هذه المنطقة في ذلك الوقت، إذ ما كانت تؤخذ هذه الجزية إلا على الرجل البالغ من تلك الأقليات التي لم تعتنق دين الإسلام.

وقد بقي العلاء بن الحضرمي جابياً للخراج حتى السنة التاسعة للهجرة، ثم عزله الرسول ﷺ، وجعل مكانه أبان بن سعيد بن العاص بن أُمية، وقيل إن العلاء كان والياً على ناحية من نواحي البحرين منها القطيف، وأبان على ناحية أُخرى منها الخط كما يذهب إليه البلاذري[1].

(١) راجع أنساب الأشرف، ج ٣، ص ١٧٦.

نص رسائل النبي ﷺ لأهل المنطقة:

كما أن التاريخ حفظ لنا أهم المراسلات التي دارت بين أهل المنطقة في ذلك الوقت وبين رسول اللّٰه محمد ﷺ إليك نص بعضها:

الرسالة الأولى:

إلى المنذر بن ساوى العبدي عامل كسرى على البحرين

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

من محمد رسول اللّٰه، إلى المنذر بن ساوى.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلمْ يجعل اللّٰه لك ما تحت يديك.

واعلم أن ديني سيظهر إلى مُنتهى الخفّ والحافر.

الرسالة الثانية:

رسالة أخرى إلى المنذر.

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

من محمد رسول اللّٰه إلى المنذر بن ساوى:

سلام عليك. فإني أحمد اللّٰه إليك الذي لا إله غيره، وأشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإني أُذكّرك اللّٰه عزّ وجلّ، فإنّه من ينصح، فإنما ينصح

لنفسه، وإنه من يُطع رُسُلي، ويتّبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم، فقد نصح لي. وإنّ رُسُلي قد أثنوا عليك خيراً. وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه. وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم. وإنّك مهما تُصلح، فلن نعزلك عن عملك. ومن أقام على يهوديّته أو مجوسيّته فعليه الجزية.

الرسالة الثالثة:

رسالة المنذر إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

أما بعد يا رسول الله: فإني قرأتُ كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه. وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث في ذلك أمرك.

الرسالة الرابعة:

ردّ النبي على رسالة المنذر.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى:

سلام الله عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتابك جاءني وسمعتُ ما فيه، فمن صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ما لنا، وعليه ما علينا. ومن لم يفعل، فعليه دينار من قيمة المُعافريّ.

والسلام ورحمة الله، يغفر الله لك.

الرسالة الخامسة:

مكاتبة النبي مع أهل هجر.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله إلى أهل هَجَر.

سلمٌ أنتم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو. أما بعد: فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم، أن لا تضلّوا بعدَ إذ هُديتم، وأن لا تغووا بعدَ إذ رَشَدتم.

أما بعد: فقد جاءني وفدكم، فلم آتِ إليهم إلاّ ما سرّهم، وإنّي لو جهدتُ حقّي فيكم كلّه أخرجتكم من هَجَر، فشفعتُ غائبكم، وأفضلت على شاهدكم، فاذكروا نعمة الله عليكم.

أما بعدُ: فقد أتاني الذي صنعتم، وإنه من يُحسن منكم لا يُحمل عليه ذنبُ المسيء. فإذا جاءكم أُمرائي فأطيعوهم، وانصروهم على أمر الله، وفي سبيله، فإنه من يَعمل منكم عملاً صالحاً، فلن يضلّ له عند الله ولا عندي.

الرسالة السادسة:

كتابه عليه السلام إلى المنذر في مجوس هَجر.

اعرض عليهم الإسلام، فإن أسلموا، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا. ومن أبى، فعليه الجزية في غير أكلٍ لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم.

الرسالة السابعة:

من الرسول إلى المنذر في موضوع الجزية.

أما بعد: فإني قد بعثت إليك قُدامة وأبا هريرة. فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك، والسلام.

الرسالة الثامنة:

إلى العلاء بن الحضرمي عامل الرسول عند المنذر بن ساوى.

أما بعد: فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوى مَن يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية، فعجّله بها، وابعثْ معها ما اجتمع عندك من الصدقة. والسلام.

الرسالة التاسعة:

إلى أسيبخت، عامل هجر لكسرى

إلى أُسَيْبُخْت بن عبدالله صاحبِ هَجَر:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه قد جاءني الأقرع بكتابك وشفاعتك لقومك، وإنّي قد شفعتك، وصدقتُ رسولك الأقرع في قومك، فأبشر فيما سألتني، وطلبتني بالذي تُحبّ. ولكنّي نظرتُ أن أعلمه وتلقاني، فإن تجئنا أكرمك، وإن تقعد أُكرمك.

أما بعد: فإني لا أستهدي أحداً، فإن تُهدِ إليّ أقبل هديّتك، وقد حَمِد عمالي مكانك، وأُوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقرابة المؤمنين.

وإنّي قد سمّيتُ قومك (بني عبدالله) فَمُرهم بالصلاة، وبأحسن العمل، وأبشر.

والسلام عليك وعلى قومك.

الرسالة العاشرة:

إلى أهل عمان والبحرين.

من محمد النبي رسول الله، لعباد الله الأسبَذيّين، ملوك عُمان وأسبذ عُمان مَن كان منهم بالبحرين:

إنّهم إن آمنوا، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وأعطوا حقّ النبي، ونسكوا نُسُكَ المسلمين، فإنهم آمنون، وإنّ لهم ما أسلموا عليه. غير أن مال بيت النار ثُنيا لله ورسوله، وإن عشور التمر صدقة، ونصف عشور الحبّ. وإن للمسلمين نصرهم ونصحهم، وإنّ لهم على المسلمين مثل ذلك. وإن لهم أرحاءهم يطحنون بها ما شاءوا.

الرسالة الحادية عشرة:

إلى الأسبذيين أيضاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى العباد الأسبذيين.

سلمٌ أنتم. أما بعد ذلكم فقد جاءني رسلكم مع وفد البحرين. فقبلتُ هديتكم.

فمن شهد منكم أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فله مثل ما لنا، وعليه مثل ما علينا.

ومن أبى فعليه الجزية: على رأسه دينار معافرى، علــى الذكـر والأنثـى. ومن أبى فليأذن بحرب من اللّه ورسوله.

وعليكـم ألاّ تمجّسـوا أولادكـم. وأنّ مـال بيـت النـار ثنيـاً للّــه ولرسوله. وعليكم في أرضكم، مما أفاء اللّه علينا، منها مما سقت السماء أو سقت العيون: من كل خمسة واحد. ومما يسقى بالرشا والسواني: من كل عشرة واحد. وعليكم في أموالكم: من كل عشـرين درهمـاً درهـم، ومن كل عشرين ديناراً دينار.

وعليكم في مواشـيكم الضعـف ممـا علـى المسـلمين. وعليكـم أن تطحنوا في أرحائكم لعمّالنا بغير أجر.

والسلام على من اتبع الهدى.

الرسالة الثانية عشرة:

إلى الهلال صاحب البحرين.

سلمٌ أنتْ. فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلاّ هو، لا شريك له، وأدعوك إلى اللّه وحده، تُؤمن باللّه، وتُطيع وتدخـل في الجماعـة، فإنـه خير لك.

والسلام على من اتبع الهدى.

الرسالة الثالثة عشرة:

إلى قبيلة عبدالقيس (في البحرين)

من محمد رسول اللّه إلى الأكبر بن عبد القيس:

إنهم آمنون بأمان اللّه وأمان رسوله على ما أحدثـوا في الجاهليـة مـن

القُحَمْ. وعليهم الوفاء بما عاهدوا. ولهم ان لا يُحبسوا عن طريق المـيرة، ولا يُمنعوا صوبَ القطر، ولا يُحرموا جريم الثمـار عنـد بُلوغـه. والعـلاء بـن الحضرمي أمين رسول اللّه على بَرّها وبحرها، وحاضرها وسراياها وما خرج منها. وأهل البحرين خُفراؤه من الضيم، وأعوانه على الظالم، وأنصـاره في الملاحم. عليهم بذلك عهد اللّه وميثاقه، لا يُبدّلونه قولاً، ولا يُريدون فُرقـةً. ولهم على جند المسلمين الشركة في الفيء، والعدلُ في الحكم، والقصـدُ في السيرة، حُكم لا تبديل له في الفريقين كليهما. واللّه ورسوله يشهد عليهم.

الرسالة الرابعة عشرة:

إلى عبدالقيس أيضاً.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا كتـاب مـن محمـد رسـول اللّـه لعبدالقيـس، وحاشـيتها مـن البحرين وما حولها.

إنكم أتيتموني مسلمين، مؤمنين باللّه ورسوله، وعاهدتم علـى دينـه. فقبلتُ على أن تطيعوا اللّه ورسوله فيما أحببتم وكرهتم، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتحجّوا البيت، وتصوموا رمضان. وكونوا قائمين بالقسـط، ولو على أنفسكم. وعلي أن تؤخذ من حواشي أموال أغنيائكم فـتُردّ علـى فقرائكم على فريضة اللّه ورسوله في أموال المسلمين.

الرسالة الخامسة عشرة:

إلى شيخ اليمامة هوذة بن علي.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من محمد رسول اللّه إلى هوذة بن علي:

سلام على من اتبع الهدى. واعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخُفّ والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لكَ ما تحتَ يديك.

فردّ هوذة: ما أحسنَ ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتّبعك.

الرسالة السادسة عشرة:

إلى جيفر وعبد ابني الجلندي (شيخي عمان).

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من محمد رسول اللّه، إلى جيفر وعبد ابني الجلندي:

السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام. أسلما تسلما، فإني رسول اللّه إلى الناس كافة، لأُنذر من كان حيّاً، ويحقّ القول على الكافرين. وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما. وإن أبيتما أن تُقرّا بالإسلام، فإنّ ملككما زائل، وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نُبوّتي على ملككما إلى غيره من الرسائل، التي تحمل دعوات مختلفة منه ﷺ لأهل المنطقة في البحرين والقطيف والأحساء...[1].

النبي ﷺ يعين الولاة على البحرين:

كان أول عامل عليها المنذر بن ساوى:و بحذف الإسناد عن عمر الناقد يوصله إلى موسى بن عقبة أن النبي ﷺ كتب إلى المنذر بن

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (دار النفائس/ بيروت) د، محمد محمود.

ساوى من محمد النبي ﷺ للمنذر بن ساوى، فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن كتابك جاءني وسمعت ما فيه، فمن صلى صلواتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم ومن أبى ذلك، فعليه الجزية.ثم ولّى عليها العلاء الحضرمي.

وعن الحسين بن الأسود عن عبيداللّه بن موسى عن شيبان النحوي عن قتادة قال: لم يكن بالبحرين أيام رسول اللّه ﷺ قتال، ولكن بعضهم، أسلم وبعضهم صالح العلاء على هذا في الحب والتمر، وفي رواية أخرى عن العلاء الحضرمي قال: بعثني رسول اللّه ﷺ إلى البحرين، وكنت آتي الحايط بين الأخوة قد أسلم بعضهم، فأخذ في المسلم العشر، ومن المشرك الخراج. وعن شيبان بن فروخ يرفعه إلى حميد ابن هلال قال: بعث العلاء الحضرمي إلى رسول اللّه ﷺ مالاً من البحرين يكون ثمانين ألفا ما أتاها أكثر منه قبله ولا بعده، فأعطى منه العباس عمه.. قالوا: وعزل رسول اللّه ﷺ العلاء الحضرمي، ثم ولّى البحرين أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، وقوم يقولون: إن العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف، وإن أباناً كان على ناحية أخرى فيها الخط، والأول اثبت، ولما توفي رسول اللّه ﷺ خرج أبان من البحرين فأتى المدينة وذلك لأسباب ردة أهل البحرين التي تأتي في الصفحات القادمة..

القطيف في عهد الراشدين (الخلافة الراشدة):

بقيت المنطقة مدينة تابعة لإمارة المدينة المنورة بحكم الانتماء العقيدي بينها وبين الإسلام في عهد رسول اللّه ﷺ، ولشدة ما أولاها النبي ﷺ من الاهتمام ولي عليها عدد كبير من الولاة، اختلفوا باختلاف الفترات الزمنية لخلافة الراشدين رضي الله عنهم، ومع ذلك فقد كانت

محطة أنظار الخلفاء والولاة الإسلاميين في كل عصر وزمان، فقد ذكرت بعض الأدبيات الإسلامية أنه بعد أن فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي، وكان العلاء هو الذي كان رسول اللّه ﷺ بعثه إلى المنذر بن ساوى العبدي، فأسلم المنذر، فأقام بها العلاء أميرا لرسول اللّه ﷺ، فمات المنذر بن ساوى بالبحرين بعدما تُوفي رسول اللّه ﷺ، وكان عمرو بن العاص بعمان، فتوفي رسول اللّه ﷺ وعمرو بها، فأقبل عمرو، فمر بالمنذر بن ساوى وهو في اللحظات الأخيرة من حياته فدخل عليه. فقال المنذر له: كم كان رسول اللّه ﷺ يجعل للميت من المسلمين من ماله عند وفاته؟ قال عمرو: كان يجعل له الثلث، قال: فما ترى لي أن أصنع في ثلث مالي؟ قال عمرو فقلت له: إن شئت قسمته في قرابتك، وجعلته في سبيل الخير، وان شئت جعلته صدقة محرمة على من بعدك على من تصدقت به عليه، قال: ما أحب أن أجعل من مالي شيئا محرما، كالبحيرة و السائبة و الوصيلة والحامي، ولكن أقسمه فأنفذه على من أوصيت به يصنع به ما شاء.

قالوا: فكان عمرو يعجب له من قوله، وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتد من العرب، إلا الجارود بن عمرو بن حنش بن معلى، فانه ثبت على الإسلام، ومن معه من قومه، وقام حين بلغه وفاة النبي ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، وأكفر من لا يشهد، واجتمعت ربيعة بالبحرين، وارتدت، فقالوا: نرد الملك في آل المنذر، فملكوا المنذر النعمان بن المنذر، وكان يسمى الغرور، وكان يقول حين رجع إلى الإسلام، ورجع الناس وغلبهم السيف، لست بالغرور، ولكني المغرور.

البحرين والقطيف في عهد الخليفة عثمان:

لما مات عمر سنة ٢٣هـ، وعثمان بن أبي العاص واليه على البحرين كما تقدم سار عثمان إلى فارس ففتحها، وكان الخليفة على عمان والبحرين وهو بفارس أخاه مغيرة بن أبي العاص، وفي خلافة عثمان قام عامله على البحرين، وهو عثمان بن أبي العاص المذكور بتجريده من عبدالقيس لتنظم مع من أخرجهم عبداللّه بن عامر بن كريز من أهل البصرة إلى بلدان فارس، ففتحوا اصطخر ودار أبجرد وجور وغيرها، وكان عبداللّه بن عامر هو القائد، وعثمان بن أبي العاص على مقدمته في عبدالقيس..

البحرين والقطيف في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام:

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة أن عمر بن سلمة المخزومي ربيب رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان عاملا لعلي عليه السلام يصلي عنه في البحرين، وحين عزم علي عليه السلام على التوجه إلى صفين استقدم عمر المذكور من البحرين ليشهد معه حرب صفين؛ لأنه من الخواص، واستعمل مكانه على البحرين النعمان بن عجلان الزرقي الأنصاري، وهو الذي خلف على خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، بعد قتله وكان من الأنصار وشاعرهم، وفي نقل آخر أن علياً عليه السلام استعمل على البحرين أبا قتادة الأنصاري، ثم عزله وولّى مكانه النعمان بن عجلان الزرقي..[1].

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٩.

المنطقة في عهد الإمام الحسن عليه السلام:

ذكر العلامة الشيخ يوسف البحراني في كشكوله حكاية، وقد تقدم ذكرها في الكلام عن قرية الدراز، جاء فيها أن زيد بن صوحان العبدي استعمله الحسن بن علي عليه السلام على البحرين، وبقي على عمله إلى أن تولى الخلافة عبد الملك بن مروان، وقد كان لحق به أخوه صعصعه بن صوحان بعد تنازل الحسن عليه السلام عن الخلافة في صلحه مع معاوية لكلام احفظ قلب معاوية عليه، فأمر بإخراجه من الكوفة، فلحق بالبحرين، وقد عصت البحرين على عبد الملك فجهز إليها جيشاً جراراً وبعد وقائع ومعامع استنفدت جيش عبدالملك تغلب عليهم باستمالة أشرارهم على أخيارهم، فتم له ما أراد، وانتقم منهم أشد انتقام، فقتل زيد وصعصعة ابني صوحان، ويوجد بالبحرين لهما قبران معروفان يزاران ويتبرك بهما وتقدم لهما النذور، والمنسوب منهما لزيد موقعه بقرية المالكية، والمنسوب لصعصعة موقعه بقرية عسكر. إلا أن التاريخ يناقض ما تقدم حيث ذكر التاريخ أن زيداً قتل في حرب الجمل في البصرة مع أمير المؤمنين، ولما وقف أمير المؤمنين على مصرعه ترحم له وأثنى عليه، ولا نعلم أي الخبرين أصح، ما اقترن بالأثر أم الخبر بغير أثر، وان كان الخبر أصح سنداً وأضبط مصدراً..

المنطقة في عهد معاوية عبدالملك بن مروان:

وذكر ابن الأثير في تاريخه: أن زياداً ولي البصرة وخراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان لمعاوية سنه ٤٥هـ. وفي خلافة عبدالملك بن مروان استعمل الحجاج حسان بن سعيد عاملا على البحرين.

تصادم الجبهتين في البحرين والخليج:

وهكذا أصبح الوضع في البحرين وكل ساحل الخليج الغربي يشبه الوضع الذي كان قائما في اليمن عندما ارتد الأسود العنسي، فقامت في صنعاء جبهتان إحداهما للإسلام بقيادة فيروز الديلمي، والأخرى للمرتدين بقيادة الأسود العنسي، وقد اقتتلت الجبهتان حتى كتب الله النصر لجبهة الإسلام فتمكن فيروز من قتل الأسود العنسي وتشتيت أنصاره، ثم حدثت ردة أخرى بقيادة قيس بن عبد يغوث المرادي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، فظلت جبهة الإسلام بقيادة فيروز تقاتلهم في اليمن حتى جاءت النجدة من اللواء الذي يقوده من المدينة المهاجر بن أبي أمية فشدت من عضد فيروز وبقية العناصر التي كانت تقاتل المرتدين حتى تم إخماد نيران الردة، ووقع زعيماها عمرو ابن معد يكرب وقيس بن عبد يغوث في أسر المسلمين.

وكذلك في البحرين تبلور الوضع حين أصبحت هنالك جبهتان إحداهما للإسلام بقيادة الجارود بن المعلى، والأخرى للكفرة والمرتدين بقيادة الحُطَم بن ضبيعة العبدي، وقد نجح الجارود في إقناع عبد القيس (وكانوا يتبعون الحُطَم) نجح في إقناعهم بالعودة إلى الإسلام، فتخلوا عن الحُطَم، واتبعوا زعيمهم الجارود بن المعلى، فهرب الحُطَم ولجأ إلى بني بكر بن وائل وإلى ربيعة وإلى عناصر من الزط لم يكونوا قد أسلموا، فأغوى الجميع فاتبعوه فصار قائداً لهم، ثم غرر برجل من الأسرة المالكة في البحرين يقال له: الغرور بن سويد، وهو أخو النعمان بن المنذر العبدي، ووعده (إن هو سانده) أن ينصبه ملكاً على البحرين، وكل ساحل الخليج العربي، ليصبح عظيما كملوك الحيرة، فوقع الغرور في الفخ، وطمع في أن يكون ملكا، فأجاب الحُطَم الخبيث وانضم إليه.

وهكذا استفحل أمر الحُطَم بن ضبيعة وكثر أنصاره، ولم تبق

مدينة أو قرية في البحرين وساحل الخليج إلا رجعت عن الإسلام، فقد ارتد أهل مدينة هجر وأهل مدينة القطيف وأهل مدينة دارين وجميع القرى التابعة لها، وصار كل أهلها عسكر الحُطَم زعيم المرتدين، ولم تثبت سوى قرية واحدة، وهي قرية جواثى التي ثبت أهلها على الإسلام، وبها أقيمت أول جمعة بعد اندلاع نيران الفتنة، وكان بها أنصار الملك المسلم المتوفى حديثاً، وهو المنذر بن ساوى العبدي، وقد كان أهل هذه القرية قلة قليلة، بالنسبة للكثرة الغامرة من المرتدين الذين يقودهم الحُطَم بن ضبيعة والغرور بن سويد الملك الجديد.

المرتدون يحاصرون المسلمين في الأحساء:

وقد فرض المرتدون على المسلمين في قرية جواثى حصارا شديدا، فمنعوا عنهم جميع المواد الغذائية حتى كادوا يهلكون، ولكنهم صمدوا حتى أنقذهم وفك عنهم الحصار اللواء الذي يقوده العلاء بن الحضرمي، وكان بنو عبد القيس المسلمون بقيادة الجارود يبعثون بالمساعدات إلى أهل قرية جواثى، ولكن الحُطَم أقام بين الجارود وبين أهل قرية جواثى فرقة من جيشه مهمتها منع الإمدادات إلى جواثى، وقد نجحت هذه الفرقة المرتدة في مهمتها، لذلك قطعت جميع الإمدادات عن أهل جواثى، فتعرضوا للجوع حتى كادوا يهلكون، وهكذا ضعف جانب المسلمين هناك، واشتدت شوكة المرتدين إلى درجة أن مسلمي عبد القيس، وزعيمهم الجارود، لم يستطيعوا أن يصنعوا شيئا يذكر ضد الحُطَم وحشوده المرتدة، لأن الحشود بلغت أضعاف أضعاف القوات التي يقودها الجارود الذي لم يستطع حتى إيصال المواد الغذائية إلى المسلمين المحاصرين في جواثى.

قال بعض المؤرخين: لما مات النبي ﷺ خرج الحُطَم بن ضبيعة

أخو بني قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة، ومن تأهب إليه من غير المرتدين ممن لم يزالوا كافرين، حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط، ومن فيها من الزط والسيابجة، وبعث بعثا إلى دارين، فأقاموا له، ليجعل عبدالقيس بينه وبينهم، وكانوا مختلفين لهم، يمدون المنذر، فبعثه إلى جواثى وقال: اثبت، فإني إن ظفرت ملكتك بالبحرين، حتى تكون كالنعمان بالحيرة. وبعث إلى جواثى، فحصرهم، وألحوا عليهم، فاشتد على المحاصرين الحصار، وفي المسلمين المحصورين رجل من صالحي المسلمين يقال له: عبدالله بن حذف، أحد بني بكر بن كلاب، وقد اشتد عليه وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكون، وقال عبدالله بن حذف

ألا بلغ أبا بكر رسولا	وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكمُ إلى قوم كرام	قعود في جواثى محصرينا
كأن دماءهم في كل فج	شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا	وجدنا الصبر للمتوكلينا

وقال ابن كثير: فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين، وملكوا عليهم الغرور، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر، وقال قائلهم: لو كان محمد نبيا ما مات... ولم يبق بهذه بلدة على الثبات، سوى قرية يقال لها: جواثى، كانت أول قرية أقامت الجمعة بعد حدوث الردة، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس، وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم، حتى منعوا من الأقوات وجاعوا جوعا شديدا حتى فتح الله تعالى عليهم..[1].

---

(١) باشمل، مصدر سابق، ص ٧٦.

أما اللواء الأول الذي كان بالبحرين فكان بقيادة خالد بن الوليد، والذي أخمد به نيران فتنة المرتدين، من أحسن وأعظم الألوية الأحد عشر التي قرر الخليفة أن يوجهها لمعالجة تمرد المرتدين في أقاليم الجزيرة، وكان خالد أقرب من أي أمير في الجزيرة إلى البحرين، فهو في اليمامة، واليمامة هي الطريق إلى البحرين، وهي أقرب الأقاليم إليها، ولكن أحدا لا يدري (على وجه الجزم) لماذا لم تصدر الأوامر من المدينة إلى القائد خالد بأن يتحرك بجيشه من اليمامة لمعالجة فتنة المرتدين في البحرين، ولكن يمكن القول أن ذلك راجع إلى الأسباب الآتية.

١ـ أن الجيش الذي يقوده خالد متعب من الحروب التي خاضها، وخاصة معركة اليمامة التي لم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا وبه جراح من جراء تلك المعركة الرهيبة.

٢ـ يفسر هذا الرأي بأن الخليفة نفسه عندما قرر أن يكون خالد قائداً للزحف على العراق وتلقى الأمر بذلك، وهو في جيشه باليمامة. أمره الخليفة (صراحة) بأن يترك الخيار لمن كانوا معه في الذهاب معه إلى العراق نتيجة هذا التخيير لم يقبل سوى ألفين من عدة آلاف.

٣ـ لاشك أن الخليفة كان يفكر في فتح جبهة العراق من زمن بعيد، وهذه الجبهة لا يمكن أن يكون قائداً فيها لجيش الإسلام إلا بمستوى خالد بن الوليد شجاعة وخبرة وحنكة وجرأة، وقد اختار الخليفة فعلا لهذه المهمة الصعبة القائد خالداً، فكان تحركه من اليمامة، المجاورة للبحرين في نفس السنة التي انتهت فيها معركة اليمامة وذلك بعد تسعة أشهر من تاريخ انتهاء معركة اليمامة، حيث حدثت معركة اليمامة في ربيع الأول عام ١١هـ، واختراق حدود العراق حدث تقريباً في شهر محرم عام ١٢هـ، لهذا لم يأمر خالداً بالتحرك من اليمامة إلى البحرين.

٤ـ يدل كلام المؤرخين على أن الخليفة قد قرر سلفاً أن يقوم اللواء الثاني لمعالجة فتنة البحرين، وأن يكون قائد هذا اللواء العلاء بن الحضرمي، وذلك عندما عقد هذه الألوية في ذي القصة بضواحي المدينة المنورة. وانضمام حنيفة وتميم إلى الجيش الثاني، وتحرك اللواء الثاني من المدينة إلى البحرين بقيادة الصحابي الكبير العلاء بن الحضرمي، وقد اختاره الخليفة لهذه المهمة لكونه خبيراً أكثر من غيره بالبحرين، حيث كان عليها أميراً في عهد النبي ﷺ.

وتقضي طبيعة جغرافية الأرض أن يبدأ ببلاد تميم أولاً ثم ببلاد بني حنيفة في اليمامة ثانياً، وعند مرور جيش العلاء بن الحضرمي ببني تميم، كانت هناك عناصر لا تزال مترددة بشأن دفع الزكاة لبيت مال المسلمين، وعلى رأس هؤلاء المترددين قيس بن عاصم المنقري الذي بدلا من أن يبعث بالزكاة إلى أبي بكر، قسمها في فخائذ قومه، بينما ظل منافسه الوحيد السيد الزبرقان بن بدر ثابتاً على إسلامه مع عشائره. بالرغم من مشايعته سجاح.

وعندما وصل العلاء بن الحضرمي بجيشه إلى ديار بني تميم تلقاه الزبرقان بن بدر بالترحيب والابتهاج، فأدركت الغيرة قيس بن عاصم للشرف العظيم الذي ناله الزبرقان بتصرفه الحكيم، فندم قيس، وذهب إلى العلاء بن الحضرمي معلنا توبته، ثم دفع إلى العلاء من الزكاة مثل الذي فرقه منها في قومه، فقبل منه العلاء وأكرمه، وبعد هذا التنافس بين الزعيمين التميميين، الذي عاد بالفائدة على المسلمين، حشدت تميم بصفة خاصة عمرة وسعد والرباب جيشاً عدده مثل عدد عسكر اللواء الذي جاء العلاء يقوده من المدينة، وقد انضم هذا الجيش التميمي إلى قوات الإسلام التي يقودها العلاء، وشارك بنو تميم مشاركة

فعالة مع العلاء في إخماد فتن البحرين والخليج كله.

أما بنو حنيفة، فقد سعى السيد الميمون ثمامة بن أثال الحنفي بين مسلميهم، فحشد منهم جيشاً كبيراً بقصد الاشتراك في الجهاد لإخماد فتن المرتدين في البحرين والخليج، وعندما جاء العلاء بن الحضرمي إلى اليمامة ماراً بها جاءه ثمامة في ذلك الحشد الكبير من بني حنيفة فرحب بهم العلاء واحتفى وأكرمهم، فصاروا جزءاً من لوائه.

قال الطبري وابن كثير: فلما دنا العلاء بن الحضرمي من البحرين جاء إليه ثمامة بن أثال في محفل كبير، وجاء كل أمراء تلك النواحي فأضيفوا إلى جيش العلاء بن الحضرمي، فأكرمهم العلاء ورحب بهم، وأحسن إليهم.

وقد أُلحق عكرمة بعُمان، ثم مهرة، وأُمر شرحبيل بالمقام حيث انتهى إلى أن يأتيه أمر أبي بكر، ثم يغاور هو وعمرو بن العاص أهل الردة من قضاعة، فأما عمرو بن العاص، فكان يغاور سعداً وبلياً، وأمر هذا بكلب ولفها، قال منجاب بن راشد: فلما دنا منا، ونحن في علياء البلاد، لم يكن أحد له فرس من الرباب وعمرو بن تميم إلا جنبه، ثم استقبله، فأما بنو حنظلة، فانهم قدموا رجلاً وأخروا أخرى، وأما سعد بن زيد بن مناة، فانهم كانوا فرقتين، فأما عوف الأبناء فانهم أطاعوا الزبرقان بن بدر، فثبتوا على إسلامهم، وتموا وذبوا عنه، و أما المقاعس والبطون فإنهما أصاخا ولم يتابعا إلا ما كان من قيس بن عاصم، فإنه قسم الصدقات التي اجتمعت إليه في المقاعس و البطون، حين شخص الزبرقان بن بدر بصدقات عوف والأبناء، فكانت عوف والأبناء مشاغيل بالمقاعس و البطون، فلما رأى قيس ابن عاصم ما صنعت الرباب وعمرو من تلقي العلاء بن الحضرمي ندم على ما كان فرط منه، فتلقى العلاء بأعداد ما كان قسم من الصدقات،

ونزع عن أمره الذي كان هم به، واشتاق حتى بلغها إياه، وخرج معه إلى قتال أهل البحرين...

قضية الراهب الذي أسلم في القطيف:

ذكرت بعض الكتب الأدبية قضية الراهب الذي أسلم بقولها: كان مع المسلمين راهب في هجر، فأسلم يومئذ فقيل: ما دعاك إلى الإسلام؟ قال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني اللّه بعدها إن أنا لم أفعل: فيض في الرمال وتمهيد أثباج البحار، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء من السحر. قالوا: وما هو؟ قال: «اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع ليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، والحي الذي لا يموت، وخالق ما يرى وما لا يرى، وكل يوم أنت في شأن، وعلمت اللهم كل شيء بغير تعلم»، فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر اللّه، فلقد كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يسمعون من ذلك الهجري بعد.

قتال أهل الردة في القطيف (دارين):

وبعد أن انتهت معركة هجر بذلك النصر للمسلمين، انطلق المسلمون خلف الأعداء في مطاردة عنيفة يقتلون ويأسرون من قدروا عليه، إلا أن أكثر المرتدين أفلتوا على متون الخيل، وساعد المنهزمين أن الوقت كان ظلاماً؛ لأن المعركة نشبت أثناء الليل، حيث كان المرتدون في المعسكر يشربون الخمر حتى ثملوا وفقدوا توازنهم، فاغتنمها المسلمون فرصة، فهجموا عليهم في الليل، وخبطوهم بالسيوف، وهم من شدة السكر، لا يستطيع الواحد منهم مجرد الدفاع عن نفسه، إلا من لم يسكر، وهم قلة قليلة جاءت من قبلهم مقاومة المسلمين، وعلى أيديهم استشهد من استشهد منهم.

وبعد انتهاء القتال في هجر، انقسم الذين نجوا من سيوف المسلمين في المعركة إلى قسمين، قسم ركب السفن وعبر البحر إلى مدينة (دارين)، وقسم اتجه إلى ديار قومه في البادية محاولا الفرار إليها، والتجمع فيها ليكون من وراء ظهور المسلمين المعسكرين على الساحل في هجر.

وعندما تفرق المرتدون المنهزمون على هذه الصورة، كان اهتمام قائد اللواء الثاني العلاء بن الحضرمي منصباً بصفة خاصة على الذين حاولوا الانتشار في البر؛ لأنه يخشى تجمعهم من وراء ظهره، فيكون بين نارين، هؤلاء في البر من ورائه وعن يمينه وشماله، والمرتدين الذين تحصنوا في مدينة دارين من أمامه، والذين قرر غزوهم، ولكنه لا يريد التحرك إلى مدينة دارين البحرية حتى يصفي جيوب المنهزمين الذين يحاولون التجمع من وراء ظهره في البر ...[(١)].

ملاحظات على أخبار الردة:

ذكر الشيخ التاجر في تاريخه الرأي الأصوب في حادثة أخبار الردة، وموقف أهل البحرين والقطيف، والأحساء منها، لا سيما أن أغلب من كَتَب عن هذه الأحداث أدان من حيث يشعر أو لا يشعر أهالي المنطقة، وهذا أكبر خطأ وقع فيه بعض المؤرخين، والحقيقة التي هي عين الواقع ما يرويها هذا الشيخ الجليل، وهي كما يلي: إن كل مؤرخ محقق إذا جرّد نفسه عن الأغراض لابد أن يظهر له ما في أخبار الردة من التناقض، وإن أسدل عليها المؤرخون القدماء حجبا كثيفة نتج عنها تشويه وجوه الحقائق إلا أنه لا يزال قبس من الحق بين ثنايا

---

(١) للمزيد راجع كتاب حروب الردة د، باشمل الفصل السادس، ص ١٠٥.

صفحات التاريخ باق، وإن كان ضئيلا.

إن أخبار الردة لا تخلو من مبالغات وان اكثر ما أورده التاريخ في الخصوص لا يلزم أن يكون قضية مسلمة لا يجوز انتقادها وتمحيصها، ولا يعقل أنه بمجرد أن انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتد أكثر جزيرة العرب عن الإسلام، وإن تصور مثل هذا موجب للشك في صحة وقوعه، والمسألة تحتاج إلى تدقيق وتحقيق وتمحيص غثها من سمينها. نعم إنه لا ينكر أن هناك من ارتد من العرب عن الإسلام، ولكن جميع من قوتلوا كمرتدين في أيام الردة لم يكونوا مرتدين جميعهم عن الإسلام إن صح على البعض فلا يصح على الكل، فإن مثل أهل اليمن الذين يقول فيهم النبي ﷺ: «الإيمان يماني»، ومثل بني حنيفة قوم مالك بن نويرة رضي الله عنه، وموقفه في الإسلام الصحيح الذي لا يشوبه شك ولا يعتريه تمويه، ففي حياة النبي ﷺ كان عاملاً له في جمع صدقات بني حنظلة، وقوله في الردة لخالد: والله ما ارتددت، وشهادة أبي قتادة الأنصاري أن بني حنظلة وضعوا السلاح، وأذنوا، ومثل أهل البحرين الذين أسلموا طوعا، واختيارا من غير أن يهددوا بخيل ولا رجال مع ما تقدم في حق وفدهم الذي قَدِمَ على النبي ﷺ المجبل، وما استقبلهم به، وأثنى عليهم فيه كما مر سابقا، فان الردة عن الإسلام لهؤلاء غير صحيحة، وإن منعوا الزكاة، ولم يذعنوا للولاة، فلا يعني ذلك عبادة غير الله، وما ذلك لنكوصهم عن الإسلام، بل هو لرفضهم الخلافة التي اتكلت على غير ما يعتقدون، وهم على إسلامهم ثابتون لا يتزعزعون، وإن ما وقع بينهم قد وقع مثله وأعظم في نفس عاصمة الإسلام، فوقع الخصام وعلا الشجار بين المهاجرين والأنصار والنبي ﷺ مسجى جنازة بلا إقبار، وبعدها بين بني هاشم والمهاجرين، والأدلة ببقائهم على الإسلام قول أبي بكر ـ حين سمع مقالة بعض الطوائف: نقيم الصلاة

ولا نؤدي الزكاة- : لو منعوني عقالا لقاتلتهم عليه.

ودفاع الخليفة عمر في حق مالك بن نويرة، وطلبه من أبي بكر إدانة خالد لكونه قتل مسلما وانتهك حرمته، وإرجاعه في خلافته على بني حنيفة قوم مالك ما أخذ منهم.

والخلاصة: إن المسألة لم تخرج عن حد كونها فتنة، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ ويقول ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ هذا ما أردانا إيراده بهذا الخصوص، وبما أنه ليس لنا قصد الخوض في هذا البحث الذي ربما مس بعض العواطف، ولكنا دفعنا إليه مجبرين حيث إن التاريخ جرح عواطفنا جرحا لا يندمل إلى قيام الساعة بما شوهه من الحقائق في نسبته الارتداد إلى آبائنا عن الدين بعد أن اسلموا طائعين مختارين غير مكرهين، ولو كانت حقيقة لقبلناها رغم أنفنا؛ لأن أثمها ونقصها على مرتكبها لا علينا ﴿لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ ولكن بعده عن الحق كبعده عن الباطل، ومع ذلك فإنا مررنا عليها مر الكرام، واجتزناه حذراً من وقوع الخصام متجنبين جرح العواطف جهد الإمكان.. [1].

أخبار الردة في عصر الخليفتين وموقف أهل المنطقة من ذلك:

بعد الردة سأل أهل البحرين أبا بكر أن يرد عليهم العلاء بن الحضرمي، فرده عليهم فكان عامله على البحرين، فعمل العلاء مدة

---

(١) تاريخ أوال، ص ٨٧.

خلافة أبي بكر إلى أن تولى الخلافة عمر بن الخطاب فأبقى العلاء بن الحضرمي على عمله. قالوا وتحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي كان وجّهه لقتال بني تيم حين عرضوا لعيره واسمه أرنادين فيروز بن حشيش بالزارة وانضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف، وامتنعوا من أداء الجزية، فقام العلاء على الزارة، فلم يفتحها في خلافة أبي بكر، وفتحها في أول خلافة عمر، وفتح العلاء السابون، ودارين في خلافة عمر عنوة، وهناك موضع يعرف بخندق العلاء، وقال معمر بن المثنى: غزا العلاء بعبد القيس قرى من السابون في خلافة عمر بن الخطاب ففتحها، ثم غزا مدينة الغابة فقتل من بها من العجم، ثم أتى الزارة، وبها المكعبر، فحاصره، ثم إن مرزبان الزارة دعا إلى المبارزة فبارزه البراء بن مالك، فقتله واخذ سلبه، فبلغ أربعين ألفا ثم خرج رجل من الزارة مستأمنا على أن يدل على شرب القوم، فدله على العين الخارجة من الزارة فسدها العلاء، فلما رأوا ذلك صالحوه على أن له ثلث المدينة، وثلث ما فيها من ذهب وفضة، وعلى أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها، وأتى الأخنس العمري العلاء فقال له: إنهم لم يصالحوك على ذراريهم وهم بدارين ودله كراز النكبير على المخاضة إليهم، فتقحّم العلاء في جماعة من المسلمين البحر، فلم يشعر أهل دارين إلا بالتكبير، فخرجوا فقاتلهم من ثلاثة اوجه فقتل مقاتلتهم وحوى الذراري والسبي، ولما رأى المكعبر ذلك اسلم وقال:

هاب العلاء حياض البحر مقتحما ... فخضت قدما إلى كفار دراينا

وغزا العلاء فارس بأهل البحرين.. [1].

هذا مختصر ما حدث للقطيف في زمان الردة التي حدثت بعد وفاة

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٧.

رسول اللّه، وحدثت للحركات النصرانية والنازحة للقطيف في ذلك الوقت، وإلا فالحديث عن تمسك أهلها في ذلك الوقت بالإسلام بحاجة إلى مجلدات ضخمة لسردها فتأمل.

القطيف في العهد الأموي (الخلافة الأموية):

وظلت المنطقة في ظل الحكومة الأموية مقاطعة تابعة لولاية البصرة، وكان أميرها التابع للسياسة الأموية يشرف على كافة الأقاليم التابعة لها من الساحل العُماني إلى الساحل البحريني، ونظراً للاضطرابات السياسية التي حدثت للدولة الأموية بعد مقتل الأمام علي إلى مقتل الحسين عليه السلام وما صنعته الدولة الأموية بالناس، وتفشي الميوعة والمنكر والبذخ والترف، خرجت على الدولة الأموية كثير من الحركات المنادية بالإطاحة بالسياسة الأموية في العالم الإسلامي، بالخصوص حركة الخوارج ذلك المذهب الفوضوي الذي تمخض عن القلاقل السياسية في عصر الإمام علي عليه السلام وهو من أخطر المذاهب الثورية غير المسؤولة، إذ نادى هذا المذهب في البداية بإسقاط الدولة الإسلامية تماما، ورفض أن يعطي دورا للقيادة الشرعية في تسيير الحياة، ومعلوم مدى الفوضى التي تسببها هذا المذهب بأفكاره الهدامة في نشر الانحلال السياسي المبطن باسم الإسلام والتدين، مما أخضع قطاعا كبيرا من أبناء الأمة الإسلامية لفكره ومبادئه، حتى وصل الأمر بفرقه المختلفة التي انتشرت في أصقاع العالم الإسلامي إلى الفتك بكل معارض لهم في الأفكار والمواقف! حتى وصل بهم الحال أن يقتلوا من يريدون باسم الخروج على الإسلام والمبادئ، كما فعلوا بصاحب الرسول وحامل القرآن خباب بن الأرت في

قصة مشـهورة ذكرهـا التـاريخ.

وعندما نقف عنـد فـرق الخـوارج مـن النجـدات والأزارقـة الـتي وصلت بجحافلها إلى الخليـج العربـي بـالخصوص البحريـن والقطيـف نراها تقف موقفا غير مشرف تماما، فبعد أحداث ابن الزبير مع الحجاج ابن يوسف الثقفي في مكة المكرمة التي هدمها بالمنجنيق، سـانده بعـض فرق الخوارج مواقف ابن الزبير ضد الحجاج، وبعد مقتله وصلبـه تمنـت فرقة الأزارقة الخروج من نطاق مكة المكرمة وانحدروا إلى اليمامـة، ومـن اليمامة واصلوا زحفهم إلى البحرين، ومن ثم القطيف، وفي عام ٦٥ هـ اختارت هذه الفرقة أبا طالوت قائدا لها، واشترطت عليه أن يكـون لهـم الحق في إبداء الرأي بالخصوص فيما يتعلق بمبايعته أو عزله، وقد استهل أبو طالوت رئاسته بمخالفة مبدأ المساواة الذي تمسك بـه الخـوارج حتـى هذه اللحظة، وذلك حين استولى علـى الخضـارم، وكـانت أرضـاً لبـني حنيفة، كان معاوية قد أخذها منهم وجعل فيها أربعة آلاف مـن الرقيـق مع أسرهم، وقد زرع فيها أبو طـالوت الرقيـق مـن أتباعـه، وقـد ازداد أتباع أبي طـالوت بسـرعة مـن بكـر وحنيفـة، ولعـل ذلـك يرجـع إلى التعصب القبلي، وروح البداوة التي يتمتع بها، وفي هـذه الفـترة انشـق نجدة بن عامر عن جماعة نـافع بـن الأزرق في البصـرة بسـبب آراء نـافع المتطرفة، وانحاز إلى أبي طالوت وأتباعه في اليمامة... ولم تمضِ فترة على نجدة حتى تضاعف أتباعه، فسيطر على الطرق المؤدية إلى مكة والبصرة، وأخذ يعترض طريق القوافل، وأخذ بعدهـا يبسـط نفـوذه في البحريـن عبر قائد جيشه نصرة بن مالك الحنفي في عام ٦٨هـ، وأخضع بني تميـم في طاعته، وجبى منها الصدقـات، كمـا قـام نجـدة بنفـس العـام بتأديـة فريضة الحج، ووقف منه الحجاج في الحجاز موقفا غير مشرف، حتى عاد منها وفرض المقاطعة الاقتصادية على الحجاز، ومنع كل قافلة تصـل، أو

تمر عبر البحرين إلى مكة[1]، وبعد سنوات تمكن نجدة من تجميع جيشه من أجل غزو البحرين، وسار إليها سنة ٦٧، فعندما سمعت الأزد بقدومه قالوا: لنجدة أحب إلينا من ولاتنا؛ لأنه منكر للجور، وولاتنا يجورون، فعزموا على مسالمته، واجتمعت عبدالقيس ومن بالبحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعضهم: نجدة أقرب إليكم منه إلى الأزد فلا تحاربوه، وقال بعضهم: أتباع نجدة وهو حروري مارق تجري أحكامه علينا، فالتقوا بالقطيف وأقبل وكيع أحد بني جذيمة من عبدالقيس يرتجز ويقول:

يا أم يعقوب تجنبيني	لا تحذري علي واحذريني
إن علياً واقيٌ يقيني	أنا وكيع لست بالهجين
اليوم أحمي حسبي وديني	ما ملكت قائمة يميني

فقتل وكيع وجماعته من العبديين، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف، وأقام نجدة بالقطيف، ووجه ابنه المُطرح إلى فلول أهل القطيف من عبدالقيس، فتقاتلوا بالثوير، وهي قرية في طريق البصرة من نجد، فقتل المُطرح وجماعة من النجدية، وصور لنا الشاعر جمال بن سلمة في ذلك الوقت بعض ما يشير إلى هذه الحادثة فقال:

إن تقتلونا بالقطيف فإننا	قتلناكم يوم الثوير وصحصحا
وإن تقتلوا منا وكيعاً وعاصماً	فإنا قتلنا طارقاً والمطرحا

من ثم سار نجدة إلى البحرين، وأقام بها فلما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين، بعث إليه عبدالله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفا، ويقال في عشرين ألفاً، ويقال إن حمزة بن

---

(١) ابن الأثير، ج ٢، ص ٣١٠.

عبدالله بن الزبير الموجه له حين ولي البصرة جعل ابن عمير يقول: اثبت يا أبا المطرح فإنا لا نفر، فقدم ونجدة بالقطيف، فنزل على ميل من عسكره، وصير البحر خلفه.. وكما أنه بعث جيشا لغزو عمان، وكان على رأس الجيش عطية بن الأسود الحنفي، فعندما وصل مانعوه وقاتلوه، فتمكن منهم فأقام بها أشهرا.. [1].

الأمويون في مدينة الزارة:

وإذا قرأنا تاريخ الدولة الأموية بتمعن أكثر نرى أن (الزارة) كانت بالنسبة لهم مدينة لا غنىً عنها في جميع الموارد، فقد ذكر المؤرخون أن الريان وعدداً من أتباعه حينما كانوا يستوطنون مدينة (الزارة) وذلك سنة ٧٩ هـ تجمعوا وانضموا مع جماعة، وخرجوا معلنين الثورة على الوالي الأموي في البحرين، وهو محمد بن صعصعة [2]، وحينما سمع الوالي أعدّ لهم جيشاً من الأزد بعد أن عرض عليهم الاستسلام، فلم يقتنعوا.

فرأى أن الحرب هنا غير مجدية فجرى بينهما تشاجر وعلى أثر ذلك هرب الوالي إلى عمان وبقي الريان مستقراً في مدينة (الزارة).

وبعد أن استلم الحجاج بن يوسف الثقفي الولاية أرسل جيشاً إلى

---

(١) البلاذري، ج ٧، ص ١٧٨.

(٢) لعل الذي ذكر انه كان واليا على البحرين في ذلك الوقت صعصعة بن صوحان بن حجر بن عبد الحارث العبدي، وهو من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، كان خطيبا بليغاً عاقلاً، له شعر، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، وله مع معاوية مواقف حيث نفاه المغيرة من الكوفة إلى البحرين(أوال) بأمر من معاوية فمات فيها، وقيل مات في الكوفة، ويقال: إن القبر المشهور في البحرين ينسب لصوحان بن صعصة...والله العالم انتهى.

البحرين (٨٠هـ) بقيادة يزيد بن أبي كبشة في اثني عشر ألف مقاتل، والتقى بالريان، وكان عدد أصحابه لا يزيد عن ألف وخمسمائة مقاتل، فدارت بينهما معركة ضروس في ميدان مدينة (الزارة) وأسفرت هذه المعركة عن مصرع الريان النكري وقتل عدد كبير من أتباعه، وقام يزيد ابن أبي كبشة بصلب جثمان الريان وعدد كبير من أتباعه على جذوع النخل.

وعلى حسب ما ينقله الكثير من الآباء أن (الزارة) كانت سجناً كبيراً للدولة الأموية يسجنون فيه كل من أرادوا أن ينفوه عن أهله ووطنه... ويقول بعضهم: إن السجن الذي كان على عهد الدولة الأموية في مدينة (الزارة) واقع بين القديح والعوامية، وموقعه جغرافياً الآن في الأرض التي تسمى (إحريف)، وبها الآن مستشفى لعلاج مرض فقر الدم. وقد نقل الطبري في تأريخه: أنه إذا أراد الأمويون أن يعذبوا الناس ويبعدوهم عن أهاليهم وعن العطاء يسيروهم إلى منطقتين هما (عمان - ومدينة الزارة).

وهذا غير مستبعد لكل من تتبع حوادث الدولة الأموية، وخصوصاً الفترة التي كان لها ولاة في البحرين و القطيف والأحساء[1].

النجدات يستولون على البحرين سنة ٦٧هـ:

في سنة ٦٧هـ سار نجدة بن عامر الحنفي الخارجي في زهاء ثلاثة آلاف من أصحابه إلى البحرين فقالت الأزد (أزد البحرين): لنجدة أحب إلينا من ولاتنا؛ لأنه ينكر الجور، وولاتنا جوزته، فعزموا مسالمته، واجتمعت عبدالقيس ومن البحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعض

---

(١) للمزيد كتابنا العوامية مجد وأعلام ص ٢٤، وراجع كتاب الطبري ج٥ ص٣٥٩.

الأزد لنجدة اقرب إليكم منا؛ لأنكم كلكم من ربيعة، فلا تحاربوه، وقال بعضهم: لا ندع لنجدة، وهو حروري مارق تجرى علينا أحكامه فالتقوا بالقطيف، فانهزمت عبدالقيس، وقتل منهم جمع كثير.

وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف فقال الشاعر:

نصحت لعبدالقيس يوم قطيفها　　وما نفع نصح قيل لا يتقبل

فلما قدم مصعب بن الزبير إلى البصرة سنة ٦٩هـ، بعث عبداللّه بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفا، فجاء هذا بعساكره القطيف، فجعل يقول: اثبت نجدة، فإنا لا نفر، فقدم ونجدة بالقطيف فأتى لنجدة عسكر أبي عمير، وهو غافل فقاتلهم طويلا وافترقوا وأصبح ابن عمير، فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى وحمل عليهم نجدة، فلم يلبثوا أن انهزموا وتشتت شملهم، فلم يبق عليهم نجدة، وغنم ما في عساكرهم وأصاب جواري فيهن أم ولد لابن عمير، فعرض عليها أن يرسلها إلى مولاها، فقالت: لا حاجة بي إلى من فرّ عني وتركني، وبعث نجدة أيضا بعد هزيمة ابن عمير جيشا إلى عمان، واستعمل عليهم عطية بن الاسود الحنفي، وقد غلب عليها عباد بن عبداللّه وهو شيخ كبير وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد، فلما أتاهم عطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فأقام بها أشهرا، ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى أبا القاسم، فقتله سعيد وسلمان أبناء عباد وأهل عمان، ثم خالف عطية لنجدة. ثم بعث نجدة إلى البوادي بعد هزيمة ابن عمير أيضا فقاتل أصحابه بني تميم بكاظمة، وأعان أهل طويلع بني تميم فقتلوا من الخوارج رجلا، فأرسل لنجدة إلى أهل طويلع من أغار عليهم، وقتل منهم نيفا وثلاثين رجلا وسبى، ثم إنه دعاهم بعد ذلك فأجابوه فأخذ منهم الصدقة، ثم سار نجدة إلى

صنعاء في خف من الجيش فبايعه أهلها، وظنوا أن وراءه جيشا كثيرا، فلما لم يروا مددا يأتيه ندموا على بيعته، وبلغه ذلك فقال: إن شئتم أقلتكم بيعتكم وجعلتكم في حل منها وقاتلتكم، فقالوا: لا نستقيل بيعتنا.فبعث إلى مخاليفها فأخذ منهم الصدقة.وبعث نجدة أبا فديك إلى حضرموت فجبى صدقات أهلها، وحج نجدة سنة (٧٨هـ)، وقيل سنة (٦٩) وهو في ثماني مائة وستين رجلا، وقيل ألفين وستمائة رجل، وصالح ابن الزبير على أن يصلّي كل واحد بأصحابه، ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض، فلما صدر نجدة عن الحج سار إلى المدينة فتأهب أهلها لقتاله، وتقلد عبدالله بن عمر سيفاً فلما كان نجدة بنخل أمر ابن عمر بلبس السلاح فرجع إلى الطائف وأصاب بنتا لعبدالله بن عمر بن عثمان، وأتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي، فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف واستعمل عليها الحاروق وهو حراق على الطائف وتبالة والسراة، واستعمل سعد الطلائع على ما يلي نجران، ورجع نجدة إلى البحرين، فقطع المياه عن أهل الحرمين وعن اليمامة، فكتب إليه ابن عباس بما أثر عليه، فجعلها نجدة لهم، ولم يزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه.

ثم إن أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأشياء نقمها عليه عامة من معه، وانحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك عبدالله بن ثور أحد بني قيس ابن ثعلبة، واستخفى نجدة فأرسل أبو فديك في طلبه جماعة من أصحابه وقال: إن ظفرتم فجيئوني به، وقيل لأبي فديك: إن لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك فألح في طلبه، فكان ينتقل من مكان إلى أخر حتى أدركوه، فقتلوه.

ولما قتل نجدة سخط لقتله قوم من أصحاب أبى فديك، ففارقوه وثار به مسلم بن جبير، فضربه بسكين فقتل مسلم، وحمل أبا فديك إلى

منزله فبرأ، وذلك سنه (٧٢) واستتب له الأمر وقام بأعباء الرئاسة خير قيام، وكاتبه الخليفة عبد الملك بن مروان على الطاعة وأقرّه على ما بيده من الولايات، فأبى واستكبر وعصى ونفر فانتدب الخليفة عبد الملك لقتاله عمر بن عبدالله بن معمر..

موقف عبد الملك بن مروان من أبي فديك:

لما ثبت قدم أبي فديك في البحرين وما والاها وأطاعه أصحاب نجدة بن عامر الخارجي، استتب له الأمر كما يجب.

وفى سنة ٧٢هـ أرسل خالد بن عبدالله أمية بن عبدالله على جند كثيف، فهزمه أبو فديك وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام.

وفي سنة ٧٣هـ اصدر عبد الملك بن مروان أمره إلى عمر بن عبيدالله بن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتال أبي فديك فصدع بالأمر.... ، وانتدب معه عشرة آلاف، فأخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم وجعل أهل الكوفة على ميمنته، وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله، وأهل البصرة على مسيرته وعليهم عمر ابن موسى بن عبيد بن معمر، وهو ابن أخي عمر، وجعل خيله في القلب وساروا حتى انتهوا إلى القطيف، فالتقوا واصطفوا للقتال، فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد، فكشفوا ميسرة عمر حتى ابعدوا المغيرة بن مهلب وجماعة ابن عبدالرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا إلى صف أهل الكوفة بالميمنة، وجرح عمر بن موسى، فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير؛ لأن أميرهم عمر بن موسى كان جريحا، فحملوهم (فحملوه) معهم، واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج، وحمل أهل الكوفة من الميمنة، ومن

معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم، وقتلوا أبا فديك وداسته الخيل في عدوها وحصروا أصحابه بالمشقر، فنزلوا على الحكم، فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر نحو ثماني مائة ووجدوا جارية عبدالله بن أمية حبلى من أبي فديك، وعادوا إلى البصرة، وذلك سنة٧٣ هـ وأرسلوا الأسرى إلى الشام، فاستتابهم عبدالله، وعفا عنهم، وأطلق سبيلهم من الأسر، فعادوا حامدين، وضم عبدالملك ولاية البحرين إلى عامل البصرة، وكان على البصرة في ذلك العهد بشر بن أرمان « ولعل هذه الوقعة هي نفس الوقعة التي يذكر أهل البحرين إن نفس عبدالملك حضر فيها، وإن أبطالها وقوادها زيد وصعصعة ابنا صوحان، وإبراهيم بن مالك الأشتر وغيرهم، وقد تقدم ذكرهم في الكلام عن قرية الدراز، إلا أن أبا فديك لم يكن له ذكر فيها، والله أعلم بحقيقة الحال » ، وولى بشر بن أرمان من قبله على البحرين وأعمالها الأشعث بن عبدالله بن الجارود، فبقي هذا عاملا بها يقدم الطاعة إلى الدولة الأموية حتى سنة ١٠٥هـ حيث انهزم فيها أمام مسعود بن أبي زبيب العبدي.

استيلاء مسعود بن أبي زبيبة العبدي على البحرين:

وفى سنة ١٠٥هـ خرج مسعود بن أبي زبيبة العبدي في البحرين، فانحازت إليه قبائل ربيعة، فحارب الأشعث بن الجارود وضيق عليه الخناق، ففارق الأشعث البحرين منهزما هاربا إلى البادية، وتولى مسعود شؤون البحرين سنة ١٣٤ هـ، وسار مسعود إلى اليمامة، وعليها سفيان بن عمرو العقيلي ولاه إياها عمر بن هبيرة، فخرج إليه سفيان فاقتتلوا بالخضرمة قتالا شديدا، فقتل مسعود، وأقام بأمر الخوارج بعده هلال بن مدلج، فقاتلهم يومه كله، فقتل أناس من الخوارج، وقتلت زينب أخت مسعود، فلما أمسى هلال تفرق عنه أصحابه وبقي في نفر يسير فدخل

قصرا وتحصن به فنصبوا عليه السلاليم وصعدوا إليه فقتلـوه واسـتأمن أصحابه فآمنهم، وقال الفرزدق فى هذا اليوم شعراً:

لعمري لقـد سـلت جنيقـة سـلة   سيوفاً أبت يـوم الوغـى ان تغـيرا
تركـن لمسـعود وزينـب أختـه   رداء وسـربالا مـن المـوت احمـرا
أريـن الحروريـين يـوم لقائهـم   ببرقان يومـا تجعـل المـوت أشـقرا

وقيل: إن مسعوداً غلب على البحرين واليمامة تسع عشـرة سـنة حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي سنة ١٣٤هـ كما تقدم.

القطيف في العهد العباسي (الدولة العباسية):

أما الدولة العباسية، فقد صبّت جلّ اهتمامها على هـذه المنطقـة، لما لها من ميزات اقتصادية وسياسية، وبحكم موقعها الجغرافي الذي يعتبر الأهم في الخليج العربي، ولا استبعد أن حكام الدولـة العباسـية قـرؤوا التاريخ جيداً وعرفوا أهمية الخليج العربي، ودون شك أن القطيف مـن ضمن تلك المناطق الخليجية التي انصبّ اهتمامهم بهـا، فقـد جعلوهـا تحت ولايتهـم وسـلطانهم، حتـى ذكـر يـاقوت في كتابـة المعجـم، ج١، ص٣٠٠: أن الحكـام في الدولـة العباسـية جعلـوا اهتمـامهم بـالبحرين واليمامة وعمان حتى جعلوها عملاً واحداً، ونظـراً لقلـة الاضطرابـات السياسية في هذه الأقاليم حاولوا أن يتقربوا إلى مشايخ الخليج والقبـائل القاطنة فيه، وخاصة قبائل الأزد.. [(١)].

وإذا حقق المحقق في التاريخ في تلك الفترة الـتي اسـتلمت الدولـة العباسية حكمها بعد زوال الدولة الأموية، يرى أن التجارة وصلـت إلى أوجها حتى اضطر العباسيون أن ينقلوا عاصمتهم التجاريـة مـن الشـام

(١) المعجم ج ١، ص ٣٠٠، الخليج العربي، العقيلي ص ١١٠.

إلى العراق؛ لكونه يطل على مياه الخليج العربي ويكون قريباً من منطقة الخليج وبالخصوص البحرين والقطيف وعمان، وبعد أن تولى السفاح العباسي الولاية على العراق، بعث عمه داود بن علي والياً على أقاليم الجزيرة العربية بأكملها بما في ذلك البحرين التي تشمل القطيف والأحساء وعمان، ولم تمضِ سنة واحدة على ولايته حتى عزله، وولَّى خاله زياد بن عبداللَّه المدان، غير أن منطقة البحرين ألحقت بالبصرة عام ١٣٣هـ، وولَّى السفاح عليها عمه سليمان وحين أصبح أبو جعفر المنصور خليفة عام ١٣٦هـ، توالى على البحرين عدد من الولاة منهم السري بن عبداللَّه الهاشمي الذي جعله المنصور على اليمامة والبحرين.

ولم تمض ثلاث سنوات على ولايته حتى عزله، فولّى عليها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، ثم تلاه على ولاية البحرين واليمامة قثم بن العباس.

البحرين في خلافة أبي جعفر المنصور:

وفى سنة (١٥١هـ)، جهز أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي إلى جزيرة البحرين جيشا عظيما تحت قيادة أميره عقبة بن سليم الفري بجنود كثيرة واستعداد كامل، فدخلوا البحرين بحملتين برية وبحرية، فدافع سليمان بن حكيم العبدي مع أصحابه دفاع الأبطال، ولكن أبى القضاء أن يساعده فسقط قتيلا بعد مدة وجيزة، فانكسر أهل البحرين وكثر فيهم القتل والأسر، وانتهبت خزائن البلاد، وأموال الأهالي، وبعثت إلى دار الخلافة ببغداد وعين الخليفة العباسي على البحرين أميرا هو نافع بن عقبة، ولما وصل السبي والأسرى إلى بغداد أدخلوهم على الخليفة أبي جعفر المنصور، فقتل بعضهم، ووهب الباقين لولي

عهده المهدي، فأطلقهم وكساهم، ثم عزل عقبة عن البصرة وابنه نافعاً عن البحرين؛ لأنه لم يستقم على أهل البحرين وولى عليها عبد الملك بن ضبيان، ثم عزله عنها سنه (١٥٧) وولى عليها سعيد بن دعيج، ولم تزل تحت حكم الخلافة العباسية يتعاقب عليها ولاتهم إلى سنه (٢٤٩) حيث استولى عليها صاحب الزنج.

وفي عهد المهدي والهادي تولى على البحرين عدد من الولاة منهم حمزة الكاتب، غير أن المهدي عزله في مستهل خلافته عام ١٥٨هـ، وولي مكانه عبداللّه بن مصعب، وكان آخر والي زمن المهدي العباسي مولاه المعلى الذي عزله الهادي، وولي مكانه محمد بن سليمان سنة ١٦٩هـ.

وأما في زمن المعتصم والمتوكل، فقد كانت الولاية إلى اسحق بن أبي حميصة، ومحمد بن اسحق بن إبراهيم على التوالي. ولاسيما أن في هذه الفترة التي تولى الخلافة فيها المعتصم عجت البلاد الإسلامية بكثير من الحوادث والاضطرابات السياسية، وكانت البحرين من ضمن تلك البلاد التي شملتها الاضطرابات، فخرجت عدة حركات مناوئة للحكم العباسي منها على سبيل الإيجاز:

القطيف في عهد الحركات الانفصالية:

١- حركة الزط:

وهم قوم من بلاد الهند، وترجح الكتابات الأدبية، أن أصلهم من الساسانيين. وهم الذي فضلوا النزوح من بلادهم إلى منطقة الخليج العربي؛ لوفرة الموارد الاقتصادية وعذوبة مائها، وبعد أن اشتغلت الدولة العباسية بالحروب والمجاز تمكنوا من أحداث الفتن في عهد المأمون العباسي، حيث عرف عنهم بـ(قراصنة البحار)، وكانوا يسرقون السفن

التي تذهب من البصرة إلى الساحل الشرقي للخليج، وكانت مناطقهم الاستراتيجية الخط والبحرين، وفي سنة ٢٠٥هـ عين المأمون العباسي عيسى بن يزيد الجلودي لحربهم، لكنه لم يتمكن منهم؛ لأنهم كانوا على معرفة كبيرة بفنون القتال والمراوغة في الحرب، فعين على قتالهم رجلاً آخر، وهو داود بن ماسحور وهذا لم يفلح أيضاً.

وفي عصر المعتصم العباسي تمكن منهم بعد أن ولي على قتلهم عجيف بن عنبسة، الذي حاصرهم من جهة حتى تمكن منهم تماما، فحملهم إلى البصرة في سفن كبيرة، فأسكنهم المعتصم في قرى متفرقة كل واحدة بعيدة عن الأخرى خوفا من توحدهم عليه. ويقال إنه نفى بعضاً منهم إلى منطقة عين زربة، وهي منطقة من نواحي المصيصة في العراق، وبعد أن استولى المتوكل العباسي على الحكم أمر بنفيهم إلى مناطق نائية عن بغداد، حتى تم العثور عليهم من قبل البيزنطيين، وبدورهم نقلوهم إلى القسطنطينية، ومنها وجدوا طريقاً إلى أسيا وأوربا وأسبانيا.

٢- حركة الزنج:

تنسب هذه الحركة لـ: علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الطباطبا محمد بن علي الطقطقي، قاد حملة ثورية ضد الحكومة العباسية التي استهترت بالقيم والتعاليم وسعت لتبني دولتها وعظمتها على حساب سفك الدماء وقتل الأبرياء وسلب الأموال، كما ذكر ذلك التاريخ، فتمكن صاحب الزنج من تكوين جيش ضخم من الناقمين على الحكومة العباسية وصل عدده إلى (٨٠٠,٠٠٠) مقاتل حتى عجز الخلفاء عن قتالهم، ففرض سيطرة على أهم الموانئ التجارية التي تتعامل مع

العراق مثل ميناء البصرة، والأبلة، وعبادان، والبحرين مما شل حركة الملاحة البحرية فيها تماما، وسارعت الحومة العباسية بإرسال قائد عسكري تركي يدعي (جعلان) على رأس جيش كبير لقتالهم، لكنه يفاجأ بجيش ضخم له خبرة عسكرية كبيرة في فنون القتال، فانهزم جعلان مما زاد في توسع حركة الزنج في المنطقة... ودامت حروبه معهم ما يقارب أربع عشرة سنة من ٢٦ شهر رمضان سنة ٢٥٥هـ إلى ٢ صفر سنة ٢٧٠هـ، ولم يتمكن منهم إلا الموفق باللّه العباسي شقيق الخليفة المعتمد العباسي في ذلك الوقت فقتل الموفق صاحب الزنج وأجهض حركته.

ملخص حوادث أصحاب الزنج في المنطقة:

وقد ذكر بعض المؤرخين كابن خلدون وابن الأثير والطبري وغيرهم: أن رجلا من عبدالقيس من قرية تسمى (ودرفين) من قرى الري، واسمه علي بن عبد الرحيم حدثته نفسه بالتواثب، ورأى كثرة خروج الزيدية من الفاطميين، فانتحل هذا النسب وأدّعاه وليس من أهله ثم سارَ إلى البحرين سنه (٢٤٩هـ) فادعى أنه علوي من ولد الحسين بن عبيداللّه بن العباس بن علي بن أبي طالب، ودعا الناس إلى طاعته، فاتبعه كثير من أهل هجر، ثم تحول إلى الأحساء ونزل على بعض بني تميم، ومعه قواده يحيى بن محمد الأزرق البحريني وسلمان بن جامع وقاتل أهل البحرين، فهزموه وانفضت العرب عنه فلحق بالبصرة، والفتنة فيها بين البلالية والسعدية، وبلغ خبره محمد بن رجاء العامل، فطلبه فهرب، وحبس ابنه وزوجته وبعض أصحابه، ولحق هو ببغداد فانتسب إلى عيسى بن زيد بن على بن الحسين الشهيد، ثم أقام بها حولا، ثم سار إلى البحرين سنة ١٤٩هـ، فادعى أنه علوي من ولد

الحسين بن عبيدالله بن عباس بن عباس بن أبي طالب، ودعا الناس إلى طاعته، فاتبعه كثير من أهل هجر، ثم تحول إلى الأحساء، ونزل على بعض بني تميم، ومعه قواده يحيى بن محمد الأزرق البحراني، وسليمان بن جامع، وقاتل أهل البحرين فهزموه وافترقت العرب عنه فلحق بالبصرة والفتنة فيها بين البلالية والسعدية وبلغ خبره محمد بن رجاء العامل فطلبه فهرب وحبس ابنه وزوجته وبعض أصحابه ولحق هو ببغداد فانتسب إلى عيسى بن زيد بن علي بن حسين الشهيد ثم قام بها حولا ثم بلغه أن بلالية والسعدية أخرجوا محمد بن رجاء من البصرة، وأن أهله خرجوا من الحبس، فرجع إلى البصرة في رمضان سنة ٢٥٥هـ، ومعه يحيى ابن محمد الأزرق وسليمان بن جامع وأهل بغداد الذين استمالهم جعفر ابن محمد الصمد حاني وعلي بن أبان وعبدان غير من سمينا، فنزل بظهر البصرة، ووجه دعوته إلى العبيد من الزنوج، وأفسدهم على مواليهم ورعيتهم في العتق ثم في الملك، واتخذ راية رسم فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ وجاء موالي العبيد في طلبهم، فأمر صاحب الزنج العبيد بضرب مواليهم، وحبسهم، ثم أطلقهم وتسايل إليه الزنوج واتبعوه، وهزم عساكر البصرة والأبلة وذهب إلى القادسية، وجاءت العساكر من بغداد، فهزمهم ونهب النواحي، وجاء المدد إلى البصرة مع عجلان من قواد الترك، وقاتلوه فهزمهم، ثم ملك الأبلة واستباحها، وسار إلى الأهواز وبها إبراهيم بن المدير على الخراج، فاقتحمها وأسر ابن المدير سنة ٢٥٦هـ إلى أن فر من محبسهم. فبعث المعتمد الخليفة العباسي سعيد بن صالح الحتجب لحربهم سنة ٢٥٧هـ، وهو يومئذ عامل البصرة، وسار من واسط، فهزمه علي بن أبان من قواد صاحب الزنج إلى البحرين فتحصن بالبصرة، وزحف علي بن أبان من قواد الحصارة حتى نزل على أمانه ودخلها وأحرق جامعها

وغضب عليه صاحب الزنج، فصرفه وولّى على البصرة مكانه يحيى بن محمد البحراني، وبعث المعتمد محمد المولد إلى البصرة، فأخرج عنها الزنج، ثم بيتوا محمد بن الولد فهزموه.

ثم ساروا إلى الأهواز، وعليها منصور الخياط، فواقع الزنج فغلبوه، وكان المعتمد قد استقدم أخاه أبا أحمد الموفق من مكة، وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن، ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز، وأمره أن يعقد ليرجعوا إلى البصرة وكور دجلة، واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح السالف الذكر، فانتصر عليه صاحب الزنج ثم قتله، وقيل: إنه لما تم لصاحب الزنج الانتصار على المنصور بن جعفر قائد الخليفة، واحتوى على ما في المعسكر من مال ومتاع، وسلاح أرسله إلى البحرين، فقويت شوكته واشتدت شكيمته، وازدادت جرأته، ولما بلغ الخليفة خبر انكسار المنصور ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ودعا أحد رجاله المشهورين المدعو محمد بن ثور (أو نور) وولاه أمر البحرين، وأمره بأخذ الأهبة والاستعداد لمقاتلة صاحب الزنج، وأطلق يده في البلاد التي يمر بها، وأن يفعل ما يراه موافقا للمصلحة، فقام محمد واستعد بما قدر عليه وجمع الجموع، وأركبها السفن، وسار يقصد البحرين بطريق البحر، فحمل عليها وبادر الجزائر، وبها بعض من رجاله مقيمين لجمع الخراج وجباية الأموال، فقتلهم جميعا، وأخذ كل ما معهم من مال وأنوال.وأدّب كل من على شاكلتهم

ثم سار من هناك إلى دارين والقطيف والأحساء، ولم يزل يقتل كل من وجده في طريقه من رجال الطاغية ونهب أموالهم، وسبى عيالهم وجمعهم، وأرسلها بطريق البحر إلى عاصمة الخلافة بغداد، ثم عقد

لبعض رجاله بقيادة الجيش، ووجهه لمتابعة صاحب الزنج في نواحي الفرات، وقد أعرضنا عن تتبع أحوال صاحب الزنج في نواحي الفرات لطولها، ومن أراد الوقوف عليها، فليراجعها في مكانها، ونكتفي هنا بإيراد خبر انتهاء أمره.

أمر المعتمد العباسي أخاه الموفق بالمسير إلى صاحب الزنج في ربيع سنة ٢٥٨هـ، وعلى مقدمته مفلح فاجفل الزنج عن البصرة، وسار قائدهم علي بن أبان، فالتقى مفلحا فقُتل مفلح وانهزم أصحابه، ورجع الموفق إلى سامراء، وكان اصطيخور ولي الأهواز بعد منصور الخياط، وجاءه يحيى بن محمد البحريني من قواد الزنج، وبلغهم مسير الموفق، فانهزم يحيى البحريني، ورجع في السفن فأخذ وحمل إلى سامراء، فقتل فبعث صاحب الزنج مكانه علي بن أبان، وسليمان الشعراني، فملكوا الأهواز من يد اصطيخور سنة ١٥٩هـ بعد أن هزموه، وهرب في السفن فغرق، فسرح المعتمد لحربهم موسى بن بغا بعد أن عقد له على تلك الأعمال، فبعث إلى الأهواز عبدالرحمن بن مفلح وإلى البصرة إسحاق ابن كيدا قام بأدوار ورد إبراهيم بن سليمان، وأقاموا في حروبهم مدة سنة ونصف، ثم استعفى موسى بن بغا وولي على تلك الأعمال مكانه مسرور البلخي، وجهز المعتمد أخاه أبا أحمد الموفق لحربهم بعد أن عهد له بالخلافة، ولقبه الناصر لدين اللّه الموفق، وولي على أعمال المشرق كلها إلى آخر أصفهان، وعلى الحجاز، فسار لذلك سنة ٢٦٢هـ، واعترضه يعقوب الصفار يريد بغداد، فشغل بحربه، وانهزم الصفار، وانتزع من يده ما كان ملكه في الأهواز، وكان مسرور البلخي قد سار إلى (الموفق)، وحضر معه حرب الصفار، فاغتنم صاحب الزنج خلو تلك النواحي من العسكر، وبث سراياه للنهب والتخريب في القادسية، وجاءه العساكر من بغداد مع اغرتمش وغشتش، فهزمهم

الزنج، وقائدهم سليمان بن جامع قتل خشتش (او ـ اغشتش).

وكان علي بن أبان من قوادهم قد سار إلى الأهواز، وأميرها يومئذ محمد علي بن أبان، ثم ظاهره محمد بن هزاد حرد والأكراد، فرجع إلى السوس.. إلى أن قال: وبعث ابنه أبا العباس لحرب الخبيث بنهر أبي الخصيب، واستأمن إليه جماعة من قواده، فأمنهم، وكتب إليه بالدعوة والأعذار، وزحف إليه في مدينته المختارة له، وأطلق السفن في البحر وعبّأ عساكره، وهي نحو من خمسين ألفا، والزنج في نحو ثلاثمائة ألف مقاتل، ونصب الآلات، ورتّب المنازل للحصار وبنى المقاعد للقتال، واختط مدينة الموفقة لنزوله، وكتب بحمل الأموال والمياه إليها، فحملت وقطع المياه عن المختارة، وكتب إلى البلاد بإنشاء السفن، والاستكثار منها، وأقام يحاصرهم من شعبان سنة ٢٦٧ إلى صفر سنة٢٧٠، ثم اقتحم عليهم المختارة، فملكها وفر الخبيث، وابنه انكلاي، وابن جامع إلى معقل أعده، واتبعه طائفة من الجند، فانقطعوا عنه، وأمرهم من الغد باتباعه، فانهزم وقتل من أصحابه، وأسر ابن جامع، ثم قتل صاحب الزنج، وجيء برأسه ولحق انكلاي بالديناري في خمسة آلاف، فلحقهم أصحاب الموفق فظفروا بهم واسروهم أجمعين، وقيل: إن عدد القتلى في تلك الوقائع كان ألفي ألف وخمسمائة ألف إنسان، وكان صاحب الزنج رجلا فاضلا فصيحا بليغا لبيبا استمال قلوب العبيد بالبصرة، ونواحيها فاجتمع إليه منهم خلق كثيرون، وأناس آخرون من غيرهم وعظم شأنه وقويت شوكته، وكان في مبدأ حاله فقيرا لا يملك سوى ثلاثة أسياف، فلما قام بدعوته بلغ إلى تلك القوة، والثروة التي سلف ذكرها، ثم انتهى إلى ما تقدم من استئصال شأفته...[١].

---

(١) للمزيد من المعرفة راجع المصدر السابق.

القطيف في عهد القرامطة:

وإذا وقفنا عند تاريخ هذه الحركة نراه غامضا بحيث لا يصل الباحث عن إلى قرار، ولا يتمكن من إعطاء الحقيقة التي عليها هذه الحركة، مما سبب الاختلاف في وجهات النظر، وخلط الأوراق التاريخية والمعلوماتية، فقد راح بعض الباحثين يلصق التهم، والأكاذيب في بعض فرق الإسلام لا لأنه توصل إلى الغاية، و الدليل القاطع، وإنما لتخرصات وأدلة واهية أوهن من بيت العنكبوت، وراح بعض الباحثين من تبني بعض الآراء الخاطئة، والأكاذيب الصريحة، ومتابعة المنطق الجدلي التغليطي، مما جعله يتحيز لمذهبه، فتمكن عندها من تفريق وحدة الصف العربي، والإسلامي والعقائدي من خلال تطبيق صفات هذه الحركة على بعض المذاهب الإسلامية، وفريق آخر توصل إلى حقيقة واضحة، وهي أن العلماء لم يتوصلوا إلى حقيقة هذه الحركة منذ ذلك التاريخ الغابر وحتى عصرنا هذا؛ لأن العوامل التي أحاطت بتاريخ هذه الحركة جعلت دراسة تاريخهم من الصعوبة بمكان، وترجح الأسباب لفقدان مؤلفاتهم، ولكثرة ما دسه الخصوم حولهم من إشاعات وأباطيل، وما لفقوا من روايات وأقاويل، خاصة ما يتعلق منها بعقائدهم الدينية، وحياتهم الاجتماعية، وما نسب إليهم من جرائم وآثام.

ولم يتفق العلماء والمؤرخون حتى الآن على تحديد مذهب هذه الحركة، وصحة انتسابها إلى الفرقة الإسماعيلية، أو القطع بعدم صحة هذا الانتساب، فالاختلاف في تكوين هذه الحركة السياسي، والعقائدي لا يزال قائماً، والنقاش مستمر والاستنتاجات المبنية على ما قاله الكتاب تصطخب فيها الصفحات، بدون أن نصل إلى أي نتيجة نستطيع أن

نسلط الضوء على حقيقتها..[(١)].

وهذا الرأي قريب من الواقع لكن لا ينفي حقيقة ما ذكر في كتب السير، والتراجم والحوادث، عن صفحات القرامطة السوداء، وقد تكون بعض الحوادث التي ذكرها بعض أعلام التاريخ صحيحة لا يشوبها شك إذا جردت من العقلية الحزبية، والفكر الجدلي العقيم الذي ينظر إلى حقائق التاريخ من نافذة ضبابية، فلا أحد يمتلك عقلا، ودينا ينكر ما صنعته أيدي القرامطة الآثمة بحق الدين والإنسانية والقيم والناس، فسوف تبقى هذه الوقائع التي أركعت بعض الحركات والتيارات والدول والزعامات في زمانها وصمة عار على جبين الإنسانية والتاريخ العربي.

العراق كان المنطلق لتحركاتهم:

يوعز كثير من الباحثين إلى أن العراق كانت المنطلق لبداية الحركة القرمطية، وكان في ابتداء أمرهم: أن رجلاً منهم قدم ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، فكان بموضع يقال له النهران يظهر الزهد والتقشف، ويسف الخُوص، ويأكل من كسب يده، ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدة، فكان إذا قعد إليه رجل ذاكره أمر الدين، وزهده في الدنيا، وأعلمه أن الصلاة كذا وكذا حتى تعرف عليه الناس، وأصبحت له شهرة كبيرة، وحتى أن كثيراً من الناس كان يعتقد فيه الصلاح، وأنه مقرب من السماء ـمجاب الدعاءـ فترفع له حاجاتهم بعد أن وصل بهم الحال إلى أن يزعموا أنه الإمام المطاع، فاتخذ له اثني عشر نقيبا أمرهم أن يدعوا الناس إلى مذهبهم القرمطي.

---

(١) القرامطة بين المد والجزر، غالب، ص ٨.

وقال: أنتم كحواريي عيسى بن مريم، ومما سنه من السنن المنحرفة عن المنهج الإسلامي أن عرفهم أن الصلاة أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان بعد غروبها، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن: اللّه أكبر، اللّه أكبر اللّه أكبر، أشهد أن لا إله إلا اللّه، مرتين أشهد أن آدم رسول اللّه أشهد أن نوحاً رسول اللّه، أشهد أن إبراهيم رسول اللّه، أشهد أن محمداً رسول اللّه، أشهد أن أحمد بن محمد ابن الحنفية رسول اللّه، وأن القبلة إلى بيت المقدس، والحج إلى البيت المقدس، وان الجمعة يوم الاثنين، وأما الصوم فيومان في السنة الواحدة، وان النبيذ حرام والخمر حلال، ولا غسل عن جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة... إلى غيرها من البدع والضلالات [1].

وكانت هذه الأرض ـ العراق ـ المنطلق لغزو البلاد المجاورة، وخصوصا الخليج بعد أن تمكن القرامطة من غزو الشام فقتلوا أهلها واستباحوا أعراضهم وسلبوا أموالهم وتمكنوا أيضا من غزو بلاد المغرب، وارتكبت أبشع الجرائم والمنكرات، واستباحوا أقدس بقعة في العالم الإسلامي مكة المكرمة، واقتلعوا الحجر الأسود، وقتلوا الحجيج، وسلبوا الأموال وقتلوا الأنفس وعرجوا على منطقة الأحساء [2] بعد أن حملوا معهم الحجر الأسود، وكان ذلك عام (٣١٧هـ) على حد قول ابن الأثير:

حج بالناس في هذه السنة منصور الديلمي، و سار بهم من بغداد إلى مكة هو وأصحابه، فوافاهم أبو طاهر القرامطي بمكة يوم التروية، فنهب

---

(١) ابن الأثير، ج ٧، ص ٥٤٨.

(٢) تقع مدينة (هجَرَ) الأحساء حالياً في وسط الصحراء، وهي مدينة كبيرة جداً، تبعد عن مدينة االدمام من المنطقة الشرقية مائة كيلومتر تقريباً، وسوف تعرف مزيد بيان عنها في المقالات القادمة.

هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام، وفي البيت نفسه، وقلع الحجر الأسود وسار به إلى هجر (الأحساء) حالياً، وعندما وصلوا إلى الأحساء تمكنوا من قتل أهلها، و أغلب عظمائها وشجعانها[1] وعين (أبو سعيد الجنابي الفارسي) نفسه على إماراتها، حيث تمكن من نشر دعوته في أرجاء الخليج، بالخصوص (البحرين) وما جاورها من المدن، حيث دام حصاره لها السنة والنصف من الزمن تقريباً، تمكن من خلالها أن يخضع أهلها لمتطلباته ورغباته الكثيرة، وبعد ان انتشرت أخبار القرامطة في أصقاع العالم الإسلامي، وما فعلوه من هجومهم على بيت اللّه الحرام من قتل ودمار وسلب، واقتلاعهم للحجر الأسود، وغزوهم للمدن في (البحرين، والقطيف، وهجر، والزارة) التي كانت مقرا للحكومة العباسية في ذلك الوقت، أرسل الخليفة المقتدر العباسي رسالة مع وفد يطالب فيها القرامطة بإيقاف حملات الرعب الدموية، التي ترتكب بحق الناس في الخليج، وأن يرجعوا الحجر الأسود إلى مكانه، وإطلاق سراح المعتقلين في السجون..إلخ.

فكان رد القرامطة عليه ردا بشعا، و بذيئا مما أثار غضب الخليفة العباسي، وقد أشارت بعض المصادر المعاصرة إلى أن القرامطة استقروا في الخليج ما يقارب العشرين سنة، ومعهم ـ وهذا الأغرب ـ الحجر الأسود حيث تمكنوا من وضعه في منطقة الأحساء، وقيل القطيف، وبنوا عليه ما يشبه الكعبة![2]، وربما أشرنا في بعض المقالات الموسعة إلى حقيقة الأمر في ما بعد.

---

(١) ابن الأثير، ج ٨، ص ٣٥٢.

(٢) ربما تكون هذه الأقوال بحاجة إلى تدقيق وتحقيق وإرجاعها إلى المصادر الموثقة؛ لأن الأمر يدعو إلى الاستغراب والاستبعاد. الواحة، العدد الثامن، ص٤٤.

القرامطة يصلون إلى الأحساء:

وكما أن علاقة القرامطة بالأحساء ليست وليدة الحركة القرمطية في العراق فحسب، وإنما هناك علاقة من قبل أن تتكون نواة الحركة القرمطية في العراق، وكانت هذه البداية من بزوغ نجم الحركة القرمطية المتكونة من قبل الأهوازي العلوي، وبعد سيطرتهم على العراق وبعد البلدان المجاورة كالشام، وحلب والمغرب ومصر وغيرها تمكنت حركة القرامطة من الاتصال بصاحبها أبي علي بن أحمد بن الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي[1] فتمكن من غزو الأراضي الممتدة من سواحل البحر الأخضر المسمى بـ (الخليج العربي) حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط فتمكن من اتخاذ منطقة الأحساء منطقة للحكم حتى كانت تسمى بـ(أحساء القرامطة)، وقد ظلت هذه المنطقة حاضرة الإقليم ومقر ديوان الحكم القرمطي، فقد استفاد القرامطة من هذه المنطقة كمصدر للثروة، حيث المصادر الطبيعية، والموارد المالية، وهذا الذي جعل القرامطة ـ لا سيما الأسرة الجابية ـ أن تتمسك بهذه المنطقة تمسكاً كبيراً، حيث بقوا فيها فترة ازدهارهم سيطرتهم على الدول والحركات والحكومات الأخرى لا سيما الدولة العباسية التي كانت تسعى للقضاء عليهم بكل الوسائل والطرق، ولم يتمكن العالم الإسلامي في ذلك الوقت من إجهاض هذه الحركة حتى خرج زعيم

---

(١) وكان من مواليد الأحساء، ولد فيها سنة ٢٧٨ هـ، وتولى قيادة هذه الحركة أثناء حكم أبيه لها، وبعد وفاة أبيه تولى هو شؤونها عام ٣٥٩هـ حيث قام بنفسه باحتلال الشام أكثر من مرة، وتمكن من غزو مصر أكثر من مرة كما ذكر ذلك جملة من المؤرخين في مصادرهم راجع تاريخ ابن عساكر، ج ٤، ص١٤٨. توفي في الأحساء عام ٣٦٦، في شهر رجب، ودفن فيها في منطقة الرملة.

الزارة أبو البهلول بن العوام، فحاول أول محاولة له في مدينة أوال في البحرين، وتمكن من حشد أكبر عدد ممكن من الرجال من شتى بقاع العالم الإسلامي، فخاض معركة قوية حتى تمكن من إجهاض حركة القرامطة في الجزيرة العربية، ومنطقة أوال. وسوف تعرف في المقالات الأخرى مزيد بيان.

ابتداء القرامطة في البحرين:

وفي سنة ست وثمانين ومائتين (٢٨٦هـ): ظهر أبو سعيد الجنابي بالبحرين، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة، وقوي أمره، فقتل ما حوله من أهل القرى، ثم سار إلى القطيف فقتل من بها، وأظهر أنه يريد البصرة، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي إلى المعتضد، وكان والياً على البصرة من قبل المعتضد، فأمره بعمل سور حول البصرة، وقد بلغ الخراج عليه أربعة عشر ألف دينار، وكان ابتداء القرامطة بباحة البحرين، وكان رجلٌ يعرف بـ(يحيى بن المهدي) قصد القطيف ونزل على رجل يعرف بـ(علي بن المعلى بن حمدان) مولى زياد، وكان مغالياً في مذهبه، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين، وذكر أنه خرج إلى شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره، وأن ظهوره قد قرب، فوجه علي بن المعلى إلى أهل القطيف، فجمعهم وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهدي إليهم من المهدي، فأجابوه، وأنهم خارجون معه إذا ظهر أمره، ووجه إلى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه، وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي، وكان يبيع للناس الطعام، ويحسب لهم بيعهم، ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مرة. حتى رجع ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي إلى شيعته ورد فيه: قد عرفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم إلى أمري، فليدفع إليه

كل رجل منكم ستة دنانير وثلثين، ففعلوا ذلك.

ثم غاب عنهم وعاد، ومعه كتاب فيه أن ادفعوا إلى يحيى خمس أموالكم فدفعوا إليه الخمس، وكان يحيى يتردد في قبائل قيس، ويورد إليهم كتباً يزعم أنها من المهدي، وأنه ظاهر، فكونوا على أهبة[1].

وكان خلال تلك الفترة يتردد على منزل أبي سعيد الجنابي أحد الشخصيات البارزة الثرية الذي بدأ حياته تاجراً في المواد الغذائية، ثم أصبح ضامناً لمكوس القطيف وفرضتها من قبل واليها علي بن الحسن ابن مسمار وإخوته من عبدالقيس، وقد جمع ثروة طائلة من عمله هذا، واستعان بها أخيراً على القيام بحركته.

ثم ما لبثت هذه الحركة أن انكشف أمرها عند الأهالي في بلاد البحرين، ولكن حب الزعامة دفع أبا سعيد الجنابي إلى تبني هذه الحركة والعمل على نشر هذه الدعوة، فكرس نشاطه من أجلها، وبذل الأموال في سبيل نشرها، فأخذ يدعو لها وينظم الخلايا السرية طيلة عامين حتى انتهى أمره إلى الوالي سنة ٢٨٣هـ فطلبه، غير أنه هرب إلى مسقط رأسه جنابة. أما صاحبه يحيى فأُلقي القبض عليه واعتقل، ولما أطلق سراحه لحق ببادية بني كلاب وعقيل وعامر والحريش، فعاد لبث دعوته بينهم، وفي أثناء ذلك علم أبو سعيد الجنابي بأمر يحيى فلحق به، فاستمال الأعراب المرتزقة ورؤساء القبائل وجماعة من أهل عمان، وبذل لهم الأموال فاستجابوا لنصرته، ثم قام بشن غارات إرهابية متتالية على القرى، والأرياف من نواحي القطيف، ولما استفحل

---

(١) ابن الأثير، ج٧، ص٤٩٣.

أمره أجمع على احتلال القطيف، فسار إليها بمجموعة، فلم تستطع قوات علي بن الحسن بن مسمار وإخوته أن تقف أمام زحفه فاعتصموا (بالزارة) التي يرأسها الحسن بن العوام من الأزد، وقد ضيق عليهم الخناق حتى أذعنوا للتسليم، فما كان منه إلا أن أعدم من كان بها، واحرق هذه المدينة ودمرها تدميراً كاملاً، فلم تقم لها قائمة منذ ذلك الحين.

القرامطة من القطيف إلى الزارة:

وبعد احتلالهم لمنطقة القطيف (الخط) سنة (٢٨٦هـ) والذي دام خمس عشرة سنة (١٥) تقريباً، تمكنوا من النزوح إلى عاصمتها العريقة (الزارة)[1]، فدخلوها وصنعوا بها ما صنعوا، من قتلٍ ودمار وإبادةٍ وإحراقٍ، بل إن كل ما تقع عليه أبصارهم أن به بقايا حياة كان يحرق ويقتل.

يقول بعض المؤرخين عن سبب حرق الزارة وإبادتها: إن عبد القيس حين اختلفت كلمتهم، وكثرت بينهم الحروب، ضعفوا ووهنوا وهناً كبيراً حتى اصبحوا في البحرين ضعفاء الشوكة والقوة، فوثب أبو

(١) تقع في مدينة العوامية الواقعة في محافظة القطيف من المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.. وذكرها جملة من المؤرخين، المسعودي في كتابه مروج الذهب، ج ١، وغيره، كما أن جملة من الباحثين يؤكد على أن النبي ﷺ وقف على عين تسمى باسمها، وبعث رسائل تدعو أهلها إلى الإسلام ودخلوه طائعين، وهذه العين التي تمكن القرامطة منها حيث منعوا ماءها عن أهالي الزارة، فتمكنوا بعد ذلك من أهلها، بعد حصار دام ما يقارب الأسابيع، وقيل شهورا، راجع العوامية منذ أن كانت، محمد أمين الشيخ سعيد أبو المكارم، ص ٨٧.

سعيد الحسن بن بهرام القرمطي على منطقة القطيف حيث كان ضامناً لكسوتها وضامناً أيضاً فرضتها، وقد جمع في ذلك الوقت أموالاً طائلة استمال بها القلوب، وكانت رياسة المنطقة يومئذ وملكها لبني خزيمة من بني عبدالقيس... وجمع القرمطي جيشاً من أهله، ودخل غازياً المنطقة حتى ملكها كلها بعدما دخل عاصمتها مدينة (الزارة) فأحرقها وأباد أهلها عن جريد الأرض[١].

ولم يخرجوا منها إلا بعد أن ثار (أبو البهلول بن عوام) عليهم حيث قاتلهم وحاربهم محاربة عظيمة ـ كما سوف تعرفه في الصفحات القادمة ـ.

وضم المحلة الصغيرة الموجودة داخل مسورة كبرى، ويحيط بها من خمسة جوانب بروج عظيمة، وبعضها لا يزال إلى هذا اليوم قائما، حيث ضمها إلى أرض (الزارة)، وبعد ذلك أمر بعمارتها، وأحيائها من جديد، وأن النخيل والمحاصيل الزراعية الموجودة حالياً فيها زرعت بعد حرقها وإبادتها، حيث جعل أبو البهلول بن عوام (الزارة) أرضاً زراعية فقط (أي حقلاً للإنتاج الزراعي)، وجعل الطريق الصغير المحاط داخل المسورة المدينة السكنية وهو أول من سكنها وعمرها[٢] في حدود القرن الخامس الهجري، ومن ذلك الوقت لمع اسمها كمدينة عريقة، ومعقل لصنع الأبطال والأدباء والزعماء والعلماء... رغم مرارة الحياة وصعوبتها.

---

(١) المعجم الجغرافي البحرين قديماً، الجاسر، ص ٨٠٤. وكتاب دراسات ونصوص عن البيوتات العربية، ج١م ص٥٨ لمؤلفه أبي عبدالرحمن الظاهري، وكتاب القرامطة بين المد والجزر، د، مصطفى غالب، ص ٣٣٤.

(٢) راجع كتابنا العوامية مجد وأعلام، ص ٣٤.

صراع عبدالقيس مع القرامطة في البحرين:

وفي عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) عندما زار ناصر خسرو الأحساء، وجدها محاصرة من قبل أمير عربي منذ سنة، ويستفاد من إشارته أن هذا الأمير الذي كان يحاصر القرامطة لم يكن من أهل البادية، مما يدفع إلى القول أن هذا الأمير ربما كان أحد زعماء عبدالقيس، إذ نرى أن رجالات عبدالقيس تزعمت الحركات ضد القرامطة في ثلاثة مراكز مهمة من إقليم البحرين، وهي جزيرة أوال والقطيف والاحساء، إلا أن ذلك لايعني بالضرورة أن جميع عبدالقيس توحدوا ضد القرامطة، فقد وقف قسم منهم إلى جانب القرامطة ضد حركة أبي البهلول في جزيرة أوال ـ كما سنرى ـ كما أن جميع من ناهضوا القرامطة من عبدالقيس لم يكونوا متحدي الكلمة إذ جمعهم اسم عبدالقيس وفرقتهم المصالح.

إن أول حركة اتخذت طابعاً دينياً وسياسياً ضد القرامطة هي حركة أبي البهلول محمد بن يوسف الزجاج، وقد كان ضامناً لمكوسها فطمع بالاستيلاء على الجزيرة لما رأى من ضعف القرامطة، وانحلال أمرهم، فاتفق مع أخيه أن ينتقم من القرامطة في الجزيرة، وينظم إلى الخلافة بغداد، فعملوا الحيلة للوصول إلى غايتهم، فأرسلوا إلى ناظر القرامطة وممثلهم في جزيرة أوال مبلغ ثلاثة آلاف دينار على أن يمكنهم من بناء جامع يجتمع إليه من أحب من أهل البلد والمسافرين؛ لأن البلد خال من جامع تُصلّى فيه الجمعة، كما أن قيامها يعني مجيء المزيد من التجار والمسافرين إلى الجزيرة مما يضاعف لهم الربح، عند ذلك رفع والي القرامطة وممثلهم المدعو جعفر بن أبي محمد بن عرهم هذا الطلب إلى القرامطة في الأحساء فجاء الرد بالموافقة، فلما تم بناء الجامع صعد أبو الوليد الزجاج المنبر، وخطب للخليفة القائم بأمر

الله، وقد استنكر أنصار القرامطة هذا الأمر على ابن الزجاج، وطالبوا أن تمنع الخطبة والصلاة في الجامع، وأرسل إلى القرامطة للمشاورة، واتخاذ ما يلزم فأجابوا (ألا يعترضوا في مذهبهم ولا يمنعوا من خطبهم).

إن موافقة القرامطة على أعمال ابن الزجاج دليل أكيد على مدى الضعف الذي وصلوا إليه، ومحاولتهم عدم إثارة الأهالي ضدهم، وقد أدرك ابن الزجاج ذلك، لذا لم يبال بكل الأصوات التي حاولت الوقوف ضده، فعندما قامت حركة البساسيري في بغداد في ذي القعدة عام (٤٥٠ـ١٠٥٨م) وخطب للمستنصر الفاطمي على منابر بغداد اعترض أنصار القرامطة في الجزيرة على أبي الوليد الزجاج ومنعوه من الخطبة وقالوا له: « إن الذي كنت تخطب له قد بطل، وصارت الخطبة بالعراق للمستنصر بالله صاحب مصر، ويجب أن تكون الخطبة له دون من بطل حكمه » ، إلا أن أبا بهلول رفض طلبهم وأرسل إلى القرامطة مجموعة من الأموال مقابل عدم التعرض له، فأجابوه بالرضا، وبذلك ارتفع شأن أبي بهلول في الجزيرة وذاع صيته وقوي أمره، ثم حاول التظاهر بتقسيط الأموال التي تدفع إلى القرامطة، فإذا رفض طلبه امتنع عن دفع الأموال، فذهب إلى ناظر القرامطة ابن عرهم وسأله التخفيف عن أهل البلد بتقسيط الأموال عليهم، ولما رفض طلبه اضطرب عليه وامتنع عن دفع الأموال، وعند ذلك أرسل ابن عرهم إلى القرامطة يستشيرهم بالأمر حيث لم تكن له طاقة بأبي البهلول، عندئذ نفد صبر القرامطة، فقرروا عزل ابن عرهم عن الجزيرة وتولية شخص آخر، وأمروه بالقبض على أبي بهلول ومصادرة أمواله، إلا أن أبا البهلول وأقاربه استمالوا شخصا آخر يدعى ابن أبي العريان، وهو أيضا أحد رجالات عبدالقيس في جزيرة أوال وطلبوا من أصحاب البساتين، والضياع عدم تسليم الأموال إلا بإجابة مطالبهم، فاجتمع معهم نحو

ثلاثين ألف رجل، وعندما عرف والي القرامطة الجديد ذلك قرر القبض على أبي بهلول وابن أبي العريان إلا أنهما عاجلاه بالرجال والقتال فهرب إلى السفن في البحر بعد أن قُتل عدد من أصحابه، وبذلك تمكن أبو البهلول من الاستيلاء على الجزيرة، ولما لم يكن القرامطة في وضع يمكنهم من القضاء عليه قرروا طلب المساعدة من عمان، فأرسل وزير القرامطة أبو عبدالله بن سنبر بعض أولاده إلى عمان لطلب المساعدة من المال والسلاح، ولا نعرف بالضبط الجهة التي ساعدت القرامطة من عمان.

إذ إن عمان في هذا الوقت كانت تعيش حالة من الانقسام أيام إمامها حفص بن راشد (٤٤٥ـ٤٥٣/١٠٥٣ـ١٠٦١م) كما أن الغزو السلجوقي لها لم يقع بعد، لذا نرجح أن المساعدة ربما جاءت من بعض القبائل الساكنة في شمال عمان التي كانت تحت النفوذ القرمطي سابقاً، وخصوصاً بني الحدان من الأزد الذين وصفهم ابن المقرب بأنهم قد طمعوا في الملك مع القرامطة، كما كانت صلتهم بالقرامطة قديمة ترجع إلى نهاية القرن الثالث الهجري، والمساعدة تتكون من خمسة آلاف دينار وثلاثة آلاف رمح، ولكن أبا البهلول وابن أبي العريان كمنوا لهم في طريق العودة، فاستولوا على المال والسلاح، وقتلوا الرجال، وقد عز على الوزير القرمطي ابن سنبر وقوع هذا الحادث، فعمل الحيلة للتفريق بين ابن أبي العريان على هذا العرض وهو أن تأتي العساكر القرمطية إلى جزيرة أوال، ويقوم هو بقتل أبي البهلول، ثم ينحاز إلى القرامطة بعد إقناع أصحابه أن لا سبيل إلى مقاومة القرامطة، ومن جانب آخر عمل القرامطة على استمالة عدد كبير من قبائل بني عامر، وذلك عن طريق بذل المال لهم، ولاننسىأن بني عامر كانوا الحلفاء المخلصين للقرامطة منذ قيام دولتهم في البحرين حتى نهايتها، كما

تمكن القرامطة من استمالة شخص آخر من عبدالقيس هو بشر بن مفلح الذي وصفته المصادر بأنه أحد العيونيين، حيث وعدوه هو الآخر بولاية جزيرة أوال إذا تم استرجاعها من أبي البهلول، وهكذا فإن القرامطة قاموا باستنفار قواتهم كافة، وجمعوا أنصارهم من أجل استرجاع الجزيرة؛ لأنهم أدركوا أن خروجها من أيديهم يعني حرمانهم من مورد اقتصادي مهم كان يأتيهم من الضرائب المفروضة على التجارة والغوص لاستخراج اللؤلؤ، ولهذا نراهم يبذلون كل مافي وسعهم لاسترجاع جزيرة أوال.

وعندما عرف أبو البهلول بالمؤامرة التي حكيت ضده، قرر الابتداء بابن أبي العريان فقتله سراً، وعندما اتهموه بقتله سارع إلى إنكار ذلك، وأرضى أقاربه بالمال فسكتوا عنه، ثم أخذ يعمل على تنظيم جيشه في كل من البر والبحر، أما القرامطة فقد اتجهوا إلى الجزيرة بقيادة الوزير القرمطي أبي عبدالله بن سنبر ولديهم مائة وثمانون قطعة حربية مشحونة بالرجال من بني عامر، وخمسمائة من الخيل محملة في السفن، فلما نزلوا إلى الجزيرة لم يتوقعوا حرباً إذ لم يعلموا باغتيال ابن أبي العريان، وهكذا فوجئوا بهجوم صاعق قام به أبو البهلول على جيش القرامطة وحلفائهم في موضع يدعى كسكوس، وتمكن من إيقاع الهزيمة بالجيش القرمطي وحلفائه وقَتْل وأسر عددٍ كبيرٍ منهم، وبذلك تم لأبي البهلول الاستقلال بالجزيرة إذ لم يتمكن القرامطة بعدها من المعاودة إليها، وانسحبوا إلى الأحساء فيما عمل أبو البهلول في المسارعة بمكاتبة الخلافة لتساعد على تقويض ما تبقى من حكم القرامطة في البحرين وإقامة الخطبة للخلافة فيها

إن النجاح الذي حققه أبو البهلول في جزيرة أوال دفع زعامات

طامعة أخـرى مـن عبدالقيـس إلى التحـرك في بقيـة منـاطق البحريـن؛ لتقويض وإنهاء نفوذ القرامطة بصورة كاملـة، فكـانت القطيـف المحطـة الثانية التي شهدت ثورة على الحكم القرمطي فيها، لقد ثـار يحيـى بـن عياش الجذمي، وتمكن من إخـراج القرامطـة مـن القطيـف والاسـتيلاء عليها، ولم يتمكن القرامطة من التصدي له، فـاضطروا إلى التقهقـر إلى الأحساء والاحتمـاء داخـل أسـوارها، فتحـرك إليهـا زعيـم ثـالث مـن عبدالقيس وهو عبدالله بن علي العيوني، نسبة إلى العيون، وهي محلـة تقع شمال الأحساء، حيث طمع هو الآخر في أخذ حصته من القرامطـة، والاستيلاء على البلاد، ولا يعرف تـاريخ خـروج كـل مـن ابـن عيـاش وعبداللـه بـن علـي علـى القرامطـة إلا أننـا نرجـح أن ذلـك كـان في الستينات في القـرن الخـامس الهجـري، إذ أجمعـت المصـادر أن اسـتيلاء عبدالله بن علي على الأحساء كان في عام (٤٦٦هـ/١٠٧٦م)، وأن حربـه مع القرامطة دامت سبع سنوات.

مما مر يتبين أن البحرين في بداية عقد الستينات من القرن الخامس الهجري كانت موزعة إلى ثلاثة مراكز هي: جزيرة أوال تحت زعامـة أبـي البهلول، والقطيف بزعامة يحيي بن العياش، والأحساء بيـد القرامطـة، ومحاصرة من قبل عبدالله بـن علـي، إن هـذه الزعامـات الثـلاث كلهـا ترجع في أُصولها إلى عبدالقيس، ولكنها لم تتفق فيما بينها منذ البدايـة، فكل منهم شق طريقه بمفرده وحاول الاستيلاء على بلاد البحرين كافة، وهكذا دخل الثلاثة في حلبة الصراع، والعـدو الأكـبر (القرامطـة) مـا يزال متقوقعاً داخل حصون مدينة الاحساء، وقد وجه الثلاثـة أنظـارهم إلى بغداد التي أخذت ترقب الموقف باهتمام كبير لترى من سـيفوز كـي تقدم له المساعدة الضرورية التي تعيد سيادتها علـى المنطقـة، وحتـى لا نستبق الأحداث لنتابع خطواتها.

عندما استولى يحيى بن عياش على القطيف طمع في السيطرة على بلاد البحرين كافة، وحاول الابتداء بجزيرة أوال، ولكن المنيـة عاجلتـه، فتولى ابنه زكريا حكم البلاد مكانه، وقد حقق خطة أبيه إذ جهز جيشـاً عبر به إلى جزيرة أوال، وتمكن من إلحاق الهزيمـة بـأبي البهلـول، وقتلـه وضم الجزيرة إلى حكمه، وبذلك علا نجم زكريـا بـن يحيـى بـن عيـاش وذاع صيته، فرغبت الخلافة في مراسلته، وبدا اللقاء في البصرة بين وفد ابن عياش ووفد يمثل الخلافة، إذ عرض أصحاب ابن عياش علـى وفـد الخلافة تقديم مساعدة تقدر بمائتي فارس إلى زكريا صاحب القطيف كي يتمكن بواسطتها من القضاء على القرامطة في الأحساء، وتقـام الخطبـة العباسية هناك، وتعهد الوفد بدفع مبالغ سنوية إلى الخلافـة، والسـلطنة في بغداد، إلا أن وفد بغداد برئاسة ابن الزراد، وهو أحد خدمة حجاب السلطان ملكشاه السلجوقي الذي تـردد بـين القطيـف وبغـداد أطمـع السلطان ووزيره نظام الملـك بضـرورة السـيطرة علـى تلـك النواحـي، واتفق مع أمراء البدو القـاطنين علـى الطريـق بـين العـراق والبحريـن بإعطائهم حصة من الغنائم متجاهلاً زكريا بن يحيى بن العياش حاكم القطيف، وهكذا تجمع الجيش في البصرة للخروج باتجاه البحرين بقيادة أحد حجاب السلطان المدعو كجلينا، فلما وصلوا إلى موضع جبل سنام كانوا يتوقعون انحياز العرب في البادية إليهم إلا أن أحـد بطـون العـرب من قيس، وقيات نزلوا على طريقهـم طمعـاً فيهـم، وجـرت مناوشـات تغلب فيها كجلينا، ولكنه لم يستطع ملاحقتهم فبدأ يلاطفهـم وأخـذوا يسايرونه ويبتاعون التمر والذرة بالثمن الذي يريدونه، فلما صـار علـى مقربة من القطيف وراسلوا ابن عياش وجدوا الأمـر بخـلاف مـا جـاءوا عليه، فعلموا أن ابن الزراد قد كذبهم، وكان جواب ابن عياش إليهـم أن الذي استقر بينه وبين وفدهـم هـو أن ينفـذ السـلطان مـائتي فـارس

يكونون تحت زعامة ابن عياش، وقد أبدى ابن عياش تحفظه من الاجتماع مع قائد الجيش كجلينا إذ تذكر غدره بقبائل العرب من قيس وقبات، ثم عرض عليه أن يرجع إلى البصرة، ويسلم القوات التي معه إليه يسير بها إلى الأحساء ليستولي عليها، ويقيم الخطبة العباسية، ويرسل الأموال السنوية إلى بغداد فأنت (كالسبع في الأجمة، وحولها الأعداء لا يمكنك المقام ولا العود)، ثم جرت بينهم مراسلات لم تؤدِ إلى نتيجة، فوقعت الحرب بينهما.

وفي اليوم الثالث منها عمل ابن عياش على استمالة قبائل قيس، وقبات حيث أخذوا جمالهم وأحمالهم وما عليها من متاع، وساروا فيها في البرية، فلما علم كلجينا بذلك انسحب من المعركة، وسار وراء قبائل قيس وقبات، فنُهب معسكره ولم يظفر بالعرب، وقد أوشك هو وجنده على الهلاك لولا مجيء شبانة ،أو الشبانات مع عربة، وقدموا لهم الغذاء والجمال بالثمن الذي يريدونه حتى أوصلوهم إلى البصرة، فخلع كجلينا على شبانة، وأصحابه إذ لولاه لكان من الممكن أن يهلكوا في البرية.

إن الهزيمة التي حلت بجيش الخلافة في القطيف جعلت أنظار الخلافة العباسية تتجه إلى الشخص الآخر من عبد القيس، وهو عبدالله بن علي العيوني الذي كان ما يزال يحاصر القرامطة في الأحساء، ويضيق عليهم الخناق، وكان عبدالله بن علي قد كتب في عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م) إلى كل من الخليفة القائم بأمر الله السلطان ملكشاه السلجوقي، ووزيره نظام الملك يدعوهم فيها إلى مساعدته للقضاء على القرامطة، وإقامة الخطبة العباسية في البحرين، وعند ذاك قررت الخلافة إرسال جيش إلى هناك للانتقام أولاً من ابن عياش الذي حارب الجيش

العباسي، ثم لمساعدة عبدالله بن علي في القضاء على القرامطة، وقد أسندت قيادة الجيش إلى أكسك سلار، وكان عدده سبعة آلاف فارس توجه به نحو القطيف أولاً حيث تمكن من احتلالها، وهرب ابن عياش إلى جزيرة أوال، ثم توجه نحو الاحساء حيث كان عبدالله بن علي يحاصرها، واشترك معه في عمليات مطاردة الأعراب من بني عامر الذين كانوا يساندون القرامطة، وأحكم الحصار عليهم فأرسلوا إليه يطلبون الصلح على مال يدفعونه إليه شرط أن يمهلهم شهراً يتمكنون خلاله من جمع المال مقابل أخذ ثلاثة عشر رجلاً منهم رهينة، فتم الصلح وأخذ الرهائن، ولكن القرامطة عملوا على جمع الأطعمة والأسلحة وإدخالها إلى أسوارهم؛ ليتقووا بها، ثم نقضوا الصلح، فقتل الرهائن وشدد الحصار عليهم ولكن إطالة أمد الحصار جعل الجند يتضجرون من ذلك، فشاور قائد الجيش العباسي عبدالله بن علي بالأمر وعرض عليه أن يجعل معه من الجند مائتي فارس مع أخيه البقوش، وأن يرجع هو إلى بغداد، ويبدو أن رجوعه كان عبارة عن عملية استبدال الجند، إذ أكد للخلافة في بغداد ضرورة الرجوع؛ لاستخلاص البلاد من القرامطة، وكان الخليفة آنذاك المقتدي بأمر الله (٤٦٧ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٧٤ ـ ١٠٩٤م)، فأخذ التوقيع منه وقد جاء فيها: «الحمد الله الموحد بالجمال والبهاء، المتفرد بالقدرة والكبرياء، المنجي من غياهب الشرك برسالة محمد ﷺ أكرم الخلق محتداً وأصلاً، وأشرفهم درجةً ومحلاً، النبي العربي سيد الأنبياء وخاتم الأصفياء أرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

الحمد الله الذي عضد الإسلام بالخلفاء الراشدين المهديين الذي أزال الله بهم البدع والمنكر، وجعل الاقتداء بهم سبيل النجاة، يوم الفزع الأكبر، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله، فقال عز من قائل:

﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، فصارت طاعة أمير المؤمنين لازمة الوجوب، وأضحت قلوب أهل الزيغ منه دائمة الوجوب، وليعلم بك سلار أن الخليفة وقف على ماكان له من جميل الخدمة، وامتثال الأمر في جهاد المبطلين القرامطة الملحدين، فليستمر في استئصال ذكرهم، وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم، قال اللّه تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾، وليعتمد حماد السيرة فيما فتحه اللّه عليه من تلك الأعمال، وليقدم صالحاً لـ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.ثم انحدر أكسك سلار إلى واسط، وهناك وافاه رسول أخيه البقوش، فذكر أن أعداداً كبيرة من بني عامر جاءت مدداً إلى القرامطة، فكانت معركة حامية في موقع يسمى الرحلين حيث كانت هزيمة القرامطة وأتباعهم من بني عامر، وقد ملك عبداللّه بن علي البلد وأعطاهم الأمان، وذلك في سنة (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) وبذلك أسدل الستار نهائيا على دولة القرامطة في البحرين بعد حكم دام أكثر من قرن ونصف القرن.

أمراء عبدالقيس وصراع السلطة في البحرين، والقطيف، والأحساء:

ما أن انتهت المنطقة من صراع القرامطة، حتى دخلت في صراع مع أمراء عبدالقيس الذين تقاتلوا معهم على إمارة المناطق الحيوية في المنطقة. فقد ذكرت بعض الكتب الأدبية: أن زكريا بن يحيى بن العياش الذي كان في جزيرة أوال ظل يتحين الفرص للقضاء على عبداللّه بن علي، وما أن انسحب الجيش العباسي إلى البصرة حتى أرسل ابن عياش سرية للإغارة على الأحساء، فاصطدمت مع جيش عبداللّه بن

علي في قرية تسمى ناظرة، فهُزِمَ جيش ابن عياش، واضطر إلى الانسحاب إلى القطيف، ولكنه لم يتمكن من الصمود فيها فعبر إلى جزيرة أوال، وتبعه الفضل بن عبدالله بن علي، واشتبك معه في معركة قتل فيها وزيره المعروف بالعكروت، وكان يوصف بالشجاعة والدهاء، فلما رأى ابن عياش مقتل وزيره هرب إلى العقير، وقام بجمع الأعراب حوله، وزحف بهم نحو القطيف، فالتقى بعبدالله بن علي الذي أوقع به، وقتله وبذلك انتهت حركة ابن عياش، وخضعت كل من جزيرة أوال والقطيف والأحساء لحكم عبدالله بن على العيوني.. [1].

الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي يستولي على البحرين والقطيف:

كان بأعمال البحرين خلق كثير من العرب، وكان القرامطة يستنجدونهم على أعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات، وكانت أعظم قبائلهم هناك بني عقيل وبني سليم كما قدمنا، وأظهرهم في الكثرة والعزة بنو ثعلبة، ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين واستحكمت الفتنة بينهم وبين بني بويه بعد انقراض ملك بني الجنابي، وعظم اختلافهم عند القائم بالدعوة العباسية، وكان خليفة القرامطة دعاه إلى إذهاب دولتهم، فأجابه ودخل بنو مكرم رؤساء عمان في مثل ذلك، فأجابوه واستولى بنو مكرم على عمان، ثم غص بنو ثعلبة بسليم واستعانوا عليهم ببني عقيل، وطردوهم من البحرين، فساروا إلى مصر، ومنها كان دخولهم إلى أفريقية سنة٣٧٨ هـ.

ثم عادت ثعلبة وحليفتها عقيل لمكافحة من بقي من القرامطة،

---

(١) مجلة الوثيقة، العدد ٣٦.

ورئيسها يومئذ الأصفر بن أبي حسن الثعلبي، فأوقع هذا بإسحاق وجعفر وبقية القرامطة ومن يلوذ بهم، وقتلهم جميعا في سنة ٣٩٨هـ واستولى على ما يملكون، فارتفع شأن بني ثعلبة وقوي ساعدهم، فأثاروا على بني عقيل حرباً شعواء، وقرروا إخراجهم من البحرين؛ ليصفو لهم الجو وحدهم، ومازالوا يحاربونهم حتى طردوهم إلى العراق، فملكوا الكوفة والبلاد العراقية، وانفرد بنو ثعلبة بالملك والسلطة ودانت لهم جزيرة الموصل، وحارب بني عقيل سنة ٤٣٨هـ برأس عين من بلاد الجزيرة وغص بشأنه نصير الدولة بن مرمان صاحب ميافارقين وديار بكر، فقام له، وجمع له الملوك من كل ناحية، فهزمه واعتقله، وأطلقه ومات سنة ٤٣٨هـ، وبقي الملك متوارثا في بنيه بالبحرين بعد أن غلبهم على ما بأيديهم من البلاد أولياء الدولة السلجوقية، فرجعوا إلى مواطنهم الأولى بالبحرين، فوجدوا بني ثعلبة قد أدركهم الهرم وضعف أمرهم فاغتنموا هذه الفرصة واستولوا على بعض القرى والبلاد، ورئيسهم أحمد بن مسعد؛ والثعالبة لا تبدي ولا تعيد حيث قد سقطت هيبتهم وأصبحوا غرضا يُرمى ولقمة سائغة لكل آكل إذ كثرت القبائل الناهبة في البحرين، وقاسى سكان المدن الأمرين، فاتحد القرامطة بعتيق واحد، وعولوا على استرجاع الفائت بتأسيس دولة قرمطية ثانية، فأكثروا الغارات على السواد والقرى، واستقل محمد بن يوسف الزجاج مع ولده العوام بأمارة جزائر البحرين، وكذلك فعل يحيى بن عباش في القطيف..

استيلاء أبو البهلول على جزيرة البحرين من القطيف:

أبو بهلول هو العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج، وكان ضامنا خراج جزيرة (أوال) البحرين من القرامطة، وكان ذلك في دور

ضعف أمر القرامطة كما سبق ذكره، واشتغالهم بمحاربة العيونيين في الأحساء، حيث ثاروا عليهم، وابن عباس في القطيف والخليفة في العراق، فاغتنم أبو بهلول هذه الفرصة، وطرد عمال القرامطة من جزيرة البحرين، وخطب له فيها بالأمر، فجهز إليه القرامطة جيشا من عبد القيس، وأطمعوهم في استرجاع جزيرة البحرين على أن يولوهم حكمها وأركبوهم البحر، فأتوا جميعا إلى الموضع المعروف بكسكوس (جسجوس)، وكان الرئيس على جميع الجيش رجل يقال له بشر بن مفلح أحد العيونيين، فسار إليهم أبو بهلول بجيشه، فكانت الدائرة لأبي البهلول على جيش القرامطة المختلط، وغلبت قواته قواتهم، فانهزموا راجعين عن جزيرة البحرين، فاستقل أبو البهلول بها، وعظم أمره، وخطب له فيها بالإمارة إلى أن غلبه عليها يحيى بن العياش.

أخبار يحيى العياش في البحرين والقطيف:

كان يحيى بن العياش قد اغتنم فرصة انشغال القرامطة في محاربتهم الأخيرة مع العيونيين، وأبي البهلول وابن ارتق قائد جيوش العراق، وهم إذ ذاك في حال ضعف شامل فثار بدوره على القرامطة وحاربهم فغلبهم على القطيف، فلما تم له النصر واستتب له الأمر، وعظم شأنه فكر في الاستيلاء على البحرين بانتزاعها من أبي البهلول، فقصدها بجيش عظيم، وبعد قتال شديد انتصر على أبي البهلول، واستولى على البحرين، وصار حكمه عليها وعلى القطيف إلى أن مات وهما تحت ملكه، وبعد موته خلفه على القطيف ابنه زكريا بن يحيى بن العياش، وعلى جزيرة البحرين أخوه الحسن، وكان لزكريا المذكور وزير من أهل جزيرة البحرين يسمى العكروت صاحب رأي وسياسة وحيل ودهاء وشجاعة وشدة بأس وحزم فأغرى سيده زكريا بمحاربة العيونيين

وأطمعه في الاستيلاء على ملكهم في الأحساء، فوافقه على ذلك فكان كالباحث عن حتفه، وانقراض دولته.

العيونيون في البحرين والقطيف:

لما عزم ابن عياش على غزو الأحساء كما تقدم جهز سريته إليها، ولما بلغ قرية من سوادها تسمى ناضرة حل هناك، فأغارت خيله فوصل الخبر إلى عبدالله بن علي العيوني أمير الأحساء، فركب وخرج معه من أولاده أهل بيته وبنو عمه وجنوده وأهل بلاده، فالتقوا هناك، فانهزمت سريه زكريا فتبعهم عبدالله العيوني حتى وصل القطيف، وهو يستأصل الخيل شيئاً فشيئاً، فظن زكريا أن القطيف لا تريده، ففر إلى البحرين فتبعه الفضل بن الأمير عبدالله، فقاتله بمن معه وقُتل وزيره العكروت والذي قتله الفضل بن عبدالله، فلما قتل العكروت فت في عضد زكريا بن العياش، فانهزم حينئذ، وركب البحر إلى العقير، واجتمع بقوم من البادية، فأقام معهم أياما حتى حشد حشدا كبيرا، وجند جنودا من العرب، وأغار على القطيف، فلقيه الأمير عبدالله بن علي العيوني، فحمل على جموعه، فهزمها وقتل زكريا بن يحيى عياش، فانقرضت دولة بني العياش.

واستولى العيونيون على جزيرة البحرين بعد أن تمّ لهم النصر على زكريا بن يحيى بن عياش وهزموه وجيشه مرارا عديدة في القطيف وجزيرة البحرين، وقتلوا وزيره العكروت وقتلوه هو، فاستتب لهم أمر الحكم على الأحساء والقطيف والبحرين كما تقدمت الإشارة إليه، وكان سبب نشوء الدولة العيونية أنها كانت مضطهدة أيام القرامطة حيث كانت عاصمة ملكهم التي أسسوها مدينة المؤمنين في الأحساء، فلما ضعف أمر القرامطة، وشرعت العرب تحاربهم من كل جانب،

واستظهر عليهم الأصفر كما تقدم، وهو ممن يرى رأي القرامطة على ما يظن، واتسع ملكه وقويت شوكته، وذلك سنة ٤٣٨هـ، وبعده ورث بنوه مُلك البحرين مدة إلى أن ضعف أمرهم وتلاشوا بما قام به أبو بهلول وابن عياش، فقام حينئذ عبدالله بن علي آل إبراهيم العيوني يحارب القرامطة في الأحساء نحو سبع سنين حتى انتزع الدولة منهم، وسيطر على الأحساء وما والاها، ودفع عنها كالطالع فيها، وكان جيش الأمير عبدالله بن العيوني لم يتجاوز الأربعمائة رجل، وساعده الله على القرامطة، ومن وآزرهم ومن خلفهم على ملكهم من بني الأصفر، فاستلم ملكهم بعد أن قتل منهم خلقا كثيرا، ودفع من وآزرهم من أهل اليمن وعمان، وكان من جملة من أوقع به منهم بنو عامر بن ربيعة، وغنم أموالهم وسبى حريمهم وذراريهم، ولم ينجُ منهم سوى رئيسين من رؤسائهم، وهما أحمد بن مسعر وأبو فراس، فإنهما هربا على فرسين سابقين حتى بلغا البصرة، وفي ذلك يقول ابن مقرب:

سل القرامط من شظى جماجمهم ... فلقاً وغادرهم بعد العلا خدما
من بعد أن جل بالبحرين شأنهم ... وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
حتى حمينا على الإسلام وانتدبت ... منا فوارس تجلو الكرب والظلما
وطالبتنا بنو الأعمام عادتنا ... يوماً يشيب من هام العدى اللمما
إذا دعوا آل إبراهيم ظل لهم ... عن سورة الملك لا زهدا ولا كرما
فسلم الأمر أهل الأمر وانتزحوا ... صدورها فترى الموتور مبتسما

فحين تم له النصر واستتب له الأمر على الأحساء والقطيف والبحرين، ولم يبق له منازع في هذه الجهات، وكان من الرجال المعروفين بالدهاء والحزم، وكان يقيم سنة بالقطيف وسنة بالبحرين، ولّى ابنه الفضل على البحرين، وأقام هو بالقطيف، وكانت مدة ولايته أربع

عشرة سنة، ولما مات خلف أحد عشر ولدا أكبرهم ابنه الحسن، فتولى الأمر بعد أبيه وأقام بالقطيف، وولى على الأحساء أخاه الفضل وعلى البحرين أخاه أبا مقدم شكر، فكان أول من تأمر على جزيرة البحرين من العيونيين الأمير الفضل بن عبدالله بن علي العيوني وهو الذي عناه ابن مقرب بقوله:

منا الذي قام سلطان العراق له   جلالة والمدى والبعد بينهما

بقي الأمير الفضل بن عبدالله بن علي آل إبراهيم العيوني، وكان من حديثه أنَ قوماً من التجار عبروا البحر قاصدين البحرين، فانكسرت بهم السفينة، وكانوا قريبين من البر فسلموا، وغرقت السفينة بما فيها من الأموال، وكان مع بعضهم من المال مائة ألف دينار، أو أكثر فبعث الأمير الفضل من يغوص لاستخراج الأموال، فاستخرجوا أكثرها، فجمعها الأمير، وأرسل إلى التجار، فسأل كلاً عن ماله إلى العراق، فأخرج للبيع في سوق الجواهر مما كان مستخرجا من البحر في ناحية البحرين، فعلم السلطان بالجواهر، فبعث إلى تاجر ثمنا ابخس مما يساوى الجواهر، فضحك التاجر ولم يغضب في وجهه، وقال للملك: خذ ما تحب من هذا المال بغير قيمة، فإن هذا كله وغيره هبة لي من رجل عربي، فقال الملك: ويلك ومن هذا العربي؟ قال: هو الأمير الفضل بن عبدالله العيوني ملك البحرين، وهب لي، هذا إنما كل الأمر كذا وكذا، وقص عليه قصته، فأمر الملك في الحال بجام من شراب، فأُتي به، فشربه قائما على ذكرى الأمير الفضل، وقال: إن شربي هذا قائما إنما هو إقرار للفضل بن عبدالله العيوني بالفضل على الكل بلا نزاع، واتباع من المتاجر كما يقول من غير نقص.وهو الذي اتخذ له حمى لا يرخى كما فعل كليب من تاج والي قطر، وفيه يقول ابن مقرب:

(منا الذي حاز من تـاج إلى قطـر) وخبر الرمل من مال العـدو حمى

ومن قصيدة أخرى له فيه أيضا في هذا المعنى:

همام حمى البحرين سبعاً ومثـلها سنين وسـارت في الفيـافي مواكبـه
ولم يرع من ثاج إلى الرمل مصـرم على عهده الا استبيحت حلائبـه
زمـان يقـول العـامري لمـن غـدا يحدثـه عنـه وذو الحمـق غالبـه
متى يلتقـى مـن نـار بـرد محـله واخـرى سـودى بعيـد مذاهبـه
فلم يستتم القـول حتـى إذا بـه يسايره والدهر جهل جم عجائبـه
فقـال لـه الآن التقينـا فـارعدت فرائصـه والجهـل مـر عواقبـه

ومعنـى الأبيـات أن الفضـل بـن عبداللّـه العيونـي كـان قـد حمى مـن السـودة إلى الرمـل مـن ان ترعـى، فكـل مـن نـزل بهـا مـن البادية أخذ ماله ونهـب محلتـه، وكـان لا يسـتقر ببلـد، بـل هـو مـرة في الأحساء ومـرة في القطيـف، وأخـرى بـأوال في الفـلاة، وكـان اكـثر مقامـه بـالفلاة؛ ليقطـع غوائـل البـوادي عـن البحريـن.ثـم إنـه اتفـق ذات يوم، وقد انفـرد عـن خيلـه بـأرض السـودة يطلـب مـن يرعاهـا مـن العـرب ليـأخذه، وإذا برجـل عنـده قطعـة يرعـاه في موضـع يسـمى نـار بـرد مـن جزيـرة أوال (البحريـن)، وإذا برجـل أخـر بازائـه يقـول لـه ويحـك أمـا تخـاف مـن الأمـير الفضـل بـن عبداللّـه على مالك ونفسك وأنت تعلـم أن هـذا المكـان مـن حمـاه.

رافعا به صوته والكلام كله يسمعه الأمير الفضل، فقال: السـاعة يا أخا العرب، فالتفت فرآه فصعـق، وكـاد أن يُقضـى عليـه مـن شـدة الخوف فطمأنه، وقـال لـه: إيـاك أن تعـود لمثلهـا، وكـان الفضـل ملـك البحرين أربع عشرة سنة، منهن سبع سنوات بالقطيف، ثم إنـه انتقـل إلى أوال واتخذها دار الملك، ثـم لمـا آل الأمـر إلى الحسـن بـن عبداللّـه

العيوني السالف الذكر ولّى على الأحساء وأطرافها الفضل، وعلى البحرين أبا مقدم شكر، وفي أيامه غزا البحرين حاكم جزيرة قيس كلزار فارسيه[١].

أسر حكمت القطيف:

بنو ثعلب في القطيف:

بعد أن دب الضعف في الدولة القرمطية في المنطقة على أثر الانقسامات التي حدثت بين قيادات الزعامة القرمطية، وحروبهم التي خاضوها مع الحكومة البويهية[٢]، تمكنت أسرة بني ثعلب بالتعاون مع رؤساء عُمان القضاء على القرامطة في المنطقة، والاستيلاء على منافذ القوى التجارية والسياسية في المنطقة، فتمكنت أسرة الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي زعيم بني ثعلب في الأحساء من الاستيلاء عليها بالكامل، في حين تمكن زعماء بني مكرم من الاستيلاء على منطقة عُمان بكاملها.

مما أدى بالجماهير في منطقة الأحساء إلى رفض سلطة بني ثعلب عليهم حتى حدثت بينهما مناوشات كبيرة تحدث عنها الكتاب وسجلها التاريخ[٣] مما جعل أسرة آل ثعلب تتحالف مع قبيلة بني عقيل على أهالي الأحساء، وبعد أن تمكنت هذه الأسرة

(١) تاريخ أوال، ص ٩١.

(٢) أسرة من الديلم يعود نسبهم إلى ملوك الفرس من بني ساسان، وسموا بالديلم لأنهم يسكنون فيها، وقد استولوا على مقدرات الدولة العباسية في بغداد سنة ٣٣٤هـ.

(٣) تاريخ خلدون، ج ٤، ص ٩٠ـ ٩٩.

من فرض هيمنتها على الناس دخلت في حروب مع بني عقيل، وتمكنت أسرة آل ثعلب من بني عقيل ونفتهم خارج المنطقة إلى العراق، وتمكنت أسرة آل ثعلب من الأحساء وبقي حكامها فيها يتوارثون الحكم.

بنو عقيل في القطيف:

أما حكم بني عقيل للمنطقة فقد كان ذلك في القرن الخامس الهجري ٤٤٧هـ، بعد أن استولى السلاجقة[1] على بغداد، وتمكنوا من السيطرة على مقدرات الحكومة العباسية ومحاربة كل من يحاول من فرض هيمنته على السلطة، فتمكنوا من طرد بني عقيل الذي فرضوا هيمنتهم على بغداد، فتوجهوا بعدها إلى الجزيرة العربية من نوحي الشرق نحو الخليج العربي تمكنت من غزو منطقة (البحرين بما التي تشكل في ذلك الوقت، الأحساء، والقطيف) فتمكنوا من الاستيلاء على مقدراتها وتصادمت مع بقايا حكام أسرة الثعلبي مما جعلهم ينتصرون عليهم ويتمكنوا من فرض هيمنتهم على المنطقة بالكامل فضلوا يتوارثون الحكم حتى جاءت أسرة العيونيين وقوضت حكومتهم من المنطقة.

---

(١) ينتسبون إلى سلجوق بن دقاق، وكان من أمراء الترك، توفي وترك أولادا منهم ميكائيل بن سلجوق الذي ترك من بعده أولادا منهم طغرل بك محمد الذي دخل بغداد سنة ٤٤٧هـ، تمكن في فترة حكمه من القضاء على الدولة البويهية، وبدأ بعدها بتأسيس الدولة السلجوقية التي حكمت آسيا الوسطى، وكونوا أسراً في العراق وإيران، ذكر ذلك صدر الدين الحسيني في كتابه زبدة التواريخ. فراجع.

العيونيون في القطيف:

أما إمارة الدولة العيونية[1] فيرتبط وجودها في القطيف بانهزام حركة القرامطة منها، وكان ذلك عام ٤٦٦هـ بعد أن تمكنت قوى عبدالله العيوني من دحرهم خارج الشريط الحدودي للمنطقة، فأخذت إمارة العيونيين في بسط نفوذها على قطاع المنطقة الشرقية بما في ذلك الأحساء والبحرين والقطيف، وتذكر بعض الكتب الأدبية الثقافية التاريخية أن عبدالله العيوني تمكن من طرد قبيلة العياشي من منطقة الأحساء والقطيف وذلك بسبب مساندة بعض أمراء الحكومة العباسية، وقيل من الحكومة السلجوقية، فانهزمت دولة العياشي، وطردت خارج المنطقة إلى البحرين، وقيل إلى العراق، وكان ذلك عام ٤٧٠هـ، وقد أشار ابن المقرب العيوني في أبياته إلى هذه الحقيقة:

ولم ينج ابن عياش بمهجته ... يم إذا ما يراه الناظر ارتسما

فانصاع نحو أوال يبتغي عصما ... إذ لم يجد في نواحي الخط معتصما

فأقحم البحر منا خلفه ملك ... ما زال مذ كان للأهوال مقتحما

فحاز ملك أوال بعدما ترك العكـ ... ـروت بالسيف للبوغاء ملتزما

وصار ملك ابن عياش وملك أبي ... البهلول مع ملكنا عقدا لنا نظما

و هذه الأبيات من قصيدة العيوني تؤكد على أن العياشي ومن يلوذ به فروا إلى البحرين بعد أن تمكنت منهم جحافل الدولة العيونية، فقد وصل الحال بزكريا العياشي ـ بعد أن حوصر في القطيف، ولم

---

(١) ينتمي العيونيون إلى قبيلة ربيعة بن معد، التي يذكر بعض الكتاب بداية وجودها في القرن الرابع عشر الميلادي، عرف سجلهم التاريخي بأحداث شهيرة كحادثة السلان والخزاري. وكما ينقل أنهم ينتمون أيضا إلى عبدالقيس بن ربيعة، الذي كان يستوطن منطقة الخط وأوال والأحساء، ولمن راجع ديوان ابن المقرب العيوني يرى مزيد بيان.

يتمكن من استرجاعها بعد حرب دامت الشهور- إلى قتل نفسه! وانتشرت بعد ذلك إمارة العيونيين في كل مناطق الساحل الغربي للخليج العربي، بالخصوص الأحساء والقطيف.

أمراء العيونيين في القطيف:

تذكر كتب التاريخ أسماء أهم أمراء إمارة الدولة العيونية في القطيف، وهم كالتالي:

١- عبدالله بن علي العيوني ٤٨٤هـ، ويعتبر مؤسس الدولة العيونية في القطيف، وقد تمكن من إرساء قواعدها في أنحاء الأحساء، والقطيف وجزءٍ من البحرين، بعد حرب بينه، وبين الدولة العياشية وغيرها.

٢- الفضل بن عبدالله العيوني ٥٢٠هـ، استلم زمام الأمارة العيونية في القطيف بعد وفاة أبيه عبدالله، فظل يدير شؤون الدولة العيونية في القطيف على أكمل وجه حتى احتدمت الصراعات القبلية بينه وبين بعض القبائل العربية، ويقال إنه تمكن من فرض سيطرته على أوال وطرد البدو خارجها، مما أثار غضبهم عليه حتى أوعزوا إلى خادمة بقتله فقتلته في داخل قصره في مدينة تاروت عام ٤٨٤هـ.

٣- أبو سنان محمد بن الفضل ٥٢٠هـ، واستلم إمارة المنطقة بعد أبيه، وكان مدافعا عن القطيف ضد حملات الاستيلاء والنهب والقتل من قبل قبيلة غفلة بن شبانة، التي كان لها أطماع كثيرة بالقطيف وأرادت الاستيلاء عليه، توفي الفضل في القطيف في معركة طاحنة بينه وبين غفلة، مما جعل غفلة يتمكن من الفرار إلى الأحساء والاستيلاء على بعض أجزائها.

وبعد وفاته أستلم إمارة المنطقة غرير بن الفضل، وكان ذلك عام

٥٣٨هـ إلى عام ٥٣٩هـ.

وبعد استلام غرير الحكم في القطيف والأحساء حدثت الانقسامات العميقة في دولة العيونيين، مما أدى إلى حدوث الانقسامات العميقة في إمارة العيونيين، فكانت إمارة آل الحسن وآل الفضل في القطيف، وآل أبي المنصور في الأحساء، وبطبيعة الحال أن هذه الانقسامات كانت سببا رئيسيا لتدهور أوضاع الأمارة العيونية في المنطقة، مما أدى إلى تسلط بعض القبائل الأخرى مثل العصفوريين والجروانيين على القطيف، وقد أوضح الشاعر المخضرم المعروف ابن المقرب العيوني هذه الأوضاع في بعض مقاطع من قصيدة قال فيها:

أرجال عبدالقيس كم أدعوكم ... في كل حين للعلا وأوان
لا تسقطن من هامكم وأنوفكم ... همم الرجال وغيرة الفتيان
وذروا التحاسد والتنافس بينكم ... فكلاهما نزغ من الشيطان
لم يبق مال تتقون به العدى ... لربيعة فيها ولا قحطان
أخذوا من الأحساء الكثيب إلى محا ... ديث العيون إلى نقا حلوان
والله لو نهر جرى بدمائكم ... وشربته غيظا لما أرواني

ويقال إنه طرد من القطيف قبيل نشره هذه القصيدة وغيرها التي يقول في مطلعها:

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه ... فواعجبا إن سالمتك الأباعد
وإن وطن ساءتك أخلاق أهله ... فدعه فما يغضي على الضيم ماجد
فما هجر أم غذتك لبانها ... ولا الخط إذ فارقتها لك والد[1]

---

(١) وإن كان هذه الفصل بحاجة إلى دراسة شاملة وموسعة نرجئها إلى كتاب مستقل في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى.

بنو خالد في القطيف:

تنتسب هذه القبيلة إلى الأمير سيف اللّه خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبداللّه بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، وبه يجتمع مع رسول اللّه ﷺ، وأخوته وبنو عمومته من بني مخزوم أشهر بطون قريش.

فمن خالد بن الوليد رضي اللّه عنه، وإخوته وبعض بني عمومته من بني مخزوم، تكونت قبيلة بني خالد التي نعرفها اليوم، والتي ينتشر الكثير من أبنائها في الخليج ونجد، والشام والعراق وبلاد أخرى حاضرة وبادية، وهم ألوف مؤلفة، وصفوف مصنفة، وأفراد بادية وحاضرة.

وبنو خالد من أقدم القبائل العربية المعروفة، التي استوطنت المنطقة، وشاركت في أدوارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وإذا وقفنا عند الوثائق التاريخية التي سجلت أسماء القبائل التي استوطنت المنطقة قبل مجيء الاستعمار الغربي إليها نراها تُعرف قبيلة بني خالد بتعاريف مختلفة مما يجعل الباحث يتوقف في نسبها والتحقيق في أصلها فمثلا: تذكر الوثائق العثمانية أن بني خالد يعودون في أصلهم إلى قبيلة لام، التي اتخذت من الحجاز سكناً لها، وليس لها علاقة بالأحساء أصلاً، وأن وصولهم إلى الأحساء جاء بعد انهزامهم في الصراع الذي دار بينهم وبين أشراف مكة.

بينما نجد في بعض الوثائق العثمانية تعريفاً أخر لبني خالد فيرجعوهم إلى قبيلة آل حميد، لأنهم وصولوا إلى المنطقة في القرن العاشر الهجري أو السادس عشر الهجري وتزعمت هذه القبيلة المنطقة في تلك الفترة الزمنية، وكانت لها سيادة الموقف..

أما الوثائق البرتغالية، فعرفت المنطقة بمنطقة بني خالد، وكانت حملاتهم البحرية على المنطقة تؤرخ في بعض الوثائق بالحملات البحرية على ميناء بني خالد، ومما تجدر الإشارة إليه أنهم كانوا أول من رفض استعمار البرتغاليين للمنطقة، ودارت بينهما صراعات كبيرة ذكرتها الوثائق في حينها[١].

بينما وقف بعض الباحثين على بعض الدلائل التي تؤكد -دون شك- أن هذه القبيلة تفرعت إلى فروع كثيرة ولقب كل منها بلقب خاص، إلا أنهم في الأصل يعودون إلى الجد الأكبر (خالد)، وقد اعتمد هذا الباحث على مذكرات مخطوطة للعلامة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي الذي يعود نسبه إلى طبقة المهاشير، وهي فرع من قبيلة بني خالد، والمعروف أن المهاشير أحد الفروع الكبيرة من بني خالد في الأحساء..[٢].

وكيف كان فهذه القبيلة -دون أدنى شك- وإن تفرعت إلى طوائف وقبائل متفرعة، وإن اختلفت الألقاب، وتعددت المواقف والآراء، إلا أنها في الأصل تعود إلى قبيلة بني خالد، تلك القبيلة التي ذكرها التاريخ، وأشاد بمواقفها من المنطقة، فقد برز منها رجال وسجلوا في التاريخ الإسلامي اعظم البطولات والتضحيات، كان أولهم خالد بن الوليد الذي إليه تنتسب القبيلة، وهو بطل حروب الردة، وقاتل مسيلمة، وقد أنجب خالد بن الوليد أبناء كثيرين، قال ابن قتيبة: قتل الطاعون من أبناء خالد الذين يقيمون في الشام أربعين رجلاً، وكان من أشهر أبناء خالد الذين ذكرهم التاريخ: سليمان، وكان به يكنى،

(١) للمزيد راجع كتاب (بنو خالد وعلاقتهم بنجد)، الوهبي، ص ٧٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٧١.

والوليد وعبد الرحمن وعبدالله والمهاجر ومحمد، ولكل منهم ذرية. ومن ذرية أبناء خالد بن الوليد تكونت غالبية قبيلة بني خالد المعروفة اليوم، والمنتشرة في أقاليم متعددة.

العمائر:

وقد عرف بنو خالد بن الوليد القطيف منذ قرون، فقد كان أحد أحفاد خالد بن الوليد خلال القرن الثاني للهجرة والياً على القطيف وهجر، وإلى المهاجر بن خالد بن الوليد ينتسب العمائر، أحد فخوذ بني خالد الرئيسية في منطقة القطيف، فقد وفدوا على المنطقة في عام ٤٦٧ هـ، ضمن الدعم الذي أُرسل للعيونيين ـضد القرامطةـ من الحجاز، وما أن وصلوا حتى انتشروا في المنطقة، ورعوا في باديتها، وتسلموا من العيونيين أمر خفارتها. وما أن قوي شأنهم حتى أخذوا بمخالفة أوامر الدولة العيونية، وتطاولوا على سلطتها، الأمر الذي دفع أحد حكام العيونيين إلى محاربتهم. فقـ قاتل الأمير عبدالله العيوني سنة ٥٠٠هـ تقريباً العمائر وانتصر عليهم وأجلاهم عن مواقعهم، فانهزموا لا يولون على شيء، وقتل أكثرهم، ولم ينجُ منهم إلا شيخهم أحمد بن مسعر، وأبو فراس بن الشباش في جماعة قليلة حيث فروا إلى العراق. أما نساؤهم وذراريهم والمستضعفون منهم، فقد نفاهم بأجمعهم إلى عمان.

ومع ذلك لم ينس الخوالد منطقة القطيف، فعاد شيوخهم، ومن هرب معهم من قومهم للعراق بعد فترة، عادوا إلى القطيف، وتقربوا من العيونيين فيها، وصالحوهم وصاهروهم حتى قويت شوكتهم من جديد، وأصبحوا من ذوي النفوذ في المنطقة، وتحضروا ونزلوا القطيف سنة ٥٤٣هـ، وأقاموا في عنك، وأعادوا بناء قلعتهم، وأقام شيخهم عقيلة بن شبانة بن عامر بها.

وبدأ الخوالد يطمعون في سلطة القطيف، فأشعلوا التفرقة بين أمراء العيونيين، وتم لهم ذلك، فانفصلت القطيف عن هجر، وتهيأت الفرصة للعمائر، واستنجد أحد شيوخهم، فجاءه المدد سنة ٥٨٦هـ، وانهارت سلطة العيونيين في القطيف أمام قوة العمائر، التي استطاعت في عهد أميرها راشد بن عميرة من انتزاع جميع ما للعيونيين من أملاك مالية، وأراضٍ ومزارع في القطيف، وتوزيعها على جماعته حاضرة وبادية.

هجرات الخوالد إلى القطيف:

أما عن بداية الهجرات والاستيطان في منطقة القطيف، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الخوالد استوطنوا في المنطقة على فترات متتالية من الزمان والمكان، فنزح إليها قسم جاء من البحرين، وقسم آخر جاء من اليمامة والحجاز، وقسم كانت بعض فصائله جاءت من الأحساء بعد الاستقلال بالحكم فيها، وكما أن لهم فصائل كثيرة تسكن اليمامة والحجاز والطائف والبحرين وقطر والكويت إلى هذا اليوم، وهم ينتسبون إلى فخوذ مختلفة. يقول بعض كتّابهم:

يشترك العصفوريون مع العمائر في نسبهم، حيث تُنسب إليهم الدولة العصفورية، وكذلك الجروانة، وآل مغامس. ومن أشهر فخوذهم اليوم في منطقة القطيف الخالد: الذي ينتهي بنسبهم إلى خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، وفخذ الحسن الذي يتصل نسبهم بحسن بن علي بن المهاجر بن خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد.

ويشترك مع الحسن في ابن المهاجر بن خالد بن المهاجر: آل شبيب شيوخ المنتفق، كما يتصل بنسب العمائر الموجودين في القطيف حالياً، عمائر عمان، كما أن غالبية فخوذ العمائر الحالية ما هي إلا فروع من

الخالد والحسن الذين يجتمع نسبهم بالمهاجر بن خالد بن الوليد.

والعمائر من أوائل فخوذ بني خالد التي استقرت بمنطقة القطيف، ولم ينحصر وجود قبيلة بني خالد في المنطقة على فخذ العمائر، بل وصل إلى المنطقة مع نهاية القرن السابع للهجرة فخوذ أخرى، يتصل نسبها بخالد بن الوليد، من بينها: الجبور والمهاشير الذين وفدوا على المنطقة من نجد بعدما جاءوا إليها من الحجاز، وكذلك: الصبيح الذين ينتهي نسبهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقد أتى هؤلاء لمنطقة القطيف من نجد والأحساء والشام واجتمعوا بها بعدما كانوا منقسمين بين الحجاز والشام.

وقد برز من بني خالد بيت جبر بن نبهان الخالدي، وأخذ يمد نفوذه على شواطئ البحرين حتى تمكن من فرض سيطرته على شرق الجزيرة العربية، وغالبية نجد، وأنهى حكم بني جروان من بني مالك من العمائر.

وإلى جبر المذكور يعود الجبور من بني خالد، ولازال هذا البيت في علوٍ حتى عهد زامل بن زايد بن حسين بن سيف بن جبر بن هلال بن جبرٍ بن نبهان الخالدي، وقد هيمن الجبور على منطقة القطيف، وجعلوا من قلعة مدينتها مقراً للحاكم من قبلهم، وقد ضعف شأن بني جبر في مركز نفوذهم في البحرين نتيجة مجيء المستعمرين البرتغاليين، حيث بدأوا في اشتباك معهم أدى بالنتيجة إلى اهتزاز سلطان الجبور في المنطقة، وقتل أقوى سلاطين بني جبر، وهو الشيخ زامل الذي يعتبر من أمراء بني جبر ذوي الشأن.

وقد حاول أحفاد آل جبر الظهور ثانية، فلم يفلحوا لوجود العثمانيين الذين أتوا لمطاردة البرتغاليين وتخليص بلاد المسلمين منهم. وأيضاً بسبب تواطؤ العمائر مع الأتراك ضدهم، لما لهم من مجد سابق

فقدوه أمام قوة الجبور.

وأعاد العمائر شيئاً من مجدهم، وذلك في منتصف سنة ٩٣٢ هـ عندما قامت الحرب بين غصيب بن زامل آخر حكام الجبور، وراشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل أحد شيوخ العمائر، وانتصر الأخير، و استولى على البلاد، وقضى على حكم الجبور، واتسع ملكه حتى شمل البصرة، فصار يُدعى سلطان البصرة والحساء و القطيف.

تجدر الإشارة إلى أنه يعود إلى جذور راشد نسب آل شاهين، وآل مجدل. وتعود لبني جبر بن نبهان الخالدي أُسرٌ كثيرةٌ من بني خالد من أشهرها اليوم: القرشة سكان سكاكا منطقة الجوف، ويرتبط نسبهم بقريش بن أجود بن زامل بن جبر بن حسين بن ناصر بن جبر بن نبهان الخالدي، ومن الجبور غيرهم أُسرٌ كثيرة ينتشرون في أقاليم مختلفة من الجزيرة العربية والشام لا يسع المجال لذكرها هنا.

المهاشير:

ولم يدم حكم آل مغامس (العمائر) في منطقة القطيف، فقد قضى عليه المهاشير، أحد الفخوذ الرئيسية في بني خالد.

والمهاشير من فخوذ بني خالد، كانوا يقيمون في تهامة الحجاز، ويسكنون جبل (مهشور)، وقد تحولوا من الحجاز قبل نهاية القرن السابع إلى نجد، ومع نهاية القرن الثامن اصبحوا من اكثر فخوذ بني خالد عدداً، و انتشروا بالعرمة وما جاورها شرقاً حتى أطراف الأحساء والقطيف.

وبسبب المهاشير وفخوذ أخرى من نفس الأرومة قوي نفوذ بني خالد في منطقة نجد مع نهاية القرن الثامن وبداية التاسع، وخافتهم القبائل الأخرى وأصبحوا سادة نجد بلا منازع، وقد ترجم صاحب

الصحاح لأمير من ذرية خالد بن الوليد، وقال عنه: إنه صاحب لجد في القرن التاسع، وذكر ترجمته، وقال: إن صاحب نجد هو الأمير عبد الرحمن بن خالد (المسمى السحاب لجوده) بن سليمان أبي المعالي بن محمد ابن الرئيس بن جعفر المعروف بالحاج أبي علي الرئيس المنيعي ابن سعيد بن حسان بن محمد بن احمد بن عبدالله بن محمد بن منيع ابن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

وقد تحول المهاشير في القرن التاسع إلى بادية الأحساء و القطيف وانتشروا فيها، إلا أن بعضاً من أُسرهم تحضرت و أقامت في الأحساء و القطيف، و انضم المهاشير لإخوانهم الجبور إبان قوتهم، وناصروهم على كل من يعتدي عليهم، واسند إليهم الجبور بعض القيادات نيابة عنهم، لذا نجد أن أحد المراجع ذكرت أن من قواد الجبور حبان المهشوري، كما أوردت إحدى الوثائق أن حميد جد آل عريعر كان من رجال دولة الجبور، وقد انطلق يقود أسطولا بحرياً من القطيف لمناصرة الجبور في عهد زامل ضد البرتغاليين عندما جاؤوا إلى البحرين.

ومن أوائل فروع المهاشير التي أقامت في القطيف (آل مسلم)، فقد تمركزوا في القطيف خلال القرن التاسع وامتهنوا الغوص واستقر بعض منهم في مدينة القطيف وعنك والجعيمة وفي جزيرتي جنة والمسلمية، واتخذت المسلمية اسمها منهم، وقد بقي آل مسلم في المنطقة إلى أن طردهم العمائر منها بمساندة الأتراك، فرحلوا إلى قطر رغم وحدة القبيلة التي تجمع العمائر والمهاشير الذين منهم آل مسلم، ومع هذا لم ينسَ المهاشير ما عمله العمائر بآل مسلم أحد فروعهم الرئيسية، فعندما قوي شأنهم مع نهاية النصف الأول من القرن العاشر، داهموا العمائر وتمكنوا من القضاء على دولة آل مغامس، ودخلوا مدينة القطيف

وتمكنوا من القضاء على دولة آل مغامس، ودخلوا مدينة القطيف واكتسحوا جزيرة تاروت، وفرضوا على العمائر دفع قيمة مالية لجزيرتي جنة والمسلمية مقابل بقائهم فيها.

آل حميد:

إلا أن قوة المهاشير أصبحت بين المد والجزر أمام الفروع الخالدية الأخرى وقوة الأتراك إلى أن تمكن آل حميد، أحد فروع المهاشير الرئيسية من طرد الحامية التركية من الأحساء والاستيلاء عليها، وذلك في عام (١٠٨٠هـ)، وتولى السلطة ليعود الحكم إلى بني خالد بزعامة آل حميد (الذين منهم آل عريعر)، فشمل حكمهم منطقة الخليج وتوغل إلى غالبية نجد وامتد لقرن ونصف القرن من الزمن. وفي عهد آل عريعر ملك كثير من أفراد بني خالد من فخوذ مختلفة نخيلا ومزارع في واحة القطيف.

ومن المهاشير بطون، من أشهرها وأكبرها آل حميد (الذين منهم آل عريعر)، وآل مسلم حكام قطر سابقا، ويقيم اليوم منهم في محافظة القطيف بمدينة عنك أسر أشهرها، آل كليب، وآل عبيكة، وآل ثنيان، وآل علي، وآل عقيل، وآل فوزان، وغيرها.

كما عرف فخذ آل صبيح من بني خالد منطقة القطيف وأقاموا بها وملكوا أيضا.

وقال صاحب اللمع: الصبيح يبلغ عددهم ستة آلاف وأكثر، ترددت هذه الطائفة، وغالب مقرها من يفير إلى الجهرة إلى الصبية إلى السنام الذي هو أول أرض المنتفق، ولأجل قوة هذه الطائفة جعلها شيوخ بني خالد في وجه العدو، وهم المنتفق والروم؛ لأن بني خالد لما ولوا هذا الملك صرحت الروم بعداوتهم، إذ كن -قبل ذلك- ملك الأحساء والقطيف العداء للروم.

وقد وصفهم البسام فقال: الصبيح الأماجد العاضّون على المكارم بالنواجذ، ذوو الحمية الذابة والشيم الشابة، أولو العزم والنجدة، والحزم والجد، يجيبون السؤال والداعي حي على القتال، نيرانهم تشهد لهم بالكرم، وجيرانهم في أمنع حرم، جريئو الجنان حييو اللسان، المحامد ألطف بهم، والهيجاء أعرف بهم.

والصبيح جاؤوا إلى منطقة القطيف من الحجاز والشام، وقد وصلت فروعهم الحجازية إلى القطيف قبل الشامية، ففي عام ٦٤٢ هـ خرجت فروع الصبيح الحجازية بقيادة سليمان بن موسى بن عبداللّه المخزومي، ومعها فروع أخرى من بني خالد منها: الجناح والدعوم اللذان يعود لجذورهما غالبية أسر القصيم المنتمية لبني خالد اليوم كالسيايرة والخوطير وغيرهم من بيشة، وحطت رحالها في (أوضاخ)، وكانت أوضاخ آنذاك ملتقى القوافل والحجيج العراقيين القادمين من الأحساء والقطيف.

وكان من الفروع الصبيحية التي وصلت إلى أوضاخ: الظهيرات والهدهود والمخاصم والضبيبات من مياس.

ومع نهاية القرن السابع وبداية الثامن تحول الخوالد إلى بادية الأحساء، وانضموا إلى إخوانهم الجبور في صراع بني جروان الذين يشتركون معهم بنسب القبيلة، ويلتقون جميعهم بخالد بن الوليد، إلا أن مذاهبهم مختلفة، لذا انضم الصبيح للجبور دون الجراونة، لاتفاقهم في المذهب، واستنجدوا بإخوانهم في الشام، فجاءتهم النجدة بقيادة الجراح بن مدلج بن علي بن محمد بن نعير بن حيار بن مهنا، ومعه من الصبيح فخذ (الزبن) بالإضافة إلى الفضول وبني كثير، وبني المغيرة والظفير، وقد تمكن الجبور بذلك المدد من النصر، وتم لهم ذلك عام

٨٣٦هـ، وأصبحوا ذوي مكانة في بادية الأحساء والقطيف، والحاز من الصبيح الضبيبات من مياس، وتحولوا إلى منطقة القطيف، ودخلت أُسر منهم مدينة القطيف، واتخذت بجوار قلعتها مقاماً لهم عرف فيما بعد بمحلة مياس في مدينة القطيف، نسبة إليهم أما بقية أفراد هذا الفخذ، فقد انتشروا شمال القطيف وأقام عدد منهم في الجعيمة ورأس تنورة، وامتهنوا الغوص، فيما فضل آخرون حياة الرعي، وانتشروا في مراعي منطقة القطيف التي تمتد باتجاه الشمال من القطيف لتشمل الكويت وتتوغل حتى مدينة البصرة في العراق.

أما بقية الصبيح فقد بقوا في منطقة الأحساء، وأطلقوا على إخوانهم الضبيبات الذين الحازوا منهم إلى القطيف اسم (كتب) الصبيح. ومع مرور السنين أصبح اسم الضبيبات يختفي أمام اسم (كتب) ليحل محله في نهاية القرن العاشر، ومن بني كتب هؤلاء الذين يعودون إلى آل صبيح من بني خالد، ويعرفون سابقاً بالضبيبات، وقد ذكر الحمداني أنهم من بني خالد، قبيلة بني كتب إحدى القبائل المهمة في منطقة الخليج اليوم، فهي من أكثر قبائل الإمارات العربية المتحدة عدداً، وفيها رجال بارزون، ومركزها الرئيسي في دولة الإمارات مدينة الذيد التابعة لأمارة الشارقة، كما ينتشر أفرادها أيضاً في عمان والأحساء وعنك وأم الساهك والجبيل بمنطقة القطيف، وكذلك في قطر والبحرين وبعض سواحل إيران..

موقف بني خالد من السيطرة على القطيف:

وبعد أن تمكنت الدرعية من تصفية حساباتها مع القبائل المنتمية لبنى خالد في أطراف الجزيرة العربية، توجهت حملاتها نحو منطقة القطيف، وكان الهدف منها إبادة كل معقل من معاقل الخوالد، وقد سار

سعود سنة ١٢٠٦هـ إلى القطيف، فحاصرها تماما حتى تمكن من الاستيلاء على منطقة سيهات، ومن ثم منطقة القديح، وما جاورها، ومن ثم منطقة عنك التي يكثر فيها سكان الخوالد، بل تعتبر مركزهم الرئيسي، ومن ثم سار إلى منطقة العوامية وحاصرها تماما.

وقد ذكر صاحب كتاب اللمع، ص ٧١: أن سعود لم يتمكن من هذه المنطقة -العوامية- إلا بعد أن فرض الحصار على من فيها -أي داخل المسورة في ذلك الوقت- وكان زعيمها في ذلك الوقت رجل اسمه علي بن أحمد صاحب بلاد الشرق، فحاصرها في قلعته هو وأبناء عمه ومائة من رجاله، واستمر علي بن أحمد في تحصين القلعة مدة من الزمن لكنه بعد أن شعر بإحكام الدرعية لسيطرتها على الأحساء، طلب الأمان، وأعلن استسلامه ثم قُتل... ولم يوضح لنا التاريخ نسبه على الإطلاق[1]، ومن ثم تمكن سعود من فرض سيطرته على ميناء القطيف،

---

(١) أقول: يحتمل أن يكون هذا الشخص علي بن أحمد بن علي بن أحمد الزاهر العوامي الزعيم المعروف، وأثبتت بعض المرويات التي يتحدث بها أهل المعرفة والعلم، أن سعود حاصر المذكور مع مجوعة كبيرة من الرجال في منطقة العوامية، وتسمى ببر العوامية حاليا من الجهة الغربية لها، وتزامن هذا الحدث مع هجوم سعود على منطقة القطيف وحربه مع أهلها وقبيلة الخوالد التي اتخذت من القطيف محلا لسكنها، والحدث أثبتناه في الفصل الخاص بـ(قرية الجارودية) وكيف كان فلم يتمكن سعود من إخضاعهم للاستسلام، إلا بعد أن وصل بهم الحال أن لعقوا التراب عدة أيام محاصرين داخل الكوخ، ويقال: لم يتمكن منهم إلا بواسطة حيلة دبرها لهم.

ولكن هذا الحدث أخذ شهرته في المنطقة، ولم يفرج عنهم من قبل سعود إلا بعد أن أُعطي عوضهم ذهبا قدر بـ(٣٠٠٠ زر من الذهب أي ما يعادل خمسمائة أحمر وهو من الذهب الخالص).

ولم يباشر بالهجوم على معاقل الخوالد؛ لأنه أراد بذلك تهدئة الأوضاع، وحتى يتمكن من تجميع أكبر عدد ممكن من الجيش، من ثم عاد إلى الدرعية، وما أسرع ما رجع إلى القطيف في حملته الثانية بقيادة إبراهيم ابن عفيصان.

وكان يترأس قبيلة الخوالد في القطيف في ذلك الوقت سليمان الخالدي، أما رعايا القطيف وملحقاتها بما فيها سيهات التي كان أميرها أحمد بن غانم القطيفي، فقد كانت سيهات هي الهدف الرئيسي الأول لحملات إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، حيث نزل بها، فبعث إليه عبداللّه بن سليمان بعض قواته الخالدية بقيادة ابنه علي، فوقعت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة ابن عفيصان وانسحب برجاله إلى الظهران حيث أخذ يشن غاراته على أطراف القطيف، ونتيجة لهذا قرر عبداللّه بن سليمان الخروج إليه بقواته الخالدية معتمداً على أحمد بن غانم القطيفي وأتباعه في حماية البلد وقلعتها، والتقى الطرفان في منطقة الجارودية بجوار القطيف، وبعد قتال دام اثني عشر يوماً دون نتيجة قرر عبداللّه الرجوع إلى القطيف، ولكن قوات الدرعية قطعت عليه الطريق مما اضطره إلى الابتعاد، ثم اتجه إلى قلعة جزيرة تاروت الحصينة، وعلى أثر ذلك يئس أحمد بن غانم من الصمود، لاسيما أنه أحس بتخاذل بعض أهل القطيف، إضافة إلى عروض الاستسلام المقبولة التي قدمها إليهم ابن عفيصان لمحاصرة المنطقة، وبعد أن دبر ابن عفيصان عن طريق المتخاذلين من اتباعه خطة لغزو القلعة ليلاً تمكن فيها من السيطرة التامة على القلعة في داخل القطيف، وبهذا الغزو تمكنت جحافل الدرعية من الاستيلاء على المنطقة والقضاء على معاقل ابن خالد فيها، وقال صاحب اللمع: قُتِلَ من أهل القطيف ألف قتيل بالإضافة إلى الخسائر في الأموال والممتلكات.. وهكذا تقول الرواية: إن

ابن عفيصان بعد أن تمكن من فرض سيطرته على القطيف رحل بعد نشوة الانتصار إلى الدرعية حسب الطلب، وعين محله أحمد بن غانم على القطيف، ومن ثم تم تعيين ابن عفيصان أميراً على القطيف من قبل عبدالعزيز، وكان ذلك عام ١٢١٥هـ.

وكيف كان، فتاريخ هذه المنطقة حافل بالمغامرات والمعارك التاريخية، لاسيما على البعدين السياسي والاقتصادي، وسوف تعرف مزيد بيان عن كثافة الشعوب والقبائل الكبيرة، التي استوطنت هذه المنطقة على فترات طويلة من الحقب الزمنية التاريخية في الفصول الخاصة كالفصل الخاص بالبعد الاقتصادي والسياسي فراجع.

القطيف والبعد الاقتصادي



الاقتصاد افتعال من القصد، وهو بمعنى التوسط، فقد يكون توسطا في الطريق، كما إذا كان هناك امتدادات بعضها إلى الهدف وبعضها إلى اليمين، وبعضها إلى اليسار، وبعضها يوصل إلى الهدف في أقصر طرق، وبعضها أوسط، وبعضها أطول، فإن الموصل وسط قصد كما أن أوسطها أيضا قصد، فهو القصد من القصد هذا باعتبار الكم.

وباعتبار الكيف، قد يسرع الإنسان في الطريق وقد يبطئ وقد يتوسط والأخير القصد.. وكل هذا بمعناه اللغوي.

ثم استعمل الاقتصاد في الأمور المالية، من باب استعمال العام في الخاص مجازا، أو من باب الاصطلاح، فتكون حقيقة هذا الاستعمال بمعنى الأمور المالية مطلقا في مقابل الأمور الاجتماعية..

ومراد العرف العام في الوقت الحاضر من الاقتصاد هو الاصطلاح الأول: أي الأمور المالية مطلقاً، وهذا المعنى هو المقصود، كما أن الاقتصاد يعتبر عصب الحياة الإنسانية، على وجه الأرض فبدونه تتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق على الإطلاق، كما هو حال كثير من الدول والشعوب الفقيرة اليوم، حيث بفقده وتدهوره تصبح الحياة مملوءةً بالشقاء، والفساد، والحروب، وسفك الدماء، وهتك الأعراض، والتشريد والموت.... والأمراض المختلفة... وكل ذلك بسبب انهيار

العامل الاقتصادي، وهذا الوضع بطبيعة الحال المسؤول الأول والأخير عنه الشعوب المتحضرة والمتقدمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسياً مثل دول العالم الغربي اليوم. لأن ما تملكه من رفاهية وسعادة وثروة.. وتقدم علمي وتكنولوجي، بفضل ثرواتنا وخيراتنا المنهوبة. والذي يسافر إلى أوروبا يجد أن ثروتها وتقدمها وعمرانها ورفاهيتها ليست إلا حصيلة زمن من النهب الاستعماري للبلاد الضعيفة، وخاصة البلاد الإسلامية، وإلا فكيف يمكن لجزيرة نائية في الأرض، كبريطانيا ـ كانت تعيش في يوم من الأيام على صيد الأسماك ـ أن تكون سيدة الأرض في خلال قرنين من الزمان لولا أنها كانت تنهب توابل الصين، وذهب الهند وقطن مصر ونفط إيران والخليج العربي.

ولذلك كثر الكلام حول الاقتصاد في السنوات الأخيرة، وكثر الكلام حول تفاضل الدول في المجال الاقتصادي، وكيف وصل ذلك الشعب أو تلك الدولة أو تلك الشخصية إلى ما وصل إليه من ثروات وجاه.

لكن الإنسان في الزمان الحاضر ـ حيث خلا من الإيمان ـ يتعامل مع عنصر المباهاة والمفاخرة، فاللباس الذي يكفي الإنسان الفارغ عن المباهاة لا يكفي الإنسان، وهكذا بالنسبة إلى سائر حاجاته، ومن المعلوم أن الشيء المستخدم للمباهاة أكثر ثمناً من الحاجة الطبيعية.

وأما الإسراف فهو يطلق على الزيادة عن القدر المحتاج إليه، وعلى الإتلاف فيما لا يحتاج إليه أصلاً، ويطلق على هذا التبذير إذا قوبل بالإسراف، فهما (كالفقير والمسكين) في الاصطلاح الفقهي، و(كالظرف والجار والمجرور) في الاصطلاح اللغوي، و (إذا اجتمعا افترقا) في اصطلاح الدراية والرواية، وإذا أطلق أحدهما أريد به كلاهما.

المسلمون بصورة خاصة سابقاً كانوا يعدون كل ذلك محرماً، ففي القرآن الحكيم: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾[1]، وكان من المحرم في الحج المفاخرة وفي آية أخرى: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2] و ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾[3] ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[4].

وفي حديث: إن رسول الله ﷺ رأى قطعة من الخبز ساقطة على الأرض في بيت عائشة، فقال ﷺ: يا عائشة اكرمي جوار نعم الله فإنها إذا نفرت لن ترجع[5].

ورأى الإمام الرضا عليه السلام أن بعض من لديه أكل بعض الفاكهة، وطرح الملصق منها بالنواة، فقال: سبحان الله، ان استغنيتم انتم ففي الناس فقراء[6]. إلى غيرها من الآيات والروايات الكثيرة.

أما اليوم، فشأن الإنسان الإسراف والتبذير مسلم وغير مسلم (إلا من عصمه الله وهم قليل) فبينما كان الإسلام قد نهى عن طرح النواة وإلقاء فضل الماء وعدهما إسرافاً، ترى الناس يطرحون الأطعمة الغالية في النفايات، خصوصاً بعد الضيافات وفيها الأرز والخبز واللحم والمرق والفاكهة وغيرها، والفرق بين المباهاة، والإسراف كالفرق بين العملتين من وجه، إذ من المباهاة إسراف كأن يباهي ويسرف في مباهاته، ومنها ما ليس بإسراف، كأن يلبس ما هو شأنه لكنه أرفع من الوسط بقصد

---

(١) سورة القصص، آية ٧٩.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٤١.

(٣) سورة النساء، آية ٦.

(٤) سورة الإسراء، آية ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) انظر المحاسن: ج٣٨١، ص٤٢٥.

(٦) موسوعة الفقه، ج١٠٧، ص١٦.

المباهاة، ومن الإسراف ما ليس بمباهاة؛ لأنه ليس هناك من يقصد الارتفاع عليه.

وأما التخريب فحدث عنه ولا حرج، مثل: تخريب الأعمار بالملاعب وتخريب الحياة بالسلاح التي أصبحت غولاً تلتهم في كل دقيقة الملايين من الدولارات ـ كما في بعض الإحصاءات ـ، وتخريب المباني وغيرها؛ لأجل بناء أجمل، أو ما أشبه إلى غيرها، وتخريب الدول القوية لاقتصاديات الدول الضعيفة حتى إن (٣ بالمائة) من كل الأراضي العربية مزروعة كما في بعض الإحصاءات، بالإضافة إلى تخريب المال بشكل مذهل لم يشهد العالم مثيلاً له قبل ذلك، فالشرق رأسمالي حكومي، إذ الحكومة جمعت رأس المال في يدها إلى جانب استيلائها على السلاح، والغرب رأسمالي تجاري، فان الأثرياء جمعوا المال في أيديهم، ومن المعلوم أن تكديس الثروة والتعطش إلى التهامها أضعافاً مضاعفة يحتوي على أكبر قدر من تخريب الإنسان والحياة، كما سيأتي بيانه في بعض المسائل الآتية إن شاء الله تعالى.

ومن المعلوم أن التخريب ينقص المال ويتلفه مما يؤدي إلى احتياج الإنسان إلى مال جديد.

إن الاقتصاد الذي كان من المقرر توزيعه على الكل، التهمته الأمور السابقة، وحصل سوء التوزيع، فقلة من الناس صارت بأيديهم الكثرة من الأموال ، والأكثرية المطلقة صارت فقيرة لا تجد لقمة العيش، ولو بأقل القليل، فمثلاً: بينما الفرد الإنجليزي يستهلك كل سنة (٧٣) كيلواً من اللحم لا يجد الفرد الهندي في كل سنة إلا (٣) كيلو غرام فقط، ويموت في كل عام من أطفال آسيا وأفريقيا عشرة ملايين، لانعدام الغذاء أو الدواء، إلى غير ذلك، ولذا أخذت الأمم المظلومة المحرومة

تفكر في الاقتصاد لإنقاذها من الفقر والعوز.

وبهذه الأمور الأربعة، بالإضافة إلى أمور أخرى لسنا الآن بصدد ذكرها كثر الكلام حول الاقتصاد، وأخذ هذا الموضوع حجماً أكبر من حجمه اللائق به[١].

القطيف أنموذج اقتصاد:

إن الموارد الحيوية التي تمتعت بها القطيف وملحقاتها كانت محط أطماع الكثير من الشعوب والقبائل والحركات، فقد شهد تاريخ احتلالها عدة دول عظمى كانت تهدف لاحتلالها من اجل مصادرها الطبيعية وثروتها الحيوية، ومن اجل موقعها الجغرافي الذي يتمتع بأهمية كبرى،لكونه المنفذ الوحيد للاتصال بباقي الدول الخليجية. بالإضافة إلى موقعها المهم الذي يعتبر من الناحية الاقتصادية عصب الطرق المارة من الهند إلى الشرق الأوسط حتى أوربا والعكس، ويضاف إلى ذلك أن هذا الموقع الذي تحتله القطيف محل تجارة مرموقة يطمع فيها الكثير، لكونها مكمن تجارة عربية خليجية، ومن ثم ازدهرت هذه المنطقة زراعياً، وتجارياً على صعيد صيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ؛ لأنها كانت تعد من أفضل المناطق المصدرة للؤلؤ.

إن البضائع التي يحتاجها الشرق والغرب لا يمكن أن تتحرك إلا عن طريق الخليج العربي بالخصوص ميناء القطيف البحري، فأكسبه هذا أهمية كبيرة جداً، فهناك سلع تأتي عن طريق القارة الأوربية لا يمكن الوصول إليها إلا عن هذا الطريق، من ذلك: تجارة الحديد والرصاص والأخشاب والورق والأصواف، وبعض تجارة الخليج التي

(١) للمزيد راجع موسوعة الفقه ج١٠٧، ص١٥ ـ ٢٠.

كانت تصدر منتجات التمور، والعطور مثل الحناء، وأنسجة القطن، والسلوق وغيرها[١].

إننا أمام هذه الميزة الحيوية والاقتصادية والجغرافية التي حظيت بها القطيف على خريطة العالم الإسلامي، والأوروبي، التي جعلت الأنظار تُشد إليها من كل حدب وصوب؛ لاستعمارها والتسلط على مواردها الطبيعة، فأصبحت الدول والشعوب، والحركات المختلفة في تنافس شديد لاستعمارها، والاستحواذ على مواردها الحيوية، فأغلب الظن أن أول دولة ـ بعد العصور التي تلت العصر العباسي ـ كان الحكم العثماني الذي سعى لاحتلال هذه المنطقة من عام (١٨٧١هـ/ ١٩١٣م) وحتى قيام الدولة السعودية بأدوارها الثلاثة عام (١٩١٣هـ/ ١٩٩١م) وأول من استعمر المنطقة ـ وذلك عبر منفذ المياه الخليجية ـ من الدول الأوربية الحكومة البرتغالية وذلك عام (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م) حيث تمكنت من السيطرة على منابع ومنافذ المياه المطلة من وإلى الخليج العربي بالخصوص المياه المؤدية لميناء البحرين والقطيف، مما دعا شاه إيران إسماعيل الصفوي في عام (١٥١٥) إلى إرسال مندوب إلى جزيرة (هرمز) لتهنئة القائد الصليبي البرتغالي (البوكيرك) لاحتلاله مملكة هرمز العربية بدلاً من مواجهته وطالباً منه المساعدة لاحتلال البحرين والأحساء والقطيف، وقمع الثورات التي نشبت من قبل الشعب البلوشي في منطقة (مكران) الذي ذاق الويل من تعصبه الفارسي، وذكر الباحثون بعض البنود التي أبرمت بينه وبين البرتغاليين منها:

على البرتغاليين أن يوفروا دعماً من الأسطول البرتغالي لشاه إيران إسماعيل الصفوي لاحتلال البحرين والقطيف.

---

(١) الصيرفي، النفوذ البريطاني، ص٥٢.

أن يقدم البرتغاليون المساعدات العسكرية لإخماد ثورة (مكـــران)، ومنع القومية البلوشية من الاستقلال.

علـى البرتغـاليين الدخـول في تحـالف مـع الشـاه ضـد الحكومـة العثمانية[١].

وبذلك عزز القائد البرتغالي (البوكـيرك) احتلالـه لتلـك المنـاطق بعد عقد الاتفاق بينه وبين الشاه، ولاسيما أن الاتفاق كان ينـــص علـى محاربة الحكومة العثمانية التي هي أيضـا كـان لهـا عـدة أطمـاع بالمنطقـة الخليجيـة، ولا سـيما منطقـة القطيـف والأحسـاء والبحريـن، فبعـــث (البوكيرك) رسالة مهمة إلى الشاه تدلل على مدى أطماعه التوسـعية في الخليج العربي، ويدلل فيها على أطماعه في الاستيلاء على منابع الـثروة في القطيف كتب فيها:

إني أقدر لك احترامك للمسـيحيين في بـلادك، وأعـرض عليـك الأُسطول والجند والأسلحة لاسـتخدامها ضـد قـلاع الـترك (المسـلمين بصفة عامة) في الهنـد، وإذا أردت أن تنقـض علـى بـلاد العـرب أو أن تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جـدة،أو في عـدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، ستجدني بجنبك على طـول امتـداد السـاحل، وسأنفذ لك كل ما تريد ...الخ[٢].

ومن الملاحـظ أن الحكومـة البرتغاليـة كـانت دائمـا تحـث الشـاه الصفوي على الاستيلاء على منابع الخليج العربي، ولاسيما أنها أمـرت أسطولها البحـري وجهزتـه لخدمـة الشـاه فيمـا لـو أراد غـزو البحريـن

---

(١) تاريخ الخليج الحديث، ص ٢٢.

(٢) مذكرت البوكرك، العقاد، ص ١٧.

والقطيف.

والملاحظ أن الأطماع البرتغالية في الخليج لم تستمر إلا قليلا، مما أدى إلى إحداث ثورات انقلابية في صفوف الشعوب الخليجية، لا سيما البحرين والقطيف والأحساء، مما أدى إلى انسحاب القوات البرتغالية من المنطقة نهائيا، وحلول الاستعمار العثماني والبريطاني محلها، وقد أسهبنا القول مفصلا فيما واجهت الحكومة البرتغالية، وكيفية اندحارها من المنطقة في البعد السياسي للقطيف فراجع.

الهولنديون في القطيف والبحرين:

لقد ساعدت الحكومة الهولندية على دخولها إلى مياه الخليج ومناطقها الزراعية والحيوية، بنود الاتفاقية التي أبرمتها مع الحكومة البريطانية بعد انهزام الحكومة البرتغالية من المنطقة، فهناك نقاط التقاء كبيرة بينهما، ولا سيما أنهما على عقيدة واحدة وهي (العقيدة البرتستانتية) التي كانت سبباً رئيسياً في نقاط الالتقاء بين الهولنديين والبريطانيين، ومع هذا الاتفاق بينهما إلا أن الحكومة البريطانية كانت على وجل شديد من أن يتحول هذا النفوذ الهولندي في المنطقة من نفوذ تجاري إلى نفوذ عسكري، مما جعل الحكومة البريطانية تعقد اتفاقا مع الشاه عباس الصفوي وقد أُصدر قرار ببقاء الشركات التجارية الهولندية في بندر عباس فقط، دون أن تتقدم حملاتهم التجارية إلى خارج هذا النطاق، مما يسبب لهم في المستقبل خسارة مياه الخليج وثرواته الطائلة.

وفي عام (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٥م) طفح الكيل عند الهولنديين على قوة التحالف بين البريطانيين والشاه عباس الصفوي، بسبب احتكارهما منفذ المياه الخليجية، وفرض بعض الضرائب الجمركية على السفن

الهولندية التجارية في بندر عباس، وإعفاء الحكومة البريطانية من هذا كله، فقام القائد بلك (blak) بحملة هجوم واستيلاء على جزيرة (قشم) إلا أن محاولاته باءت بالفشل الذريع، لكنه تمكن من بعض الاعفاءات الجمركية التي فرضت على تجارة الحرير[١].

وأصبحت القطيف إحدى الموانئ المهمة التي تعتني بها الحكومة الهولندية، فقد كانت ممرا لها من الشرق إلى الغرب، حيث تُنقل تجارة الحرير والتوابل والبخور والأخشاب، والسجاد الفارسي، ومما يدعم الرأي القائل أن الحكومة الهولندية لم تسعد باستعمار المنطقة مدة طويلة، أو لم يتسنَ لها ذلك كثيرا مثل غيرها من الدول الأخرى كـ(بريطانيا) التي نالت من استعمار المنطقة قصب السبق، هو أن الحكومة الهولندية استفردت باستعمار بلاد فارس والهند والصين، والمتصفح لبنود الاتفاق الذي أبرم بين الحكومة الهولندية وبين الشاه عباس الصفوي، الذي يُعتبر أول حاكم من الأسرة الصفوية يتعامل تجاريا مع أوربا، واضعاً شروطاً خاصة بينه وبينهم، لاسيما الشروط والامتيازات التي عقدها بينه وبين الحكومة الهولندية، يقال أنه وصلت إلى (٢٣) بنداً[٢].

مع أنه لم يستفد منه عسكريا ضد الحكومة العثمانية، بل اقتصر التعاون الصفوي الهولندي على موارد التجارة فحسب، مما دعا الحكومة الصفوية إلى التعاون عسكريا مع الحكومة البريطانية، التي بدورها هيأت الأجواء لشنٍّ غارات على العلاقات الصفوية الهولندية، ففتحت لها

---

(١) أحداث هامة في تاريخ الخليج، ص ٩٠، نقلاً عن التيارات السياسة في الخليج للعقاد.

(٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، بديع محمد جمعة، ص٨٥.

علاقاتها مع الصفويين بوابة استعمار الخليج العربية لاسيما الموانئ البحرية الهامة، ومنها ميناء القطيف.

الأطماع التجارية البريطانية في البحرين والقطيف:

وما أن حل القرن الثامن عشر الميلادي عام(١٨٢٣هـ-١٩٠٨م) حتى تمكنت القوى البريطانية من أن تنفرد باستعمار المنطقة للنفسها، وأن تفرض هيمنتها على مشائخ الخليج العربي، مما زاد في توسعها وتقوية مواردها الاقتصادية؛ لأنها كانت تتطلع إلى مياه الخليج وثرواتها الكثيرة لأنها لقمة سائغة وعظيمة، فمن يتمكن من الاستيلاء عليها، تكون له السيادة المستقبلية في الخليج العربي، بعدها تمكنت من فرض هيمنتها على المصالح العمانية، ونشر التجار الهنود في عمان، وفتح الأسواق، وتثبيت القواعد العسكرية في البلاد العمانية، وأما في إيران فهي متمكنة تماما، فقد حاربت الاستعمار الروسي الذي كانت له أطماع سياسية واقتصادية في إيران، وتنبهت إبريطانيا إلى أن أوربا تريد بسط هيمنتها على منابع ثراء الخليج، فسارعت إلى المبادرة بنفسها، ومنع أي تحرك غربي اتجاه الخليج العربي، مما أهلها أن تبسط نفوذها على المياه الخليجية، والموانئ العربية والمشيخة الزعامية، فعقدت الاتفاقات، وأبرمت العقود مع مشائخ الخليج، لا سيما على حماية المياه الخليجية من الغزو، فأبرمت الاتفاق السياسي للحماية عام (١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م) مع مشيخة الإمارات العربية.

وبعد تدخل الحكومة العثمانية في المياه الخليجية وتمكنها من احتلال المواقع الاقتصادية سعت الحكومة البريطانية إلى عقد لقاء مع مشيخة الخليج للقضاء عليها، وما إن وصل الأُسطول العثماني إلى مدينة القطيف أصدر قائده نافذ باشا بياناً أعلن فيه أنه جاء على رأس

هذه الحملة لاسترجاع سلطة عبدالله قائمقام نجد من معارضيه، وأن غريمه سعوداً وأنصاره سيصفح عنهم إذا جاؤوا، وأعلنوا خضوعهم، أما القبائل التي تظل هادئة مسالمة في القطيف فستحظى -ولاشك- بحماية الأتراك.

وفي أول يونيو خرجت القوة العثمانية من القطيف متجهة إلى الأحساء، وبعد أن تمكنوا من احتلال الأحساء دون مقاومة، أمر قائد الجيش بتوزيعه في أرجاء الأحساء، كما أنه وزع ما يقارب (٥٠٠) جندي في القطيف لحمايتها، وعدم تمكن أهلها من التمرد، ومما يؤسف له أن موقف الحكومة العثمانية إزاء (القرصنة الاقتصادية) التي حدثت في القطيف على فترات متتالية من البدو والقبائل الأخرى كان سلبياً ، فقد وقفت موقف المتفرج، بينما الموقف البريطاني كان إيجابياً، بحيث سارعت الأساطيل البحرية التي تشرف على حراسة مياه الخليج العربي إلى مساعدة أهالي القطيف واسترجاع ما سلب منهم عن طريق القرصنة.

وفي يونيو سنة ١٨٨٣م استولى(قراصنة) بني هاجر على سفينة تابعة للبحرين بالقرب من ساحل القطيف، ونهبوها بعد أن أصابوا ملاحيها بجراح مميتة، وبعده بشهر تمكنت السلطات العثمانية من استرجاعها عن طريق الأسطول البريطاني البحري، واسترجاع أربعة عبيد كانوا على متنها[١] وقد اهتمت الحكومة البريطانية بميناء القطيف؛ لأنه المنفذ الوحيد الذي يوصلها بتجارة الشرق الأوسط، ولاسيما المنافذ التي توصلها إلى الهند مستعمرتها الأولى، فقد جلبت الحكومة البريطانية

---

(١) سوف نستعرض حركة (القرصنة البحرية) في القطيف في بحوث لاحقة إن شاء الله.

البضائع الهندية إلى القطيف، فقد سكنت بعض العوائل الهندية من التجار القطيف واختصت بنشر التجارة الهندية، وتصدير البضائع والثروات الطبيعية من القطيف إلى الهند، لاسيما تجارة اللؤلؤ والتمر والسلوق والأخشاب والأشجار والخضار وغيرها من الموارد الاقتصادية التي تتمتع بها واحة القطيف الخضراء.

الخلافات التجارية بين الهنود والقطيف:

والملاحظ أن القوات البريطانية حاولت بقدر الإمكان تركيز حملات التجار الهنود في المنطقة، فقد تمّ تأسيس وإقامة علاقات تجارية بين الهنود والقطيف لأول مرّة في عام ١٨٦٤ على يد رجل من كتش ثري يدعى كالوجي الذي مارس التجارة العامّة لوحده ولمصلحته مدّة اثني عشر عاماً، وأيضا مارسها بالنيابة عن مؤسسات تجاريّة هندوسيّة أُخرى، مما أدى في كثير من الأحيان إلى نشوب المناوشات بينهما، فقد وصل الحال أن تعرّض التجار الهنود الهندوسي العقيدة إلى مقاطعة من قبل الجماهير المسلمة في ذلك الوقت، مما اضطر الهنود إلى رفع وثيقة شكوى يوضحون فيها ما جرى عليهم وعلى تجارتهم.

ففي عام ١٨٦٦ أقام تاجر هندوسي كبير آخر يدعى تيليندداس خوبشاند يرافقه ستة من مساعديه، أقام مؤسسة تجارية، وبعد عامين من ذلك أخذ شريكاً يدعى صندل بن كيسو فضمّه إلى مؤسسته. ويبدو أن هذه الشركة مارست وقامت بعمليات تجارية كبيرة حتى عام ١٨٧٦ حين اضطرت إلى الانسحاب من القطيف بسبب تكبّدها خسائر فادحة نتيجة إفلاس العديد من كبار زبائنها، وهو الإفلاس الذي سببه الانهيار الكامل لسوق اللؤلؤ الهندية. أمّا الشركة الكبيرة المسماة: آساغمول آنادرام وشركاؤهم، فقد افتتحت فرعاً لها في القطيف عام ١٨٦٦،

واستمرت في ممارسة النشاط التجاري هناك مدّة ثمانية عشر عاماً تقريباً، عن طريق وكالة ملشاند جايرامداس في باديء الأمر، وبعد ذلك عن طريق وكالة الوكيل صندل بن كيسو.

وفي عام ١٨٨٠ أرسلت شركة السادة غانغارام تيكم داس وشركاءه، وهم ثلاثة أخوة هم: تاراشاند ودارسنغ، وتيكشاند دواركاداس؛ لتسيير العمليات التجارية لصالحها ونيابة عنها. كما أسس رأسمالي آخر يدعى دامامال لالشاند تجارة لنفسه هناك في القطيف، استمرت إلى ثلاثة أعوام بعد وفاته. إلاّ أن الشركة الأولى (الأخوة الثلاثة) استمرت في نشاطها التجاري في القطيف حتى عام ١٨٩٥، حين قام القرصان سيّء الصيت أحمد بن سلمان بتشويه تيكشاند وبتر بعض أعضائه في عرض البحر بالإضافة إلى الشركات الكبرى المذكورة أعلاه، كان بعض صغار التجار الهندوس يقومون بزيارات دوريّة للقطيف، ويقال: إن عددهم وصل في فترة من الفترات إلى ستين تاجراً.

لم يكن بالإمكان التأكّد بشكل قاطع من حجم رأس المال الذي استخدمه التجار والشركات التجارية الهندوسيّة في تجارة القطيف، ولكن مما لا شكّ فيه أن ذلك المال كان كبيراً جداً في فترة من الفترات؛ لأنّ التجار الهندوس كانوا قبل احتلال الأتراك لميناء القطيف، وعلى مدى عدّة سنوات بعد ذلك الاحتلال، يتحكّمون بالجزء الأكبر من النشاط التجاري، الذي كان يتمثّل بالدرجة الأولى بجلب الأرز والقطن والبضائع القطنية والسكّر والقهوة والبهارات والمعادن والأدوات المعدنية، والتي كانت تستورد عن طريق البحرين. وكذلك تصدير اللؤلؤ والتمور والجلود المدبوغة إلى الهند.

وخلال الأعوام الخمسة المنتهية في عام ١٨٩٥ تراوحت قيمة

البضائع التجارية التي باعها هؤلاء التجار واشتروها في القطيف بين سبعمائة ألف وثمانمائة ألف روبية سنوياً، في حين لم يتجاوز عدد التجار الهندوس المشاركين في هذه العمليات خلال تلك الفترة ثلث العدد المذكور آنفاً (ستين تاجراً). واستنتاجاً من هذه الأرقام، يمكن القول إن حجم التبادل التجاري الذي أنجزه هؤلاء التجار، حين كانت آفاقهم واحتمالات نجاحهم أفضل مما هي عليه الآن، بلغ ـ وبدون أية مبالغة في التقدير ـ حوالي مليون ونصف المليون روبية سنوياً تقريباً.

أمّا الأسباب التي أدّت إلى انسحاب الهندوس من القطيف فترجع إلى فترة ثلاثة أو أربعة أعوام تقريباً (في حدود عام ١٩٠٠) بعد إقامة مركز جمارك تركي في ميناء القطيف، وفي أعقاب تبنّي الأتراك لنظام الضمان (ضمان الجمارك/ أو جمع الضرائب)، وهو النظام الذي استمر العمل به حتى الآن.

لكي يتمكّن ضامنو الرسوم الجمركية من تلبية المطالب الابتزازية الباهظة التي كان المسؤولون الأتراك يفرضونها، رفع هؤلاء الضامنون الرسوم تدريجياً وبصورة غير قانونية، من واحد بالمائة إلى ستة بالمائة بالنسبة للبضائع الهندية، الأمر الذي أدّى إلى حرمان التجار الهندوس من مزايا عديدة كان التجار القطيفيون المنافسون يتمتعون بها نتيجة نفوذهم المحلّي الذي أمّن لهم معاملة أفضل.

وهكذا فإنّ وضع التجار الهندوس الذي لم يكن يتمتع بأيّة حماية، عرّضهم إلى نهم وجشع صغار المسؤولين الأتراك، الذين كانوا ـ وبإيحاء من تجار القطيف الأثرياء في معظم الحالات ـ يضعون العراقيل في طريق التجار الهندوس، وكانت تتمثّل في تأخير وزن التمور بحجّة التأكّد من مبالغ الرسوم المستحقة للحكومة المحلية، وكذلك في منع استخدام

الحمير في نقل البضائع إلى المراكب لشحنها، واحتجاز المراكب الشراعية الهندية بدواعي الحجر الصحي (الكرنتينا) لفترات طويلة غير معقولة ولا منطقية، مع أن هذه المراكب ربما تكون غادرت الهند قبل أكثر من شهرين، بالإضافة إلى عدم اكتراث المسؤولين الأتراك للمطالب التي كان هؤلاء التجار يرفعونها لاسترداد ديون مستحقة لهم في ذمة رعايا الأتراك المحليين.

إن وضع القطيف غير المستقر منذ عام ١٨٨٥، ومحاولة القرصان أحمد بن سلمان اغتيال تيكشاند دواركاداس في عرض البحر في نفس ذلك العام، حيث نجا هذا الأخير، ولكن بعد أن بُترت يده اليمنى وفقد ما قيمته ٤٠ ألف روبية من اللآلئ..

أدى إلى تثبيط عزائم التجار الهنود، وإحجامهم عن الإقامة في تلك المنطقة، ثم إجبارهم على عقد صفقاتهم التجارية في القطيف بواسطة تجار قطيفيين لم يكونوا يراعون دائماً مصالح موكليهم. وأخيراً قامت شركة السادة غانغارام تيكم داس بمحاولة قبل ثلاث سنوات (سنة ١٩٠٠) لاستئناف نشاطها التجاري وإقامة فرع لها في القطيف، فأرسلت أحد موظفيها المسلمين ويدعى الحاج جمعة بن ناصر إلى هناك، ولكن المسؤولين الأتراك طردوه وردوه على أعقابه. ومنذ ذلك الحين توقف التجار الهندوس عن التعامل التجاري المباشر مع القطيف نهائياً تقريباً.

وفي عام ١٩١٠: محاولة بعث النفوذ التجاري البريطاني في القطيف

بعث به إلى مسؤوله في بوشهر، أوائل يونيو ١٩١٠، يقول:

جاء (التاجر) شيتامال غاراشاند ليقول بأنه يريد أن يفتتح محلاً

تجارياً في القطيف. كان شيتامال، خلال السنوات الماضية، يتعاطى التجارة مع القطيف بشكل غير منتظم، ولكنه يرغب الآن في ممارسة عمل تجاري منتظم هناك، وأن يكون له محلّه الخاص به. وشيتامال شريك للسادة غانغارام تيكم داس وشركائهم، وسيكون المحل المفتتح باسم الشركة.

والمذكور يطلب أن تكتب رسالة توصية بحقه إلى قائمقام القطيف من أجل بذل مساعيه الحميدة.

وبعد أيام أبلغ المعتمد السياسي في البحرين، س. ف. مكنزي، رئيسه الكولونيل كوكس، بأن التاجر شيتامال قد ذهب إلى القطيف، وذلك في رسالة مؤرخة في ٨ يونيو ١٩١٠، فأرسلها كوكس بدوره إلى س. حكومة الهند، هذا نصها:

توجّه سيث شيتامال غاراشاند، عضو الشركة الهندية الرائدة، غانغارام تيكم داس وشركائه، إلى القطيف لافتتاح دكان هناك. وقد أعطيته رسالة تعريف إلى قائمقام القطيف طلبت من الأخير فيها تقديم مساعدة لشيتامال في بدء النشاط التجاري.

من جهتي، فقد حذرت شيتامال بأن يلتزم الحيطة بعدم إيقاع نفسه في المشاكل، كما أنني لم أقدّم له وعوداً بالمساعدة.

لقد ذهب شيتامال نفسه إلى القطيف في سبتمبر الماضي (١٩٠٩)؛ لتحصيل بعض الديون المحددة، فحصل على مساعدة مفيدة في ذلك من قبل قائمقام القطيف عباس أفندي، وهو يأمل الآن في تأسيس تجارة عامّة هناك، ولا اعتقد بوجود ثمة خطر يستدعي التدخل.

وعاد المعتمد السياسي في البحرين الكابتن س. ف. مكنزي،

فكتب إلى المقيم بيرسي كوكس في ٢٩ يوليو ١٩١٠ يخبره أن التاجر الهندي الذي حصل له موافقة من قبل المقيم بالذهاب إلى القطيف قد عومل بشكل حسن. فيما يلي النص:

يفيد (التاجر الهندي) شيتامال بأنه تلقّى معاملة جيدة جداً من قائمقام القطيف، وكذلك من منصور بن جمعة باشا، وهو التاجر الأكبر هناك، وصاحب النفوذ الكبير. والبانياني يمارس تجارة رابحة خصوصاً في مواد الأرز والقهوة والتمور المجففة.

والرسالة التالية من الكابتن مكنزي المعتمد السياسي في البحرين، والمرسلة إلى الكولونيل بيرسي كوكس في بوشهر، والمؤرخة في ٣ سبتمبر ١٩١٠، تعطينا فكرة عن حجم تجارة التاجر الهندي، وصورة مختصرة عن الوضع الاقتصادي في ذلك العام، رغم أنها مجرد تجربة اقتصادية لتاجر واحد. يقول النص:

عاد شيتامال (التاجر الهندوسي الذي يعمل في القطيف) من القطيف بسبب مرضه، وقدّم لي التفاصيل التالية لصفقاته التجارية هناك:

قيمة البضائع التي نقلها إلى القطيف	١٨٢٢٦ روبية
قيمة البضائع المباعة	١٢٥٥٦ روبية
قيمة البضائع المتبقية	٧٣٥٦روبية

دفعات مسبقة (على الحساب) دفعت إلى قطيفيين بمن فيهم منصور بن جمعة باشا، ثمناً للتمور المجففة ٣١٣٦٠ روبية

ويأمل شيتامال أن ينمّي تجارة رابحة جداً في القطيف، إلى حيث يعود قريباً ترافقه بضائع إضافية. ويقول: بأن القائمقام عامله باحترام

بالغ، ووعده بكل مساعدة ممكنة، وذلك بناءً على رسالة التوصية التي أعطيتها له.

الخلافات التجارية بين القطيف والبحرين:

واختلف زعيم القطيف في عام ١٨٨٦م، أحمد مهدي بن نصر اللّه[1] مع أخ شيخ البحرين بشأن مبايعة لعشرة آلاف قلّة من التمر، واستمر الخلاف حتى وفاة المختلفين بعد ثلاث سنوات أي في ١٨٨٩، فيما يلي نصّ الخلاف كما تصوّره الوثائق البريطانية

اشترى أحمد بن علي (آل خليفة) ١٠٠٠٠ قلّة من التمور من أحمد بن مهدي (نصر اللّه) بسعر ٢,٥ قران(٩) للقلّة الواحدة، وكانت القيمة الإجمالية ١٠٠٠٠ روبية احتسب القران بما قيمته ٤٠٪ من الروبية. وتمّ التعهّد بتسليم هذه الكميّة بهذا السعر حين يحين وقت التسليم (انظر رقم ٩٦ / خارجي، مايو ١٨٨٨، رقم ٩٣ ـ ١١١).

وحين نضجت التمور، لم يسلّم أحمد بن مهدي ـ بناءً على ذلك ـ إلاّ ٤٧١٧ قلّة من التمور بدلاً من العشرة آلاف قلّة المتفق عليها. والآن فإن أحمد بن علي (آل خليفة) يطالب بـ ٥٢٨٣ قلّة من التمور بسعر ٦,٥ قران للقلّة الواحدة.

رفعت الدعوى إلى المقيم (البريطاني في بوشهر) في مايو ١٨٨٦، عن طريق وكيل المعتمدية البريطانية في البحرين، والذي بيّن أن التقارير تفيد بأن أحمد بن مهدي (نصر اللّه) قادر تماماً على دفع ما

---

(١) أحد الشخصيات الاجتماعية التي لعبت دوارا كبيرا في تفعيل اقتصاديات المنطقة، ترجمنا له في الفصل الخاص بالحركة العلمية، فراجع.

يطالب به أحمد بن علي (آل خليفة)، ولكن نظراً لاحتمائه بالمسؤولين الأتراك في القطيف، فقد تمكّن من التمنّع عن الدفع.

رفع الكولونيل مايلز هذا المطلب إلى الكولونيل تويدي في مايو ١٨٨٦، ولما لم يأت رد عليه، فقد أرسل تذكيراً به في سبتمبر ١٨٨٦. ردّ الكولونيل تويدي في أكتوبر يقول إنه أحال الموضوع إلى القنصل البريطاني المساعد في البصرة، طالباً منه بذل مساعيه الحميدة بهذا الخصوص.

وفي شهر نوفمبر ١٨٨٦ كتب سيرجنت ميجور بومان، القائم بأعمال المقيم في بغداد يقول، إنه يتفق تماماً مع المستر روبرتسون في اعتقاده بأن على الشيخ أحمد بن علي (آل خليفة) أن يرفع قضيته أمام محكمة قضائية تركية، وطلب إبلاغ الشيخ أحمد بمضمون الرسالة.

نظراً لعدم اقتناع الكولونيل روس بهذا الرأي الذي يفترض وجود محاكم، وحتى لو وجدت فإنها لا تنظر في قضية شيخ بحراني، فقد أوضح الكولونيل مدى هذه الصعوبة، فتمّ اتخاذ إجراءات أُخرى بصورة غير رسمية أولاً، قام بها المعتمد السياسي المساعد في البصرة بموافقة الكولونيل تويدي. وقد حصلنا على وعود من والي البصرة والمسؤولين المحليين الآخرين هناك، ولكن هذه الوعود لم تثمر.

وأخيراً في يونيو من عام ١٨٨٧، كتب المستر روبرتسون خطاباً رسمياً إلى والي البصرة حول الموضوع، وظل منذ ذلك الوقت يلحّ على إجراء تسوية له.

وبناءً على اقتراح من الكولونيل روس، أرسل شيخ البحرين ونيابة عن أخيه ممثلاً له إلى متصرف الأحساء ليعرض القضيّة أمامه،

ولكن المتصرف لم يعره أيّ اهتمام.

وكانت هناك صعوبات كامنة في طريق الوصول إلى تسوية سهلة حقيقية وقائمة. فمن ناحيته لم يكن بإمكان شيخ البحرين القيام بأيّ عمل انتقامي ضد أحمد بن مهدي القطيفي عن طريق مهاجمته من البحر. وقد اقترح الشيخ (عيسى بن علي آل خليفة) هجوماً على أملاك أحمد بن مهدي في البحرين، ولكن جرى ثنيه عن خطوته هذه؛ لأنها قد تزيد من غضب الباب العالي عليه. ومن ناحية أخرى، رفضت الحكومة التركية الاعتراف بحقنا في حماية الشيخ.

بعد وفاة كل من أحمد بن علي وأحمد بن مهدي مباشرة، توصّل ممثلاهما لتسوية للنزاع بفضل نفوذ وكيل (أحمد بن مهدي) في البحرين الحاج أحمد بن عبد الرسول في يناير ١٨٨٩.

في شهر أغسطس من عام ١٩٠٠، أفاد المعتمد السياسي المساعد في البحرين (ج. س. جاسكن) بأن وفداً من التجار (البانيان) المقيمين في البحرين عرض عليه شكوى مفادها أنهم، ومنذ أقدم العصور، كانوا وجاليتهم يتعاطون التجارة مع القطيف، وأن عراقيل ومصاعب كبيرة جداً قد وضعت في طريقهم خلال الأعوام الأخيرة، وقد أدّت بهم إلى التخلّي عن زيارة ذلك الميناء (القطيف) نهائياً (انظر: المصالح التجارية الهندية والبريطانية في القطيف). واقترح تعيين المعتمد السياسي المساعد في البحرين في منصب نائب قنصل في الحسا، وتعيين معتمد قنصلي محلي عام في القطيف (خارجي، أغسطس ١٩٠١، رقم ٤١٩). أمّا مظلمتهم فكانت تقول بأن بعض التجار من أهالي القطيف، والذين يشغلون مناصب في مجلس الحكم المحلّي استغلّوا مراكزهم ونفوذهم لدى سلطات الجمارك لتأخير مرور بضائع التجار الهنود (البانيان) المعدّة

للتصدير إلى ما بعد مغادرة بضائعهم الميناء، وذلك بهدف إيصالها إلى أسواق الاستهلاك قبل غيرها، وبالتالي تأمين بيعها وتصريفها بأسعار أعلى.

وهناك حركة تجارية كبيرة لتصدير (السلوق) من القطيف إلى كراتشي، تصل إلى مائة وخمسين ألف كيس سنوياً (١١)، بالإضافة إلى استيراد كميات كبيرة من الأرز والبضائع الأُخرى من الهند عن طريق البحرين. كما أن القطيف سوق للؤلؤ الذي يستخرجه أسطول اللؤلؤ الكويتي.

عرض التجار البانيان دفع كامل النفقات المترتبة على تعيين معتمد محلّي من أهل القطيف، إذا اتخذت الحكومة البريطانية قراراً بالموافقة على تعيينه لرعاية مصالحهم هناك. وفي النهاية اقترح المستر جاسكن أن يقوم هو بزيارة قائمقام القطيف لترتيب، الأمور.

فيما يلي، نص تقرير المعتمد السياسي البريطاني المساعد في البحرين حول عرض البانيان، وقد ورد في رسالة منه مؤرخة في ١٠ أغسطس ١٩٠٠، أرسلها إلى أ. س. كمبل، المساعد الأول للمقيم السياسي في بوشهر

زارني صباح هذا اليوم وفد من التجار الهنود البانيان لمناقشة موضوع تجارتهم في القطيف.

يقولون إن تجاراً من جاليتهم يتعاطون التجارة مع القطيف منذ أقدم العصور، وقد وضعت عراقيل في السنوات الأخيرة بلغت من الحدّة درجة جعلتهم يتخلّون عن زيارة ذلك الميناء في السنوات الثلاث الأخيرة. أما القليل من التجارة التي ما يزالون يمارسونها، فإنّما تتمّ الآن

بواسطة أهالي ذلك البلد الأصليين (أي القطيفيين) مما يسبب خسائر كبيرة لهم (للهنود).

ويقول التجار الهنود أيضاً إنهم تعرضوا لإهانات كثيرة وإزعاجات ومضايقات. ففي العام الماضي (١٨٩٩) حين حاول واحد منهم أن يرسو في القطيف، أُجبر على العودة إلى البحرين دون الدخول إلى البلدة. وإن مثل هذه العراقيل والمصاعب تفرض عليهم لا لشيء وإنما لإبعادهم عن القطيف، وإجبارهم على ممارسة نشاطهم التجاري من خلال أحد من تجار القطيف.

وكان القسم الأكبر من تجارة القطيف يتم في الماضي على أيدي التجار الهنود، أما في السنوات الأخيرة، فقد سحبت هذه التجارة من أيديهم نهائياً. وفي الماضي كان يوجد ما بين ٧٠ إلى ٨٠ تاجراً هندياً في القطيف، أما الآن فلا يوجد سوى تاجر واحد، وهو تحت حماية محمد بن عبد الوهاب.

التجار البانيان تَوّاقون لاستعادة مركزهم السابق في القطيف، وهم يطالبون بتعيين وكيل من أهل البلاد تختاره الحكومة (البريطانية) للعناية بمصالحهم. ويضيف هؤلاء أنهم على استعداد لضمان مبلغ ١٢٠٠ روبية تدفع سنوياً وسلفاً على مدى خمس سنوات لدفع راتب المعتمد، القنصل المحلي، بمعدل ١٠٠ روبية شهرياً إذا لم تكن الحكومة البريطانية مستعدة لتحمل مثل هذه النفقات.

وقد طلبوا ـ أي التجار ـ مني أن أعرض عليكم الاقتراح للتفضل بالنظر فيه.

أنا أعتقد أن الفائدة ستكون كبيرة من تعيين معتمد، إذ سيزيد

ذلك من نفوذنا وهيبتنا في تلك الأصقاع، وسيكون وجوده مفيداً من عدّة جوانب، إضافة إلى فائدته بالنسبة لتجارتنا عموماً. بالطبع أنا لا أعرف ما إذا كانت هناك أية أسباب أخرى تحول دون تعيين معتمد محلي في القطيف، ولا أعرف ما إذا كان الأتراك سيرفضون السماح بتعيينه أم لا، إلاّ أنني أضيف صوتي بقوة تأييداً لهذه الخطوة إذا كان بالإمكان اتخاذها.

استطاع التجار البانيان مؤخراً من شراء كمية كبيرة من السلوق بواسطة تاجر قطيفي، وهم يتوقعون مواجهة مشاكل كبيرة تثار في طريقهم حين يحين وقت الشحن، وقد طلبوا منّي أن أحتاط لمثل هذه الاحتمالات. سمعتُ أن قائمقام القطيف إنسان طيب، لكني أخشى أن لا تترك كتابتي إليه أثراً كبيراً إلاّ إذا صدرت أوامر صريحة وواضحة إليه من قبل والي البصرة، وعن طريق متصرف الأحساء، كما أعتقد أنه سيكون من المستحسن إجراء مقابلة شخصية معه لتوضيح كل الأمور بشكل لا يدع مجالاً لسوء الفهم. التجار الهنود البانيان على استعداد لأن يضعوا قارباً تحت تصرفي للقيام بهذه الرحلة، وسأتحمل أنا نفقات رحلتي شخصياً، بحيث لا تكلّف الرحلة الحكومة البريطانية أيّ شيء، وسيكون من المفيد أن أشاهد المكان عن قرب.

وأنا هنا أسأل عمّا إذا كان بالإمكان السماح لي بالقيام بهذه الرحلة. وإذا حظي هذا الاقتراح بموافقتكم، فأعتقد أنه سيكون من الأفضل أن أحصل على جواز سفر زائر من القنصل التركي في بوشهر (Passport Visetd)، وذلك لتسهيل التعرّف على هويّتي إذا ما حصل ووقع استجوابي، ويمكن صياغة الجواز صياغة عامّة تظهر وجهتي ومقصدي، وربما قد يقول القنصل التركي إنّه لا يستطيع أن يصدر

(تأشيرة) سفر إلى القطيف، وإذا ما طلب رسماً مقابل إصدار هذا الجواز، فسأكون سعيداً ومستعداً لدفع المبلغ. أعتقد في حال سفري إلى هناك، أنه سيكون من المستحسن أن أحمل معي هدية لقائمقام القطيف، ولنقل إنها ساعة وسلسلة من الذهب، أو فمسدس فوتسر، إلاّ أن الهديّة الأُولى ستلقى بلا شك استحساناً أكبر من قبل القائمقام، فهو موظف مدني.

سيسعدني أن أبلغ بوجهة نظركم ورغباتكم بخصوص المقترحات الواردة أعلاه.

وفيما يلي نموذج من المضايقات التي تعرّض لها أحد التجار البانيان، من قبل السلطات المحلية في القطيف عام ١٨٩٩، بغرض إخراج تجارة القطيف من يدهم.. تعرضه الرسالة التالية من كنكارام تيكم داس، ومقدّمة إلى جاسكن، المعتمد السياسي المساعد في البحرين - الأصل عربي:

إلى جناب عمدة الأنجاب الأجلّ الأكرم الأحشم عالي الجاه الأفخم، ذي الشوكة والإجلال، ملاذي مستر كاسكن، نايب باليوز صاحب، وجنرال الدولة البهية القيصرية في خليج فارس أدام اللّه مجده.

إن شاء اللّه تكونوا بأكمل الدرجات. احتراماً نعرض لخدمة عالي سعادتكم، في ٢٥ من شهر (الشهر) الماضي أرسلنا رجالنا إلى بلد القطيف (من) أجل التجارة، ومن جملة تجارتنا تتعوض (يشتري) سلوق إلى هندستان، عند وصوله إلى بلد (البلد) المذكور أولا، تواجه مع رئيس الليمان (الميناء) البحرية، واستقرّ عنده بقدر ساعة من الزمان. فلما أراد المسير إلى السوق، وقد عارضه في أثناء الطريق شلال أفندي وقال له: ارجع إلى سفينتك، وقال له فيما سبب (ما السبب)؟ وقال أمراً

من الحكومة، وصار بينهم محاورات، وآخر كلام شلال المذكور إلى رجالنا: مادام عزك باقي، ارجع إلى السفينة إلى أن يأتيك خبر.

ورجع بقدر أربع ساعات، وثم نزل البر، وأراد بتعويض من السلوق عند أهالي البلد المذكور، فليس أحداً قاربه ولا علمنا فيما السبب، ولا حصل لرجالنا الإفادة، ورجع البحرين بدون التعوّض، فلزم علينا نعرف والي أمرنا مقدمات أحكام القطيف، ولا نعلم من يكون المسبب في ذلك بامتناعنا المعاملات في بلد المذكور.

لطفاً ومرحمتا من عدالة دولتكم تعملوا أقدام وترتيب لدخولنا في البلد المذكور، ويعاملونا كمعاملات الذي يعاملون رعاياهم، ويحملوا أموال البخارية إلى هندستان وغيره، فأنتم أهل الإنصاف والعدالة ولم تقبلوا أن يحصل لنا الامتناع لدخولنا في البلد المذكور أيضاً، حاشا وكلاّ أن يرضى دولتكم المشهورة بهذا المقدمة.

إن شاء اللّه جنابكم العالي ليس يقصر ونكون من جنابكم في نهاية التشكّر والممنونيّة، عسى اللّه لا يخلونا من وجودكم ودولتكم، ويجعل ضلّكم علينا ضليل، باقي عمركم طويل، وعدوكم ذليل والسلام.

صحيح كنكارام تيكم داس..

وكتب كمبل وقد كان يومها في منصب المساعد الأول للمقيم في بوشهر رسالة في ٩ سبتمبر ١٩٠٠ إلى ج. ب. وود، معاون وزير الخارجية في حكومة الهند، معلّقاً على اقتراح جاسكن، يقول له فيها ما نصه:

أنا لا أنوي اتخاذ أي إجراء رسمي بخصوص هذه المسألة (تعيين قنصل في القطيف)، وقد أبلغت جاسكن بأن يسقط هذا الموضوع من

اهتمامه، لكني أعتقد أيضاً أنه من المفيد أن أبعث لكم بتقرير عنه.

واستشار كمبل القنصل البريطاني في البصرة هـ. س. شبلي، بشأن اقتراحات جاسكن في رسالة بعثها إليه وهي مؤرخة في ٢٤ أغسطس، هذا نصّها:

أُرسل لكم نسخة من رسالة وجهها إليّ المستر جاسكن، مساعدي في البحرين، وسأكون ممتناً لو نظرتم في المسألة التي أثارها، وتشريفي بآرائكم بهذا الخصوص.

أنا غير موافق على اقتراح المستر جاسكن بأن يزور القطيف، فمصالح التجار الهنود البانيان ليست في رأيي من الأهمية بالقدر الذي يدفعنا إلى المخاطرة بتعريض تصرفنا إلى سوء فهم قصدنا من قبل الأتراك. كما أنني لا أعتقد أن تعين معتمد محلي (من أهل البلاد) أمرٌ ممكنٌ عملياً.

إلاّ أنه يبدو أن هؤلاء التجار البانيان يشقّ عليهم أن يُحرموا من المتاجرة مع القطيف، وقد تساعد كلمةٌ منكم إلى والي البصرة في تصحيح الأمور. يخطر على بال المرء أحياناً أنّ تشجيع التجارة مع القطيف عمليّة لصالح الأتراك ولتحقيق مصالحهم.

رد القنصل البريطاني:

البصرة في ١ سبتمبر ١٩٠٠ (مكتوم)

من: هـ. س. شبلي، القنصل البريطاني في البصرة

إلى: الليفتانت كولونيل س. أ. كمبل، المساعد الأول للمقيم السياسي في الخليج

قرأت باهتمام كبير وانتباه عظيم، نسخة رسالة المستر جاسكن

الموجهة إليكم في العاشر من الشهر الماضي، والتي أرفقتموها برسالتكم إليّ المؤرخة في الشهر ذاته، وأنا أتفق تماماً مع ما ذهبتم إليه من أن مخاطر التعقيدات مع الأتراك التي قد تسببها زيارة جاسكن للقطيف تفوق بكثير الاحتمالات الضعيفة جداً للفائدة التي ربما تأتي عنها، بل إنني أميل إلى الاعتقاد بأن مثل هذه الزيارة، إن تمّت، ربما تزيد الأمور سوءاً، إن لم يكن لشيء، فلمجرد أن يستقبله القائمقام في ظلّ الظروف الحالية، إذ من المؤكد والحتمي أن يؤدي ذلك إلى استدعاء القائمقام في حين لن يصدّق الأتراك أبداً أن غرضاً أعمق من الظاهر لم يكن الدافع وراء زيارته.

من المؤكد أن أعرض المسألة على الوالي، مع أنني لستُ واثقاً من إمكان حصولي على نتائج ناجحة، أولاً: لأنني أعتقد أن الأتراك يرغبون في إعاقتنا عن الحركة بكلّ وسيلة تتوفّر لديهم في منطقة الخليج. وثانياً: لأنه حتى وإن أرسل والي البصرة أوامره إلى قائمقام القطيف حسب المضمون المرغوب ـ وأنا أعتقد أنني أستطيع الحصول منه على هذه الأوامر ـ فإنّ مثل هذه الأوامر ستبقى كلاماً ميّتاً لا أثر له. فإما أن يتجاهلها التجار القطيفيون أنفسهم، أو أنهم سيجدون طرقاً أُخرى، لو حاول القائمقام إطاعة أوامر الوالي، لتأمين استدعائه واستبداله بقائمقام أكثر طواعية ليحلّ مكانه.

الطريقة الوحيدة الحقيقية التي يمكن تحقيق نتائج إيجابية بواسطتها، هي تلك التي عرضها التجار البانيان أنفسهم على جاسكن، ولو أنني أشك كثيراً ـ كما تشكّ أنت ـ أن يكون من السهل تعيين معتمد محلي من أهل البلاد في هذه الأوضاع والظروف، وفي هذه الفترة بالذات. إلاّ أن هذه مسألة أرغب في عرضها على السفير (البريطاني في القسطنطينية) وإذا لم يكن لديك اعتراض، فسأحيل إليه

نسخاً من مراسلاتكم معي ومع جاسكن، ليس بهدف اقتراحِ إجراء التعيين أو التوصية به، ولكن كمسألة تهمّ سعادته بصفة عامة. فما قولك؟.

أرجو المعذرة على العجلة التي كتبتُ بها هذه الرسالة، لأنّ البريد الذي وصل أمس فقط سيغادر خلال ساعتين من الآن.

احتجاج القنصل البريطاني في البصرة:

في العام ١٩٠١، تقدم القنصل البريطاني في البصرة باحتجاج إلى والي البصرة، وتعهّد هذا الأخير بإرسال تعليمات إلى قائمقام القطيف عن طريق متصرف الأحساء، تؤدي إلى إزالة العراقيل التي يرزح تحت وطئتها التجار البانيان المقيمون في البحرين عند مزاولتهم لنشاطهم الاقتصادي في القطيف (انظر: سري اكتوبر ١٩٠١، الأرقام ٣٤٠ ــ ٣٤١) واقترح القنصل في ذات الوقت أن يعيّن المستر جاسكن نائب قنصل في القطيف؛ لأنه كان هناك شك حول ما إذا كان الأتراك سيوافقون على تعيين معتمد محلّي.

لم تتخذ حكومة الهند/ البريطانية أي إجراء بهذا الخصوص، ولكن هذه الإدارة لاحظت أنه إذا ثبت عدم جدوى تعليمات الوالي إلى قائمقام القطيف، وأن هذه التعليمات لم تنفذ، فإن اقتراح قنصل البصرة سيصبح أهلاً للدراسة الجادّة.

زيارة ممثل التجار الهنود للقطيف عام ١٩٠٣:

في آخر يوم من شهر مايو ١٩٠٣ مرّ بالبحرين مسؤول خزينة ميناء العقير، فقابله جاسكن، وكتب عن اللقاء إلى رئيسه في مقيمية بوشهر ما نصّه:

رقم ١١٧ وتاريخ ١٣ يونيو ١٩٠٣

من: ج. س. جاسكن، المعتمد السياسي المساعد في البحرين

إلى: الليفتانت كولونيل س. أ. كمبل القائم بأعمال المقيم السياسي في الخليج.

لي الشرف بأن أفيدكم بأنّ خميس أفندي، أمين خزينة الجمارك في العقير، مرّ من المنامة يوم الحادي والثلاثين من الشهر الماضي (مايو). وقد استغليت هذه الفرصة لأتحدّث إليه، لأنني أعرف أنه على علاقة وثيقة بالسيد طالب باشا (المتصرف).

حدّثته حول موضوع التجار الهنود البريطانيين الذين يعملون في التجارة في القطيف، وكان هدفي التأكّد من مدى استعداد سعادة المتصرف لتشجيع زيارة التجار الهندوس لذلك الميناء تحقيقاً للغرض المذكور.

فهمت من خميس أفندي أنّ المتصرّف توّاق، ومتحمّس لزيادة العائدات الإمبراطورية (العثمانية) وأن الطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك تكمن في تحسين ظروف عيش الأهالي عن طريق تشجيع التنافس الصحّي في شراء المنتجات، وأنّ المتصرّف قد يميل في هذه الظروف إلى تشجيع الهندوس على القدوم للمتاجرة.

بدت لي الفرصة مواتية لتسوية هذه المسألة المهمّة دون الاضطرار إلى إحالتها إلى القسطنطينية، الأمر الذي لا رغبة لنا فيه. وبناءً على ذلك، طلبتُ من خميس أفندي أن يتأكّد لي من موقف المتصرّف ورأيه بهذا الخصوص.

في العاشر من الشهر الجاري (يونيو ١٩٠٣) أحضر خميس أفندي

رسالة، أرفق ترجمتها لاطلاعكم، من سعادة المتصرف يعرب فيها عن عدم وجود أيّ مانع لديه بأن يقوم التجار الهندوس بنشاطهم التجاري في القطيف. وقد أوضح خميس أفندي لي شفهياً أن سعادة المتصرّف سيوعز إلى قائمقام القطيف كي يساعدهم ويتأكّد من إزالة العوائق من طريقهم، وقال إن وسيطاً محترماً سيكون مسؤولاً عن كل الدفعات المقدّمة سلفاً لأصحاب مزارع التمور كسلفة على إنتاجهم، ويوضع تحت تصرّف الهندوس، كما أن هؤلاء التجار سيتمتعون بالتسهيلات الجمركية ذاتها التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون في الأصقاع الأُخرى من الممتلكات التركيّة.

وقد أبلغتُ كبار التجار الهندوس بمضمون رسالة سعادة المتصرف السيد طالب باشا، وما قاله خميس أفندي لي، كما اقترحتُ عليهم إرسال أحد التجار المرموقين منهم لمقابلة المتصرّف، قبل القيام بإرسال وكلاء لهم للاستقرار في القطيف، وذلك للتأكّد من صدقه وحسن نيّته، وأيضا للتأكّد من الترتيبات التي وضعها لمصلحتهم. وقد عبّر التجار الهندوس عن امتنانهم للخطوات التي اُتخذت لصالحهم، وسيرسلون تيكشاند دواركاداس لتمثيلهم في القطيف. ومن جانبي فسأعطي تيكشاند رسالة تعريف موجّهة إلى سعادة المتصرف، والآمال معقودة على نجاح الوفد في الوصول إلى نتائج مرضية.

لقد تحمّل خميس أفندي مشاق كبيرة بخصوص هذه المسألة، ولهذا.. وتشجيعاً له على جهوده المستقبليّة، أودّ أن أدفع له ما يستحقّه مقابل أتعابه، بالطريقة المناسبة. لذا أسمح لنفسي بأن أطلب منكم تزويدي بساعة فضيّة جيّدة مع سلسلة، تطلب من طوشخانة المقيميّة (في بوشهر) لهذا الغرض.

جناب الأجل الأفخم مستر كاسكين، نائب قونسلوس دولت البريطاني الفخيمة في البحرين، المتحرم.

بلغنا خميس أفندي أن بعض تجار بانيان في البحرين قصدهم المجيء للقطيف لأجل تجارة السلوق، فمعلومكم أن بظل مولانا حضرت أمير المؤمنين، باب العدالة والحرية مفتوحة لمن يأوي إليها، ولا مانع لأرباب التجارة، فلهم الاختيار والحرية في التجارة أينما حبوا (رغبوا) فلأجل المعلومات وتشييد بنيان المودّة والمصافات حررت هذه الشقّة ودمتم سالمين.

وكان جاسكن قد كتب رسالة وأرسلها بيد ممثل التجار البانيان ليسلّمها إلى طالب النقيب، وهي مؤرخة في ١٢ يونيو ١٩٠٣، هذا نصّها العربي:

من: مستر كاسكن اسستنت بولتكل ايجنت الدولة البهية القيصرية في البحرين

إلى: حضرة جناب عمدة الأخلاء والأصحاب، الأجلّ الأحشم الأشيم، صاحب السعادة متصرف الحساء، السيد طالب باشا المحترم، حرسه اللّٰه تعالى من كل آفة، وآمنه من كل مخافة

السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته على الدوام

صرنا مسرورين بوصول خط سعادتكم المؤرخ في ١٢ شهر ربيع الأول ظهرت المعلومات أن بظل جلالة حضرة أمير المؤمنين باب العدالة والحرية مفتوح لمن يأوي إلى القطيف، ولا مانع لأرباب التجارة فلهم الاختيار والحرية في التجارة أينما حبوا، أخبرنا تجار أكابر الهنود بذلك الوجب (الوجه؟) وهم حالاً يرسلون من طرفهم (تيك جند بن دويركه

داس)، وهو يسلّم هذا الخط لحضرتكم، ويرتب أمورهم باطلاع سعادتكم. (تيك جند) أيضاً يأخذ معه بعض إسناد طلب على بعض أشخاص في القطيف، نأمل من سعادتكم لطفاً إمداد مساعدتكم النفيسة إليه لحصول ذلك نصير منكم في نهاية الممنونيّة. ودمتم سالمين ومحروسين والسلام. جرى في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٢١، مطابق في ١٢ شهر جون سنة ١٩٠٣.

وردّ متصرف الأحساء طالب النقيب، على رسالة التوصية التي سلّمها كبير تجار البانيان إليه، وذلك في ١٠ ربيع الثاني ١٣٢١هـ، هذا نصّها العربي:

جناب الأجل الأكرم مستر كاسكين اسستنت، بولتكل ايجنت الدولة البهيّة القيصرية في البحرين المحترم.

غب أهداء أسنى التكريمات، هو أنه نالت يد الإعزاز تحريركم المؤرخ في ١٥ ربيع الأول ١٣٢١ المتضمن إرسال تيك جند بن دويركه داس للقطيف من قبل تجار أكابر الهنود لأجل التجارة، مع التماسكم على تسوية طلب المومأ إليه (تيك جند) عند بعض أشخاص في القطيف. وحسب إشعاركم، كتبنا تحرير لوكيل قائمقام المحل لإجراء ما هو اللازم، وأرسلنا ذلك التحرير إلى تيك جند حيث ما قدّر اللّه الاجتماع معه. وكما هو معلوم جنابكم كلمن (كل من) له حق يناله بظل عدالة مولانا أمير المؤمنين، ولا نعطي ميانا لوقوع مغدورية أحد، وقد اتخذت بيان ذلك وسيلة حسنة لتشييد بنيان الوداد والمصافاة، ودمتم سالمين.

أما نصّ كتاب طالب إلى وكيل قائمقام القطيف، فهو كالتالي:

جناب الأجل الأكرم تيكا دوبركاه المحترم

أخذنا تحريركم المؤرخ ٤ ربيع الثاني ١٣٢١هـ، مع تحرير مستر كاسكين، وجميع ما ذكرتم صار معلوماً وحسب طلبكم. واصلكم بطيه توجيه لوكيل قايمقام القطيف على إظهار حقوقكم بموجب العدالة والحقانية، ولا مانع لأرباب التجارة ولا نعطي ميانا لوقوع مغدورية أحد بفضل مولانا أمير المؤمنين. ولأجل بيان الكيفية حررنا شقة الجواب ودمتم سالمين.

في ١٤ يونيو ١٩٠٣، بعث المعتمد السياسي المساعد في البحرين، كالكوت جاسكن، برسالة إلى الكولونيل كمبل في بوشهر، مستبشراً بأنه قد سُمح للبانيان بالمتاجرة مع القطيف ودخولها، وهذا هو النص:

ستكون مسروراً حين تسمع بأن الأتراك قد سمحوا الآن للبانيان أن يتاجروا في القطيف. هذه النتيجة تعود بالفضل إلى معارضة المتصرّف للحاج منصور بن جمعة الذي دُمّر من الناحية العملية، وكذلك إلى قلقه من أجل تحسين العائدات للمقاطعة.

لقد نصحت البانيان بأن لا يتخذوا قراراً غير ناضج، ولكن ليرسلوا واحداً منهم (إلى القطيف) ليرى كيف ستجري الأمور، ولكي يستوضح معاملة الأتراك وعروضهم بشأن زيادة الضرائب التي سبّبت لنا الكثير من المشاكل سابقاً. وأنا آمل بأن توافقوا على هذا الاقتراح.

لقد أرسل لي المتصرف هديّة بشكل غير رسمي هي عبارة عن ٢ عباس تقدر قيمتهما بـ ١٠٠ روبية، وسأرسل الهديّة إلى طوشخانة مقيمية بوشهر.

لم أستطع أن أرفض تلك الهدية دون أن أشعره ـ أي المتصرف ـ

بالإهانة، خاصة وأنها كانت عربون صداقة، والاحتمال الأكبر أن يبقى المتصرف في الأحساء لمدة طويلة.

وأنا أطلب خاتم ألماس أو بندقية جديدة وحديثة كهدية مقابلة أبعثها له.

من جهتي، أودّ كثيراً رؤية الأحساء، وأنا أميل إلى التفكير بأن المتصرف يرغب في مجيئي لرؤيته. أستطيع أن أُناقش معه موضوع القرصنة وقضايا القتل والسرقة. إن المتصرف ليس خائفاً من التحفظات التي قد تعترضه على زيارة كهذه، لذا أرجو منكم إبلاغي ما إذا كان أمراً مرغوباً في أن أنتهز فرصة زيارة الأحساء إذا ما جاءت؟.

ورد كمبل، المساعد الأول للمقيم السياسي في بوشهر على رسالة جاسكن، برسالة حملت رقم ٥١٨، وتاريخ ٢٠ يونيو، كالتالي.

.. الإشارة إلى رسالتكم رقم ١١٨ والمؤرخة في ١٤ يونيو ١٩٠٣، يشرفني ان أبلغكم بأن (الخاتمين من نوع) عباس المذكورين في رسالتكم قد أُستلما، وقد وضعا في طوشخانة للمقيمية.

خلاف منصور بن جمعة مع طالب النقيب:

وكما أن التقارير البريطانية كشفت النقاب عن الخلاف الدائر يومها بين منصور بن جمعة وطالب النقيب باشا، متصرف الأحساء، وقد أدّى انسحاب منصور من تجارة التمور في ذلك العام ١٩٠٣، إلى إجبار طالب النقيب على إدخال الهنود مجدداً إلى المنطقة. وهذا التقرير كتبه الكولونيل راتسلو في العاشر من مارس ١٩٠٣.

إن الحادثة التالية التي وقعت مؤخراً لتُظهر احتقاراً وعدم مبالاة لا

يصدّق للمظاهر، حين يندفع هذا الحاكم ليرضي غريزة الاغتصاب والشره في نفسه. وقد أثارت الحادثة غضباً عظيماً بين السكان العرب، ليس في الأحساء فحسب، بل حتى في البصرة وبغداد أيضاً.

أحد كبار التجار في القطيف، وهو منصور باشا، الممثل المحلّي في قائمة الشخصيات المدنيّة، والذي هو بالغ الثراء، سرعان ما وجد فيه طالب باشا هدفاً مناسباً للابتزاز. إلاّ أن منصوراً رفض الانصياع لابتزازات المتصرّف وفرّ إلى البحرين، ومن هناك إلى بغداد.

بعد ذلك بفترة وجيزة، وفي نهاية يناير (١٩٠٣) على وجه التحديد، اقتحم طالب باشا منزل منصور وسجن أخاه عبد الحسين، ثم استولى على ممتلكات من ضمنها لآلئ يتاجر بها منصور، كانت كثيرة جداً. وقد أفاد المستر جاسكن، المعتمد البريطاني المساعد في البحرين، أنه في السابع من فبراير (١٩٠٣) وصل إلى البحرين ثلاثة مراكب كبيرة محمّلة بالغنائم (المسروقة) يقودها محمد عتيق، الرجل الموثوق لدى المتصرف. وقد علمتُ أن هذه المراكب وصلت بعد ذلك إلى شطّ العرب، وأفرغت حمولتها في سبليه (قيل الصبيحات)، وهو مقرّ إقامة النقيب المحاذي للنهر، والذي يبعد حوالي خمسة عشر ميلاً عن البصرة.

تبريراً لسلوكه هذا، أرسل طالب إلى الوالي (في البصرة) حزمة من (الصحف التحريضية) التي أكّد أنه عثر عليها في منزل منصور، كما ادّعى أنه عثر على عدد كبير من البنادق في ذلك المنزل في الوقت ذاته.

هذه الأقوال الأخيرة المتعلقة بالبنادق صحيحة على الأرجح، لأن جميع العرب، خاصة أولئك الذين يملكون أشياء ثمينة، يملكون أسلحة، وليس لهذا المبرّر تلك الأهمية التي يمكن ربطها بوضع مماثل في أجزاء أُخرى من تركيا.

أما فيما يتعلّق بالصحف، فإن ضوءاً غريباً يلقيه على هذه التهمة تقرير المستر جاسكن، حيث يقول: إن محمد بن عتيق زاره يوم التاسع من يناير (١٩٠٣) وقال له إن طالب باشا راغب في الإطلاع على بعض الصحف العربية الصادرة في مصر أو القسطنطينية أو لندن أو باريس، وذكر تحديداً صحيفة (الخلافة) التي تصدر في لندن، و... هل بالإمكان استعارة بعض النسخ؟. ردّ عليه جاسكن بأن المعتمدية البريطانية لم تتلقَ أيّاً منها، ولكن يستنتج بشكل واضح من هذه الحادثة، أن محمد عتيق أرسل إلى المعتمدية للحصول على مثل هذه الصحف لتُكتشف فيما بعد في منزل منصور.

في هذه الأثناء، استطاع منصور باشا، وهو في بغداد، أن يثير اهتمام المشير، وهو قائم بأعمال الوالي أيضاً، ويجعل هذا الاهتمام لصالحه. اتصل المشير بالوالي وبالقسطنطينية، وأبرق الوالي إلى وزير الداخلية طالباً منه إرسال لجنة خاصة للتحقيق، لكنه لم يتلق جواباً. إن الوالي منزعج ومتضايق من فكرة إلزامه بإجراء التحقيق شخصياً، لأنه يعتبر أن هذا الإجراء يعني أن عليه تبرئة طالب، وبالتالي جلب العار لنفسه.

قال لي الوالي إنه يفضّل أن يستقيل، وهو يعتقد يقيناً أن الصحف، قد وضعت في المنزل بناءً على أوامر طالب نفسه، ويعرب عن عظيم دهشته واستغرابه من امتناع البريطانيين عن التدخل لصالح منصور؛ لأن هذا الأخير يتعامل تجارياً مع تجار اللؤلؤ البريطانيين الهنود، الذين تعود إليهم الكثير من اللآلئ التي استولى عليها المتصرّف، هذا هو الواقع على ما أعتقد، ولو أنني لم أتلق أيّة شكاوى من رعايا بريطانيين حتى الآن.

إن منصور باشا شيعي، وهذا أمرٌ سيكون في صالح طالب في القسطنطينية، ولكن من المحتمل أن يزيد إلى حدّ كبير من مشاعر المرارة والغضب لدى مواطني القطيف، حيث الشيعة كثيرو العدد واسعو النفوذ.

بينما اختلفت التقارير السرية التي رفعت إلى القائم مقام البريطاني في مقره في بوشهر، وهي كما يلي:

من: المستر ج. س. جاسكن، المعتمد السياسي المساعد في البحرين

إلى: المساعد الأول للمقيم السياسي في الخليج

لاحقاً لرسالتي رقم ١١٧، وتاريخ ١٣ يونيو ١٩٠٣، أحيل إليكم ترجمة لرسالة تلقيتها من سعادة السيد طالب باشا، متصرف الأحساء، رداً على رسالة التعريف التي كنتُ قد أعطيتها لتيكشاند دواركاداس. كما أرسل المتصرف رسالة ينقلها تيكشاند إلى القائمقام حين يذهب إلى القطيف.

بموجب المعاهدة القائمة تبلغ الرسوم المستحقة على الرعايا البريطانيين مقابل الصادرات التي يصدرونها من الأراضي التركية إلى مناطق في الإمبراطورية البريطانية واحداً بالمائة (١٪)، وحتى لا يقع تزوير يجري تقاضي الرسم الكامل وقدره ثمانية بالمائة (٨٪)، وعندما يبرز المصدرون شهادات موقعة من مسؤول قنصلي تركي يقيم في ميناء المقصد، تعاد إلى المصدّر نسبة سبعة في المائة (٧٪) من الرسوم المجبيّة.

طالما أن هذه الرسوم الإضافية تعاد إلى أصحابها على الفور، فلن يكون هناك اعتراض على هذا الإجراء، لكن تجارب الماضي تظهر أن

ضامني جمارك القطيف يترددون أو يماطلون في إعادة هذه الأموال، إلاّ إذا ضغط عليهم الأتراك، وأجبروهم على ذلك.

في محاولة للتغلّب على هذه المشكلة، توصّل التجار الهندوس إلى ترتيبات خاصة مع ضامني الرسوم، يدفعون بموجبها ما بين ١,٥ ــ ٦٪ على البضائع التي يصدرونها هم بأنفسهم، وعلينا الانتظار لنرى ما إذا كان المتصرف سيتخذ الإجراءات لإيقاف هذه الممارسات غير المقبولة، والمتمثلة بجباية رسوم أعلى بكثير من الحدود المقررة.

علمت من محمد بن عبد الوهاب باشا (شيخ دارين) أنه بالنسبة للتجار الهندوس المحترمين فقط، سيجري استيفاء نسبة الواحد بالمائة فقط، وسيصرف النظر عن نظام إعادة الرسوم الإضافية، وذلك تفضيل لهم.

اتفق بعض التجّار الهندوس الأثرياء المقيمين في البحرين وكراتشي على انتداب تيكشاند دواركاداس للذهاب إلى القطيف نيابة عنهم، كما أن شركة غانغارام تيكم داس ستوفد وكيلاً لها إلى هناك، وسيتوجه الاثنان إلى القطيف في نهاية الشهر (يوليو ١٩٠٣) حين يكون السلوق جاهزاً للتصدير.

أصدرت تعليماتي إلى التجار البانيان للتأكّد من حلّ مسألة الرسوم على أساس مرضٍ قبل أن يشتروا أيّة كميّة جديدة من التمور، وسيخبرني هؤلاء التجّار بالترتيبات التي يتمّ التوصّل إليها، وسأقدّم تقريراً جديداً بمجرد استلامي رسالة منهم.

في يوليو من عام ١٩٠٣، كتب الكولونيل كمبل يقول بأنه لا يثق كثيراً بتعهدات متصرف الأحساء ووعوده، وأنه يشك في أن لهذا

المتصرف القدرة والسلطة الكافية لدعم التجار الهندوس في مقاومتهم لاضطهاد منافسيهم المحمديين (المسلمين) في القطيف. انظر التالي نص ما كتبه تعليقاً على رسالة جاسكن:

شيراز في ٨ يوليو ١٩٠٣.

من: الليفتانت كولونيل س. أ. كمبل، القائم بأعمال المقيم السياسي في الخليج.

إلى، ل. و. دين، سكرتير حكومة الهند في الدائرة (وزارة) الخارجية.

لي الشرف بأن أرفع لاطلاع حكومة الهند، نسخة من مراسلات وجهها إليّ المعتمد السياسي المساعد في البحرين بخصوص موضوع استئناف التجار الهنود البانيان في البحرين لعلاقاتهم التجارية مع القطيف (انظر: رقم ١١٧ تاريخ ١٣ يونيو ١٩٠٣).

أنا لا أثق كثيراً بادعاءات متصرف الأحساء، وأشكّ في أن تكون له القوّة والسلطة القادرة على مساندة ودعم التجار البانيان ضد اضطهاد منافسيهم المحمديين (المسلمين) في القطيف، ولكن مهما كان الأمر، فأنا ليس لدي اعتراض على استئناف التجار الهنود البانيان لعلاقاتهم التجارية مع القطيف شريطة أن يتم ذلك على مسؤوليتهم هم. وسأصدر تعليماتي إلى المستر جاسكن بهذا المضمون.

كما سأطلب منه تزويدي بكل المعلومات التي يستطيع الحصول عليها بخصوص التجارة مع القطيف، وكذلك طبيعة العمليات التجارية السابقة التي كان التجار الهندوس يقومون بها في تلك المنطقة (القطيف). كما وسأطلب منه أيضاً تزويدي بكلّ ما يستطيع من

المعلومات التفصيليّة المتعلّقة بالعراقيل والصعوبات التي كان يرزح تحت وطئتها ويعاني منها التجار الهنود السابقون في القطيف، والتي أدت إلى انسحابهم من ذلك البلد.

عندها سأكون في وضع أستطيع من خلاله أن أقدّم اقتراحات بشأن موضوع تعيين وكيل أو معتمد قنصلي في القطيف.

في ٢ أغسطس من العام ذاته ١٩٠٣، أعدّ المستر جاسكن تقريراً حول مسألة استئناف التجار الهندوس في البحرين لعلاقاتهم التجارية مع القطيف، وقدّم معلومات تتعلّق بعملياتهم التجارية السابقة والمعوقات التي كانوا يعانون منها (انظر الفقرة ١) ومما جاء في التقرير:

لا تتوفّر أيّة أرقام عن حجم التجارة الحالية (١٩٠٣) مع القطيف، لكن أشخاصاً يعرفون ذلك الميناء يقدّرون حجم التجارة بخمسة وثلاثين لاك من الروبيات (اللاك يساوي ١٠٠ ألف) وأنها يمكن أن تتوسع توسّعاً كبيراً حين تصبح المناطق المجاورة أكثر استقراراً.

في رأيي أن موافقة المتصرف الحالية على استئناف التجار الهندوس لعلاقاتهم التجارية مع القطيف ذات طبيعة مؤقتة فقط، هدفها اجتذاب مشترين لموسم التمور الكبير الذي يشتري معظمه ـ منذ أن طُرد الهندوس من القطيف ـ الحاج منصور بن جمعة، والذي أجبر على التغيّب عن القطيف نتيجة الإجراء الذي اتخذ ضدّه مؤخراً، وكذلك نتيجة الأمر الذي أصدره المتصرف بوضع اليد على أملاكه، وبالتالي فإن موسم التمور لن يجد مشترياً، مما يسبّب خسارة في العائدات.

قد يقال: إن الساحل العربي بأكمله هو من خلق وإبداع الطاقة غير العادية وروح التجارة والمغامرة التي يتمتع بها التجار الهندوس،

الذين واصلوا إمداده بوسائل الحياة والاستمرار، وأنه إذا ما أُريد لهم أن يواصلوا السيطرة على التجارة هناك، فإنه يتوجّب أن يقدّم لهم الدعم والحماية الكافيان، وهو أمرٌ لا يمكن تحقيقه - بالنسبة للقطيف - إلاّ بتعيين مسؤول قنصلي يستطيع الاهتمام بمصالحهم والعناية بها في موقع الأحداث.

ولكي تجري الأمور على ما يرام لصالح التجار الهنود، استخدم الإنجليز كعادتهم أسلوب الهدايا، فأرسل جاسكن إلى طالب النقيب خاتم ياقوت في علبة مع رسالة هذا نصّها:

حضرة جناب حميد السجايا والمآب، سلالة الأفاخم الأنجاب، الأجل الأحشم الأشيم صاحب السعادة السيد طالب باشا، متصرف الحساء المحترم دام عزه وبقاؤه.

حرس اللّه تعالى ذاته من التغيير، وسوابغ نعمه من التكدير، وشمس سعده من التكوير، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، ومغفرته ومرضاته، وأزكى وأشرف تحياته، آمين.

الباعث إبلاغ الجناب المستطاب جزيل السلام، والسؤال عن صحة ذاتكم العلية، وأخلاقكم الرضية المرضية، لازالت محروسة بعين عناية ملك البرية، وثانياً إنه من طريق المودّة التامّة، والصداقة اللازمة، تجاسرنا أن نقدّم إلى سعادتكم هديتنا المحقّرة محبس(٢٠) ياقوت في باطن قوطي (علبة) مختوم، نرجوكم أن تتفضلون بقبوله لنكون في نهاية السرور، وتستعملونه بالصحة والعافية، هذا ما لزم بيانه فيما يبدو لكم من المهام، فإنها رهينة الأقلام، والدعاء ختام. جرى في ٢٨ جمادى الأول ١٣٢١هـ، المطابق ٢٣ أغسطس ١٩٠٣.

وقد قدّم المتصرف طالب بالمقابل هديّة إلى جاسكن. يقول في رسالته معلقاً على الهدية التي وصلته في رسالة جوابية في ٣ جمادى الآخر ١٣٢١هـ:

جناب الأجل الأفخم مستر كاسكن اسستنت بولتكل ايجنت الدولة البهية القيصرية في البحرين المحترم

غب اهداء وأحب الاحترامات وأزكى التحيات، هو أنه نالت يد الإعزاز تحريركم المتضمن آثار الوداد والإنسانية أوجب مزيد الممنونية، والحبس الذي تفضلتم بإرساله لمحبكم أخبرنا مدير العجير عن وصوله، وقبلناه بكمال الافتخار والمسار، حيث إنه وسيلة للمهادات بيننا، وقبولكم هديتنا بالمقابلة، وإني أشكر فضلكم وأذكر بلسان الثناء حسن سجاياكم، راجياً دوام محبتكم القلبية، وتوالي بشائر صحتكم العليّة ودمتم سالمين[١].

أوضاع القطيف الاقتصادية:

لم يكن هدف العثمانيين من الاستقرار في إقليم الأحساء الإفادة الاقتصادية من الأقاليم رغم ما به من خيرات زراعية واقتصادية وتجارية. وفي عهدهم الذي استمر لحو ٤٢ عاما (١٨٧١ـ١٩١٣) كانت جباية الزكوات وغيرها لا تكاد تفي بالنفقات التي يصرفونها على الحاميات. هذا ما يؤكده معظم الباحثين لتاريخ هذه المنطقة، وإذا ما لاحظنا أن حجم القوات الموجودة في الحاميات كان ضئيلا، فان النفقات ستكون ضئيلة أيضا، وبالتالي فإن ما سيؤخذ من الأهالي سيكون قليلاً بصورة تلقائية.

---

(١) للمزيد من المعرفة راجع مجلة الواحة العدد الأول العدد الخاص عن تجارة السلوق.

اتخذ العثمانيون خطوات حاسمة لإصلاح الوضع الاقتصادي في سنجق الأحساء، فبادروا بسن نظام ضرائبي جديد يعتمد على قوانين الشريعة ،وأعيدت الأراضي المغتصبة من قبل البدو إلى أصحابها، إلا إذا كانت مجهولة المالك، أو فر مالكها خوفا على نفسه ولم يعهد بها إلى أحد، وهذه الأراضي كثيرة جدا خاصة في قرى ومدن الأحساء، بعضها استولي عليه في فترة قريبة أثناء الحرب الأهلية، فكانت كإقطاعات إلى القبائل التي استولت على المنطقة منذ ذلك الوقت أمثال: العجمان وآل مرة.

وهيأ العثمانيون أسباب الأمن بعد سنوات طويلة من الحرب التي أتت على الأخضر واليابس.

ولئن أكد الباحثون على أن الأحساء لم تكن في عهد الأتراك تقدم دخلا للدولة العثمانية، لأسباب تعود إلى سياستها التي اعتمدتها في (إرضاء الأهالي) فإنها حاولت استثمار بعض الأراضي لصالحها، حيث ينقل لوريمر الذي زار الأحساء في مطلع القرن العشرين في معرض حديثه عن السرقات التي حدثت للأهالي في المنطقة يقول: تلعب دورا هاما في اقتصاديات العراق التركي، ومنذ ظهورها في الأحساء قبل حوالي عشرين سنة، كانت تملك في واحة الأحساء زراعات في قرية باب الجفر، وكانت تغل ما يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ نخلة منا لتمور، وإنتاجها السنوي من التمور في القطيف يبلغ حوالي ١٦ ألف قلة من التمر. ويبلغ قيمة الإنتاج السنوي من تمورها في كلا الواحتين ـ القطيف والأحساء ـ حوالي ٣٠٠٠ جنيه إسترليني، وفي قرى الجبيل، وجليجلة، والحليلة، والمنيزلة، والمطيرفي، والمزاوي، والشقيق،في واحة الأحساء، توجد أراضي أرز مملوكة للدائرة الأهلية، تغل ١٠٠٠ موسمية (الموسمية

تعادل ١١٠ كغم) من الأرز سنويا. وتملك الدائرة أيضا حوالي ٢٥ منزلا في مدينة القطيف، كانت مملوكة في السابق للشيخ ابن غانم.

كما ويوجد بالأحساء مدير أملاك الدائرة السنوية، ولكن بصورة غير دائمة، وكذلك رئيس الجندرمة في الهفوف، وواحة القطيف لا تزال منحصرة في حاجي منصور باشا ابن جمعة.

لما وصل مدحت باشا إلى الأحساء بعد شهرين من نجاح حملته التي أعدها، وزع منشورا على الأهالي حوى إعلانا موقعاً من جانبه، جاء فيه:

قد أسقطنا الرسومات التي تؤخذ من الأهالي باسم الجهاد، وخدمات المأمورين على تحصيل الزكاة، والزيادة في الخرص المخالف للأحكام الشرعية، ومواد الدولة العلية ترقية أحوال التبعة وزيادة ثروتهم، وأمرنا بإلغائها وعدم أخذها، ونبهنا المأمورين بعد تحليفها على عدم الزيادة على الواجب الشرعي. والذي يتبين منه أنه ارتكب ذلك فقد أوعدناه بالمجازاة الشديدة، ولإعلام كافة الأهالي وتبشيرهم، حررنا هذا الإعلام نسخا متعددة، وأمرنا بتوزيعها على المدن والقرى، ليكون معلوم الجميع، ليبتهلوا بالدعوات الخيرية، ببقاء أيام الدولة العلية، ويشتغلوا بتعمير أملاكهم، وتوسيع دائرة محاصيلهم وتجاربهم، وأن يكونوا آمنين مطمئنين، ليكون معلوم الجميع، في جمادى الآخرة، سنة ثمان و ثمانين ومائتين وألف.

من الواضح من خلال البيان المذكور أعلاه، وأيضا من خلال إعلان مدحت باشا الذي وزعه نافذ باشا على أهالي القطيف، والذي استعرضنا فصوله في صفحات سابقة، أن الدولة العثمانية لم تكن لها النية من الاستفادة من منطقة الأحساء اقتصاديا،وكان الجانب الاقتصادي أحد سببين كانا مثار نقمة الأهالي ضد البدو، أما السبب

الآخر، فهو القمع والتمييز الطائفي المطبقان بحق الأهالي في تلك المناطق دون غيرهم من أبناء القبائل الأخرى، ومدحت باشا معد البيانين يدرك حجم المعاناة، لهذا سارع وأسقط كل الرسوم والضرائب غير الشرعية وما قاله منشور مدحت ،هو في الواقع إدانة صارخة لممارسات الحكم السابق، وحين يظل العثمانيون أمرا كان جاريا ،فانه يقصد بذلك فترة الحكومة الأولى التي استولت على المنطقة..

أما الضرائب التي أسقطها مدحت فهي كثيرة، خذ مثلا ضريبة (الجهاد)، والتي أشار إليها الإعلان والتي حدد الأتراك ما سيأخذونه من رعاياهم في القطيف والأحساء بالزكاة والأعشار الشرعية، وأسقطوا كافة الضرائب غير الشرعية التي سنتها القبائل والحكومات السابقة خلال حكمها الماضي، وقد قوبل هذا الأمر بالارتياح، ليس لأن ذلك كان وعدا وهميا، وإنما كان حقيقة ملموسة، إلا أنه في أواخر عهدهم، ونظرا للأزمات المتلاحقة التي كان الجنود يعانون منها، وباجتهاد شخصي من بعض المسؤولين، أرادوا زيادة بعض الضرائب، وصادف أن بعض المتصرفين كانوا فاسدين، وبعض الناس كان متواطئا معهم، وكانت قبضة الدولة قد تراخت، ففرض بعض المتصرفين ضريبة على التمر لتغطية نفقات الحامية، فرفض الأهالي ذلك، وسرعان ما استجابت الدولة إلى مطالبهم.

والسؤال كم هو مقدار الضرائب العثمانية، وكم كانت المصاريف؟

يشير المستشرق السوفياتي، إليكسي فاسيلييف، إلى أن عائدات الإقليم في عهد الإدارة العثمانية تعادل ٣٧ ألف ليرة عثمانية سنويا. بينما بلغت نفقات الحامية ٥٢ ألفا، ويمكن زيادة عائدات الأحساء.

ويبدو أن هـذا التقدير كـان أواخـر القـرن التاسـع عشـر، أمـا في بدايات القرن العشرين، فيقدر لوريمر واردات الإقليم بسـتين ألـف لـيرة عثمانية، ينفق على الجنود والموظفين ٥٤ ألفا منها وعاد لوريمر فـأكد بأنـه حدث في إحدى السنوات (١٩٠٧) أن قطع حبل الأمن، فتدهـورت تجارة التمـر وانخفضـت أسـعاره مـن ٧ دولارات للمـن الواحـد إلى أربعـة دولارات، وتبع ذلك انخفاض في الضرائب إلى أقل مـن ٥٤ ألـف جنيـه، أي أقل من المصروفات.

وتشير مذكرات مدحـت باشـا، إلى أن إيـرادات منطقـة الأحسـاء والقطيف كانت تكفي لمرتبات الموظفـين والعسـاكر والضبـاط، ويبقـى منها جانب لخزينة الحكومة. ولكن الذين خلفوا مدحت أعـادوا الجنـود إلى بغداد، و أقاموا مقامهم طائفة من الأكـراد والبـدو، وأرسـلوا إليهـا رجلا من أشراف الأهالي لا يعرف قوانين الحكومة ولا نظامها اسمـه عبـد الرحمن، وكانت الحكومة قد وعدت الأهالي بإعفائهم من كل شيء عـدا الزكاة والأعشار، فأراد المشيرون الإكثار من الإيراد، ووضعوا الضرائب وأحدثوا رسوما جمركية مما أدى إلى استياء الأهالي وطرد موظفي الحكومة.

كما أشـارت المذكـرات السـالفة إلى أن الحكومـة التركيـة جمعـت الزكوات والأعشار الشرعية بعد الاستيلاء المباشر علـى الأحسـاء بكـل سـهولة، وبلغـت واردات الحكومـة في سـبعة أشـهر ثلاثـين مليونـا وسبعمائة ألف من القروش، وكـان متوقعـا أنـه إذا تمـت الإصلاحـات وزادت ثروة الأهالي واستتب الأمن، فسوف تزداد الإيرادات.

وواجهت الحكومة التركية أول مشكلة بالنسبة للزكوات مع البدو البعيدين عن مركز الدولة، فعقد اجتماع حضره زعماء البـدو، واتفـق على أخذ ريال عن حمل كل بعير يرد إلى القرى، وانتهت المشكلة.

وجاءت تقديرات لوريمر في بدايات القرن العشرين لما يأخذه الأتراك من المنطقة على المحاصيل الزراعية من زكوات وأعشار شرعية كالتالي:

تمور الأحساء ٢٦٦٠٠٠ روبية.
تمور القطيف ٨٠٠٠٠ روبية.
قمح الأحساء ٦٧٢٠ روبية.
أرز الأحساء ١٣٤٤٠ روبية.
المجموع ٣٦٦١٦٠ روبية.

تجدر الإشارة إلى أن هذا المجموع يساوي حوالي ٧٨٥٠ ليرة عثمانية ذهبية مما يعزز الشكوك القائلة بأن دخل العثمانيين من المنطقة لم يتجاوز في أي عام ثلاثين ألف ليرة إذ يلحظ هنا أن أهم الزكوات على المحاصيل لم تتجاوز سدس المصروفات البالغة، حوالي ستين ألف ليرة ذهبا.

وهنالك ضرائب تافهة تؤخذ من صيادي اللؤلؤ، مقدارها نصف ليرة ذهبية تركية عن كل سفينة صيد مهما كان حجمها، وذلك في أول موسم الغوص.وأشار لوريمر إلى أن عدد السفن العاملة في الإقليم كانت حوالي ١٦٧ سفينة، ويعمل بها ٣٤٤٤ رجلا وبكلمة، فإن الضرائب لن تصل إلى (٩٠) ليرة ذهبا،وهو مبلغ لا يستحق الذكر والتسجيل.

فضلا عن ذلك فإن الأحساء شهدت في وقت مبكر المدارس الحكومية التي أسسها العثمانيون، سنة ١٩٠٢، وسبقت بذلك كل مناطق الخليج دون استثناء، في حين لم يدخل التعليم النظامي في العهد السعودي إلا بعد ٢٥ عاما من سقوط الأحساء، وبعد ٣٨ عاما من احتلال القطيف.

ولم تتأخر الأحساء و القطيف في مجال الخدمات البلدية والبريد وغيرها، فقد أسس العثمانيون أواخر ١٩٠٢ بلدية في الأحساء، وعينوا أحد الوجوه رئيسا لها،ثم طالب الأعيان برئيس هو محمد أحمد الشعبي، فتم لهم ذلك وبقي الشعبي رئيسا حتى سقوط الأحساء ١٩١٣، ولم تؤسس بلدية جديدة، إلا بعد خمسة عشر عاما،أي في عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

وكانت هناك بلدية في القطيف أسست في ذات الفترة لتؤدي نفس المهمات.

وفوق هذا عرفت المنطقة في العهد العثماني الاتصالات البريدية،حيث أوجد الأتراك مكاتب بريدية في كل من القطيف والهفوف والجبيل، وأدت خدماتها وقت احتلال الأحساء، فتوقف البريد مدة اثني عشر عاما على الأقل، أي إلى ما بعد سقوط الحجاز سنة ١٩٢٥، وحينها اعتمد المواطنون بدرجة رئيسية على المسافرين في إيصال رسائلهم.

ومارس سكان الإقليم مجموعة من النشاطات الاقتصادية جعلت من الإقليم أغنى أقاليم الجزيرة العربية،فإلى جانب الزراعة عمل السكان في مجال الغوص لصيد اللؤلؤ، كما مارسوا مهنة صيد الأسماك، وتربية المواشي والصناعات المحلية العديدة،والتجارة،وغيرها.

أما الزراعة فكانت تعتبر المورد الرئيسي للسكان الذين هم في أغلبهم فلاحون،وقد ساعد على نمو الزراعة عبر العصور غزارة المياه، والأرض الخصبة، وتشبث الأهالي بأرضهم وزراعتهم.

أما أهم المزروعات، فهي النخيل التي اشتهرت بها المنطقة منذ

عهود ما قبل الإسلام، وضرب بها المثل (كناقل التمر إلى هجر)، ويعتبر التمر يومها الغذاء الرئيسي للسكان بدون مزاحم، ليس فقط في الجزيرة العربية، بل وفي مناطق أخرى من العالم، قبل أن يزاحمه القمح والأرز على الموائد.

وإضافة إلى زراعة النخيل، نمت في الأحساء وبعض مناطق القطيف زراعة الأرز المشهورة، والمعلوم أن الأرز يحتاج إلى الكثير من الماء، وبرزت أيضا زراعة القمح كما ذكر مدحت باشا، بعد نجاح حملته في الاستيلاء على الأحساء، وكان أول عهد السكان بزراعة القمح هو في تلك السنين الخوالي.كما زرعوا الذرة والدخن والسمسم واللوبيا والشعير وعباد الشمس وغيرها.

وزرعت في القطيف و الأحساء الخضار بأنواعها والفواكه، مثل الرمان والتين والعنب والخوخ والحوامض، واللوز والتوت والنبق وتمر الهند و الليمون والمشمش والبوبي وغيرها.

أما بالنسبة للتمور: فقد قدر لوريمر إنتاجها في الأحساء عام ١٩٠٧ بـ(٥١) ألف طن سنويا، وفي القطيف (٣٤) ألف طن سنويا ،وكان هذا الناتج الضخم يسد حاجات السكان، ومعظم حاجات شرق ووسط الجزيرة، حيث أصبحت القوافل تهفو إلى الأحساء و القطيف، لتعود محملة بالتمور والأغذية، وقدرت المساحات المزروعة بحوالي أربعين ألف هكتارا، تحتوي ما بين ٤ ـ ٥ ملايين نخلة في الأحساء وحدها. أما في القطيف فقدرت المساحة المزروعة في العهد العثماني بـ (١٧) ألف هكتارا، وبها حوالي مليوني نخلة.

وقدر (فايدل) صاحب كتاب (واحات الأحساء) قيمة التمور المنتجة بحوالي مليار وخمسين مليون جنيه ،وهو مبلغ ضخم يومئذ.

واشتهرت القطيف بتصدير الدبس (عسل التمر) المستخرج من رطب الخنيزي، الذي اشتهرت به الواحة ،هذا إضافة إلى تصدير السلوق (الرطب بعد أن يغلي ويجفف) إلى الهند قبل أن تصدر الأخيرة قانونا يعيق الاستيراد.

أما الأرز الأحسائي، فقد طغت شهرته على كل الأنواع ،وكان سعره من أغلى الأسعار، وقد توسع الأهالي في زراعته أبان العهد العثماني، وقدر الإنتاج السنوي بـ(٤١ مليون رطل). في حين بلغ إنتاج القمح في المواسم الجيدة ما يقارب(ألف مليون رطل)[١].

تاريخ العملات والموازين التجارية في القطيف:

نظراً لأهمية العملة فإن حضارة لا يمكن أن تستغني عن هذه العملة مهما كان نوعها، ومهما تعددت منابعها، فالحضارات قائمة عليها، وتعتمد بشكل رئيسي على مواردها من حيث الكمية والنوعية سواء كان ذلك في التاريخ القديم أم الحديث، فقد أُشير إلى وزنها في الحجاز عند ظهور الإسلام، وقد سميت تلك النقود والمقاييس بأسمائها، وأُشير إلى وزنها ومقدارها، وقد استعمل العرب من أهل الجنوب النقود في معاملاتهم من كلا الصنفين الذهب والفضة، وأُخرى سكة من نحاس، ومن المعادن، وقد عثر على نماذج من كل نوع من هذه الأنواع عندما قام المنقبون الجيولوجيون بعمليات التنقيب عن الآثار العربية الإسلامية في المناطق العربية التي أُنشئت عليها الحضارات في ذلك الوقت، كما أن العرب تعاملوا بالنقود والموازين الأجنبية

---

(١) ملخص من بعض المقالات عن المنطقة لمؤلفها حمزة الحسن بتصرف ملحوظ، فراجع..

الخارجية غير سكة الذهب والفضة، مثل النقود اليونانية والرومانية والمصرية الفرعونية والحبشية والفارسية، وقد عثر على نماذج منها في كثير من البلاد العربية كـ(اليمن وحضرموت وبعض مناطق الجزيرة العربية).

وإذا وقفنا عند تاريخ العرب قبل الإسلام نراهم قد تعاملوا بالموازين النقدية المعروفة في الجاهلية سواء كانت المعاملة بالمقايضة، أم بالأوزان الذهبية والفضية، أم بالمبادلة العينية سلعة بسلعة، ولما ظهر الإسلام كانت هذه الطرق لا تزال مألوفة عندهم ومتبعة، فكانوا يبيعون التمر بالتمر، والشعير بالشعير، والحنطة بالحنطة، وتعاملوا بوزن الذهب والفضة، فكانوا يشترون العبيد والرقيق بالأوقية، ويحددها البائع بالذهب أو الفضة[1].

وهكذا أصبحت العملات والموازين النقدية التي تتعامل بها الشعوب والدول تتبدل في كل يوم، فعرفت العرب عن كثير من الحضارات الإنسانية بعض العملات النقدية المعينة سواء كانت يونانية أم إسلامية أم استعمارية، فكانت المنطقة ضمن تلك الشعوب التي مرت عليه أنواع متعددة من العملات والموازين النقدية، ولم تتمكن المنطقة من استخدام عملة خاصة بها بحكم فقدانها في ذلك الوقت المقاييس والعملات لوضعها الاقتصادي المزري ولم تتمكن من استخدام مقاييس وعملات خاصة به، الأمر الذي جعل الأهالي يستخدمون العملات الفرنسية تارة، والعثمانية تارة أُخرى والهندية، والفارسية بشكل مستمر لفترة زمنية ليست بالقليلة، وكما هو معروف أن كل مستعمر تمكن من السيطرة على منطقة الخليج العربي حاول بكل قوة أن يستثمر تجارته في

---

(١) تاريخ العرب، ج ٧، ص ٤٨٩.

وسطها ويتعامل بعملته، فكان للاستعمار البرتغالي عملته الخاصة به، وكذلك الهولندي والبريطاني والعثماني أيضا، وحول هذا الموضوع تحدثت الرسائل والتقارير والوثائق الاستعمارية البريطانية في ذلك الوقت، فعرفتنا على بعض الأنواع النقدية والعملات والموازين التجارية التي يتعامل بها أهل المنطقة، وقد نقلت مجلة الواحة في عددها الأول أربعة تقارير حول هذا الموضوع إليك ملخصها وهي كما يلي:

١ ـ تبديل العملة لعام ١٨٨٥، في بومباي كان كالتالي:

المائة روبية تساوي ما بين ٢٥٢ ـ ٢٦٢ قران الروبية = ٢,٥ ـ ٢,٦ قران.

٢ ـ تبديل العملة لعام ١٨٨٨ في لندن كان كالتالي:

الجنيه الإسترليني = ٣٤,٥ إلى ٣٦ قران، وفي الخليج والهند كانت المائة روبية تساوي ما بين ٢٣٠ إلى ٢٥٢ قران أي أن الروبية كانت تساوي ٢,٣ ـ ٢,٥ قران.

(التقرير السنوي لمقيمية بوشهر عام ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩).

٣ ـ تبديل العملة لعام ١٨٩٠، في بداية العام كان الإسترليني يساوي ٣٦ قراناً، ثم تراجع إلى ٢٩ قراناً، وفي آخر العام ٣٤ قراناً.

٤ ـ في عام ١٨٩٣، فقد القران نحو ١٥٪ من قيمته، وقد بدأ سعر الإسترليني بأربعين قراناً. وانتهى بـ ٤٧ في نهاية العام.

٥ ـ في عام ١٨٩٤ وصل سعر القران إلى ٤,٥ بنساً. وكان سعر الجنيه يساوي ٥٧ قراناً و١٩ بيزة.

٦ ـ كان تبديل الجنيه الإسترليني لعام ١٨٩٥ قد وصل في ذروته إلى

٥٨,٥ قراناً، وفي الأدنى ٥٢ قراناً.

٧ ـ في عام ١٨٩٧ كانت أسعار العملات على النحو التالي:

الجنيه الإسترليني يساوي بين ٥١,٢٥ قراناً إلى ٥٦,٢٥ قراناً.

كل مائة روبية تساوي ما بين ٣٢٠ ـ ٣٥٥ قراناً (الروبية = ٣,٢ ـ ٣,٥ قراناً).

٨ ـ في عام ١٨٩٨ سقطت العملة في جنوب فارس إلى حدّ غير طبيعي. فالقران الفضّي الذي يستخدم في المبادلات، كانت قيمته نحو أربع آنات وست بيزات. ووصل الأمر أن أصبح للقران ١٨ سعراً في بوشهر، وقد أثّر ذلك على حساب قيمة البضائع الواردة والمصدّرة.

وقد بلغ سعر الجنيه الإسترليني بين ٥٤,٥ و ٥٠,٥ قراناً في حين كان سعر كل مائة روبية يصل ما بين ٣٣٠ و ٣٦٥ قراناً.

٩ ـ تبديل العملة لعام ١٨٩٩ كان كالتالي:

ـ الجنيه الإسترليني يساوي ٥٥ قراناً

ـ الجنيه الإسترليني (الورق) يساوي ٥٢,٢ قراناً

ـ الروبية تساوي ٣,٦٥ قراناً.

وفي هذا العام، تتحدث التقارير مثلاً عن أن السيادة في المنطقة لاتزال للجنيه التركي (الليرة التركية)، وللدولار النمساوي (المسمّى شعبياً فرانسه أو ريال فرنساوي)، أو ما يسمى بريالات ماريا تيريزا. والغريب أن العملة الأخيرة يكاد ينحصر التعامل بها في مناطق الجزيرة العربية فحسب. حيث تستورد العملة إلى عدن، وتصدر منها إلى بمباي، والموانئ العربية في الخليج والبحر الأحمر.

وفي عام ١٨٩٩ قدّر البريطانيون ما وصل إلى علمهم من مستوردات للعملة آنفة الذكر بما قيمته ١١٠٩٢٩٠٠ (١١ مليوناً و٩٢ ألفاً و٩٠ روبية) ، أو ما يساوي ٧٣٩٥٢٧ جنيه استرليني.

١٠ ـ في عامي ١٩٠١ و ١٩٠٢ ، كانت أسعار العملات في البحرين كالتالي:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي ما بين ١٤٠ ـ ١٥١ روبية.
- الليرة التركية (الجنيه) يساوي ما بين (١٣ روبية و١٢ آنة) و (١٤ روبية و٨ آنات).

وفي الموازين ، فإنها احتسبت في البحرين كالتالي (وهي مشابهة تقريباً لأوزان القطيف):

- الربعة تساوي ٤١,١٤ رطل معدلاً.
- المن يساوي ٥٧,٦ رطل معدلاً.
- الرفعة تساوي ٥٧,٦ رطل معدلاً.
- المثقال الشيرازي يساوي ٧٢ قمحة.
- مثقال البار يساوي ٧٢٠ قمحة.

١١ ـ سعر العملة في مسقط في عام ١٩٠٤ كان كالتالي:

الروبية تساوي ٤ قرانات.

١٢ ـ كان تبديل العملة في الكويت لعام ١٩١٢ كالتالي:

كل مائة دولار ماريا تيريزا يساوي ما بين ١٤٥ روبية إلى ١٥٨,٥ روبية.

١٣ ـ وفي عام ١٩١٥ ، كانت أسعار العملات في الكويت على

النحو التالي:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي ما بين ١٢٥ ـ ١٢٦ روبية.
- الجنيه التركي يساوي ١٣ روبية و١٢ آنة

١٤ ــ وفي عام ١٩١٦ كانت العملات في الكويت على النحو التالي:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي ١٥٢ روبية
- الجنيه الإسترليني يساوي ١٦ روبية و١٢ آنة
- الجنيه التركي يساوي ١٥ روبية و١٥ آنة

١٥ ـ وكانت الأسعار في الكويت لعام ١٩١٧ كالتالي، وهي على أية حال تعطي مؤشراً للأسعار بشكل مجمل في مناطق أخرى من الخليج:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي ٢٩٠ روبية (لا بدّ ان الروبية سقطت، أو ان هناك زلّة طباعيّة، فيكون الرقم مثلاً ١٩٠ روبية بدلاً من ٢٩٠)
- الجنيه التركي يساوي ١٦ روبية وآنتين.
- الجنيه الإسترليني يساوي ١٧ روبية وست آنات.

١٦ ـ في عام ١٩٢١، كان سعر العملات في الكويت كالتالي:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي ما بين ١٦٨ إلى ٢٠٥ روبية.
- الجنيه التركي يساوي ما بين ١٤,٥ روبية إلى ١٧,٥ روبية.

١٧ ـ وفي عام ١٩٢٢، كانت أسعار العملة في الكويت على النحو التالي:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي نحو ١٧٠ روبية إلى ١٨٩ روبية.
- الجنيه التركي فقد الكثير من قيمته وأصبح سعره ما بين (١٤ روبية و١٢ آنة) إلى (١٥ روبية و ١٣ آنة).

١٨ - في عام ١٩٢٣، كان أسعار العملات في الكويت على النحو التالي:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي بين ١٦١ و ١٧٩ روبية.
- الجنيه التركي يساوي نحو ١٤ روبية معدلاً.

١٩ - في عام ١٩٢٥ كانت أسعار العملات كالتالي:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي ما بين ١٥٨ و ١٨٣ روبية.
- الجنيه التركي (أو الليرة) يساوي ١٣ روبية وثمان آنات.
- والإسترليني يساوي نحو ١٤ روبية وثمان آنات.

٢٠ - أيضاً كانت أسعار العملات في فترة متأخرة في الكويت عام ١٩٢٩ ميلادية كالتالي:

- ١٠٠ دولار ماريا تيريزا تساوي ما بين ١١٢ إلى ١٢٨ روبية.
- والجنيه التركي كان سعره نحو ١١ روبية و١٥ آنة معدلاً.
- أما الإسترليني فسعره ١٣ روبية و٧ آنات.

٢١ - في عام ١٩٣٩، أصبح الريال عملة متداولة في الأحساء، وكذا الليرة التركية الذهبية، ولكن الروبية فقدت شيئاً من مواقعها، ولكنها مقبولة أيضاً. وقد حددت حكومة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود قيمة الريال في ذلك التاريخ بأربعين قرشاً، أو ١٦٠ طويلة، على النحو التالي:

- قرش واحد يساوي ٤ طويلات
- نصف قرش يساوي طويلتين
- ربع قرش يساوي طويلة
- وطويلة الأحساء تساوي نصف آنة، أو بيزتين، وقد بدأت تتلاشى، ولكنها تستخدم في التقسيم والتقييم. في حين بدأ استخدام البيزة المسقطية في القطيف والجبيل فحسب.

أما الأوزان التي كانت متداولة في ذلك العام (١٩٣٩) فكانت على النحو التالي:

١ ـ الربعة وتساوي ١٢ دولاراً (ريالاً)
٢ ـ ٣٢ ربعة تساوي قياسة واحدة
٣ ـ ٦ قياسات تساوي ربع منّ
٤ ـ ٢٤ قياسة تساوي من.

وهناك أوزان تستخدم خصوصاً لوزن الأرز، والقمح المنتج في الأحساء: فموسمية الأرز تساوي ١٠ قياسات، وموسمية القمح تساوي ١٢ قياسة.

نظرة إلى بعض العملات التجارية في المنطقة:

وأما إذا وقفنا عند بعض المقاييس والعملات التجارية التي تستخدم في ذلك الوقت في القطيف والبحرين والأحساء، فإننا نقف عند نوعية خاصة من تلك النقود تعرف بزمن طبقات كل مستعمر استوطن في هذه المناطق، ففي كل زمن يحل مستعمر للمنطقة يتعامل الأهالي بعملته، أو ببعض المصطلحات النقدية التي تعادل نوعية وكمية العملة الاستعمارية.

ومن أقدم العملات التجارية التي تستخدم في المنطقة العملة المسماه (زر)، والتي ظلت متداولة في المنطقة حتى عام ١٢٨٠ هـ، من ثم تعامل أهل المنطقة بعملات الذهب والفضة، فقد كانت عملة (المشخص والأحمر) من أكثر العملات تداولاً، إلى أن جاءت القوات المستعمرة المختلفة إلى المنطقة، فتعامل الأهالي بتلك العملات التي كانت تتعامل بها الدول المستعمرة للمنطقة من البرتغاليين وانتهاءً بالحكومة العثمانية،إلى أن تم توحيد المملكة على يد الملك المغفور له عبدالعزيز، فعرفت العملات المحلية، ولكن كانت هناك بعض العملات والمقادير والمقاييس التي يتعامل بها الأهالي وكانت له أهمية كبرى في حياتهم الاقتصادية وهي:

- الذراع: ويساوي ١٨ بوصة (٤٥ سم). الذراع من المرفق حتى طرف الإصبع الوسطى، ولأن هذا المقياس غير ثابت، نظراً لاختلاف الأذرع طولاً وقصراً، فكان هناك أكثر من قياس للذراع، واحدٌ من القياسات هو نصف متر، وآخر ٧٠سم، وثالث ٤٥ سم، الخ. والأخير هو الأكثر مطابقة للواقع.
- الوار: ويساوي ياردة واحدة، أو ذراعين.
- الباع: ويساوي ٢ ياردة، أو المسافة من طرف ذراعين ممدودتين إلى طرفهما الآخر.
- الشبر: ويساوي ٩ بوصات.
- الشبران: يساويان ذراعاً واحداً
- الفرسخ: مسافات الطرق تحسب بالفرسخ: والفرسخ يعادل ثلاثة أميال. كما وتحسب مسافات الطرق بالساعات.
- الوَضَحْ: أما مزارعو التمور، فلديهم حساب للزمن يدعى

(الوَضَحْ) أو (الوَضْحَه). ويستخدم الوضح لتبيان الفترة الزمنية التي يحق للمزارع خلالها استعمال كل المياه المتدفقة من نبع مشاع. ويعادل الوضح مدّة ١٢ ساعة نهاريّة، ويقسم الوضح إلى: ثلاثة أرباع الوضح، ونصف الوضح، وربع الوضح، الخ.

- الزام: وفي البحر يُستخدم مقياس زمني يُدعى (زام ZAM) وجمعها (زوام). والزام يساوي: أربع ساعات زمنيّة. الساعة الأولى تمتد من مغيب الشمس (أي الساعة الثانية عشرة حسب التوقيت العربي) إلى الساعة الرابعة (حسب التوقيت العربي). وحين تتحرك القوارب والسفن على مرأى من ساحل البرّ، يكون (الزام) ١٢ فرسخاً، أي ٣٦ ميلاً، وتحسب حسب المسافة ما بين علامتين مميزتين على اليابسة.
- الربية الهندية: وكثر التعامل به في المنطقة لفترة طويلة، وكذلك القرش وهو واحد، ويعادل ٤ طويلات،و نصف قرش ويعادل طويلتين، و ربع قرش ويعادل طويلة واحدة.
- طويلة الحسا: هي عبارة عن قطعة نحاسية لها شكل الظفر، وتعادل نصف (آنه) أو ٢ بيزا (بيزتين)، وقد بدأ تداولها في الأسواق يتلاشى، ولكن ما زالت تستخدم في الحساب. أما بيزة مسقط فما زالت تتداول في القطيف وجبيل فقط.

أما الموازين فهي كما يلي:

- ربعة واحدة، وتعادل من حيث الوزن ١٢ دولاراً (١٢ ريالاً).
- ٣٢ ربعة وتعادل قياسه QIYASA واحدة.
- ٦ قياسات تعادل ربع منّ.
- ٢٤ قياسه تعادل منّاً واحداً.

الأوزان التالية تستخدم فقط في وزن الأرز والقمح المنتج في الأحساء:

- موسمية واحدة من الأرز (بقشرته) تعادل ١٠ قياسات.
- موسمية واحدة من القمح تعادل ١٢ قياسة.

وأما النقود الذهبيّة التركية فهي كما يلي:

- قطع من فئة الخمس ليرات ذهبيّة، والليرتين ونصف، والليرة، ونصف الليرة، وربع الليرة، وأكثرها تداولاً هي القطع من فئة الليرة وفئة النصف ليرة.

القيمة الاسميّة لليرة هي: مائة قرش ذهبي، أو مائة وثمانية قروش فضيّة (وهو ما يعادل ثمانية عشر شلناً استرلينياً).

- مجيدي واحد: ويساوي ٢٠ قرشاً، وحجمه بحجم الدولار.
- نصف مجيدي، ويساوي عشرة قروش.
- تشريك CHEREK (الجرخي) أو البشليك BISHLIK: وهو قطعة نقدية من فئة الخمسة قروش.
- قرشان.
- قرش.
- البارة: ويقسّم القرش إلى أربعين بارة، وهو تقسيم اسمي رمزي (حيث لا وجود للبارة في الواقع) إذ إن القطعة من فئة الخمس بارات هي أصغر قطعة موجودة للتداول.
- مائة بارة: وهي قطعة نقديّة تساوي قرشين ونصف القرش.
- خمسين بارة: وهي قطعة نقدية تساوي قرشاً وربع القرش.
- عشر بارات: وهي قطعة نقدية تساوي ربع قرش.
- خمس بارات: وهي قطعة نقديّة تساوي ثمن القرش.

وقد تحدثت بعض المقادير الوثائقية العالمية، عن بعض العملات والمقاييس والموازين المعمول بها في القطيف، وهي أكثر شيوعا من الباقي وهي كما يلي:

- قياس QIYAS واحد: ويساوي ١,٠٧ رطلاً. ولكنه يعتبر أحياناً معادلاً من حيث الوزن لثمانية عشر (١٨) ريالاً، أو ١٠٢ مثقالاً شيرازياً (أو أقلّ من ذلك بقليل).
- ألف واحد ALF: ويساوي قياسين، أي ٢,١٤ رطلاً.
- منّ قطيفي واحد: ويساوي ١٦ ألف، أي ٣٤,٣٧ رطلاً.
- قلّة واحدة: وتساوي منّين قطيفيين، أي ٦٨,٧٥ رطلاً.

وتباع التمور بالجملة بموجب وحدة الوزن المسمّاة (قلّة). وإلى جانب وحدات الوزن الواردة أعلاه، توجد في واحة القطيف مجموعتان أخريان من وحدات الوزن للأغراض الخاصة.

المجموعة الأولى، وهي المستعملة في وزن المعادن الثمينة، وتضم:

- مثقال مشخص أو حَمَرْ HAMMAR ويساوي ٥٤ قمحة، أي ٤٥٪ من توله هندية.
- مثقال شيرازي، ويساوي ٧٢ قمحة، أي ثلاثة أخماس التولة الهندية.
- خمسين، ويساوي عشرة مثاقيل شيرازية، أي ١,٦٥ أونصه.
- مْيَهْ أو إمْيَهْ MIYAH OR AMYAH وتساوي خمسين (عدد ٢) أي ٣,٢٩ أونصه.

أمّا المجموعة الثانية، فتستعمل في بيع المفرّق، مثل اللحم والسمك وغيرهما، وهي كالتالي:

- وقيّة، وتساوي ٠,٦٨ رطلاً.
- حقّة، وتساوي ٤ وقيّات، وتساوي ٢,٧٥ رطلاً.
- منّ قطيفي، ويساوي ١٢,٥ حقّة، ويساوي ٣٤,٣٧ رطلاً.

ويعتبر المنّ القطيفي وحدة الوزن الحقيقية والصحيحة.

وكذلك العملة المتداولة في السنجق (سنجق نجد ويعني الأحساء والقطيف فحسب) فهي مختلطة متنوعة. والعملة الرئيسية المشهورة هي الريال أو دولار ماريا تيريزا، ويعادل هنا حوالي شلن واحد (قديم) أو ١٠,٢٥ بنساً إنجليزياً قديماً.

وتتعامل بلدة القطيف بالروبية الهندية بدون صعوبة، فقد أُرسلت إلى هناك ٣ لاك من الروبيات لشراء التمور عام ١٩٠٥ (لاك يساوي مائة ألف روبية)، كما أن العملة الورقيّة الهنديّة تلقى ترحيباً في بلدتي القطيف والهفوف.

فيما يلي جدول بالعملات المعدنية الرئيسية، الحقيقية والخيالية، المتداولة في سنجق الأحساء (وقيمتها الوسطيّة في السوق):

- المرضوف: ويساوي نصف محمديّة، وهي وحدة نقديّة خياليّة تستخدم في الحساب، ويقتصر استعمالها على بلدة القطيف (يقول المسلم أنها عملة نحاسية وهناك أصغر منها هي الحدج!).
- محمديّة: ويساوي واحداً من عشرين من الريال، وهو أيضاً عملة خيالية.
- الريال: وهو وحدة العملة النقدية المتداولة في السوق.
- الروبية: وتساوي خمسة أسباع الريال.
- الطويلة: وتساوي واحداً من مائة من الريال، ولكن سعرها

يتراوح بين ١ من ١٧ من الريال، إلى ١ من ١٢٠ منه. وهذه القطعة (الطويلة) النقدية قديمة، ولا توجد إلاّ في واحة الأحساء، ويُقال أنها كانت تسكّ في عهد القرامطة، وهي مصنوعة من النحاس، وطولها يبلغ نحو بوصة ونصف، ومن الصعب وصف شكلها، الذي يبدو أنه صمّم عن طريق ثني شريحة معدنيّة من وسطها، بعدها تمّ ضغط الجناحين ولحمهما معاً عند نقطة تبعد ثلثي المسافة عن نقطة الثني.

أما وحدة قياس الطول، فهي الذراع، وتعادل ٤١٨/٣ البوصة.

الموازين والمقاييس في القطيف لأجل البيع بالمفرق:

القياس = ١,٠٧ رطلاً، واحياناً = ١٨ ريالاً

= ١٠٢ مثقالاً شيرازياً (أو أقل من ذلك قليلاً)

الألف = ٢ قياس (٢,١٤ رطلاً).

المنّ القطيفي = ١٦ ألف (٣٤,٣٧ رطلاً).

قلّة واحدة = ٢ منّ (٦٨,٧٥ رطلاً).

(تباع التمور بالجملة على أساس وحدة الوزن الرئيسية هذه، أي القلّة).

لوزن المعادن الثمينة يستخدم:

- مثقال مشخص، أو الحَمَر = ثلاثة أعشار التولة الهندية (٥٤ قمحة)
- مثقال شيرازي = خُمُسَيْ (٢ من ٥) التولة (٧٢ قمحة)؟؟

الحساب فيه خلل؟؟

- خَمْسِين واحد = عشرة مثاقيل شيرازية (١,٦٥ أونصة)
- ميه أو إميه = خَمْسِين (عدد ٢) أو (٣,٢٩ أونصة)

لبيع اللحم والسمك، وغيرهما بالمفرق يستخدم:

- الوقيّة = ٠,٦٨ رطلاً
- الحقّة = ٤ وقيات (٢,٧٥ رطلاً)
- المنّ = ١٢,٥ حقّه (٣٤,٣٧ رطلاً)

أمّا وحدة قياس الطول الرئيسيّة فهي الذراع، وتعادل ٤١٩/٣ بوصة...[١].

نماذج من ثراء القطيف الاقتصادي:

اعتمد اقتصاد دول الخليج العربية قبل النفط أساساً على الموارد الطبيعية مثل: صيد السمك، والروبيان،واللؤلؤ، والزراعة التي تشكل عصب الحياة التلقيدية في ذلك الوقت، بل كانت بالنسبة للأهالي في واحة القطيف تشكل العمود الفقري لاقتصاديات المنطقة، وكان الناتج الزراعي يسد معظم الحاجات الغذائية لشرق الجزيرة العربية ووسطها، بل أن ناتج هذا المحصول يغذي حتى بعض الدول العظمى التي تسابقت لاحتلال هذه المنطقة، فقد كانت المنطقة محطة أنظار العالم العربي والإسلامي والأوربي، وقدر بعض الباحثين في ذلك الوقت المساحات المزروعة في واحة القطيف بأكثر من (١٠،٠٠٠هكتار)، وتمتد لأكثر من ثلاثة أميال عرضاً، وبها عرفت العيون المتدفقة الكثيرة،

---

(١) للمزيد من المعرفة راجع مجلة الواحة العدد الأول.

وتقسم إلى أقسام متعددة منها:

الأراضي الحكومية، وأراضي بيت المال، وأراضٍ زراعية مملوكة لأفراد بموجب حجج شرعية، وأرضٍ مملوكة لأكثر من شخص.

ويصدر من هذه الأراضي المزروعة بالنخيل الكثير من أنواع التمور المختلفة مثال ذلك:

البرحي.
الغره.
الهلالي.
الخنيزي.
الشيشي.
الخصاب.
الخلاص.
دعالج.
الحاتمي.
الخداج.
الصبو.
الشبيبي.
الماجي.
الحلاو.
البصو.
المرزبان.
الحريزي.
الشهل.

الرزيز.

أم رحيم.

الخصاب عصفور.

عماري.

أم عدق.

جنيز.

بكوس.

خصبة بناوي.

الطيار.

الشهل.

وغيرها من أنواع التمور المختلفة التي تزخر بها المنطقة، وكان أشهر الأنواع وأعلاها قيمة وأكثرها طلباً في السوق خمسة أنواع هي (الإخلاص، والرزيز، والخنيزي، والغرة، والبكيرة)، كما أن القطيف كانت أكثر شهرة بنوعين من التمر وهما (الإخلاص، والخنيزي)، كما أن لها شهرة في ذلك الوقت بتصدير الأنواع المختلفة من (السلوق)، حيث كانت هذه التمور وأنواع السلوق تصدر لأكثر من بلد، منها: البحرين وعمان والإمارات وقطر والكويت وغرب الجزيرة العربية، بالإضافة إلى دول أُخرى من الدول العربية والأوربية.

وقد ذكر المؤرخ الغربي رويمر في كتابه دليل الخليج العربي، ج ٢، ص٧٦ بعض الأماكن المهمة التي يصدر منها التمر، ومقداره، وهي كالتالي:

- ٣,٠٠٠ طن من التمور كانت تصدر إلى جدة عن طريق ميناء العقير.

- ١,٠٠٠ طن من التمور كانت تصدر إلى جدة عن طريق ميناء البحرين.
- ٥,٠٠٠ طن من التمور تصدر إلى البحرين.
- ٢,٠٠٠ طن من التمور كانت تصدر إلى قطر.
- ٤٠,٠٠٠ طن من التمور كانت تستهلك محلياً، وأحياناً يصدر الفائض منها إلى نجد والكويت.

وكان العثمانيون يأخذون زكاة وأعشاراً شرعية من التمور قدرت كالتالي:

- ٢٦٦,٠٠٠ روبية من ضواحي الهفوف عن التمور.
- ٨٠,٠٠٠ روبية من القطيف وضواحيها عن التمور.
- ٦,٧٢٠ روبية من الهفوف وضواحيها عن التمور.
- ١٣,٤٤٠ روبية من الهفوف وضواحيها عن الأرز[١].

كما أنها اشتهرت خليجياً وعالمياً بتصديرها (السلوق)، وكانت محط أنظار العالم الإسلامي وغيره، ولكونها منطقة اقتصادية مشهورة في السوق العالمية في ذلك الوقت كانت تمور الأحساء وما جاورها من المدن تباع في منطقة القطيف، وإلى هذا اليوم فإن كثيراً من السلع، وأنواعاً التمور الأحسائية تباع في أسوق القطيف، وبجانب تلك المواد التي كانت تصدر، كانت تصدر أيضا أنواع الفواكه والخضراوات الكثيرة التي اشتهرت بها منطقة القطيف مثل: الرمان والتين والخوخ والمشمش

(١) للمزيد راجع كتاب الحياة الاقتصادية في الشرقية، د. السبيعي، فقد ذكر جملة كبيرة من أنواع التمور المختلفة التي تزخر بها منطقتا القطيف والأحساء، أوصلها إلى ما يقارب (٤٥) نواعاً فراجع. ودليل الخليج العربي، رويمر، ج ٢.

والبوبي والعنب والليمون والموز، ومن الخضراوات: الباذنجان وعباد الشمس والحناء والبصل والفجل والكراث والنعناع والطماطم والخيار والبامية والكوسة وسائر الخضار الكثيرة.

أنظمة الري الصحي في المنطقة:

اعتاد الأهالي في القديم على تنظيم عملية الري الصحية في المزارع، وكان لكل نخل وقت معين، يجري له الماء، وقسم الأهالي هذه الأوقات إلى أقسام بين الليل والنهار، وبين نصف وربع وثمن وأجزاء من الثمن، كما أنهم يعتمدون على العادات والتقاليد المتوارثة في تقسيم أوقات جري الماء إلى النخيل، ويعين بعض النخيل من أي عين يسقى، والناظر إلى طبيعة بناء العيون ومجاري المياه فيها يكتشف أنه في أي وقت يغلق هذا المجرى، وفي أي وقت يفتح ذلك المجرى، بل إن أغلب العيون في المنطقة صنفت على هذه الطريقة؛ لأنه ليس للزراع مصدر ماء غيرها.

بل إنه في بعض المناطق يباع الماء المقرر جريانه في المجرى الخاص به إذا تنازل عنه صاحبه[1] وأن يكون ذلك البيع إما نقداً أو يعوض عنه بالتمر، وكان شراء ربع النهار أو أول الليل يقدر بسعر معين، فمثلا إذا اشترى أول النهار لجري الماء على نخل معين له سعر خاص، وإذا كان آخر النهار له سعر ثان، وهكذا تعاقد الزراع على عملية التنظيم في نظام الري الصحي للمزارع والنخيل في المنطقة دون خلخلة في النظام.

أما عن وسائل الري التي كانت تستخدم في المنطقة فهي كثيرة منها: المياه التي تأتي من قنوات الري المتعدد مثل العيون الارتوازية و

---

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص٧٧.

الأنهار الجارية، وهي بكثرة في القطيف والأحساء، أو يتم سقي المحاصيل الزراعية بعمليات الري التقليدية، وهي المغارف اليدوية وهي نوعان:

أحدهما يتم عن طريق الإنسان نفسه فيباشر رفع الماء من (الدلو) إلى قنوات الري التي توزع هي بدورها المياه على المحاصيل الرئيسية (السواقي).

بينما يتم النوع الثاني بواسطة الحمير، إذ يمكن تعويد الحمير على اتجاه واحد لتقوم بعملية الري.

أو تكون العيون الكبيرة هي التي تسقي المحاصيل الزراعية والنخيل، ويتم ذلك عن طريق تحديد اليوم والوقت الذي يحق للفلاح الفلاني أن يجري الماء على محاصيله الزراعية، وعلى المالك أن يلتزم بذلك، وأن يقوم بفتح القناة الخاصة بري أرضه وفقاً لذلك القانون، وقد تختلف فترات الري وزمنها، وذلك وفقاً لكبر المزرعة وحجمها، وقد ذكر بعض الباحثين في هذا الصدد الأنظمة المتبعة في ذلك الوقت وهي كالتالي:

الصاع: وتعني السماح للمزارع أن يفتح المجرى في الوقت المخصص، وليس للمزارع الذي يليه في الدور حق فتح ذلك المجرى حتى تنتهي المدة المقررة له.

الحومة: وهي عبارة عن تقاطع مجرى ماء كبير مع مجرى آخر ينتج عند التقائهما حفرة عميقة تسمى حومة، وكانت تستخدم لغسل الخضروات ويوضع فيها علف البرسيم قبل نقلها للأسواق، وكذلك يستحم بها المزارعون.

سكار: اصطلاح يطلق على ما يستخدم لسد مدخل الماء إلى الحقل

المزروع (الشرب)، ويكون من التراب أو بقايا الملابس.

الفريض: وهو عبارة عن وضع فتحة من الألواح تسد مجرى الماء الذي يُبني من الجص لتضييق ممر الماء المتفرع من مجرى رئيسي.

السحب: وهو عبارة عن فتحة لمجرى الماء مقسمة إلى قسمين، وتبنى من الجص ويكون الماء في كلا الفتحتين على مستوى واحد، وتدفقه بنفس المستوى، وكل مجرى يخص مزارع[1].

لمحة سريعة لتجارة الغوص:

وتعتبر المنطقة من أهم المدن الخليجية والعالمية التي تعتمد في تجارتها على (الغوص) وقد اشتهرت هذه المنطقة بهذه التجارة منذ القدم، فتاريخها تاريخ المنطقة، ولاسيما ان موقعها الجغرافي المطل على مياه الخليج العربي يجعلها تكتسب شهرة أكبر لكونها أحد أفضل الأماكن التي يستخرج منها اللؤلؤ.

ومع انتشار تجارة اللؤلؤ الخليجي في العالم العربي والغربي على سواء، إلا أن البحرين تميزت عن باقي الدول في تصدير هذه التجارة، ويرجع ذلك إلى وضعها كجزيرة، وإلى أن أفضل المغاصات تقع قريباً من شواطئها، وربما لوجود ينابيع المياه العذبة تحت سطح البحر في تلك المنطقة، وهذا الذي دعا الحكومة البريطانية أن تفكر بنشر سفنها

---

(١) الملاحظ أن المصطلاحات التقليدية في عملية الري القديمة في المنطقة تأخذ نفس المعنى مع اختلاف في اللفظ بين أهل القطيف والأحساء، وقد ذكر الدكتور السبيعي في كتابه (الحياة الاقتصادية في الشرقية) مسميات لعملية الري لا تعرف في القطيف، لكنها هي نفس الطريقة التي يعمل بها في كلا المنطقتين، وهي في الغالب مصطلحات عرفية لا لغوية..

البحرية في مياه الخليج العربي، وبالخصوص قرب المياه البحرينية، ففكرت شركة بريطانية عام (١٨٧١) أن تنافس العرب على هذه الصناعة، وذلك لحصولها على وسام امتياز استخراج اللؤلؤ من المياه البحرينية، وقد عدلت الشركة البريطانية عن هذا عندما أدركت أن هناك تنافسا عربياً على هذه التجارة[١].

كما اشتهرت القطيف وملحقاتها بنفس الشهرة التجارية العالمية التي اشتهرت بها البحرين على صعيد تجارة اللؤلؤ، فقد عرف عن هذه التجارة في القطيف إنها تعادل شهرة التجارة البحرينية، فقد تحدث عنها الكتاب وتغزل بها الأدباء العرب منذ القدم، بالخصوص مدينة (دارين في تاروت) فقد ذكرها الأعشى في قوله:

كأنها درة زهراء أخرجها   غواص دارين يخشى دونها الغرقا

قد رامها حججا مذ طر شاربه   حتى تسعسع يرجوها وقد خفقا

ويذكر ان عدد سفن الغوص في الساحل الغربي للخليج العربي كان خلال الموسم الواحد يتراوح بين(٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠) سفينة، وقد أورد المؤرخ الغربي (رويمر) في كتابه دليل الخليج العربي، ج ٢، ص٩٨ إحصائية لسفن الغوص الخليجية والمشتغلين بها عام (١٩٠٧م) إن عدد سفن الغوص في ذلك الموسم والخاصة بأهل الأحساء وحدهم بلغت ١٦٧ يعمل عليها قرابة ٢٤٤٤ بحاراً، وعدد سفن البحرين ٩١٧ سفينة يبلغ عدد بحارتها ١٧٦٣٣ رجلاً، وأن عدد سفن الغوص البحري لاستخراج اللؤلؤ في الخليج العربي تقدر (٤٥٠٠) سفينة[٢] كانت منتشرة

---

(١) العقاد، ص ٢٦٣.

(٢) رويمر، ج٥، ص١٨٨، وراجع الحياة الاقتصادية في الشرقية السبيعي، ج٢، ص ٩٠، وكتابنا العوامية مجد وأعلام، ص١٥٤.

في بحر الخليج العربي، بالخصوص المناطق القريبة من جزر البحرين، والقطيف.

وقد كان للغوص مواسم خاصة للدخول فيه منها ما يسمى بالغوص الكبير، وذلك عندما تنتهي الأيام الباردة في الشتاء، وتستمر لمدة ثلاثة أشهر، أي من منتصف مايو إلى منتصف شهر سبتمبر، وبعدها يتفرق البحارة جميعهم، وليس للنواخذة سبيل عليهم. فلهم الخيار فمن أراد أن يدخل معه مرة ثانية له ذلك، ومن أراد أن يذهب إلى عمل ثان كالزراعة مثلاً، وموسم آخر يسمى غوص البرد، ويبدأ من منتصف أبريل، ويستمر أربعين يوماً، وموسم ثالث يسمى (الردة) ومدته ثلاثة أسابيع من ٢٠ سبتمبر إلى ١٤ أكتوبر.

ويوجد على السفينة الواحدة طاقم كامل يتكون من النواخذة، وهو الرئيس والمسؤول عن جميع الأعمال. وبعده (الغواص) وهو الذي يقوم بالبحث عن الأصداف في أعماق البحر، ثم يأتي (السيب) الذي يتولى الإشراف على خدمة الغواص أثناء نزوله البحر، ثم (الرضيف)، ومهمته خدمة البحارة من إعداد الطعام وصيد السمك، وهناك (النهّام) وهو الذي يرفه عنهم بأغانيه ومواويله لينسيهم متاعب العمل، وهناك (التبّاب) الذي يرافقهم للتمرن على أعمال الغوص ومن البوذيات الذي تقال:

تنسم ياهوى الغربي بنعشي   غريب وشالت العدوان نعشي
ونا بوصيك ياشيال نعشي   على درب الأحبة تمر بيه

والأشياء التي يستخدمها الغواص للنزول إلى قاع البحر منها (الفطام) الذي يضغط به أنفه فيمنعه من التنفس، ويضع في أذنيه قطعاً من الصوف أو شمع العسل، ويستعين على النزول إلى القاع بقطعة من

الرصاص أو الحجر يثبت في حبلٍ، ويوضع في رجله ليسرع به إلى القعر، و يأخذ معه زبيلاً يسمى (ديين) مصنوع من حبلٍ في وسطه متصلاً بالسفينة، فإذا جمع المحار يقوم السيب بسحبه، فوراً إلى سطح الماء، وتتراوح الغطسة بين ٤٠ ثانية ودقيقة واحدة.

ويستخرج من البحر المحار الذي يوجد فيه الأنواع المختلفة من اللؤلؤ، فمنه ما يسمى قماش أو صبة، وتكون حبته صغيرة، ومنه دانات، وهذه الأنواع الوسطى من اللآلئ، وهناك الجوهرة، وهي من الأنواع الكبيرة.

أما التسويق فيتم عن طريق البحّار نفسه، أو في سوق معد لتسويق هذه البضاعة..

وكانوا يستعينون في استخراج الثروة البحرية ببعض المعدات أهمها:

١ـ القرقور: ويتمثل في ثلاثة أنواع:

أ ـ ذو فتحتين وباتجاهين متقابلين، وله باب يوضع من خلاله الطعم، ويستخرج الصيد منه بقطر خمسة أمتار على الأكثر.

ب ـ الحيزة: وهي عبارة عن قرقور كبير فيه فتحة، وله باب كبير لدرجة أن يدخل فيه رجل كبير يصل قطره إلى متر ونصف.

جـ ـ الصاخوب: وهو عبارة عن نصف قرقور قوي يستخدمه البحارة في الليل مصطحبين معهم أنواراً لصيد السمك، ويحمل هذا على قارب متوسط.

٢ـ الشبكة: وتتمثل في أنواع أيضاً:

أـ السحاب: عبارة عن شبك طوله قرابة ٤٠م يقوم بسحبها

أربعة أشخاص كل شخص من طرف وتسحب من داخل البحر إلى الماء الضحل حيث يجمع الصيد.

ب ـ الجاروف: عبارة عن شبك صغير لصيد الروبيان، يقوم بسحبها شخصان.

جـ ـ السالية: وهي شبكة يقوم الصياد بإلقائها، فتنتشر في الجو، فتغطي مساحة معينة في وسط البحر، وتصيد بعض الأسماك.

د ـ غزل الشبك: عبارة عن شبك طوله من (٥٠ ـــ ٧٥) متراً مكون من ثلاث طبقات من الشبك، طبقتان واسعتان وأخرى ضيقة.

ونوع آخر منه ذو واجهة من النايلون وفي كلا النوعين يكون الفلين في الأعلى والرصاص في الأسفل.

هـ ـ الاسكار: عبارة عن شبك مكون من عدة قطع يصل طوله إلى كليومتر حيث ينصب لمدة تتراوح ما بين ثماني إلى عشر ساعات على الأقل.

وهناك طرق أخرى لصيد الأسماك يعرفها أبناء المنطقة منها:

١ ـ الجافر: لصيد الهامور، وذلك إما بسحبه بقطعة من الخشب في نهايتها قطعة من الحديد تسمى مجدار أو (حواش)، أو يتم صيده بوضع سنارة داخل المجفرة فيها طعم، فيأكلها وهذه أفضل؛ لأنه يستخرج سليماً.

٢ ـ الحذاق: هو الصيد بالسنارة حيث يوضع الطعم في المجدار، فتأكله السمكة فيمسك المجدار بالسمكة فيتم سحبها[1].

---

(١) كتاب العوامية مجد وأعلام، ج١، ص٩٩ـص ١٢٠.

القطيف نظرة في التطور والتنمية:

لقد نشأت مدينة القطيف فوق تلة ساحلية يتراوح ارتفاعها بين ١٠ ـ ١٢ مترا فوق مستوى سطح البحر، وقامت هذه على الموضع، شأنها في ذلك شأن جميع مراكز السكان الأُخرى بالواحة، والتي تقوم على ثلاثة تقسيمات مختلفة. ففي القسم الجنوبي من حي القلعة ويعتقد أنه نواة القطيف الأم سابقاً، والبعض يعتقد أنه أنشئ على أنقاض القطيف[1]، ومن ثم اتسعت شمالا، فأقيمت القلعة والسور لأغراض الحماية من البدو، والغزاة كما هو حال أغلب قرى القطيف في اتباع هذا النوع من نظام الحماية، وفي الجزء من الجنوبي تقع المقبرة والسوق الكبير، وهما خارج السور، وأما في الجزء الشمالي فكانت المساحات الشاسعة التي توسعت فيها المدينة فيما بعد، أما الجزء الشرقي من القلعة فيقع الساحل البحري حيث كان قريبا جدا من القلعة، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية القديمة أن القوات البرتغالية، ومن بعدها البريطانية لم تتمكن من فرض هيمنتها على القطيف إلا بعد أن دكت مدافع سفنهم الحربية سور القلعة الكبير مما يدلل على قربها للجزء الشرقي من البحر[2].

كما أنها شهدت تطورا حضاريا وصناعيا وجغرافيا واقتصاديا ملحوظا في السنوات الأخيرة التي تمكنت القطيف فيها من التوسع الجغرافي، فقد نمت القطاعات العمرانية بسبب تزايد عدد البيوت المبنية

(١) وجدت قطعة حجرية كتب عليها تاريخ بناء القلعة في القطيف، وهو (١٠٣٩هـ)، ويعود إلى العهد التركي العثماني، ويقال: إنها بنيت منذ ذلك العهد والله أعلم.

(٢) لوريمر، ج ٥، ص ١٨٢٠.

على الطراز الحديث، مما أدى إلى تزايد رقعة المساحات الجغرافية بسبب ردم جزء كبير من الجزء الشرقي القريب من الساحل البحري، فكانت منه منطقة البحر والخامسة والجيدية والمزروع والمنيرة والمشاري والناصرة بأقسامها الكبيرة.

أما في القطاعات الإدارية، فقد توفرت فيها المراكز والمباني الحكومية والأهلية حيث تضم ما يلي:

١ـ مبنى للأمارة.

٢ـ مبنى للضمان الاجتماعي.

٣ـ مبنى للشؤون البلدية والقروية.

٤ـ مبنى لمجمع المحاكم الشرعية.

٥ـ مبنى لمحكمة الأوقاف والمواريث.

٦ـ مبنى الدفاع المدني.

٧ـ مبنى للشرطة والأمن.

٨ـ مبنى للإدارة المرور.

٩ـ مبنى لمصلحة المياه والمجاري.

١٠ـ مبنى للأحوال الشخصية.

١١ـ مبنى لتعليم المعاقين في منطقة الناصرة وأنشئ حديثاً.

١٢ـ مبنى معهد النور للتعليم المكفوفين.

١٣ـ مبنى للبرق والبريد والهاتف.

١٤ـ مبنى لشركة الكهرباء الموحدة(سكيكو).

١٥ـ مبنى لمراكز الرعاية الصحية بالقطيف.

١٦ـ مراكز الرعاية الصحية في كل المناطق.

١٧ـ مبنى للمستشفيات الحكومية والأهلية.

١٨ـ مبنى لرعاية الشباب ومدينة رياضية افتتحت مؤخراً.

أما القطاعات التجارية، فهي كثيرة فقد اتسعت القطيف، فكان بها أقدم الأسواق، وأكثرها شهرة المعروف بـ(سوق الخميس)، وهو أحد الأسواق القديمة التي وجد بها منذ أن كانت القطيف، فبعد التطور الذي حدث فيها تطور سوقها واتسعت رقعته الجغرافية كثيرا حيث يضم الآن مئات المحلات،والحوانيت التجارية، فأصبح يجلب آلاف المتسوقين من المواطنين من مختلف مدن المملكة،والسائحين والمقيمين، كما أن بها بعض الأسواق الكثيرة التي أنشئت فيما بعد كسوق مياس، والذي يعتبر مجمعا تجاريا كبيرا، وبجانبه مجمع الخنيزي الذي أنشئ حديثا، بالإضافة إلى بعض الأسواق التجارية المنتشرة في داخل القطيف الأم كمجمع الزهراء ومجمع المنتزه، وبعض المحلات التجارية الكثيرة المنتشرة في أرجاء القطيف وشوارعها وأحيائها الكثيرة، كما أن هناك بعض المجمعات التجارية التي تتواجد في مدينة صفوى وسيهات وتاروت..بالإضافة إلى أسواق الخضراوات والفواكه فهي من الأسواق الكبيرة التي تعرض فيها المنتجات المحلية والخارجية، وسوق التمر، وسوق الأسماك، والذي تعرض فيها المنتجات البحرية المختلفة، وهو سوق لبيع الأسماك بالجملة والمفرد، وإلى جانب ذلك أسواق الذهب، والعقارات، والصيدليات، والمؤسسات والشركات التجارية.

بعض خطط التنمية المستقبلية:

كما أن الدولة جاهدت من أجل تطوير المشاريع الإنمائية في القطيف، بالخصوص الجزء الساحلي للمنطقة فقسم هذا الجزء إلى ثلاثة أقسام هي:

١ـ الجزء الشمالي ويمتد بين رأس تنورة وبين حدود المملكة مع الكويت.

٢ـ الجزء الجنوبي ويمتد بين شاطئ نصف القمر وبين حدود المملكة مع دولة قطر.

٣ـ والجزء الوسط، وهو الجزء المركزي بالنسبة للمنطقة، ويمتد من رأس تنورة في الشمال وشاطئ نصف القمر في الجنوب، ويشمل في الوسط مدينة القطيف والدمام والخبر والظهران وكل ما يتصل بها، وتسعى الدولة لتحويل هذه المناطق من الأجزاء الساحلية إلى منتجعات ومناطق للترويح والسياحة في المستقبل القريب، كما أنها بدأت في تنفيذ مشاريعها التوسعية الترويحية في تزيين الجزء الساحلي لكورنيش الخبر، والدمام والقطيف، ورأس تنورة، والجبيل..

٤ـ كما أنها تمكنت من تطوير قطاعات المواصلات، وتشمل إقامة الطرق البرية والبحرية والجوية، فقد أنشأت الدولة طرق المواصلات الداخلية التي تربط القرى بالقطيف الأم، والقطيف بالمدن الأُخرى، لاسيما مشروع طريق الكورنيش الخبر الدمام، والدمام القطيف، والقطيف صفوى ـ الذي لم يحالفه الحظ إلى هذه الساعة ـ وطريق الصفوى رأس تنورة، والتي سهل عملية التنقل بين هذه المدن.. وكما أن بعض الدوريات المعلوماتية لوزارة الشؤون البلدية والقروية في المنطقة أكدت علة إنشاء بعض الطرق الساحلية التي تسهل عملية التنقل من وإلى القطيف الأم، بالخصوص الطريق الذي يربط الجبيل بالقطيف، والذي يربط مدينة الأوجام بطرق سكة الحديد التي أنشئت مؤخرا في مطار الملك فهد الجديد، كما أن هذا المشروع الحضاري على صعيد (سكة الحديد) سيربط بين مدينة الدمام وبين مدينة الجبيل الصناعية، ثم منها إلى منطقة الخفجي، وهذا الخط يخترق مدينة القطيف من جهة الجنوب إلى الشمال، ويسير باتجاه موزع اتجاهات طرق مدينة الجبيل

السريع إلى شرق هذه الطرق، بحيث يكون هذا الطريق محاذيـا إلى مدينـة القطيف من جهة الغرب، وعلى مسافة عشرة كيلومترات تقريباً[(١)].

كما أن في خطط وزارة الشؤون البلدية والقروية إنشـاء عـدد مـن الفنادق في المنطقـة، لمـا سـوف تشـهده القطيـف مـن حركـة سـياحية، واقتصادية كبيرة بحكم موقعها الجغرافي المهم.

وأمـا بالنسـبة إلى المـوارد الزراعيـة فسـوف تقـل بسـبب النمـو السكاني، والاحتياج لمساحات من الأراضي للبناء عليها، وعمليا بدأت كثافة السكان في المنطقة تزداد ويحتاج الناس إلى مساكن، وبالتالي تدمـير أكبر عدد ممكن من البساتين والنخيل والحقول الزراعية وغيرها.

---

(١) معلومات من وزارة الشؤون البلدية عام ١٤١٨هـ.

القطيف
والبعد السياسي



لمحة سريعة لتاريخها السياسي:

والقارئ لتاريخ المنطقة السياسي يكتشف أنه غنيٌ بالأحداث السياسية منذ أن كانت القطيف، فقد ظهر القرامطة عام ٢٨٦هـ في البحرين واستطاعوا السيطرة على المنطقة، واتخذوا الأحساء عاصمة لدولتهم الكبيرة، واستمروا قرابة (١٨٠) عاماً لاقى الأهالي منهم الدمار والقتل والسلب، وقد انتهى حكمهم بشكل نهائي في انتفاضة عام ٤٨٠هـ، ومن الدول التي قامت بعد انتهاء حكم القرامطة دولة العيونيين (٤٤٦ – ٦٣٦هـ)، ودولة العصفوريين، ودولة بني الجروان (٧٠٥ – ٨٢١ هـ)، ثم جاء حكم بني جبر وآل مغامس، حتى جاء الأتراك، وحكموا المنطقة حوالي ١٢٠ عاماً.

واستطاع الاستعمار البرتغالي إنهاء الوجود العثماني، حيث بنى البرتغاليون قلعتهم في تاروت، ولقد قاوم الأهالي هذا الاستعمار حتى اندحر، وعاد الأتراك مرة أُخرى، وعاشت المنطقة اضطرابات داخلية، حيث انتهز بنو خالد الفرصة، واستطاعوا السيطرة بقيادة براك بن غرير، وامتد سلطانه إلى نجد، حيث استطاعت قبيلة آل (حميد) أن تسيطر على بعض الأجزاء من المنطقة، وهم فرع من قبيلة بني خالد التي تنتمي إلى زعيمهم (براك بن غرير بن عثمان بن سعود بن ربيعة)، وهو أول حكام بني خالد، فقد مرت فترات حكمهم بمراحل متتالية

ومتعاقبة على المنطقة، فالفترة الأولى بدأت عام (١٠٧٧هـ) إلى عام (١٢٠٤هـ)، وكان ملكهم في هذه الفترة ملكاً على فترات مستقلة.

الفترة الثانية من عام ١٢٠٤إلى عام ١٢٠٧هـ، وكان الحاكم زيد بن عريعر بن دجين أميراً تابعاً لآل سعود.

والفترة الثالثة من عام ١٢٠٧إلى أن صار حكم براك بن عبد المحسن بن سرداح حاكما مستقلاً عن آل سعود.

والفترة الرابعة آخر عام ١٢٠٧هـ، وأشهراً من عام ١٢٠٨هـ، وكان زيد بن غرير حاكماً مستقلاً..

والفترة الخامسة من عام ١٢٠٨ هـ إلى عام ١٢١٠هـ، والحاكم براك بن عبدالمحسن بن سرداح، وكان تابعاً لآل سعود.

والفترة السادسة منذ بداية عام ١٢٣٣هـ إلى آخر العام حيث استولى ماجد بن عريعر على الأحساء حيث أبعده محمد آغا كاشف.

والفترة السابعة عام ١٢٣٤هـ حيث استولى ماجد بن عريعر وأخوه محمد على الأحساء و القطيف.

والفترة الثامنة من عام ١٢٣٤ ـ ١٢٤٥هـ، وكان الحاكم محمد بن عريعر على الأحساء وحاكم القطيف ابنه سعدون الضرير.

والمتابع لفترات الحكم هذه عن كثب يرى أنها كانت من أشد فترات الظلم والتعذيب والسلب والنهب والدمار الشامل الذي مرّ على المنطقة في ذلك الوقت، حيث كان حكمهم حكماً بدوياً وقبلياً يقوم على أساس الظلم والبطش.

فقد عرفت هذه القبيلة بمجافاتها لكل ما يتصل بالحضارة

والعمران. يقول بعض المؤرخين: إن صحيفة هذه القبيلة ملطخة بسفك الدماء وبالشقاق والنزاع فيما بينهم، بحيث يقتل الأخ أخاه، فعلى أي أساس يمكن القول بأنهم يريدون إصلاح الأرض وعمرانها، وهم يرتكبون الموبقات فيما بينهم[1].

ويكفي استيلاؤهم على منطقة القطيف وتوابعها وبالخصوص منطقة (الرامس) في العوامية، حيث عدوها لقمة سائغة للنهب والسلب، فبعد أن استقر براك في بلد المبرز وبنى قصراً فخماً يعرف الآن بالقلعة، وبنى بجانب قصره مسجداً يعرف إلى الآن بمسجد براك شن غاراته الهوجاء على منطقة القطيف فكان ذلك (عام ١٠٨٠هـ) حيث أرخت حملاته.

رأيت البدو آل حميد لما　　　توالوا أحدثوا في الخط ظلما
أتى تاريخهم لما تولوا　　　وقانا اللّه شرهمُ (طغى المـا).

حيث تساوي بحساب الجمل (١٠٨٠هـ) في حين يرى الشيخ الجاسر أنها تساوي ١٠٨٢هـ [2]. وهذا أصح لما سوف تعرفه في الصفحات القادمة وفي البحوث الموسعة عن منطقة.

كيف تم أخذ القطيف وملحقاتها:

كان ذلك عام (١٠٨٢هـ) حيث ساندتهم القوات العثمانية في الاستيلاء على المنطقة من أجل أن يكونوا لهم دروعاً واقية وحصناً مانعاً في حربهم مع الحكومة البرتغالية التي كانت تتخذ جنوب الخليج لها قاعدة... والمتصفح لتاريخ تلك الفترة الزمنية التي عاشتها المنطقة في ظل

---

(١) راجع كتاب دراسات ونصوص عن البيوتات العربية، ج٢، ص٧٤.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٧٨.

سلطة الحكومة العثمانية، والحكومة البرتغالية يعرف أن استيلاء قبيلة (بني خالد)[1] كان متزامنا مع أطماع الحكومة العثمانية كما عرفت في الصفحات السابقة.

ومع نشوء الدولة السعودية الأُولى شن البدو حملاتهم على الأحساء والقطيف وسيطروا على المنطقة، حتى قوض دولتهم العثمانيون على يد إبراهيم باشا في ١٨٣٢م. فطلب الأهالي عودة العثمانيين، فأرسلت إليهم حملة برية، استولت على المنطقة في عام ١٨٧١م، وذلك للأمن من قطاع الطرق والبدو الذين ارتكبوا مجازر رهيبة التي ارتكبت بحق الناس، ولقد عاد الحكم السعودي الأول إلى حكم المنطقة في بعض فترات متقاربة مع الحكم العثماني، حيث تمكن الحكم السعودي من طرد الحكومة العثمانية من المنطقة.

والمتتبع لتاريخ المنطقة من عام ١٨٧١ – ١٩١٣م سوف يلاحظ التالي:

١ـ بروز الزعامة المحلية، والمتمثلة في آل نصر اللّه وآل جمعة وبالخصوص الزعيم منصور بن جمعة ـ الذي ترجمنا له في الفصل الخاص بالأُسر العلمية ـ وذلك من خلال وقوفهم مع الدولة العثمانية، حيث

---

(١) لقد تم زوال هذه القبيلة ـ المعروفة بآل (حميد) ـ من حكم منطقة عام سنة ١٢٠٨هـ حيث اندلع القتال بين آل حميد وبين الإمام سعود، فكانت هزيمتهم على يديه، فقد قتل من قتل، ورحل إلى العراق من تمكن من الفرار، وبذلك زالت دولة بني خالد من الأحساء والقطيف. فقد أرخ بعض الأدباء هذا بقوله:

وتاريخ الزوال أتى طباقاً   (وغار) إذ انتهى الأجل المسمى

فكان يساوي ١٢٠٨هـ.... ويقال كان زمن زوالهم عام ١٢٠٧هـ والله أعلم.

كانت زعامة ابن جمعة امتداداً لزعامة الشيخ أحمد بن مهدي نصر اللّـه، حيث كاد العثمانيون أن يعينوا ابن جمعة والياً على الأحساء والقطيف، ولكن تراجعوا لأسـباب خاصـة، ودور الزعامـة المحليـة يحتـاج لدراسـة مستقلة، وخصوصاً أن ابن جمعة كانت له صلة قوية مع المرجعية الدينيـة في النجف.

٢ـ ضعف الوجود التركي في المنطقة، وهــذا يلاحـظ مـن خـلال هجمات البدو المتكررة على المنطقة وذلك بسبب تحريض حكام القبائل المتواجدة في ذلك الوقت داخل الشريط القطيفي الجغرافي، وهذا يمكـن تأكيده من خلال وقعة الشربة أو القربة التي وقعت في ١٣٢٦هـــ ١٩٠٨م وقد ساهمت في اتحاد الأهالي في منطقة القطيف مع الحكم السـعودي في تلك الفترة العصيبة، التي كانت فيها المنطقة معرضة لاسـتعمار الغـرب والحكم التركي، فقد اتفقت كلمة الوجهاء - وكان على رأسهم الشـيخ علي أبو الحسن الخنيزي ﷺ وعلي أخوان، و علي بـن فـارس- علـى تسليم القطيف فسلمت في ٩ـ جمادي ٢ـ ١٣٣١هـ. للملك عبد العزيز دون مشقة أو إجبار، فقد منحت المنطقة للملك عبد العزيـز كمـا تمنـح العروس لزوجها في ليلة زفافه.

فأخذت نهضتها العلميـة والحضاريـة والجغرافيـة والاقتصاديـة في تطور دائم ومستمر، حتى أصبحت من كبريـات المـدن السـعودية ذات الأهميـة الكبـيرة بالنسـبة للاقتصاديـات والأنشـطة العلميـة والثقافيـة والجغرافية، وهذا ما سوف نعرفه من خلال الصفحات القادمة.

أهم التفاصيل في تاريخ القطيف السياسي:

يرتبط تاريخ القطيف السياسي ارتباطـا وثيقـا بمراحـل الأحـداث السياسية العالمية؛ لأن القطيف جزءٌ لا يتجزأ من تلك الأمـة الإسـلامية

فما يحدث في العالم العربي والإسلامي من مشكلات سياسية واقتصادية تنعكس سلبا وإيجابا على القطيف، فقد استهدفت من قبل الدول العظمى والشعوب والقبائل القديمة في تاريخ البشرية لاستعمارها كمقاطعة سياسية واقتصادية هامة، فقد حاولت حملات ملوك (هرمز)، وشيوخ (الجبور) حملاتهم لغزو الخليج العربي بشكل عام، والبحرين والقطيف بشكل خاص، وكانوا جميعا في تنافس شديد قبل مجيء البرتغاليين إلى الخليج العربي، وكانوا يشكلون القوة الضاربة في الأرض في ذلك الوقت ضد حملات القوى البرتغالية المتوجه بكل قواها نحو استعمار الخليج العربي.

وإذا وقفنا عند تاريخ ملوك (هرمز)، ومدى علاقتهم بالدولة الصفوية الناشئة في ذلك الوقت -وهي أيضا لها أطماع في مياه الخليج العربي- لا نرى علاقة تعاون بينها وبين ملوك هرمز، على خلاف ما يؤكد بعض الباحثين من أنهما على علاقة متينة أتاحت الأجواء لملوك هرمز لاستعمار الأراضي الخليجية ومياهها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدلل على عدم تبعية (الدولة الهرمزية) للدولة الصفوية، بل كانت هذه الدولة وملوكها دولة مستقلة بما عندها من قوة وأطماع سياسية وأُخرى اقتصادية في مياه الخليج العربي، وبالخصوص المناطق الخصبة اقتصاديا، مثل البحرين والقطيف.

بداية غزو الخليج العربي:

في سنة ٨٥٧هـ ١٤٥٢م استولى السلطان محمد الفاتح التركي على القسطنطينية العاصمة الثانية للمسيحيين في العالم، ورفع راية الإسلام على أسوارها ودك الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فهز هذا الاحتلال أوربا هزة عنيفة، مما جعل جحافل الغرب ترفع شعار محاربة هذا المد

الإسلامي، فكانت البرتغال التي تمثل التيار المسيحي المتعصب ضد الإسلام أول دولة تتجه نحو استعمار الخليج، ومحاربة القيم الدينية التي يمثلها المسلون في الخليج، وفي عام ٩٤٢ هـ وصل البرتغاليون إلى الخليج العربي وإلى الساحل العماني، وفور وصولهم علموا بما حدث بينهم وبين الفرس في النزاع بسبب احتلال الفرس الساحل العماني، فقد اغتنم هؤلاء هذه الفرصة، فقاد أول حملة للاستعمار القائد العسكري الأميرال (فرنسيسكي) على متن الأسطول البرتغالي، فكانت حملته هذه ـ كما يقال ـ حملة استطلاع فقط، وبعد أن رفع إلى القادة البرتغاليين معلومات تفيد أن هذه الساحل من أفضل السواحل ثراءً، ولاسيما أن أغلبية السكان من المسلمين الذين يجب محاربتهم، فبعثت القيادة البرتغالية حملة عسكرية بقيادة (البوكرك) الذي بدأ غارته العسكرية في المياه الخليجية بتدمير كل سفينة عربية يصادفها في طريقه، حيث أحرق ٤٠ سفينة عربية في مدة قصيرة، واحتل ميناء (فلهات)، ثم ميناء (فرياتي)، وأحرق كل ما كان في الميناء الآخر من سفن عربية وخليجية، وأسر الرجال والنساء، ولم يطلق سراحهم إلا بعد جذع الأنوف وصلم الآذان، ولم يقصر في إحراق البيوت، وتدميرها بعد نهبها..

البرتغاليون يزحفون إلى هرمز:

وتمكنت الحكومة البرتغالية بعد ذلك بقوتها الضاربة في الأرض أن تزحف نحو مدينة هرمز العربية، بعد أن درست الحكومة البرتغالية أوضاع الدولة الهرمزية عسكرياً وسياسياً ورأت أنها من الضعف بمكان مما يسهل التهامها كمقاطعة، وكقاعدة عسكرية تنطلق منها القوات البرتغالية نحو الخليج العربي، فتمكنت من استعمارها وبعد أن وصلت الحكومة البرتغالية إلى هرمز حاضرة الدولة الكبيرة العربية في ذلك

الوقت، سهلت عليها عملية الاستيلاء على مياه الخليج العربي بعد ذلك[1] ومن الأسباب الرئيسية التي جعلت الحكومة البرتغالية تطمع في الاستيلاء على منطقة هرمز هو أنها عصب اقتصادي مهم فهي تمثل الحلقة المهمة في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب، وأيضا هي السوق التي تجلب لها المعاملات التجارية المختلفة من المدن التجارية الاقتصادية العظيمة في ذلك الوقت، والتي تعتبر هذه المدن الخليجية تابعة لها في الحكومة مثل: البحرين، والأحساء والقطيف، ولقد اشتهر من بين ملوكها السلطان (قطب الدين فيروز) الذي حكم حتى عام ١٤١٧، وكان يلقب بملك هرمز والبحرين والأحساء والقطيف، وهو السلطان الذي كان قائماً عندما زار ابن بطوطة السائح المشهور دولة هرمز، وكان يوصف بأنه صاحب هرمز والبحرين وكان بعض الأجراء من عمان والقطيف تابعة لدولته.

وبعد أن تمكن البرتغاليون من استعمارها تماما فرضت على الأهالي الأحكام التعسفية من قبلهم مما احدث اضطرابات اجتماعية وسياسية واقتصادية في الوسط الهرمزي، مما اجبر الكثيرين من أبنائها على الهجرة إلى أماكن أخرى، ومن ينظر إلى تاريخها ما قبل الاجتياح البرتغالي لها، ومن ينظر لها الآن لا يجد فيها إلا بقايا تاريخ حضارة كانت هناك، فهي الآن قليلة السكان، ضعيفة الموارد الاقتصادية بعد أن كان أهلها يعيشون في رفاهية كبيرة من العيش.

---

(١) لمزيد من المعرفة عن دولة هرمز والحروب التي نشبت بينها وبين التتار ١٢٩٢ حتى تمكن التتار منها واستعمارها لفترة كبيرة، راجع الصفحات الخاصة بذلك أو راجع بعض المصادر الخاصة مثل (التيارات السياسية) ص١٥ـ٢٠ العقاد. و (تاريخ الخليج السياسي) ص ٢٨، أمين سعيد.

الجبوريون في القطيف:

في نفس تلك الفترة التي تمكنت الحكومة البرتغالية من فرض هيمنتها على دولة هرمز، وهي تريد إصلاح أوضاعها السياسية والاقتصادية وتعديل وضع الاضطرابات الاجتماعية التي حدثت من قبل الشعب الهرمزي الذي رفض بشدة الاستعمار البرتغالي له، تمكنت الدولة الجبورية من اغتنام هذه الفرصة من الفراغ السياسي الذي تعيشه البرتغال بسبب زحفها نحو الخليج العربي بالخصوص البحرين والأحساء والقطيف، وكان ذلك منذ بداية القرن الخامس عشر.

وكانت أوضاع البحرين والقطيف بالنسبة لهم سهلة ويسيرة باعتبارهما يملكان واليا مسيطرا من قبلهم في البحرين والقطيف، والقارئ لتلك الفترة التاريخية من تاريخ البحرين والأحساء والقطيف في القرن الرابع عشر يرى أن الدولة الجبرورية تهيمن على أغلب المقاطعات البحرينية والقطيفية، والأحسائية، فالأحساء كانت مقرا لحكمهم ففيها زعيمهم المعروف (مقرن بن أجود بن زامل) الذي يطلق عليه في كثير من المصادر التاريخية للخليج العربي بسلطان البحرين والقطيف.

وقد عرف عنه تآمره مع الحكومة السابقة لدولة هرمز المعزولة من قبل البرتغاليين، وهم[1] أبناء الملك (فخر الدين طوران) الذين تمكنوا من الفرار إلى واحات البحرين والقطيف والأحساء واتفقوا على أن يتعاونوا معه على تقسيم ثروات البحرين والقطيف، وكانت القطيف وثرواتها الطبيعية من سهم (سلفور) الذي تمرد سابقا على حكم الجبوريين في البحرين واستولي على كامل بساتينها وثرواتها الطبيعية

---

(١) مهم مقصود، وشهاب الدين، وياس، وسلفور.

وخرق الاتفاق بينه وبينهم، فدخل هـذا الرجـل لأول مـرة في القطيـف بعد الاتفاق الذي أبرمه مع الجبورين في الأحساء، فحاول تدمير منشآتها الحيوية وزراعتها الطبيعية، فشن حملات شعواء علـى الأهـالي وأجـبرهم على مناصفته في الأرباح التجارية، مما أدى إلى رفض الأهالي في القطيف لهذه السياسات التهورية وقاموا بمقاومة كبـيرة ضـده وبعثـوا برسـالة إلى حاكم الأحساء الجبوري في ذلك الوقت يرفعون شكايتهم من تصرفـات (سلفور الطوراني الهرمزي) في أهالي القطيف[1].

مما جعل الحـاكم في الأحسـاء يبعـث برسـالة عزلـه مـن المنصب وحرمانه من سهمه في ثروات الأحساء والبحرين والقطيف، عند ذلـك رجعت القطيف تحت تصرف (أجـود بـن زامـل الجبـوري) ممـا سـاعده ساحل القطيف البحري على شن مناورات القرصنة البحرية لمياه عمان، في حين كانت الحركات النبهانية في ذلـك الوقـت تتطلـع إلى الاسـتيلاء على منابع عمان التجارية، فبعث الجبـوري قـوات كبـيرة عـام (١٤٨٧) بقيـادة ابنـه سـيف لمسـاندة زعيـم القبـائل العمانيـة المعارضـة لحكـم النبهانيين مما أهلهم من طرد الحكم النبهاني في عمـان، وأدى ذلـك إلى أن يحقق الحـاكم الجبـوري أطماعـه الاسـتعمارية والتوسـعية في الخليـج العربي، حيث بلغت سلطته إلى أقصى اتساع لها في الأحساء والقطيـف والبحرين وعمان، حتى وصل به الحال أن يفـرض الجزيـة علـى بعـض ملوك العجم المجاورين له، وكان الجبوريون ذوي سطوة وقـوة نفـوذ كمـا وصفهـم القـائد العسـكري البرتغـالي (البوكـيرك)، عندمـا تمكـن مـن الدخول داخل الأراضـي العمانيـة مسـتعمرا لهـا عـام (١٥٠٧) يصفهـم بأنهم أهل عدة وعدد، يسيطر عليهـم شـيخ مـن شـيوخهم، تديـن لـه

(١) أحمد العناني، الوثائق في الخليج، الوثيقة الرابعة.

العرب والعشائر الجبورية على الإطلاق، ومما تجدر الإشارة له أن الجبوريين كانوا يتنافسون مع البرتغاليين على استعمار دولة هرمز في ذلك الوقت؛ لأنهم أيضا على رغبة شديدة في ضم هرمز للمقاطعات الجبورية، حيث يحدثنا بعض الباحثين عن عمق الصراع الدائر بينهما والذي فجر ثورة الهرمزيين على الجبوريين في الخليج، وأدى هذا الصراع إلى أن تنتهز الحكومة البرتغالية الفرصة لاستعمار المنطقة.

وتؤكد المصادر التاريخية أنه بعد وصول الإمام ناصر بن مرشد بن مالك إبي العرب لإمارة عمان عام (١٦٢٤) أخذت حصون بني هلال أو الجبوريين في مختلف المناطق العمانية تتهاوى الواحدة بعد الأُخرى، وأن قوات الإمام ناصر كانت هي المنتصرة دائما، حتى وصل به الحال أنه أخضع الجبوريين المقيمين في الأحساء، ومن الواضح أن الإمام ناصر بن مرشد اليعربي كان يريد إخضاع الجبوريين، في عمان والأحساء، ويذكر بعض الباحثين: أن ناصر المرشد اليعربي تمكن من قتل شيخهم ناصر الجبري، وعلى أثر قتله استسلموا لطاعته، وعندما تمكن منهم ألقى بكل ثقله لمحاربة البرتغاليين، فسيطر على صور وقريا وطرد البرتغاليين من بلده دبا، ووقعت بينه وبينهم معارك شديدة في صحار، حتى أخضعهم للمفوضات، فبعث إليهم بوفد لمفاوضاتهم، حتى قال ابن زريق عنه: إن عمان عُمِّرت في أيام دولته، وازدهرت، واستراح في عصره رعيته، ورخصت الأسعار، وصلحت الأسفار، وكان متواضعا رؤوفا بالرعية، وكان يخرج إلى الطريق بغير عسكر. أبان حكومته التي امتدت حتى عام ١٦٤٩.. [١].

(١) المصدر السابق.

البرتغاليون والأطماع السياسية في الخليج:

وبعد أن فشلت الحملات الاستعمارية البرتغالية في السيطرة على الدول الإسلامية، لعدم تملك البرتغاليين للقوة البشرية؛ لأنها قليلة جدا، أخذت تفكر في استعمار المياه التجارية التي تسببت في ثراء الغرب والشرق، والتي تعتبر العصب الحيوي والممر المهم في الثراء السريع، فاتخذت الحكومة البرتغالية الصليبية قرارها باستعمار المياه الخليجية، وإن كلفها ذلك المال والرجال، فتزعم القائد البرتغالي الصليبي الحاقد (البوكيرك) قيادة الحملات عام (١٥٠٩) وبدأ بحمل المقر الرئاسي البرتغالي من الهند إلى جنوب الجزيرة الهندية من البحر المطل على مياه الخليج العربي المسمى بـ (بحر العرب)، وأول عمل قام به هو أنه أمر زوارقه أن تقوم بعمليات القرصنة البحرية ضد الملاحة العربية في المياه المارة على الخليج العربي، كما أنه أمر الشعب الهندي أن يتعاون معه على المسلمين في الخليج العربي.

وبعث برسالة تدلل على مدى أطماعه الصليبية الحاقدة على المسلمين برسالة إلى حاكم الدولة الصفوية في ذلك الوقت (الشاه عباس الصفوي) يحثه فيها، ويطلب منه غزو الخليج العربي، وإنه على أتم الاستعداد للتعاون معه على تحقيق هذا الهدف المنشود يقول فيها:

إني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد الترك، وإذا أردت أن تقضي على بلاد العرب، أو تهاجم مكة، فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة، أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، وستجدني بجانبك على امتداد الساحل الفارسي، وسأنفذ لك ما تريد.

وبعد أن تمكنت الحكومة البرتغالية من فرض سلطتها على مياه

الخليج العربي، وتمكنت من الاستيلاء على دولة هرمز، عزز هذا الموقف من قوة البوكيرك من شن حملات استيلائية على مياه البحرين والقطيف، وفي سنة (١٥١٥) نزل أول قارب حربي قرب مدينة المنامة، وأقام البرتغاليون هناك حصنا لازال ظاهراً إلى هذا اليوم. يقول العقاد في كتابه التيارات السياسية في الخليج، ص ١٩ عن وضع أهل الخليج العربي، وبالخصوص البحرين والقطيف من سيطرة القوات البرتغالية عليهم: إن شعوب الخليج العربي تألمت لوجود هؤلاء الغزاة الذين اتصفوا بالقسوة وبالتعسف في جميع الأحوال دون ضابط، وما كادت أنباء موت البوكيرك تشيع بين سكان الخليج حتى رسمت خطة لثورة عامة تحت قيادة حاكم هرمز، ومن الأمور التي تبعث على الدهشة حقاً أن أهل الخليج في هذا العهد توصلوا إلى خطة محكمة على هذا النحو، فقد اتفقوا على أن تهاجم جميع الحصون البرتغالية في المنطقة ليلة ٣٠ نوفمبر من عام ١٥٢١، وأوشكت الخطة على النجاح لولا خيانة حاكم مسقط الذي كان على خلاف مع هرمز، واستطاع البرتغاليون أن يرسلوا النجدات في آخر لحظة إلى المناطق[١] التي تزعمت الثورة، مما أجبر الأهالي على مغادرة بعض مدنهم إلى مناطق أخرى، وتمكنت الحكومة البرتغالية من فرض هيمنتها على أغلب مياه الخليج العربي ومدنه ومنابعه الاقتصادية.

عندها أدركت الحكومة البرتغالية أهمية الاستيلاء على هذه المناطق، فأرسل ملك البرتغال حملة بحرية في عام (١٥٠٦) وكانت هذه الحملة بقيادة القائد البرتغالي (الفونسو دي البوكيرك) (alponso de albugargue) حيث تمكن من بسط نفوذه الاستعماري على مياه

---

(١) العقاد، ص١٩.

الخليج التي تسير منها السفن البحرية إلى أوربا والشرق الأوسط وخليج الهند، فجعلها لفترة زمنية منافذ برتغالية ترفع العلم البرتغالي، وأول منطقة تم على يده استعمارها جزيرة (سومطرة) الواقعة بين البحر الأحمر والخليج العربي، وحاول مد نفوذه إلى عدن، لكنه فشل في ذلك فرأى أن الأفضل له تكثيف جهوده الاستعمارية على منفذ الخليج العربي، ولا سيما منفذ البحرين والقطيف والبصرة، وعمان التي تمكن القائد البرتغالي من احتلالها لعدة سنوات، ومد نفوذ السيطرة البرتغالية إلى أعماقها، بعد أن بث في صفوف العمانيين الرعب، وارتكبت المجازر البشعة، من قتل وسفك للدماء وتعذيب للمواطنين، وما أن بزغ فجر عام (١٥٢٢م) حتى سخط الأهالي في عمان على الاستعمار البرتغالي لبلادهم مما اجبر الحكومة البرتغالية على مغادرة البلاد وذلك بعد أن وصلت القائد البرتغالي الأنباء بأن البرتغاليين يواجهون صعوبات في الهند، وأصبحوا مضطرين إلى سحب جزء كبير من قواتهم في الخليج العربي لمواجهة مشاكلهم هناك، وهو الأمر الذي أدى إلى إيقاع خسائر فادحة بالبرتغاليين، بل كادت الثورات تقضي على الوجود البرتغالي في المنطقة، لا سيما نجاح سكان البحرين في ثورتهم على البرتغاليين بعد أن امتنعوا من دفع الضرائب المقررة عليهم، وفشل قائد الحامية البرتغالية في قمع تلك الثورات، وقد أجبره هذا الوضع على سرعة الانسحاب إلى القاعدة الرئيسية في هرمز، ولكن سرعان ما عادت الحامية البرتغالية إلى البحرين واحتلتها واحتلت المدن المجاورة لمياه الخليج العربي، بفضل الإمدادات التي جاءتهم من الهند، ونتيجة لذلك تم إخضاع المقاطعات الخليجية لحكم البرتغاليين.

وبعد أن اتحدت القوى البرتغالية مع ملك هرمز على استعمار المقاطعات الخليجية، تمكن الأهالي في البحرين والأحساء، والقطيف من

إشعال فتيل الثورة عليهم، لا سيما بعد أن ثار سكان الأحساء في عام (١٥٥٠م) على ملك هرمز، وطلبوا مباشرة تدخل الحكومة العثمانية، وعاضد هذه الثورة ثورة أهالي القطيف الذين تمكنوا فيها من استرداد القطيف من الحكم البرتغالي، حيث أطاحت هذه الثورة بالحكومة البرتغالية، مما أغضب القائد البرتغالي في هرمز (أنطونيو دي نرونها) فأعد العدة لغزو القطيف للانتقام من أهاليها، فتوجه نحوها فدمر القلعة، وأحرق المدينة وسلب أهلها بعدما أنزل اشد العذاب على رواس[1] عندها تمكن من استرجاع القطيف، مما دفع بالعثمانيين إلى الانتقام عندما منهم عندما صنعوا بالقطيف ما صنعوا.

فسيروا حملة بحرية من ثلاثين سفينة و١٦ ألف مقاتل كان على رأسها (بيري بك) في عام (١٥٥٢) حيث تمكنت من إنزال أشد الضربات بالبرتغاليين، مما أعاد قلعة القطيف مرة ثانية للعثمانيين.

وبطبيعة الحال كان الهدف الرئيسي من وراء الحملات البرتغالية لاستعمار الخليج المنابع الاقتصادية الحيوية التي يتمتع بها، و لكونه أيضا يتمتع بحركة ملاحية قوية من المحيط الهندي إلى منافذ أوربا والشرق الأوسط، بالإضافة إلى أن النفوذ البرتغالي الذي يحمل روح الصليبية في الأفكار والعقائد، وكانت تهدف حملاتهم في الوطن الخليجي إلى نشر التبشير في البلاد... لكن ذلك لم يتسنَ لهم طويلا، فقد بدأت الحملات البرتغالية في الخليج تضمحل بعد أن اتجه الحاكم في إيران لمحاربتها بالتعاون مع القوة البريطانية التي كان لها أيضا بعض الأطماع الاقتصادية والسياسية في الخليج، وكان ذلك عام (٩٩٥هـ ـ ١٥٨٧م)[2]

---

(١) تاريخ العراق الحديث، ص ٤٠.

(٢) لوريمر، ج١، ص ١٣ ـ ٢٢.

مما فتح استعمار المنطقة مجددا إلى الاستعمار الهولندي، الذي كان يراقب الصراع الدائر بين الشاه عباس والبريطانيين من جهة، والحكومة البرتغالية من جهة ثانية.

وقد تدخل البرتغاليون لأول مرة في شؤون البصرة في عام ١٥٢٩، عندما طلب شيخ منطقة الجزائر المجاورة للبصرة الجزية من راشد بن مغامس، الذي رفض دفعها والتمس المساعدة من السلطات البرتغالية في هرمز التي استجابت لطلبه وأرسلت حملة بحرية لمساعدته، وبعد أن حقق راشد بن مغامس هدفه رفض التنازل للبرتغاليين عن بعض حصون البصرة فانتقم قائد الحملة البرتغالية منه بإحراق بعض الأماكن المجاورة للبصرة في طريق عودته إلى هرمز.وقد أدى وصول البرتغاليين إلى مياه الخليج العربي في مطلع القرن السادس عشر إلى عرقلة تجارة البصرة لا سيما أن هدف البرتغاليين قد تمثل في تدمير مراكز التجارة العربية والقضاء على دور العرب في نقل التجارة الشرقية.

ولم تخضع البصرة للحكم العثماني المباشر إلا في كانون الأول ١٥٤٦ بعد أن استبد حاكمها بأمورها، ولم يذكر اسم السلطان في الخطبة، ولم ينقش اسمه على النقود حتى عام ١٥٣٨.كما رفض إعادة بعض الهاربين من والي بغداد إليه، فانتهزت الدولة العثمانية فرصة تأييد حاكم البصرة لثورة أحد شيوخ منطقة الجزائر فاعتبرته عاصياً، وأرسلت إليه جيشاً بقيادة والي بغداد إياس باشا، الذي دخل البصرة دون حرب بعد فشل البرتغاليين في إنجاد حاكمها الذي هرب إلى الأحساء. ونظم إياس باشا شؤون البصرة وضم إليها واسط والجزاير، وكان السلطان سليمان القانوني قد ترك البصرة والمناطق المجاورة لها لشيوخ القبائل العربية بعد استيلائه على بغداد في عام ١٥٣٤، بعد أن

أرسل حاكم البصرة راشد بن مغامس ولده مانع إلى بغداد، ومعه مفاتيح البصرة؛ ليعرض الطاعة والولاء.ولذلك أقر سليمان القانوني راشد بن مغامس على حكم البصرة بشروط منها أن تكون الخطبة والنقود باسم السلطان، وأن يكون تابعاً لولاة بغداد في المسائل المهمة.كما قدم شيوخ الجزائر والحويزة ولاءهم للسلطان العثماني، وقدمت بغداد في كانون الأول ١٥٣٤ وفود من شيوخ القطيف والبحرين للترحيب بالسلطان العثماني؛ لحاجتهم إلى حمايته ضد الخطر البرتغالي مما يدل أيضاً على استياء القوى المحلية من التحالف البرتغالي الفارسي في الخليج العربي.

وكانت البصرة في عهد آل مغامس عامرة بسكانها مزدهرة بتجارتها التي امتدت إلى الهند وهرمز والبحرين وفارس وبغداد ودمشق وحلب، وقصدتها السفن من كل الجهات حاملة إليها البضائع الشرقية، كالتوابل والبهارات والعقاقير الطبية ومختلف أنواع الأقمشة وعادت محملة بالتمر وغيره من المنتجات العربية.

ويبدو أن للدولة العثمانية أسباباً في إخضاع البصرة لحكمها المباشر منها رغبتها في الوصول إلى الخليج العربي وإقامة قاعدة بحرية فيها للاتصال بأسطولها في البحر الأحمر، مما أدى إلى دخولها في صراع مع البرتغاليين الذين سبقوا العثمانيين إلى الخليج العربي وتمكنوا من تأكيد سيطرتهم عليه في عام ١٥٢١ بعد إخضاع حكام الأحساء والبحرين والقطيف وإرغامهم على دفع الجزية إلى ملك هرمز وملك البرتغال.

وبعد إخضاع البصرة للحكم العثماني المباشر عينت الدولة العثمانية بلال محمد باشا برتبة بيكلر بك عليها، ومنحته راتباً سنوياً (ساليانه) قدره ٢٠٠,٠٠٠ أقجه، وفي عام ١٥٤٧ كان في البصرة ٢٢٠٠

جندي عثماني من بينهم ألف جندي في الحصن الرئيسي للبصرة، وسبعمائة جندي في المدينة بالإضافة إلى ألف فارس من الاتراك، وعدد لا بأس به من المتطوعين.

وفي عام ١٥٧٤ ـ ١٥٧٥ أصدرت الدولة العثمانية قانون نامه ولاية البصرة وتم تقسيمها إلى عشرين لواء وكانت أرضيها من التزام الوالي العثماني ولم يكن فيها اقطاعات من نوع زعامت أوتيمار.ثم عملت الدولة العثمانية على بسط سيطرتها على المناطق المجاورة للبصرة مثل الحويزة والجزائر والأحساء والقطيف والبحرين ولذلك دخلت في صراع عنيف مع السلطات البرتغالية في هرمز. وفشل الحكم العثماني في مد نفوذه على بعض المناطق المجاورة للبصرة بسب معارضة السكان، وتعاون بعض الحكام مع البرتغاليين.ولكن البصرة ظلت تحت الحكم العثماني المباشر حيناً، وغير المباشر أحياناً وأبقى العثمانيون فيها قوة عسكرية ضعيفة، لذلك اضطرت السلطات المحلية فيها إلى الاعتماد على مساعدة ولاة بغداد للدفاع عنها، أو لإخماد الثورات الداخلية فيها. كما كانت حدود البصرة الإدارية في تغير مستمر؛ففي بعض الأحيان لا تتجاوز ضواحي المدينة، وفي أحيان أُخرى تتسع لتشمل المنتفق والعمارة والقطيف والأحساء حسب قوة حاكمها وعلاقته بولاة بغداد، والدولة العثمانية.

دوافع الغزو البرتغالي على الخليج (القطيف أنموذجا):

ويعود اهتمام الدول الأوربية بالخليج العربي منذ أواخر القرن الخامس عشر ثم القرن السادس عشر من خلال الكشوف الجغرافية التي اهتمت بها الحكومة البرتغالية، والتي تعود في دوافعها إلى عاملين أساسين ركزت أدبيات النصوص التاريخية الإسلامية في دراستها لأوضاع الخليج العربي سياسياً واقتصادياً هما:

١- الدوافع الاقتصادية:

تعتبر الدوافع الاقتصادية أحد الاعتبارات الأساسية في انطلاق البرتغاليين إلى الشرق في خلال فترة الكشوف الجغرافية، حيث كان همهم اكتشاف طريق جديد يصل إلى الهند مباشراً بعيداً عن سيطرة العرب، حيث سيعود ذلك بثروة ومكانة عظيمتين على الحكومة البرتغالية.

وسوف نراه من خلال هذا النص الذي ذكرته بعض الأدبيات الإسلامية الثقافية،وهو يشير إلى أهمية الجوانب الاقتصادية عند البرتغاليين بحيث شجعهم ذلك للذهاب إلى المياه الخليجية واستعمارها.. فقد كانت التجارة بين الشرق والغرب منذ القدم تسلك أحد طريقين رئيسيين هما:

١ـ البحر الأحمر ومصر.

٢ـ وطرق الخليج العربي والشام، وكلا الطريقين كان تحت سيطرة العرب وبالتالي كانت مشكلات واضطرابات تتعرض لها المنطقة وتتأثر تأثراً مباشراً على هذه الطرق بأن تغلق أحدهما أو كليهما، مما يوقف نقل البضائع الشرقية إلى الموانئ الأوربية إلا بالقدر الذي كان يمكن فيه سلوك طريق وعر غير مأمون عبر أسيا الوسطى.

وهذا الاحتكار العربي للتجارة الشرقية والسيطرة على طرق التجارة جعل الحكومة البرتغالية تكرس جهودها للبحث عن طريق يؤدي إلى الهند دون تلك الوساطة العربية، واحتكار التجارة الشرقية وحرمان البلاد العربية الإسلامية التي كانت تنعم بموارد تلك التجارة التي تصل إليهم بأسعار باهظة، وذلك بسبب المكوس الجمركية المفروضة عليها من قبل المماليك في مصر والشام وبسبب مغالاة تجار

جنود البندقية في وساطتهم التجارية حيث كانوا ينقلون بسفنهم هذه التجارة من موانئ البحر المتوسط إلى الأسواق الأوربية، وهذه الأسباب جعلت الحكومة البرتغالية تعمل جاهدة للوصول إلى طريق بحري يربط أوربا بالهند والأقاليم الشرقية عوضاً عن الطرق القديمة التي يسيطر عليها المسلمون.

من أجل ذلك سعى البرتغاليون إلى تحقيق هدفين هما:

١ـ الوصول إلى طرق جديد لا يمر عبر البلاد العربية والإسلامية للحصول على المنتجات الشرقية من مواطنها الأصلية بأسعار رخيصة.

٢ـ جعل الاقتصاد الإسلامي في حالة مزرية متدهورة، وقد تمكنوا من ذلك حينما وصلوا إلى رأس الرجاء الصالح، حيث احتكروا تجارة الشرق بعد أن وصلوا إلى مراكز صنعها ونقلها إلى عاصمتهم (لشبونة)ثم توزيعها على الأسواق الأوربية. وقد عبر (عمانويل الأول ملك البرتغال) في خطبته عن أهداف الحملة التي انطلقت لحو الشرق وذلك عند سفره حيث قال: إن الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق[١].

٢- الدوافع الدينية:

يعد الدافع الديني من الدوافع التي لها دور كبير في حركة الكشوف البرتغالية، حيث إن البرتغاليين كانوا يطمعون في القضاء على الوجود الإسلامي في الشرق والمحيط الهندي، ويعود

(١) بشير حمود كاظم (ندوة حول رأس الخيمة والخليج العربي عقدة عام ١٤١٣هـ في الشارقة.

هـذا العـداء لأصـداء الصـراع بـين المسـيحيين والمسـلمين في شـبه جزيـرة أيبيريـا وانتقامـا للحـروب الصليبيـة في العصـور الوسـطى، وقـد بـاركت بابويـة رومـا الغايـة، بحيـث وضعـت البابـا (نقـولا الخـامي ١٤٤٧ـ١٤٥٥م) مخططـا لضـرب المسـلمين ضربـة قاضيـة والقضـاء علـى الإسـلام بشـكل نهـائي، وينفـذ ذلـك المخطـط مـع الكشـوف الجغرافيـة، ففـي عـام ١٤٥٤م أرسـل إلى ملـك البرتغـال مرسـوماً بابويـاً عـرف باسـم (خطـة الهنـد) تتضمـن إعـداد حملـة صليبيـة تهـاجم بهـا أوربـا أهدافهـا، حيـث يقـوم البرتغـاليون بالاتصـال بـالملوك المسـيحيين جميعـاً كـي يسـاهموا في تمويـل الحملـة بـالأموال والرجـال والعتـاد وبهـا يتـم الالتفـاف حـول البـلاد الإسـلامية وتطويقهـا.

وقد كانت حكومة البرتغال حريصة على أن ترسل مـع كـل حملـة استكشافية مجموعة مـن رجـال الديـن حتـى يقومـوا بمهمـة التبشـير في صفوف المسلمين، فقد وصف البابا الرومي المسلمين بمـرض الطـاعون، فقد قام بإرسال رسالة إلى هنري الملاح البرتغالي يعلن فيهـا: إن سـرورنا العظيم أن نعلم أن ولدنا العزيز هنري، قد سـار في خطـى أبيـه الملـك جان بوصفة جندياً قديراً من جنـود المسيح ليقضـي علـى أعـداء اللّـه وأعداء المسيح من المسلمين الكفرة!! وكان ذلك عام ٨٥٨هـ ـ ١٤٥٤م.

وتأكيدا لعلة تلك الروح الصليبية الحاقدة على الإسلام فقـد عـبر القائد البرتغالي (دي البوكيرك) قبيل إبحـاره لحـو البـلاد العربيـة عـن ضخامة المسؤولية التي أنيطت به من أجل طـرد المسـلمين مـن بلادهـم واستعمارهم استعمارا كاملا، كما ذكرنـا ذلـك مفصـلا في الصفحـات السابقة من هذا الفصل.

٣- الدوافع الاجتماعية:

لقد نجح البرتغاليون في الوصول إلى الهند وحصلوا على التوابل دون الاضطرار لدفع أية رسوم أو أية وساطة تجارية، وبالرغم من ذلك اتجهت أنظارهم نحو البحار العربية وسواحل شبه الجزيرة العربية المطلة على الخليج العربي، فقد تم لهم ذلك لكون هذه المنافذ الساحلية الخليجية تعيش صراعات وخلافات وحالة من التفكك نتيجة ضعف القوى السياسية المسيطرة عليها، فقد وجدت الحكومة البرتغالية في الخليج العربي مصدرا نقدياً كبيراً على صعيد الذهب والفضة واللؤلؤ، كما كان الخليج العربي لهم سوقا استهلاكياً قوياً لتصريف المنتجات الأوربية وتجارتها التي جلبتها من الهند، كما أنه كان من المناطق التي تزخر بالموارد الطبيعية التي استفادت منها الحكومة البرتغالية على صعيد تصدير الحرير، والعطور، واللؤلؤ، والأخشاب، والمواد الغذائية الأخرى[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن البوكيرك أن فارس قبلت بالتنازل عن هرمز العُمانية للبرتغاليين بعد أنْ تأكدوا أن البرتغاليين أصبحوا يشكلون قوة بحرية لا قبل لهم للتصدي لها، فأخذوا منذ ذلك الوقت يعملون على كسب صداقتهم أملاً في الانتقام من العثمانيين الذين ألحقوا بهم الهزائم في أعقاب معركة شالديران عام ١٥١٤م وأملاً في مساعدة البرتغاليين لهم لمد نفوذهم نحو أهم المناطق الاقتصادية السياسية في ذلك الوقت وهي: (البحرين، وعُمان، والقطيف).

أما البرتغاليين فقد قبلوا بالاتفاق مع الفرس لكسب الهدوء من جانب الفرس وعدم ممارستهم أي نشاط عسكري ضدهم في الخليج العربي، وحتى يتفرغوا لمسؤولياتهم الأخرى.. وبعد أن استتب الأمر

---

(١) المصدر السابق ص ١١٤.

للبرتغاليين في الخليج العربي، لم تلبث أن استمرت الكراهة في نفوس عرب الخليج بسبب فرض الضرائب بشكل تعسفي،وذلك التسلط العسكري الذي لم يقتصر على منطقة هرمز العُمانية وإنما إلى البحرين، والأحساء، والقطيف وغيرهم من المناطق التابعة في ذلك الوقت للساحل الخليجي والتي تشكل حركة اقتصادية قوية، فقد نشب الصراع بين الحكومة البرتغالية وأهالي البحرين المتمثلين في بني جبر، وأهالي الأحساء، وأهالي القطيف أيضاً[1].

البرتغاليون والتسلط السياسي في القطيف والأحساء:

بعد أن تسنى لها الاستيلاء على منابع دولة هرمز، التي اعتبرتها قاعدتها في غزو المناطق المجاورة لها، أخذت الحكومة البرتغالية في إمعان التفكير في سياسة التوسع الجغرافي، بالخصوص للمناطق الأكثر ثروة في الخليج، وكان على رأس الخريطة الاستعمارية البحرين والأحساء والقطيف، لذلك كانت نظرة القائد العسكري (البوكيرك) ـ الذي قاد حملات الأسطول البرتغالي إلى الخليج ـ أن دولة هرمز هي القاعدة التي يتم من خلالها الانطلاق إلى استعمار الخليج العربي، بل اعتبرها المفتاح الأول والأخير في طرق الاستيلاء على منابع الخليج العربي، ومما يذكر أن البوكيرك ـ والذي كان يعرف بعنفه وصلابة موقفه العدائي من العرب المسلين ـ قد عمد إلى استعمار دولة هرمز وإلى إحراق وتدمير كل سفينة عربية تعارض السياسة البرتغالية الاستعمارية، معلنا بذلك الحرب على كل من يعارض سلطة البرتغاليين في البحر، كما عمد أيضا إلى إشعال النيران في المواني العربية التي مر بها كقريات ومسقط وخورفكان، وهكذا كان الخليج العربي وعمان بالذات أول منطقة

---

(١) المصدر المرجع السابق ص ١٦٥.

تشهد فظاعة الغزو البرتغالي وقسوته.

وفي هرمز تصدى لأسطول البوكيرك أكثر من أربعمائة سفينة منها ستون سفينة كبيرة الحجم كان قد خصصها ملك هرمز لحراسة الجزيرة والدفاع عنها، ولم يكن البوكيرك يمتلك أكثر من سبع سفن حربية كبيرة لم يتجاوز عدد بحارتها أكثر من أربعمائة وستين شخصاً غير أن البوكيرك القائد المحنك لم يجد في قلة السفن والجنود ما يمنعه من نيل مأربه في الاستيلاء على الجزيرة، وقد أبدى البرتغاليون استماتة في القتال حين بدأوا الهجوم، وخاصة حينما أكد البوكيرك لجنوده أنهم بين أمرين إما الانتصار، أو يقطع المسلمون رؤوسهم وأعناقهم، ويحملونها ضمن غنائمهم[1] وبدأت معركة هرمز بقصف البرتغاليين لجموع المقاتلين الذين احتشدوا على شواطئ الجزيرة وأحدث قصف المدفعية البرتغالية خسائر مروعة نظراً لتكدس المقاتلين ووقوفهم في مواجهة البرتغاليين في المنطقة، التي يزيد طولها عن ثلاثة أميال، وقد شعر سكانها من أول وهلة أنه لا طاقة لهم بمحاربة البرتغاليين في الوقت الذي حاول فيه البوكيرك أن يثني ملك هرمز عن مواصلة القتال، ويدخل في طاعة ملك البرتغال، ولكن رفضت قيادة الخليجيين ـ المتمثلة في الشيخ عطاء ـ ذلك رفضاً قوياً، وكان من رأيه مراوغة البرتغاليين وتفويت الفرصة عليهم أملا في أن تصل نجدات من المسلمين وشيوخ الخليج، وعندما انكشفت الخطة الهرمزية للقائد البرتغالي أمر باقتحام الميناء وتدمير وإحراق جميع السفن التي أبيدت عن آخرها، مما أجبر ملك هرمز على عقد المفاوضات العسكرية بينه وبين البرتغاليين.

---

(١) هناك المزيد من التفاصيل الطويلة عن المعارك العربية البرتغالية، التي خاضها القائد البرتغالي في الخليج العربي بالخصوص فيما يتعلق بالحرب بين البرتغاليين وبين العمانيين في الخليج العربي، لكن تركناها للبحوث القادمة، في مواضيع مستقلة في القريب العاجل إن شاء الله.

وبعد أن تمكنت الحكومة البرتغالية من الاستيلاء على دولة هرمز، بعثت رسالة إلى الشاه الصفوى لاستمالته ضد العرب، واغتنام فارسيته لصالحهم ضد عرب الخليج، وبعث البوكيرك رسالة إلى الشاه الصفوي يطلب منه غزو الخليج العربي لاسيما مياه البحرين والقطيف وجدة، لكن باءت محاولاته بالفشل مما تأكد للبوكيرك القائد البرتغالي أن ملك هرمز أصبح لعبة في يد الشاه الصفوي، وفي نفس الوقت تأكد للشاه الصفوي أن البرتغاليين قد أصبحوا يشكلون قوة بحرية لا قبل له للتصدى لها، وبدأ الشاه الصفوي يعمل منذ ذلك الوقت لكسب صداقتهم للانتقام من العثمانيين، ففي عام ١٥١٥ وصل مبعوث الشاه الصفوي إلى قاعدة البرتغاليين في هرمز، وكان يحمل عدة مطالب من بينها أن تمنح البرتغال سفنها لفارس كي تمكنها من احتلال القطيف والبحرين، وأن يساعد البرتغاليون الشاه في قمع ثورة قامت ضده في (مكران)، وأن تكون جميع مراكز البرتغاليين في الهند مفتوحة للتجارة الفارسية، ورحب البرتغاليون بتلك الاتفاقية التي ضمنوا بها تقاعس فارس عن نشاطها العسكري في الخليج العربي ...[(١)].

---

(١) كانت هناك بنود اتفاق بين الفرس والبرتغاليين على احتلال الخليج العربي، ولم يجد البرتغاليون أي صعوبة في الوصول إلى نقاط التقاء بينهم وبين الفرس في ذلك الوقت، وكانت أهم هذه البنود التي سطرها التاريخ ما يلي: أولاً: يساعد الفرس البرتغاليين في احتلال سواحل الخليج العربي، وخصوصاً سواحل البحرين والقطيف.ثانياً: يساعد البرتغاليون الشاه في إخماد ثورة مكران، وثالثاً: إذا احتاج الشاه إلى قوة تعينه على استعمار الخليج فستسانده القوات البرتغالية والأساطيل البحرية، وهذه البنود هي التي هيأت الأجواء لاحتلال الخليج العربي من قبل الاستعمار البرتغالي، مما أهلهم أن يصلوا إلى الكويت والبحرين والقطيف..(راجع المصادر التي ذكرت في هذا البحث).

وهذا الاتفاق شجع الحكومة البرتغالية على غزو الخليج العربي بشكل عام، ولم تكتفِ بما أحدثته من فوضى سياسية واقتصادية واجتماعية في هرمز، فسار القائد البرتغالي بجيشه نحو أهم المواني الخليجية وأثراها اقتصاديا، وهي البحرين والأحساء والقطيف، وعندما وصل الأسطول البرتغالي إلى هذه الموانىء خاض معركة طاحنة بسبب رفض الأهالي للاستعمار البرتغالي، مما شجع الحكام الجبريين على شد أواصر التعاون بينهم وبين الأهالي لمقاومة الاستعمار البرتغالي، مما جعل الحكومة البرتغالية ـلفترة طويلةـ تقف عاجزة عن اقتحام البحرين والقطيف والأحساء، ولم تتمكن منها إلا بعد أن ذهب زعيم الجبريين إلى الحج، فاستغل (طور انشاه) الذي كان على خلاف مع الحاكم الجبوري (مقر بن زامل) الفرصة وتمكنت القوات البرتغالية من توحيد وتوطيد عزمها وحشد قوتها لضرب البحرين والقطيف، وما أن عاد السلطان مقرن من تأدية فريضة الحج، حتى وجد القوات البرتغالية تحاصر مياه الخليج في البحرين والقطيف، وكان ذلك عام (١٥٢١)، وتتكون القوات من ثلاثة آلاف مقاتل من العرب الخونة والفرس المتمردين على مبادئهم، تحملهم مائتا سفينة، ويقودهم وزير الملك الهرمزي شرف الدين، هذا من جهة ملك هرمز أما من جهة البرتغاليين فكانت قوتهم تتكون من أربعمائة مقاتل تحملهم بضع سفن كبيرة الحجم مزودة بالمدافع الكبيرة بقيادة (أنطونيا دي نرونها) الذي يعرف في المصادر التاريخية البرتغالية ببطل البحرين، فاستطاعت القوات المتحالفة الهرمزية والبرتغالية من الاستيلاء على البحرين، مما أدى إلى وقوع السلطان مقرن في أيدي القوات المتحالفة وبعدها تم إعدامه، مما سبب انهزاماً شديداً في عسكره الذي فر هو بدوره إلى القطيف، وما أن وصلت الأنباء إلى القوات العربية القطيفية في ذلك الوقت حتى بان الانكسار على وجه الأهالي.

عندها بادرت القوة البرتغالية إلى تعيين والٍ لها يحكم البحرين ويستند في حكمه إلى الحامية البرتغالية، فبادر البرتغاليون ببناء قلعة ضخمة لهم في الجزيرة التي تم الاستيلاء عليها، وهي لا تزال إلى هذا اليوم قائمة في البحرين تعرف باسم قلعة العجاج، وما أن استتب الأمر لهم في البحرين حتى فكروا في الاستيلاء على القطيف، لكنهم في بادئ الأمر لم يتمكنوا من غزوها لأنهم لم يتمكنوا من التقدم إلى القطيف بسبب عنف المقاومة العربية وخوفهم من أن يزج بهم أهل القطيف إلى داخل الجزيرة العربية، ولكن سرعان ما توحدت القوات البرتغالية والهرمزية على غزو القطيف، مما جعل الأساطيل البحرية البرتغالية تدك حصون القطيف بالمدافع الكبيرة مما احدث مجاز جماعية في وسط الأهالي، وأخيراً تمكنت الحكومة البرتغالية من الاستيلاء على حصون القطيف، وفرضت هيمنتها على الأهالي، وظلت الحكومة البرتغالية في القطيف لعدة سنوات ذاق فيها الأهالي الظلم والأحكام التعسفية، وسلب الحقوق والممتلكات العامة والخاصة، وأُرغم الأهالي على العقائد الصليبية، ولقد مارست الحكومة البرتغالية سياسة القمع الصليبي الحاقد على أهالي القطيف والبحرين، مما جعل الأهالي يشنون غارات على القوات المعسكرة داخل الحصون، وكانت نتيجتها طيبة، لكن سرعان ما باءت بالفشل الذريع، كما عرفت في الصفحات السابقة.

موقف ولاة الأحساء من البرتغاليين:

أما الأحساء والتي فكانت خاضعة لحكم الجابري أحد زعماء قبيلة قيس العربية، ولكن بعد استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد في عام ١٥٣٤ أعلن شيوخ الأحساء والقطيف عن ولائهم وخضوعهم للحكم العثماني؛ لحاجتهم إلى الحماية العثمانية ضد

التحالف البرتغالي الفارسي، وقد ضمت ولاية الأحساء وفقاً للتقسيمات الإدارية العثمانية المبرز وجبرين وقوبان والتهامية وعيون وغيرها والبحرين في بعض الأحيان.وكانت الأحساء تتبع ولاة بغداد، ويرسل شيوخها إليهم الهدايا ويشاورنهم في المسائل المهمة، واستمر الحكم العثماني في الأحساء بمساعدة قبائل المنتفق العربية، ولم تكن لولاة الأحساء- فاتح باشا وعلي باشا ومحمد باشا وعمر باشا- صلاحيات واسعة فيها، وعندما حدثت الفتنة بين حسين باشا آفراسياب وعميه احمد آغا وفتحي بك وقف والي الأحساء العثماني إلى جانب أحمد آغا وفتحي بك وقدم لهما المساعدة، ولذلك انتقم حسين باشا منه باستمالة القبائل العربية في شرق الجزيرة، وفي مقدمتها قبيلة بني خالد أقوى القبائل العربية في شرق الجزيرة خلال القرن السابع عشر، وزعيمها آنذاك براك بن غرير آل حميد الخالدي، ونجح حسين باشا آفراسياب في الاستيلاء على الأحساء بمساعدة براك. ولكن ما لبث أن نشب خلاف بين حسين باشا آفراسياب وبني خالد، فأرسل حسين باشا جيشاً بقيادة صهره وكتخداه يحيى آغا، فهرب براك، وطلب أعيان الأحساء الأمان من يحيى آغا، وبذلك عادت الأحساء إلى حكم آفراسياب. وبعد طرد حسين باشا آفراسياب من حكم البصرة في عام ١٦٦٧ تمكن براك من إرغام والي الأحساء العثماني عمر باشا على الاستسلام في عام ١٦٧٠، وبذلك انتهى الحكم العثماني فيها، وظل براك يحكم الأحساء حتى وفاته في عام ١٦٨٢.وكان براك أول من أسس حكم بني خالد في الأحساء بعد أن طرد العثمانيين منها. وبعد وفاته خلفه أخوه محمد بن غرير في حكمها[1].

---

(١) دراسات في تاريخ الخليج الحديث، ص ٤٠.

كيف اندحر الحكم البرتغالي من القطيف؟

تدخلت عوامل عدة في عملية اندحار الحكومة البرتغالية من الخليج، ولاسيما القطيف، الذي دام قرابة (١٤٥) سنة تقريباً، ومن أبرز تلك العوامل الصراع الدائر بين الحكومة العثمانية والحكومة البرتغالية، وخصوصا بعد أن أمر السلطان سليم الأول أثناء وجوده بمصر ببناء ترسانة بحرية كبيرة في ميناء السويس، ولكن دلت الأحداث التي تعاقبت حتى وفاته في عام ١٥٢٠ على أن هذا الصراع لم يدخل مرحلة التنفيذ، وبعد عودته من الآستانة تمكن من تعزيز الأسطول البحري العثماني في البحر الأبيض المتوسط، وسار على هذا المنوال السلطان سليمان القانوني الذي جعل الأولوية في برنامجه العسكري للجبهة الأوربية، وكان الموقف البرتغالي من هذه الحملات وتلك المواقف العسكرية من الاستعمار البرتغالي من المنطقة قد أصبح هزيلا، وخصوصا بعد أن تمكنت الحكومة العثمانية من استعمار عدة مناطق عربية وخليجية، حيث كان من أبرز مظاهر هذا الاستعمار أن امتد النفوذ العثماني إلى الخليج العربي، حيث دخل أُمراء البصرة والبحرين والقطيف في طاعة العثمانيين، كما أنه مد سلطته الاستعمارية إلى أبعد من ذلك، حتى وصل برنامجه العسكري إلى الجبهة الأوربية، ولا يمكن أن يكون ذلك استخفافاً من جانب هذا السلطان بقوة البرتغاليين، وإنما يرجع إلى تقديره للموقف العسكري والسياسي العام في دولته. على أن مركز البرتغاليين لم يلبث أن تعرض لهزة عنيفة منذ أن فتح العثمانيون العراق في عام ١٥٣٤ حيث كان من أبرز نتائج هذا الفتح أن امتد النفوذ العثماني إلى سواحل الخليج في المنطقة الشمالية حيث دخل أُمراء البصرة والبحرين والقطيف في طاعة العثمانيين، كما حاول السلطان سليمان أن يسيطر على المنطقة الجنوبية من الخليج، وأعد من أجل ذلك

حملة بحرية للاستيلاء على جزيرة هرمز، و إلحاق إداراتها بالبصرة. وقبل أن نتعرض للعمليات البحرية العثمانية ضد الوجود البرتغالي في الخليج العربي قد يكون من المناسب أن نشير في هذا المجال إلى أنه كانت هنالك مجموعة من العوامل كان لها أثر بعيد في عدم تحقيق العثمانيين نتائج إيجابية في صراعهم ضد البرتغاليين، وترتبط هذه العوامل -في تقديرنا- بفشل العثمانيين في إيجاد واجهة إسلامية كبيرة بسبب الخلافات التي كانت قائمة بينهم وبين الدولة الصفوية في فارس، ومن ناحية أُخرى فشل العثمانيون -بسبب بعض التصرفات الشاذة التي صدرت عن بعض قادتهم- في تجميع القوى الإسلامية المحلية المنتشرة على سواحل الخليج والجزيرة العربية وشرق إفريقيا وبدلا من أن تتكتل تلك القوى تحت زعامة العثمانيين دب الشك وعدم الثقة بين الفريقين، وبالتالي لم يحدث تكتل بين القوى المحلية رغم ارتباط مصالحها واتساع ساحة المواجهة العثمانية البرتغالية التي شملت بالإضافة إلى الخليج والبحر الأحمر الجزء الغربي من المحيط الهندي.

ولعل ما يلفت النظر أنه على الرغم من الضعف الواضح في القوة البحرية العثمانية -إذا ما قورنت بالقوة البحرية البرتغالية- إلا أن المواجهة العثمانية للبرتغاليين استمرت أكثر من ثلاثين عاما، وعلى وجه التحديد بين عامي ١٥٥٠ و ١٥٨٣، وإن كانت متقطعة بسبب افتقار العثمانيين إلى القواعد العسكرية البحرية التي تمكنهم من الاستمرار في ذلك الصراع.

وعلى أية حال، فقد تميزت السنوات المشار إليها بمجموعة مهمة من التطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها منطقة الخليج، وذلك منذ أن نزل العثمانيون إلى ساحة الصراع في أعقاب الانتصارات التي

أحرزوها ضد الدولة الصفوية، ولنجاح السلطان سليمان القانوني ـ كما سبق أن أشرنا ـ في دخول بغداد ١٥٣٤ ومد نفوذه إلى البصرة في عام ١٥٤٦، التي تحولت إلى قاعدة بحرية للعثمانيين للانطلاق منها صوب الأسطول البرتغالي الذي كان متمركزاً في كثير من القواعد البحرية في الخليج العربي و المحيط الهندي، وهناك دارت كثير من المعارك البحرية بين الطرفين كانت أعنف من معارك خير الدين بربروسا الشهيرة في الحوض الجنوبي من البحر الأبيض المتوسط، كما عمد البرتغاليون في كثير من الأحيان إلى مهادنة العثمانيين؛ لكي يتمكنوا من تركيز نفوذهم والتصدي لردود الفعل العربية التي لم يخمد أوارها بين سكان الخليج. وبدأت العمليات البحرية العثمانية ضد البرتغاليين في عام١٥٥٠ حين قام العثمانيون بحملة بحرية بقيادة سليمان باشا الخادم لمقاتلة البرتغاليين في البحر الأحمر و الخليج العربي والمحيط الهندي، وكان سليمان باشا رجلا خرفا طاعنا في السن استطاع أن يثير المسلمين في عدن حين تقدم إليها بحملته، وبدلا من أن يكون عامل توحيد للقوى الإسلامية المحلية أصبح بسياسته الشاذة عاملا من عوامل الفرقة بعد أن عمد إلى قتل أمير عدن وهو من أُسرة بني طاهر حين دعاه بطريقة غادرة إلى وليمة على ظهر سفينته، وقد تركت هذه الفعلة الشنعاء تأثيرها على الأُمراء المحلين الذين لم يرحبوا بتقدم العثمانيين إلى سواحلهم.

وفي منطقة الخليج العربي استخدم العثمانيون قاعدة البصرة لانطلاق حملاتهم البحرية ضد البرتغاليين رغم أن البصرة كما هو معروف ميناء نهري أكثر من كونها ميناء بحري، ومع ذلك فقد استخدمها العثمانيون للخروج بأسطولهم إلى مياه الخليج، ووجد العثمانيون تجاوبا كبيرا من عرب الخليج للاحتماء بزعامتهم الإسلامية، حتى أن سكان القطيف و الأحساء بادروا إلى اعتبار أنفسهم رعايا

عثمانيين، وأكدوا رفض خضوعهم لمملكة هرمز التي كانت تعاني في ذلك الوقت من وطأة الاحتلال البرتغالي، وكان قد سبق لسكان البحرين أن أعلنوا خضوعهم للعثمانيين على أثر فتحهم للعراق في عام ١٥٣٤.

وقد اعتبر العثمانيون المناطق التي أعلنت ولاءها لهم (إيالة) عثمانية أطلقوا عليها اسم (إيالة) الأحساء، وعينوا عليها بلـيربي pirri de reis، أو أميرا أول، وكان البليربي يتشكل طبقا للتقسيمات الإدارية العثمانية من عدة سناجق حيث اعتبرت القطيف ضمن مجموعة سناجق (إيالة) الأحساء التي امتدت حدودها حتى وصلت جنوبا إلى شبه جزيرة قطر.

وليس من شك في أن السيادة العثمانية التي أُعلنت على الأحساء و القطيف قد أفزعت البرتغاليين خاصة بعد وقوع الحصن البرتغالي في القطيف تحت سيطرة السيادة العثمانية في عام ١٥٤٧، وكان البرتغاليون يعتمدون على ذلك الحصن في السيطرة على المناطق الساحلية من شرق الجزيرة العربية، ولذلك وجه البرتغاليون حملة كبيرة لاستعادة القطيف أُسندت قيادتها إلى (أنطاودي نورونها).

وكانت هذه الحملة تتكون من ألف مقاتل، وسبع سفن كبيرة الحجم هذا بالإضافة إلى قوات من هرمز صاحبت تلك الحملة، وكان عددها أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، وعلى الرغم من أن العثمانيين في القطيف لم يتجاوز عددهم أكثر من أربعمائة مقاتل إلا أنهم دافعوا عن أنفسهم ببسالة منقطعة النظير، وإن كانوا قد اضروا في نهاية الأمر إلى ثمانية أيام ولم يكتف ذي نورونها بمحاصرة القطيف وإنما واصل الزحف بقواته إلى البصرة باعتبارها قاعدة العثمانيين البحرية في الخليج، ولكنه

لم يستطع أن ينفذ خطته في السيطرة عليها، لأنه عندما وصلت تلك الحملة إلى بيلربي البصرة الذي سارع بتنفيذ خطة ذكية لتفادي الهجوم المرتقب حيث جعل القائد البرتغالي يعتقد أن العثمانيين قد جعلوا حشوداً كبيرة من القبائل العربية في البصرة، وكان ذي نورونها يخشى الاصطدام بتلك الحشود، فقد عدل عن خطة الهجوم مفضلا التراجع إلى القطيف، وهناك علم بأنه قد خدع، إذ لم يثبت وجود أية استعدادات بحرية في البصرة لتلافي الهجوم البرتغالي.

القطيف تشهد معارك بين العثمانيين والبرتغاليين:

أكدت المعركة في القطيف أنه لا قدرة للعثمانيين للتصدي للبرتغاليين في معارك بحرية نظامية، وأن التفوق البحري البرتغالي لا يمكن مواجهته إلا بعمليات بحرية غير نظامية، وذلك بسبب عدم التكافؤ في القوة البحرية بين الطرفين، وقد أنيطت هذه العمليات غير النظامية أو الفدائية إلى مجموعة بارزة من القباطنة العثمانيين الذين خلد الكثير من أسمائهم ليس في الأعمال البحرية فحسب، وإنما في المجال العلمي، حيث اشتهر من بينهم من اهتموا بفنون البحر والملاحة من أمثال علي بك جلبي، وبيري بك الذي كان جغرافيا مشهوراً وفناناً في رسم الخرائط. وقد تعددت ميادين العمليات العثمانية ضد البرتغاليين في الخليج العربي والبحر الأحمر وكان واضحا من ضراوة تلك العمليات أن العثمانيين كانوا يعملون بحماس لانتزاع السيادة البحرية من البرتغاليين.

وكان من أبرز القباطنة الذين تصدوا للنفوذ البرتغالي في الخليج بيري بك الذي أبحر من السويس، التي أصبحت من أقوى القواعد العثمانية البحرية وكانت تصحبه خمس وعشرون سفينة كبيرة الحجم،

وقد نجح بيري بك في مهاجمة القلعة البرتغالية في مسقط حيث أعلن قائدها (جوا ذي ليزبوا) استسلامه للعثمانيين بشرط أن يسمحوا له ولمن معه من أفراد الحامية البرتغالية بالانتقال إلى هرمز بسلام، ولكن بيري بك بادر بعد سيطرته على قلعة مسقط إلى تجريد الحامية من سلاحها، وعامل قائد الحماية وكبار ضباطها معاملة سيئة. وفي اكتوبر ١٥٥٢ صدر أمر من الأستانة إلى بيلربي البصرة فيه توضيح للتعليمات التي تعطى إلى بيري بك وفيها كان يتحتم عليه بعد حملته الناجحة على مسقط أن يتجه إلى البصرة للاستعانة ببعض قواتها؛ لكي يقوم بالهجوم على هرمز والبحرين غير أن بيري بك ـ وقد أغراه سهولة الانتصار في مسقط ـ توجه مباشرة إلى هرمز حيث أطلق المدافع على قلعة البرتغاليين، وحاصرها ستة عشر يوماً، ولكن البرتغاليين تمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، واضطر بيري بك إلى الانسحاب إلى جزيرة قشم، ومنها أبحر إلى البصرة بعد أن استولى على غنائم كثيرة من جزيرة قشم حيث كان الأثرياء من التجار يقطنون تلك الجزيرة، وفي البصرة لم يلبث أن دب الخلاف بينه وبين البيلربي، ولذلك غادر المدينة حاملا معه جميع الغنائم التي حصل عليها ومن ضمنها الأسرى البرتغاليين.

وقدرت بعض المصادر قيمة غنائمه بأكثر من مليون ريال من الذهب، في الوقت الذي أرسل فيه بيلربي البصرة تقريراً إلى السلطان العثماني، وفيما يبدو أن هذا التقرير لم يكن في صالح بيري بك إذ إنه على أثر وصوله إلى السويس استُدعي من قبل السلطان العثماني للرد على التهم المتعلقة بقلة كفاءته، وعدم نجاحه في عملياته في الخليج، وفي الأستانة صدر ضده حكم بالإعدام، وقطعت رأسه بالفعل في عام ١٥٥٣.

والجدير بالذكر أن كثيرا من المصادر التي قرأناها لم تستطع أن تعلل السبب الحقيقي لإعدام بيري بك، فمنها من أشار إلى تجاوز التعليمات الصادرة إليه، وهو الأمر الأكثر احتمالا كما سبق أن أشرنا إليه، إذ إن السلطان سليمان القانوني قد أمر بيري بك في أن لا يهاجم هرمز قبل أن يذهب أولا إلى البصرة لكي يأخذ جنودا آخرين، غير أن بيري بك نتيجة لما وجده من ضعف البرتغاليين في مسقط اعتقد بأن الحالة في هرمز ستكون مشابهة لحالة البرتغاليين، وقدر أن بإمكانه بالأسلحة والذخائر التي استولى عليها من قلعة البرتغاليين في مسقط أن يخضع البرتغاليين في هرمز، ولكنه فشل على ما رأينا بسبب صمود القلعة البرتغالية الحصينة في هرمز.

وخلف البوكيرك في قيادة الحملات العثمانية في الخليج العربي الرئيس مراد الذي قام بجهود يائسة لاستدراج الأسطول البرتغالي خارج القواعد والحصون البرتغالية في الخليج، كما فشل في إرجاع السفن العثمانية التي كانت راسية في ميناء البصرة إلى السويس. وخلفه في عام ١٥٥٤ سيد علي رئيس الجغرافي العثماني المشهور الذي عهد إليه بمواصلة تلك المهام، فأبحر من البصرة في يوليه ١٥٥٤ بخمس عشرة سفينة، وذلك بعد أن وصلته الأنباء بأن البرتغاليين متجهون لاستعادة مسقط بقيادة (فيرناندو دي نورونها)، وبالقرب من ميناء خور، فكان تقابل الأسطول البرتغالي مع الأسطول العثماني، حيث دارت معركة حامية الوطيس، يمكن اعتبارها من أهم المعارك العثمانية البرتغالية في الخليج العربي. وقد وصف سيد علي في كتابه مرآة الزمان هذه المعركة بأنها كانت من أعنف المعارك البحرية التي خاضها، بل كانت أكبر من المعارك التي خاضها خير الدين بربروسا في البحر الأبيض المتوسط، وكان سيدي علي قد عمل معه فترة من الوقت.

وعلى الرغم من أن سيدي على سجل في هذه المعركة انتصاراً على البرتغاليين إلا أن الأسطول البرتغالي بعد تراجعه لم يلبث أن أعيد إعداده وتجهيزه، وتمكن فيرناندو من دخول المعركة للمرة الثانية ضد العثمانيين، وفي هذه الجولة تكبد الأسطول العثماني خسائر فادحة. وعلى أثر فشل علي بك في مهمته قام مصطفى باشا بيلربي الأحساء في عام ١٥٥٩ بمحاصرة المنامة بعدد كبير من انكشارية بغداد، وحين وصلت أخبار هذا الحصار إلى هرمز بادر البرتغاليون بإرسال قطع من أُسطولهم للتصدي للعثمانيين، وبسبب نقص مؤن العثمانيين وذخيرتهم قرروا إنهاء هذا الصراع، وسلموا أسلحتهم للبرتغاليين، واكتفى السلطان سليمان بإصدار أمر بمنح حاكم البحرين مراد لقب سنجق بك على الرغم من النفوذ البرتغالي الذي كان واضحاً في الجزيرة.

ورغم توقف الحملات العثمانية على البحرين والحسار النفوذ العثماني منها، إلا أنها ظلت مع ذلك تشكل منطقة عازلة بين الأتراك العثمانيين في الأحساء و القطيف و البصرة وبين البرتغاليين في هرمز و المناطق التابعة لهم في مسقط والساحل الجنوبي للخليج، وفيما يبدو أن البرتغاليين حاولوا مهادنة العثمانيين ويتضح لنا ذلك حين أوفد نائب الملك في الهند رسولا إلى الآستانة في عام ١٥٦٢ لعرض مشروع للسلام بين الفريقين وهو مشروع لم يقدر له التنفيذ بسبب إصرار السلطان العثماني على كسر نظام الاحتكار البرتغالي وتأمين الطرق البرية والبحرية وحمايتها لصالح الرعايا والتجار التابعين للإمبراطورية العثمانية. والرغم من أن عمليات العثمانيين قد توقفت في الخليج بسبب انغماسهم في الصراع ضد الفرس، وخاصة حين أقدم الشاه طهماسب ١٥٢٤/ ١٥٧٦ على التقدم إلى الأراضي العثمانية، إلا أنه لم تكد تتوقف تلك العمليات في عام ١٥٧٥ حتى جدد السلطان العثماني أوامره بفتح البحرين، و أصدر أمراً إلى

بيلربي بغداد باستطلاع الموقف بعد أن كتب بيلربي الأحساء إلى الدولة العثمانية بأن فتح البحرين سيضمن لها ٤٠٠٠٠ فلوري سنوياً.

ولكن لم يلبث هذا المشروع أن توقف بعد أن تبين للدولة العثمانية أن هذا الدخل ليس وشيك الظهور، وأنه قد يقل عن النفقات والمصروفات المحلية، ولم تحاول الدولة العثمانية تجديد نشاطها في الخليج إلا في عام ١٥٨١ حين قدرت أهمية الاستفادة من فرصة ضم البرتغال إلى التاج الأسباني على عهد الملك فيليب الثاني في عام ١٥٨٠، حيث عهدت إلى علي بك ـ الذي ظهر في مياه الخليج للمرة الثانية ـ حصار قلعة البرتغاليين في مسقط، وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه في بداية الأمر إلا أن وصول الإمدادات السريعة من هرمز أجبرت العثمانيين على الانسحاب ولم يكن لتلك المغامرة أية فائدة تذكر بالنسبة للعثمانيين، بل على العكس من ذلك نبهت البرتغاليين إلى ضرورة تعزيز قوتهم في مسقط، إذ اعتبر البرتغاليون سيطرة العثمانيين على مسقط بمثابة عار لحق بسلاحهم البحري، ولعل ذلك هو الذي دعا الحكومة الإسبانية، التي كانت تشرف على المستعمرات البرتغالية في ذلك الحين إلى إصدار تعليماتها بزيادة التحصينات العسكرية، وبناء قلعتين كبيرتين لا تزالان قائمتين حتى الآن تحيطان بخليج مسقط، وتكسبانه جواً من الغموض والرهبة.

وقد عرفت هاتان القلعتان باسم قلعة كابيتان وسان جوا، وتعرفان في الوقت الحاضر بقلعتي الميراني و الجلايي، وهما تسميتان فارسيتان أطلقهما الفرس على هاتين القلعتين خلال احتلالهم لمسقط على عهد الإمبراطور نادر شاه بين عامي١٧٣٨و١٧٤١. ولم تكن التركة التي خلفها البرتغاليون في مسقط مقتصرة على المباني العسكرية، وإنما

جاء البرتغاليون بالروح المتحمسة المعروفة لدى مبشريهم فبنوا ثلاث كنائس في مسقط، ولا تزال الكنيسة الصغرى، أو المعبد الصغير الذي بناه البرتغاليون حتى الآن في قلعة الميراني من بين الكنيستين الأخريين اللتين تهدمتا بفعل الزمان ...[1]، وأخذ الشاه عباس بعد ذلك يتطلع إلى طرد البرتغاليين من قاعدتهم الحصينة في هرمز، إذ كان وجودهم هناك من شأنه تهديد هيبة بلاده ورخائها، ولما كان يفتقر إلى القوة البحرية التي تعينه في الصراع المرتقب بينه وبين البرتغاليين فقد وجه أنظاره إلى الوفود الإنجليزية التي تفد إليه من بلاط جيمس الأول تعرض عليه الصداقة والمساعدة ضد العثمانيين.

وفي عام ١٦٢١ وجد الظروف مواتية لاستعادة هرمز، فأصدر أوامره إلى إمام قولي خان حاكم إقليم فارس بأن يقود حملة لاسترداد الجزيرة من البرتغاليين، وصادف في ذلك الوقت وصول أسطول إنجليزي إلى ميناء جاسك قادماً من سورات، فبادر الحاكم الفارسي بطلب المساعدة العسكرية من قائد ذلك الأسطول، ولوح للإنجليز بإغراءات كثيرة، وألح في الوقت نفسه إلى أنهم إذا رفضوا المساعدة في ذلك الهجوم، فإن الشاه عباس سوف يعمل على سحب الامتيازات الكثيرة الممنوحة لهم، ومنحها الاستعمار البريطاني والهولندي، وبهذا العمل تمكنت الشركات الهولندية والبريطانية من التنافس على استعمار مياه الخليج العربي، بالخصوص المياه المطلة على ساحل البحرين والقطيف والأحساء..

---

(١) يوعز كثير من الباحثين إلى أن عام ١٠٦٠ تم فيه انحسار المد أو الاستعمار البرتغالي من المياه الخليجية، وكان الاتفاق البريطاني الهولندي من جهة، والشاه عباس الصفوي من جهة ثانية من العوامل الكبيرة التي سببت انسحابهم من الخليج، راجع المصدر السابق، ص ١٣.

الهولنديون في القطيف:

كانت هناك أسباب رئيسية جعلت من الحكومة الهولندية تتجه نحو استعمار الخليج العربي، وإن كانت هذه الأهداف يعتبرها بعض الكتاب أهدافاً اقتصادية بحتة، إلا أنهم كانوا يضمرون أهدافا سياسية كبرى، مثلهم مثل غيرهم من الدول والشعوب والحكومات، فقد كان للاتفاق الهولندي البريطاني في مجال تسليح السفن الحربية التجارية نقطة الوثوب الهولندي للخليج العربي، حيث كانت الحكومة البريطانية تتطلع إلى إدخال تجارة الصوف إلى بلاد فارس، ومن ثم إلى الخليج العربي، بالخصوص المياه المطلة على المحيط العربي، والموانئ التجارية الخليجية من بينها موانئ البحرين والقطيف والأحساء، ولن تتمكن الحملات البحرية البريطانية من التوغل في هذه الموانى إلا إذا تمكنت من القضاء على الاستعمار البرتغالي المسيطر على منطقة هرمز والخليج العربي.

وما كان من الهولنديين إلا أن يقترحوا على البريطانيين عقد اتفاق عسكري للتسلح البحري لضرب الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، فاقترح أعضاء شركة الهند الشرقية البريطانية على الهولنديين ان يدخلوا معهم في هذه الاتفاقية، لاسيما أن الحكومة الهولندية قادرة على إرسال سفن إلى الخليج العربي، متى شاءت. لقد كانت تلك الخطط البريطانية، تضمر وراءها الخطط الاستعمارية الفردية، إذ لو تحقق ما تصبو إليه لاستفردت بالاستعمار لصالحها فقط، بالإضافة إلى الحكومة الهولندية التي كانت تطمح في وجودها كمنافس تجاري وسياسي في الخليج العربي.

وكان الهولنديون على ثقة كبيرة بأنفسهم وقدراتهم العسكرية

البحرية؛ لأنهم كانوا على استعداد تام لاستعمار الخليج العربي، فبدأوا بتحركاتهم لحو الخليج عبر فارس، وكانت أول سفينة تصل إلى فارس عام (١٦٢٣) بقيادة القائد الهولندي (فسنش) وكانت محملة بالمواد الغذائية، وغيرها مثل: الطيب والفلفل والسكر والشاي والقهوة والسجاد والأنسجة والملح والمعادن البارودية، والأنسجة الحريرية وغيرها، وكانت هذه أول صفقة تجارية سياسية تبرم بين الهولنديين والشاه الإيراني الصفوي، وبعد أن تمكنت السلع الهولندية من سعة الترويج الإيراني اقدم الشاه الصفوي على منح الشركات الهولندية حق الامتياز، وممارسة التجارة في إيران بشكل أكبر، فعقد معهم اتفاقا، وأبرم بنوداً وصلت إلى ٢٣ بنداً، وكانت هذه الاتفاقية عام (١٦٢٣) وذكرتها المصادر في وقتها، وأشرنا إلى بعض بنودها في الصفحات الخاصة بالبعد الاقتصادي في القطيف.

وبعد أن حصل الهولنديون على الامتيازات التجارية من الشاه بدا خلافهم واضحا مع البريطانيين من خلال نشاط شركتيهما، على الرغم من العلاقات الطيبة التي تربط البلدين منذ أن هزم الفرس والبريطانيون الاستعمارَ البرتغالي في عام ١٦٢٢، وكان لإنشاء وكالة هولندية في بندر عباس جنبا إلى جنب مع الوكالة البريطانية سبباً من الأسباب التي أدت إلى المنافسة بين الطرفين.

وكانت الامتيازات التي منحها الشاه للهولنديين مصدر فزع حقيقي لشركة الهند الشرقية البريطانية، التي كانت على علم بخطوات المنافسة مع الهولنديين في الشرق، من خلال أساليب الهولنديين التي وصفها البريطانيون بأنها مستهترة، ويؤكد ذلك ما جاء في تقرير رئيس الوكالة (فيزر لاند) الموجه إلى مقر الشركة الرئيسية في سورات حيث

يقول: إن غرض الهولنديين إغلاق كل تلك الأماكن التي كانت مفتوحة للبريطانيين، مكافحين من اجل جعلنا ممقوتين في جميع أنحاء العالم لعدو على شاكلتهم، فقد أنشأوا شعباً شديد القسوة متعطشا للدماء، واقترفوا مؤخرا في هذه الجهات أعمالا وحشية، فقتلوا كل من وجدوهم في الخارج الأصدقاء والأعداء على السواء، نأمل أن تعملوا يا أصحاب الفضيلة على التنصل من أي ارتباط بهؤلاء الناس المتوحشين[1].

وواصل الهولنديون العمل على تركيز قوتهم الاستعمارية في الخليج العربي عن طريق فارس مما أثار حفيظة البريطانيين، ففرضت الحكومة البريطانية عليهم أكبر أنواع الضرائب البحرية؛ لأنها كانت الحارس لبوابة المياه الخليجية الفارسية، وعندما رأى الهولنديون ذلك أخذوا ينشرون أنهم دفعوا للحكومة الفارسية (١٠,٠٠٠) آلاف روبية مقابل إزاحة البريطانيين من المنطقة؛ لكي يحتفظوا بالتجارة لأنفسهم، ومما زاد خلافهم أكثر أن الشاه الصفوي منع الوكيل البريطاني من القيام بأية محاولة ضد الهولنديين.

وفي عام ١٦٢٥ اتفقت الحكومة البريطانية مع الحكومة الهولندية على محاربة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، وإذا تم القضاء عليه سوف تستفردان بالثروات الخليجية، بالخصوص ثروة البحرين والقطيف وعمان، فسار الأسطول البريطاني الهولندي المشترك إلى مياه الخليج العربي، لكنه لم يحالفه الحظ في الانتصار في المعركة البحرية التي خاضها ضد البرتغاليين، وعاد بخفي حنين، ففكر الاستعمار الهولندي بطرق أخرى يتم من خلالها التوصل إلى استعمار ثروات الخليج العربي، وليس لها طريق إلا عن تجارة اللؤلؤ، فبعث القائد العسكري

(١) الغزو الهولندي للخليج، ص٤٥.

الهولندي (هيوبرت كوسترس) ممثلا عن شركة الهند الشرقية الهولندية إلى البحرين عام ١٦٤٣، غير أنه أيضا لم ينجح في هذه المهمة.

وفي عام ١٦٥٤ وضعت الحكومة الهولندية خطة لاستعمار البحرين والقطيف عن طريق مد تجارتها الغذائية إلى منطقة (رأس الخيمة)، التي تشتهر بتجارة اللؤلؤ، وهذه الخطة أيضا لم توفق، فظل الهولنديون في حيرة دائمة في كيفية الوصل إلى منطقة الخليج العربي -البحرين، والأحساء والقطيف- فخرج القائد العسكري المحنك (كينغهاوزن) - الذي يقيم في البصرة بعد أن طرد من عمان- إلى البصرة بصحبة زورقين إلى (بتافيا)، وخلال مروره على هذه المياه لفت انتباهه جزيرة خرج، فتوقف عندها قليلا، وفكر في الاستقرار فيها، وظل (البارون) في هذه الجزيرة يتابع النتائج التي يستطيع الاستعمار الهولندي من خلالها ان ينفذ إلى المياه الخليجية، فاكتشف من خلال المسح الجغرافي الذي عمله في المنطقة أن بها مرفأً آمنا للبضائع، وفيها موقعا مهما لبناء مدينة للدفاع عنها، ومرسى للسفن، فأرسل للممثل الهولندي رسالة يطلعه فيها على هذا الاكتشاف الخطير، فحصل على الموافقة من الحكومة الهولندية، وقيل: إنه سافر بنفسه لكي يأخذ التصريح لإقامة مستعمرة هولندية في هذه الجزيرة، وعاد وبصحبته عدد من السفن محملة بالصخور والكلس والحجارة، وكل شيء ضروري للبناء مع مجموعة من المهندسين والمصممين إضافة إلى كميات كبيرة من البضائع الأوربية، وما أن وصلت الحملة الهولندية إلى الجزيرة حتى بادرت ببناء قلعة عسكرية سياسية محصنة فيها، وعندما اكتشف الأهالي هذه الخطط الاستعمارية حاولوا منعهم، وحدثت بينهما مناوشات كان النصر فيها للقوة الهولندية، ومنذ ذلك اليوم بدأت القوات الهولندية تنفذ سياسة الاستعمار للمياه الخليجية، بالخصوص المياه المؤدية إلى البحرين

والقطيف، حتى تمكنت حملاتهم من استعمار المنطقة، وقد رأيت مخططاً جغرافياً في متحف للتراث الهولندي في مدينة (مدردام) الهولندية، يحكي تاريخهم الحضاري الاستعماري القديم، الذي تمكنوا فيه من استعمار الخليج العربي، وكان من بينها البحرين والقطيف، ويوضح فيها المخطط الذي قادهم إليه البارون عن طريق جزيرة خرج[1].

وبعد أن استقر (البارون) في الجزيرة وتمكن من أهلها بدأ يمارس أعماله الاستعمارية عن طريق التجارة، بل استطاع أن يطرد العرب منها ويستبدلهم بسكان الشعوب الآسيوية، ويقدر الذين سكنوها من الأسيويين (٨٠) ألف عائلة كمرحلة أولى ليتمكن من استعمارها تماما

(١) هذه الجزيرة تقع على الساحل الشرقي من الخليج العربي بين بوشهر وبندر عباس على بعد ثلاثين ميلاً إلى الشمال الغربي من بوشهر، وفي الطريق المباشر للسفن على مدخل شط العرب والبصرة، ويقال: إنها تحتوي على بعض السكان الذين يعتمدون على تجارة الصيد، وقد وصفها الرحالة (ايفر) بأن الاستعمار الهولندي بنى بها قلعة ضخمة، وصفها بأنها تحتوي على ٤ أبراج كل برج فيه ٨ بنادق، و ٦ منها نصبت على كلا الجانبين، والاثنان وضعا بطريقة تتناسب للحروب البعيدة، لها باب تواجه البحر بقربها بطارية مع ١٢ بندقية منصوبة تزن ٦ أو ٨ رطل، بالإضافة إلى وجود ٣٠ ـ ٤٠ بندقية بأحجام مختلفة جاهزة للإطلاق باستمرار، وخلف القلعة بنى الهولنديون دورهم التي صممت بطريقة توصلهم بالقلعة من خلال ممر، وتوصل القلعة والدور بالبحر مباشرة وذلك للضرورة الأمنية، وكان يحرس الحصن ١٠٠ جندي، ويوجد برج مثلث الشكل منصوب عليه ٦ بنادق اثنتان موجهة نحو البحر، واثنتان موجهة لحو الساحل والباقي في تخوم النوافذ، ومن بين السفن توجد ثلاث سفن مسلحة بـ ٦ ـ ٨ مدافع محملة تسيطر على أية قوة يمكن أن يمتلكها العثمانيون وجيرانهم في هذه المنطقة. راجع المصدر السابق، ص١٢٣.

واستعمار من حولها، وقد أكد بعض الباحثين ذلك، إذ قال: إن سكان الجزيرة خلال الإحدى عشرة سنة التي بقي فيها الهولنديون بلغ اكثر من ألف نسمة و نيف بعد أن كانوا مائة شخص[1]، وهذه إحدى المخططات الاستعمارية التي انتهجتها الحكومة الهولندية في استعمار الخليج العربي وما جاوره، لقد تمكنت من خلال هذه الجزيرة من تحقيق مآربها وأطماعها الاستعمارية التوسعية، مما أهلها أن تقارع أكبر دولة مستعمرة للخليج في ذلك الوقت، وهي الحكومة العثمانية، ولم يمتنع الهولنديون ولم يتراجعوا في يوم من الأيام عن التفكير في محاربتها والنيل منها والتمكن من فرض هيمنتهم على شعوب المنطقة، ويكفي دليلا على ذلك أن أطماعهم السياسية لم تكن واضحة تماما إلا من خلال نفوذهم التجاري في المنطقة، فكانوا على استعداد تام لبذل الأموال الطائلة في سبيل تحقيق درجة واحدة من النصر في استعمار ولو جزء بسيط من أراضي الخليج العربي، لكنهم تفاجأوا بوجود الاستعمار البريطاني و العثماني للمنطقة، ومع هذا كله استطاعوا أن يدخلوا حربا ضروسا لمواجهتهما بكل قوة ممكنة، مما جعل الشركة البريطانية تخشى بأسهم، وتخاف على مصالحها، لا في بلاد فارس فحسب، بل في كل مياه الخليج العربي، فأصدرت تعليمات إلى ممثليها في وكالة البصرة ليتركوا الميناء وينتقلوا إلى مكان يتوفر فيه الأمن والاستقرار.

أما في الوكالة البريطانية فقد بدأ المسؤولون يفكرون في نقل الحرير الفارسي إلى اصفهان ثم إلى أوروبا عبر الأراضي التركية، إلا أنهم عدلوا عن هذه الفكرة بعد أن انتهت الحرب بين الدولتين بعقد الصلح، غير أنهم كانوا يتوقعون الهجوم الهولندي على مراكزهم في

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

المنطقة، ففي عام ١٦٦١ كتب المسؤولون الإنجليز في فارس إلى مركزهم (بسوارت) أنهم بحاجة إلى الجنود والعمال، وليسوا بحاجة إلى اللحوم المملحة والملابس، ذلك أن عددا كبيرا من الجنود قد قتلوا، وأن القوة الهولندية المتمركزة في المنطقة ومياه الخليج بالخصوص تفوق كثيرا قوة الحكومة البريطانية التي لا يمكنها أن تتصدى لهم...

حقيقة الخلاف الهولندي العثماني:

بعد أن تمكنت الحكومة الهولندية من الاستيلاء على مدينة خرج، أغضب هذا العمل الحكومة العثمانية التي كانت تتطلع إلى استعمار نجد وملحقاتها، والمياه المطلة عليها، ومما آثار حفيظة العثمانيين أكثر أن الهولنديين عمدوا إلى سرقة بعض القوى العثمانية المتمركزة في المياه القريبة من البصرة، ففي عام ١٧٥٣ تعرض الهولنديون لبعض السفن العثمانية التي واجهتها الريح، وهي في طريقها إلى سورات من البصرة للرسو في بندرريق لحين هدوء الريح، فما كان من الهولنديين ـ وبأمر من البارون ـ إلاً الاتجاه إلى تلك السفن، ونهب ما فيها من بضائع واحتجازها، وعندما وصلت أخبار احتجاز السفن إلى الباشا في بغداد قرر أن يستعيد كل كان ما أخذه الهولنديون منها.

ولكن لم تمض فترة قصيرة إلا وعاد الهولنديون لمثل هذه المحاولات، فاستولوا على بعض السفن العثمانية المتجهة إلى البصرة. فقرر الحاكم العثماني المقيم في البصرة إرسال مبعوث من قبله للتفاوض مع البارون المقيم في جزيرة خرج، لإيجاد حل للخلافات العثمانية الهولندية، والإفراج عن السفن المسلوبة من قبل الهولنديين، وفور وصول المبعوث العثماني إلى الجزيرة، طلب منه البارون أن يدفع ١٣٠،٠٠٠ ألف روبية، وأن يدفع كافة التعويضات المقررة للهولنديين من قبل العثمانيين في

البصرة[1] ، وبعد أن دفعت الحكومة العثمانية الديون المترتبة والمبالغ المستحقة، تم الإفراج عن ممتلكات الحكومة العثمانية، وظلت الحكومة الهولندية شبحاً مرعباً يرعب العثمانيين في المياه الخليجية، وتمكن البارون من فتح وكالة تجارية سياسية في البصرة، الأمر الذي استفزهم، ولكنهم لا يملكون سبيلاً للتخلص منها لقوة النفوذ الهولندي المحيط بجزيرة خرج والمياه الخليجية، وبالخصوص عندما تمركزت حملاتهم على ميناء البحرين والقطيف، فقد دخلت الحكومة الهولندية في صراع كبير مع العثمانيين.

كما أنها دخلت في صراع آخر مع القوى البريطانية المعسكرة في المياه الخليجية، واستغلت الفرص لصالحها مما أهلها أن تحرز انتصاراً سياسياً واقتصادياً في المياه الخليجية..

فقد تمكنت في تلك الأوقات من غزو البحرين، وعن طريقها تمكنت من دخول القطيف، واستعمارها فترة زمنية دامت عشرات السنوات الطويلة تنهب خيراتها وتهدد شعبها، وتبني مستعمارتها التي لا تزال إلى هذا اليوم في البحرين والقطيف (تاروت) لهم بقايا آثار تدلل على مستعمراتهم.

الانسحاب من الخليج:

اتحاد دولتين عظمتين على دولة واحدة يسبب خسارة فادحة لتلك الدولة، لاسيما إذا كانت قليلة العدة والعدد، والسبب الحقيقي الذي جعل الاستعمار الهولندي ينسحب كليا من الخليج ومناطقه الاقتصادية تمثل في اتحاد البريطانيين والحكام في الدولة الإيرانية (الصفويين)، وإن

---

(١)الهولنديون في الخليج، ص ١٢٦.

كان بعض الباحثين يرجح أمرا خلاف هذا وهو أن لويس الرابع عشر تمكن في النصف الثاني من القرن السابع عشر من محاربة التجارة الهولندية بكل أشكالها في الشرق والغرب، مما أدى إلى فقدهم لسلطتهم ونفوذهم التجاري في الشرق والغرب معاً، إلا أن العامل المهم هو تمكن الحكومة البريطانية والإيرانية من القضاء على التجارة الهولندية، وسحب البساط الامتيازي لشركاتها، ومنحها للمستعمرات البريطانية في إيران، مما أجبر الهولنديون على تخلية وكالتهم من البصرة عام ١٧٥٢ وبندر عباس ١٧٥٩.

ويذكر العقاد أن هناك أسباباً حقيقة وراء انحسار المد الهولندي من الخليج وهو: أن الهولنديين ارتكبوا في جزيرة خرج عدة أعمال كان من شأنها إثارة بغض عرب المنطقة الخليجية وكراهيتهم، منها محاولتهم ممارسة حرفة الغوص سرا، وجلب المستوطنين إلى تلك الجزيرة، وطرد العرب منها، من ثم أخذ المير (مهنا بن نصر) يوجه ضرباته إلى الهولنديين لمدة عامين ونصف مما أخرج مركز الهولنديين من هناك[1] بالإضافة إلى أن العرب في الخليج بشكل عام تمكنوا من مواجهة المستعمرات الهولندية في كل من البحرين والقطيف، وبذلك خلا الجو للاستعمار البريطاني الذي كان ينتظر هذه الفرصة بفارغ الصبر..

البريطانيون في الخليج:

وأقرب الظن أن وصول أول جندي عسكري مستعمر من قوات الحكومة البريطانية إلى مياه الخليج العربي بشكل عام كان في القرن الثامن عشر الميلادي عام (١٨٢٣هـ ـ ١٩٠٨م) عندما تمكنت القوى

---

(١) العقاد، مصدر سابق، ص٣٤.

البريطانية أن تستفرد باستعمار المنطقة لنفسها، وأن تفرض هيمنتها على مشائخ الخليج العربي، مما زاد في توسعها الاستعماري، وتنفيذ خططها الاقتصادية؛ لأنها كانت تتطلع إلى مياه الخليج منذ أن توجهت الحكومة البرتغالية لاستعمار الخليج العربي، لكنها لم تتمكن في تلك الفترة الزمنية من خوض ذلك الصراع الاستعماري، وتنفيذ تلك السياسيات في الخليج، لأنها لا تمتلك القدرة والجرأة لمقارعة الإمبراطورية البرتغالية، والهولندية التي تمكنت من استعمار الخليج بعد انحسار المد البرتغالي فيه، وخصوصا أن الشاه الصفوي كان معهم جنباً إلى جنب، وبعد أن دب الضعف في صفوف جيشهم، وضعفت قوته وتنازل الشاه الصفوي عن مساندته، سنحت هذه الفرصة للبريطانيين أن يخطوا خطوة جبارة للتفاوض على استعمار الخليج ، تحت مظلة القوة المشتركة بينهم وبين الشاه الصفوي، مما جعل الشاه يسحب الامتيازات التجارية ويخرق البنود الاتفاق بينه وبين الهولنديين و يمنحها ـ كما سوف تعرف مزيد بيان في الصفحات القادمة ـ للشركات البريطانية.

وكما أن بداية الاستعمار البريطاني في الخليج العربي كانت حسب تقدير بعض الباحثين في الشؤون الخليجية السياسية، منذ أن بدأت الحملات البحرية البريطانية بالهجوم على القواسم في ساحل الإمارات العربية المتحدة، وكان ذلك عام ١٨٠٥ فقد جاءت هذه الحملات بعد إلحاح من إمام مسقط بدر بن سيف على الحاكم العام في بومباي الذي كلف الكابتن ستيون المقيم البريطاني في البصرة أن يبحث وسائل التعاون مع إمام مسقط، وأن يختار أفضل الوسائل الممكنة لتأديب القواسم، وحتى تعطي الحملة الفائدة المرجوة، أحيطت الأوامر بكثير من التحفظ والأرجاء لدرجة أنها فقدت كثيراً من فعاليتها، فقد كان على الكابتن ستون أن يقوم بعملية اعتدال وقصد عظيمين، كما

كان عليه أن يحاول الوصول إلى تسوية عن طريق المفاوضات، مع تجنب استفزاز الحكومتين العثمانية ـ التي كانت تسيطر على الخليج العربي، وبالخصوص الأحساء والبحرين والقطيف ـ والفارسية التي تسيطر في ذلك الوقت على منابع المياه الخليجية، إلى جانب تأدية عمله هذا بعد موافقة زملائه العارفين بشؤون المنطقة، بينما نجد أن القواسم تنبهوا إلى ذلك مبكرا، فقد كانوا يتظاهرون أنهم على وفاق مع الحكومة النجدية في ذلك الوقت، والتي كانت تعتنق المذهب الوهابي، فكان القواسم يبعثون إليهم في الدرعية بخمس أموالهم وزكواتهم، فوقفت الحملات البريطانية موقفاً يتسم بالخوف من الخوض في معركة مع القواسم، إذ لم تقتنع بالمفاوضات، فيكون ذلك أشق عليهم، إذ إنهم سوف يحاربون القواسم والوهابية في صف واحد، مما يتطلب منهم فتح بريد وحملات بحرية جديدة إلى الدرعية والإمارات، وهذا يتطلب الجهد والمال والرجال.

وبدأت حملات طرح عملية المفاوضات البريطانية القاسمية في كثير من مؤتمرات البريطانيين، مما أجبر القواسم على قبولها في نهاية المطاف، ففرضت الحكومة البريطانية شروط الاتفاق بينها وبين القواسم، وكان ذلك عام ١٨٠٦ تعهد بموجبها القواسم بحماية السفن التابعة للبريطانيين، إلى جانب احترامهم للشواطئ الواقعة ما بين سورات والبنغال، في حين سُمح للقواسم بالتردد على موانئ الهند... وظل القواسم على هذا الاتفاق لمدة سنتين، حتى تلاشى بعدها، وخرق القواسم بنود الاتفاق، خاصة بعد أن تدخل الوهابيون في عزل شيخ القواسم سلطان بن صقر القاسمي، ونفيه إلى الدرعية انتقاما على تصرفه بدون استئذانهم في بنود الاتفاق، ومن هنا بدأت الحملات القاسمية على الحاملات البحرية البريطانية.

وكان أول من أمر بدفع الأجور على من يقدم التسهيلات للحاملات البريطانية المارة في مياه الخليج حسين بن على القاسمي، وقد أغار على السفن البريطانية المعسكرة في مياه الخليج العربي، وأدت هجماته على السفن البريطانية إلى تعقيد الأمور، بالخصوص هجومه على السفينة البريطانية (سليف) التي كانت تقل الوزير البريطاني الموفد إلى طهران، حيث نجح القواسم في احتجازه مع غيره من بحارة السفينة، مما أجبر الحكومة البريطانية على شن الهجوم البحري على القواسم، فأبحرت الحاملة البريطانية في يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٩، وقد رافقها الحظ السيئ منذ البداية، فقد مات على متنها الكابتن سيتون بسبب حرارة الطقس، وبموته خسر قائد الحملة وين (رايت وسميث) خبرة ومعرفة رجل له دراية تامة بشؤون الخليج العربي، كما تأثر سير الحملة بالظروف الجوية الصعبة، مما أدى إلى تأخير السفينة، وخاصة أن السفينة محملة بحمولة كبيرة جداً، وأنها لا تستطيع أن تخترق المياه الخليجية لضحالتها، ومع ذلك أصر الكابتن (وين) على تسيير السفينة نحو تحقيق هدفها المنشود، وفعلا وصل إلى الهدف، ولكنه لم يتمكن من أن يحقق الهدف الكامل من حملته، لأنه تفاجأ بقوة القواسم، ولضحالة المياه لم تصل نيران المدافع القصيرة المدى إلى داخل المعاقل القاسمية، فأمر رجاله أن ينزلوا إلى اليابسة لمحاربة القواسم في داخل حصونهم، وقد نجح رجاله في ذلك، وتمكنوا من فرض السيطرة على جزء كبير من الساحل، مما أجبر القواسم على الانسحاب إلى داخل المعاقل الخاصة بهم، وبعد ثلاثة أيام تمكن الكابتن (وين) من تدمير الحصون الخاصة بالقواسم، وإحراق القلعة، وقتل المدافعين عنها، ولما رأى الكابتن البريطاني بسالة مقاتلي القواسم -حيث منعوه من فرض السيطرة الكاملة على الجزر- فضّل الانسحاب، وعاد بعد ذلك إلى بومباي، في

غضون ذلك لم تتوقف القرصنة القاسمية، بل استولت على كل ما يتصل بحاملات البريطانيين في المياه الخليجية، فقد كان القواسم يشنون غاراتهم على السفن التجارية المتجهة إلى مياه الخليج العربي، وسلب ما عليها، وربما وصل الحال بهم إلى قتل ملاحيها.

ويذكر المؤرخ الغربي (رويمر) في كتابه الخليج العربي، ج٢، ص٩٩٨ أن القواسم لم يتعدوا على السفن البريطانية فحسب، بل وصل الحال بهم أن يتعدوا على كل سفينة تجارية قابعة، أو مارة في مياه الخليج العربي، وقد بلغت الأمور ذروتها، حين استولى القواسم على سفن تخص (سورات) في البحر الأحمر، وكان يملكها تجار هنود، وترفع العلم البريطاني، فقتلوا بحارتها وغنموا تجارتها التي تقدر بمليون روبية، وامتدت حملاتهم إلى شبه القارة الجنوبية لجزيرة العربية، وباتت فكرة القضاء على القواسم تسود مختلف الأوساط البريطانية في الشرق، فقامت بحملات على القواسم وموانئهم في عام ١٨١٩هـ بعد أن طلبت الحكومة البريطانية معلومات عامة عن أهم الموانئ البحرية التي يمكن من خلالها أن تدخل القوات البريطانية إلى الساحل الإماراتي، فخرج الكابتن (روبرت تيلز) إلى الخليج العربي، وبعد أن أجرى مسحاً جغرافياً للمنطقة اكتشف أن أهم الموانئ هي:

١ـ ميناء رأس الخيمة.

٢ـ ميناء خور الحسن.

٣ـ ميناء القطيف.

٤ـ ميناء أبوظبي.

٥ـ موانئ البحر الفارسي.

كما أنه أعطى معلومات عن بعض القوارب والبوارج البحرية

القابعة في هذه الموانـئ، وتقـرر عنـد القيـادة البريطانيـة الهجـوم علـى القواسم من هذه الموانئ البحرية المهمة، لكن لم يتسن لها ذلك لبعـض الظروف السياسية والجغرافية، بالخصوص للدول المستعمرة للمنطقة في ذلك الوقت وخصوصا الحكومة العثمانيـة، فبريطانيـا لا تريـد احتـدام الموقف مع المستعمر العثمـاني في المنطقـة والـذي يتخـذ مـن الأحسـاء والقطيف قاعدة للحكم، من هنا عرضت الحكومة البريطانية المفاوضات مع محمد علي في ساحل الخليج العربي علـى أن تلـتزم القواسـم بعـدم التعرض للبريطانيين القاطنين في المياه الخليجية، وكانت هـذه الاتفاقيـة بمثابة عقد صلح يبعد البريطانيين عن الخوض في صراع مـع العثمـانيين قد لا تحمد عقباه.

فتمكنت الحاملات البريطانية من فـرض هيمنتهـا البحريـة علـى الخليج العربي فقـط، دون التعـدي علـى الشـواطئ الخليجيـة حتـى لا يحدث اصطدام بينها وبين القواسم، وإن كانت حـملات القواسـم علـى السفن البريطانية عـن طريـق القرصنـة لم تتوقـف، ولكـن البريطـانيين يريدون الفرصة في القضاء عليهم في الوقت المناسب[1].

قاعدة بريطانية في القطيف:

لكـي يسـهل علـى البريطـانيين التسـلط علـى ميـاه الخليـج العربـي وثرواتـه الطبيعيـة، عمـدوا إلى إنشـاء قواعـد عسـكرية في منـاطق حساسـة جـداً، بـل تعتـبر المنـافذ الرئيسـية لميـاه الخليـج العربـي، فـأخذت الحكومـة البريطانيـة بتقديـم بعـض المقترحـات

---

(١) للمزيد من المعرفة حول هذا الصراع الذي دام عـدة سـنوات طويلـة، راجـع ساحل عُمان السياسي، ج ١، ص ١٠٠.

لبيان حسن النية بينها وبين مشائخ الخليج العربي؛ لأنها كانت تتوقع زوال الدولة الوهابية على يد محمد علي باشا، وإذ تحقق له ذلك فلا تتمكن الحكومة البريطانية من مقاومة المد العثماني المتمركز في الخليج العربي، بالخصوص المناطق الحيوية منه كـ (الأحساء والبحرين والقطيف)، فقدمت في عام ١٨١٩ بعض المقترحات إلى مشائخ الخليج العربي، تتمثل بالتالي:

١ـ إن بريطانيا تحترم الأوضاع السياسية الداخلية في الخليج العربي، فلا تتدخل السلطات البريطانية لصالح أحد من الرؤساء، إلا بناء على طلبه، وحينئذ تؤيد صاحب الحق المشروع.

٢ـ عدم تشجيع السلطات البريطانية في الهند للأتراك العثمانيين على مد سيطرتهم إلى مناطق الخليج بعد أن استولت جيوش محمد علي على نجد، وجميع المناطق التابعة لها.

٣ـ وضع أسس لضمان حرية الملاحة في المياه الخليجية، وحق تفتيش السفن بالاتفاق مع القبائل العربية.

وبقيت السياسة البريطانية في الخليج العربي تلتزم بهذه البنود لفترة طويلة، وفي عام ١٨٢٠ تمكنت الحكومة البريطانية من توقيع عقد اتفاق بينها وبين مشائخ الخليج تحت شعار (السلام في المياه الخليجية) مما ساعد الاستعمار البريطاني على غرس أنيابه الاستعمارية، وتنفيذ خططه التبشيرية في المنطقة، فتمكن من بناء أول قاعدة عسكرية سياسية له في الخليج العربي، وبدأ التخطيط للاستيلاء على جزيرة قشم؛ لأنها تقع في موقع استراتيجي بالنسبة للمياه الخليجية، بالإضافة إلى الطوافات البحرية التي كانت تراقب المياه الخليجية بدقة بالغة الأهمية

وكانت تمارس القرصنة البحرية وسلب ممتلكات الآخريـن ![1] ، كما أن البريطانيين تمكنوا بعد ذلك من فرض سيطرتهم على جـزر البحريـن ، وأسسوا فيها أيضا قاعدة عسكرية بحرية ، ومن ثم تمكنـوا مـن اسـتعمار منطقة القطيف وأسسوا فيها قاعدة عسكرية في منطقة (دارين) بعد عناء طويل كلفهم الوقت ، والمال ، والرجال ، ومكانها إلى الآن واضح للعيان ، ومن الشهرة بمكان ، فقـد اشـتركت هـذه القـاعدة الكبـيرة بعـد تمكـن الحكومة البريطانية من فرض استعمارها على البـلاد مـن الاشـتراك في الحملات التثبيطيـة ضـد المواطنـين ، الذيـن رفضـوا سياسـيات التمييز العنصري في ذلك الوقت ، وتعرف إحـدى الحمـلات بحادثـة (الطـائرة) التي سوف نذكرها بالتفصيل في الصفحات القادمة إن شاء اللّٰه..

وتمكن البريطانيون بعد ذلك مـن تكويـن فـرق لمتابعـة عمليـات المسح الجغرافية في المياه الخليجية ، وبـدأت عـام ١٨١١ إلا أنهـا اطـردت بعد حملة ١٨١٩ وأسهم فيها كثير من ضباط البحرية الهندية مـن أمثـال: منوهات وجيني وبروكس وهينز ، وكـانت عمليـات المسـح هـذه صعبـة وشاقة حتى أن عدداً كبيراً من البريطانيين الذين اشتركوا فيها مـاتوا أو انهارت صحتهم بسبب الإرهاق وقسوة المناخ ، ومن النتائج التي حققتها عمليات المسح هذه ، اكتشاف المناطق الحيوية التي يمكنهم من خلالهـا أن ينشئوا قواعد عسكرية مركزية تطل على مياه الخليج وتتحكم فيـه ، فتـم بفضل صداقتهم مع أبي سعيد سـلطان عمـان بنـاء قـاعدة عسـكرية في جزيرة (هنجام ، وجزيرة قشم) ، وبعد أن اعترضت الحكومة الفارسية في ذلك الوقت على هذه القاعدة أُجبرت بريطانيـا علـى إخلائهـا ، وكـان ذلك عام ١٨٢٢.

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦١.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الحكومة البريطانية أنشأت قواعد عسكرية في المياه الخليجية بأسلوب آخر، حيث لجأت إلى مراقبة المياه الخليجية، فأرسلت إلى المياه الخليجية ست سفن حربية للقيام بدوريات مستمرة في المياه، وعرف هذا النظام بنظام القوة البحرية المتجولة[١].

الصراع البريطاني العثماني على الخليج:

كانت هناك مناوشات كلامية، وصراعات سياسية بين البريطانيين والعثمانيين لاحتلال مياه الخليج العربي، ولكنها اشتدت بعد أن استطاع النفوذ العثماني في العراق أن يرسي قواعده ويستولي على منافع البلاد، بالخصوص في فترة حكومة مدحت باشا عام ١٨٦٩هـ - ١٨٧١م، حيث أخذ على نفسه أن يمارس هذا الصراع مع البريطانيين، ويوطد علاقته مع مشائخ الخليج العربي، بالخصوص المناطق القريبة من مقاطعات سنجق نجد، مع أننا لو تمعنا في السياسية الفارسية والعثمانية إزاء الاحتلال البرتغالي للمنطقة نراها تتسم بالمواقف السلبية لعدم اتحادهما على طرد الاستعمار البرتغالي من منطقة الخليج العربي، وإن قال قائل إذن ماذا تعمل الأساطيل البحرية العثمانية المعسكرة في مياه الخليج العربي، بالخصوص ميناء القطيف المهم في نظر العثمانيين؟

الجواب: لم تكن تلك الحاميات البحرية العثمانية المتواجدة في مياه القطيف قادرة على التعرض للقوات البرتغالية، ولم تتمتع إلا بصفة واحدة فقط، وهي أن لها سيادة البقاء في المياه دون بذل أي تحرك سياسي إزاء الاستعمار البرتغالي في المنطقة، ولم تبدأ حملاتهم الفعلية للاستعمار في المنطقة إلا بعد انسحاب البرتغاليين منها.

---

(١) الخليج عصر التوسع، ص ٣٣٨.

لذلك كانت حملات مدحت باشا على المنطقة تعتبر بداية الاهتمام العثماني لاستعمار المنطقة، إلا أن هذا الاستعمار انحصر داخل المنطقة دون السيطرة على المياه خوفا من الاصطدام بالحاملات البحرية البريطانية المعسكرة في مياه الخليج العربي، وكانت لهم -البريطانيين- حملات قرصنة في مياه الخليج العربي بين الحين والآخر، مما أثار حفيظة الحكومة العثمانية عليهم، حتى تقدمت باحتجاجات متوالية ضد الاعتداءات البريطانية المنظمة على ميناء الدمام والقطيف، وذلك باعتبارهما تابعين للحكومة العثمانية في سنجق نجد، وفي عام ١٨٧١ عزم الأمير عبدالله على أن يسمح للحاكم العثماني أن يبحر عن طريق المياه الخليجية إلى الخليج العربي، وبالخصوص منطقة البحرين والقطيف، فسبب هذا الموقف بلبلة في السياسية البريطانية وساورها الشك من تحركات الجيش العثماني في المياه الخليجية، فرفعت الاحتجاجات إلى القائمقام البريطاني في الهند تخبره بتحركات القوات العثمانية نحو المياه الخليجية، وسوف تحل العدة الحربية معهم على متن سفينة بحرية، ولكن الحكومة البريطانية لم تتمكن من منع مدحت باشا من الدخول في المياه الخليجية، وهذا الأمر وقفت منه الحكومة البريطانية موقف المعارض، وأخذت تستفسر عن الوجهة التي ستقف عندها القوات العثمانية، وبخاصة بعد أن أعلن مدحت باشا صراحة في إبريل سنة ١٨٧١ أن السيادة العثمانية أصبحت ممتدة إلى نجد، وفي الوقت نفسه اعتبر البحرين تابعة لنجد، وبالتالي للدولة العثمانية.

ولم تتمكن الحكومة البريطانية من منع الحملة من الدخول إلى المياه الخليجية، ولكن بعد المباحثات الكثيرة التي قام بها قائمقام بريطانيا في الهند تمكن من الحصول على ضمانات من أن الحملة العثمانية في الخليج لا تصل إلى البحرين ولا تنوي غزو البحرين، وبعد عدة أيام من

تسيير الحملة استطاعت أن تصل إلى ميناء قطر، ومن ثم إلى ميناء الأحساء، ومن ثم إلى ميناء القطيف، وقد سبب هذا الموقف إحراجا لمركز الحكومة البريطانية في الخليج العربي، بالخصوص عندما علمت أن مدحت باشا أسس مواقع عسكرية في القطيف والعقير ...

البرتغاليون والعثمانيون نحو القطيف:

وعندما نقف عند بعض الكتب التي تحدثت عن موقف الحكومة البرتغالية من تدين الحكومة العثمانية، وبالخصوص مواقف العثمانيين من نشر الإسلام في ربوع القارة الآسيوية، تبرز مواقف البرتغاليين التي يتسم بالعنف تارة، وبالمهادنة تارة أخرى، فقد لجأت الحكومة البرتغالية إلى المهادنة من منطلق أن الإسلام والمسيحية دين واحد، وينبغي على الحكومة العثمانية أن تسعى لتركيز هذا الموقف في أذهان الناس، بالخصوص المناطق المستعمرة من قبلهم، في حين أن تحالفات العثمانيين مع بعض الأطراف الأوروبية تحقيقا لأهداف سياسية لن تصل أبدا -حتى في أقصى درجات تنازلها وإعلان المساواة بين المسلمين والمسيحين- إلى الحد الذي زاحت إليه سياسات أكبر، وفي حين نجح العثمانيون في أحيان كثيرة، فإن أكبر لم يحقق أهدافه السياسية تجاه البرتغاليين، ولهذا يقول بعض الباحثين في هذه الشؤون: إن هدفاً أكبر من الاتصال بالبرتغاليين الذي أرسلوا له مبعوثاً دينياً لم يكن التنصير كما تصور البرتغاليون، ولكن هدفه كان سياسياً حيث رغب الإمبرطوار أكبر في مصادقة البرتغاليين، وطمع في الحصول على مساعدة عسكرية من البرتغاليين من ناحية، ولأنه لم يمتلك عنصر القوة اللازمة لطردهم من ناحية أخرى، بالرغم من الحرية التي أعطيت للمبعوث، وبالرغم من الحوارات الممتدة مع آباء (الجيزويت) حول المسيحية على النحو الذي

أثار اعتقادهم باقتراب أكبر من التنصير، وهو ما لم يحدث[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن البرتغاليين توقعوا أن الحكومة العثمانية من الغباء بمكان بحيث يسهل عليهم إغواؤهم باسم المساواة بين الأديان، وتفاجأت الحكومة البرتغالية من كثرة الفتوحات الإسلامية التي خاضتها الحكومة العثمانية في الشرق والغرب، فقد أثرت على التجارة البرتغالية في الهند، عندما سيطرت الحكومة العثمانية على أكبر الولايات الهندية في مدينة (فيجايا ناحار) في الجنوب الهندي، والتي كانت قاعدة سياسية تجارية للأوربيين، وبعد أن تمكنت القوات العثمانية من شن حملات كبيرة لقوافل الحجيج تمكنت من تنظيمهم وشحذ عزمهم للإطاحة بالقواعد العسكرية السياسية في الهند، بالخصوص في هذه المدينة الهندية، وتحقق ذلك بعد عودتهم مباشرة، ولم تتمكن الحكومة العثمانية من إنهاء الوجود البرتغالي في هذه المنطقة، إلا أنها سببت له الضعف العام، فنزحت الأساطيل البحرية البرتغالية إلى مياه الخليج العربي، والذي كانت الحكومة البريطانية تسهر على مراقبته مراقبة دقيقة.

أما الموقف العثماني من الفتوحات الإسلامية فقد واصل الجيش العثماني زحفه إلى المناطق العربية، حيث تمكن من الاستيلاء عليها بعد أن أزاح الخطر الأسباني والبرتغالي، التقرب إلى المياه العربية، لكن في منتصف (القرن ١٦ وحتى نهاية القرن ١٩) اتسمت هذه الفترة بالصراع العثماني الصفوي، والصراع الروسي العثماني حول القفقاز، والصراع الروسي الصفوي حول آسيا الوسطى جعل الحكومة العثمانية إزاء هذا الصراع تسعى جاهدة بكل قواها للاستيلاء على مياه الخليج

---

(١) مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، ج١١، ص ٦٣.

العربي، بالخصوص بعد أن انسحبت قواتها من الاصطدام بالقوى الأوربية، فقد بان عليها الضعف والهوان، فقد كشفت بنود الاتفاق الذي وقع في نطاقه صلح سيفاروك ١٦٠٦م بمثابة السلبيات الداخلية التي كشف ضعف القدرة الذاتية للعثمانيين، مما أثار البلبلة الداخلية على من جاء بعد سليمان القانوني، فقد تولى من بعده عدد كبير من السلاطين الضعفاء، وتعاقبت دورات اشتداد الضعف وعدم الاستقرار الداخلي، ودورات الإصلاح، وتخلل هذه الدورات محاولات التقدم في أوربا، ولو بصعوبة، أو الدفاع والحفاظ على الأراضي العثمانية.

ويوعز بعض الباحثين[1] أسباب الضعف، أو الانهزام العثماني في صراعه مع الأوربيين إلى الأسباب التالية:

١ـ العوامل السياسية، وتتمثل في تدهور صفات السلطان العثماني ابتداء من سلاطين إلى البيروقراطية إلى القضاء، فقد تولى في هذه الفترة بعض السلاطين الضعفاء غير المدربين وغير المؤهلين لأمور الدولة، لكونهم قد تزوجوا بغير المسلمات أي من المسيحيات، فقد كان دورهن التثبيطي عاملا مهماً في انهزام الدول في صراعها مع القوى الأوربية..

٢ـ تدهور وضعية الجيش العثماني الذي أسسه أردخان الأول، حيث تغيرت تركيبته الأساسية مما سبب له الضعف، ومن ناحية ثانية توقف الجيش العثماني عن خوض الحروب والتدريبات اللازمة.

٣ـ تدني مستوى التسلح والتنظيم في الجيش العثماني بالمقارنة

(١) اللجنة القائمة على دراسة العلاقات الدولية بين الغرب والإسلام.

بنظائره الأوربيين، فقد ضعف في شراء وحيازة الأسلحة المتطورة، ويبين ضعفه في عدم تمكنه من حصار فيناً عام ١٦٨٣م.

٤- تطور الأزمات المالية التي عصفت بالحكومة العثمانية، فقد أوضح الحاج خليفة أحد مسؤولي الشؤون المالية العثمانية هذا التدهور الاقتصادي وأرجعه إلى تدهور الريف، وترك الفلاحين الحرفة، وتدمير الزراعة في الدولة، مما اجبر الحكومة على فرض الضرائب الكثيرة مما زاد في تدهور الأوضاع.

وبعد أن اتجهت الدول الأوربية لزيادة توسعاتها الاستعمارية خارج نطاق القارة الأوربية، بالخصوص تفكيرها الجاد في استعمار المياه الخليجية لأنها عصب اقتصادي مهم، وبعد أن اندحر الغزو العثماني من أوربا أمعنت الحكومة العثمانية المنهزمة في الصراع الأوربي من التفكير الجاد لوجود الحلول المناسبة إلى لأزماتها المختلفة، سواء على الصعيد الخارجي أو الداخلي، ووجهت أنظارها إلى المياه الخليجية، وفي القرن ١٧م، وبعد حدوث عمليات التوازن المعقد في هذه المنطقة والذي نجم عنه استمرار النزاع الصفوي العثماني من ناحية، وعن تطور توازن الصراع الأوربي المتمثل في (البرتغاليين، والبريطانيين، والهولنديين، والفرنسيين من ناحية ثانية، استمر حتى انهيار القوة الصفوية في منتصف القرن ١٢هـ١٨م)[1] الذي جعل من التوازن واضحا ومحددا في

---

(١) كان الدور الصفوي في المنطقة في تراجع منذ بداية القرن ١٨م، نظرا لتعاقب الغزو الأفغاني ثم العثماني ثم الروسي طوال هذه الفترة، ولقد كان انهيار القوة الصفوية بعد وفاة نادر شاه في منتصف القرن ١٨م علامة بارزة في تراجع الدور الصفوي واهتمامه بالخليج العربي. للمزيد راجع المصدر السابق، ص ١٢٣.

القوة الأوربية، وبعد أن انهارت السيطرة البرتغالية على هذه المنطقة في أواخر القرن ١٧م حصل استقرار لبعض الإمارات في الجزيرة العربية والخليج العربي، الأمر الذي جعل الحكومة العثمانية تسعى لفرض هيمنتها على المياه الخليجية، وتوحيد هذه الإمارات تحت الحكم الوهابي، فبادرت القوة العثمانية إلى فرض سيطرتها على البحر الأحمر والخليج العربي في القرن ١٨م بعد أن نجحت في جعل (بحر الحجاز) بحراً إسلامياً، مغلقاً أمام السفن غير الإسلامية.

وما أن حل القرن ١٨م وفي أوائل القرن ١٩م حتى تمكنت القوة العثمانية من فرض سيطرتها على مياه الخليج العربي، في الحملات الثانية بعد أن تمكنت الحكومة البرتغالية والفارسية من محاربته، وكان ذلك عام ١٥٥٠ وكان ذلك بعد وصولهم إلى بغداد واستيلائهم عليها بقيادة السلطان سليمان القانوني، ويقال: إن الأهالي في البحرين والقطيف ثاروا على الحاكم المنصب من قبل البرتغاليين الذي كان يحكمهم بالحديد والنار، فتمكنوا منه وأرسلوا إلى الحاكم العثماني المقيم في العراق يستنجدونه بالمساعدة، فتمكنت الحكومة العثمانية من إرسال أُسطولها البحري لمحاربة بقايا البرتغاليين في البحرين والقطيف، فتمكنت الحكومة العثمانية من طرد البرتغاليين من هذه المناطق، لكنه سرعان ما عادوا إليها بعد أن انشغلت الحكومة العثمانية بحروبها ضد الغرب والصليبية الحاقدة، واستغل البرتغاليون هذه الفرصة ورجعوا إلى البحرين والقطيف ثانية وبدأوا في تشيد القلاع في جزيرة (أوال) و (تاروت) و (سيهات) وغيرها.

غير أن العثمانيين لم يتركوا الأمر، فقد دخلوا مسقط، وحاصروا مدينة هرمز قاعدة البرتغاليين، ولكنهم لم يتمكنوا من فتحها، فتركوها

واتجهوا إلى البحرين، فانسحب البرتغاليون من جزيرة أوال، ومن القطيف، ودخلها العثمانيون، وكان ذلك عام ٩٥٧، وأصبحت البحرين والقطيف تحت حكم العثمانيين.

كيف وصل الأتراك إلى القطيف؟

ربما كانت البداية نحو استعمار الخليج والقطيف، بعد أن غادرت السفن العثمانية المتجهة إلى الخليج العربي في ٢٣ إبريل عام ١٨٧١ بقيادة الفريق محمد نافذ باشا، ورئاسة أركان الحرب، وكان خط السير لها أن تتوجه أولا إلى ميناء الكويت، ومن ثم إلى ميناء رأس تنورة، ومن ثم إلى ميناء القطيف، وما أن وصلت القوات العثمانية إلى أراضي الكويت حتى أمر مدحت باشا الأمير الكويتي بأن يسهل مهمة السفن الحربية العثمانية المتجه إلى ميناء القطيف، ويزودها بما تريد، فطبق الأمير الكويتي ما أمر به مدحت باشا، وأمر بإرسال مجموعة من المقاتلين الكويتيين عبر البر بقيادة أخيه الشيخ مبارك الصباح، ومن الكويت اتجهت القوة العثمانية البحرية إلى ميناء رأس تنورة في ١٣ مايو عام ١٨٧١، في الوقت الذي كانت فيه قوات المشاة العثمانية تتحرك عبر البر نحو الأحساء، وفور وصولهم إلى ميناء رأس تنورة استقروا أياما ومن ثم توجهت الحاميات الثمانية إلى القطيف، لكي تلتقي بالقوات البرية القادمة من الأحساء، حيث اشتبكت مع الأمير سعود من الخوالد، والعجمان وبني مرة، وجرى قتال عنيف حول مدينة القطيف بين أسوارها المحيطة بسور القلعة، وقامت القوات العثمانية بمحاصرة القطيف من ثلاث جهات، وضربها بالمدافع الكبيرة من البوارج الحربية، ودامت هذه العملية ثلاث ساعات متواصلة.

وبعد أن سقطت القطيف في أيدي القوات العثمانية، قام قائد

الحملات حافظ باشا بتوجيه إعلان صادر من القيادة العثمانية المتمثلة في مدحت باشا إلى أهالي نجد عامة، والقطيف خاصة جاء فيه: أيها الناس والعشائر الساكنون في الأحساء والقطيف وجهات نجد نحيطكم علماً أنه كما هو معلوم لدى جميعكم أن منطقة نجد وملحقاتها وكافة المحال الداخلية فيها هي من الممالك المقدسة الراجعة للدولة العلية، وأن حماية هذه الممالك والأراضي وصيانة الناس الساكنين فيها داخلة تحت حماية دولة حامي الإسلام سلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين أفندينا السلطان عبدالعزيز خان نصره الرحمن، ومن المعلوم أن سعود قد أغرى بعض الناس، وأخرجهم على أخيه المنصوب القائمقام لمنطقة نجد من جانب الدولة العلية، وجاء إلى أطراف الأحساء والقطيف، وجاس خلال الديار؛ لذا رأى حضرة إمام المؤمنين، وخليفة الموحدين أن يجمع البلاد والعباد ـ وهي وديعة الله تعالى ـ تحت الظل السلطاني الظليل، فقد عينت الدولة العثمانية فرقة عسكرية من بغداد تحت إدارة صاحب السعادة الفريق نافذ باشا، وهاهي قد خرجت إلى ساحل القطيف مع تلك السفن النارية، والآن يلزم لكل منكم أن يعلم أن الحكومة في نجد بأطرافها وأكنانها لما كانت محولة من طرف حضرة مولانا السلطان أدامه الرحمن.

وبعد أن استقرت الحكومة العثمانية في القطيف اتجهت قواتها إلى الدمام، فاستولت عليها بدون مقاومة تذكر، وبعدها توجهت نحو الهفوف في أوائل يوليو عام ١٨٧١ غير أن قسوة المناخ وانتشار الأمراض بين الجنود حال دون تقدمهم بالسرعة المطلوبة، إذ يذكر المؤرخ الغربي (كيلي): أن المرض أصاب حوالي ألف جندي من بين ألفين وخمسمائة جندي بقيادة نافذ باشا، وحل المرض كذلك بنحو مائة وخمسين جندياً من أفراد حامية القطيف البالغ عددها خمسمائة جندي، كما أصاب

المرض عدداً كبيراً من الجنود الموجودين في ميناء العقير، ومع هذه الظروف القاسية تمكنت القوات العثمانية من دخول الهفوف..[١].

فيصل يتجه إلى القطيف:

شهدت الفترة الأخيرة، من حكم تركي سلسلة من الفتن الداخلية التي عمت كثيراً من الجهات، مثل الفتنة التي شبت بين مطير وأتباعهم من ناحية، عنزة وأتباعهم من ناحية أخرى، عند (المربع) قرب بلد المذنب[٢] بالقصيم، حيث استمر القتال أربعين يوماً. ثم كانت فتنة مشاري بن عبد الرحمن بن سعود ولا شك أن إخماد هذه الفتن استغرق جهداً كبيراً من جانب حكومة الرياض، التي ما كادت تفرغ من إخمادها، حتى اضطرت إلى إعداد قوة لاخماد فتنة أخرى شهدتها منطقة القطيف. وقد شغلت هذه الفتنة تركي الذي أعد قوة ضخمة تحت قيادة ابنه فيصل للقضاء عليها، فقد قام أهل جزيرة العمائر، بقطع السبل عن أهل القطيف، فثارت الحروب بينهم وبين عبدالله بن غانم رئيس القطيف والذي كان تابعاً لآل سعود. فأرسل تركي ابنه فيصلاً لنجدته. واستطاع فيصل أن يُنزل الهزيمة بأهل جزيرة العمائر. الذين هربوا إلى قصر الدمام واحتموا بأولاد عبدالله بن أحمد بن خليفة رئيس البحرين، الذين كانوا متحالفين معهم.

كان آل خليفة آنذاك يتحالفون مع الخارجين على سلطة تركي،

---

(١) الخصوصي، ج ٢ ص،١٢٠، وكذلك كتاب التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ج٨، ص٣٠١ ـ ٣١٩.

(٢) المذنب: حالياً بلدة ذات قرى، فيها امارة، من أمارات منطقة القصيم، المعجم الجغرافي، من (٢)، ص ١١٢٤، المعجم المختصر من ٢، ص ١٢٩٦.

فتم التحالف بينهم وبين ابن عبد الرحمن رئيس (سيهات)[1]، ووصل نبأ هذا التحالف إلى فيصل، فرحل إلى سيهات، ونزل قريباً منها، ثم حاصرها حصاراً شديداً، ورماها بالمدافع.

وواجه فيصل في بداية حكمه، بعض الاضطرابات، وبخاصة تلك التي حدثت، بين أهل وادي الدواسر، بعضهم البعض، وكان عليه لكي يضمن استقرار الأوضاع، أن يضع حداً لمثل هذه الاضطرابات، والتي إذا تركها لا بد أن يكون لها تأثيرها على الوضع العام في إمارته، فقام بجمع قوة كبيرة من أهالي البلدان النجدية ووضعها تحت قيادة حمد ابن عياف، فتمكنت من القيام ببعض الأعمال وجاء بعدها بعض أهل الوادي إلى الرياض، وبايعوا فيصلاً، وظل البعض على عنادهم. وامتنعوا عن دفع الزكاة لحاكم الرياض، فسار إليهم فيصل على رأس قوة، وهاجمهم في أرض العومة، ثم رحل ونزل الشعراء. واقام فيها نحو أربعين يوماً، وبعث بعماله يقبضون الزكاة من البدو، وعاقب من امتنع عن دفعها، ثم وفد عليه رؤساء البدو محمد بن فيصل الدويش، رئيس مطير، ومحمد بن قرملة، رئيس قحطان وغيرهما، ثم جاءه أهل وادي الدواسر، وطلبوا منه الصفح والعفو عما بدر منهم، فأجابهم إلى طلبهم وأرسل معهم أميراً[2].

ومن سلسلة الإجراءات التي قام بها فيصل، أنه أجرى في مطلع ١٢٥١هـ / أبريل / مايو ١٨٣٥م، تعديلا في إدارة إقليم جبل شمر، فعزل

---

(١) سيهات: سيهات تقع على بعد ميلين جنوب شرق عنك، وهي الآن من كبريات مدن القطيف، انظر المعجم الجغرافي، المنطقة الشرقية (البحرين قديماً ٩، ق (٢) ص ٨٩٣ - ٨٩٥، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج ٥، ص ١٨٨٥.
(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ج ٢ ص ٦٦ - ٦٧.

صالح بن عبد المحسن بن علي، وعين بدلاً منه عبدالله بن علي بن رشيد، ومعه القاضي عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار، وكان هدف فيصل من اجراء هذا التغيير، استقرار الأُمور في منطقة الجبل، والاطمئنان لولائها له من ناحية، ومكافأة أميرها الجديد على الدور الذي قام به في قتل مشاري بن عبد الرحمن، وتولية فيصل الحكم من ناحية أخرى[1].

أدى التغيير الذي أجراه فيصل في إدارة الجبل إلى حدوث نزاع بين الأمير الجديد وأتباعه، والأمير القديم وأتباعه، ولكن عبدالله بن علي بن رشيد، الأمير الجديد، تمكن من التغلب على الأمير القديم صالح بن عبد المحسن بن علي، الذي خرج وآله من حايل، وقصدوا إلى بلدة (بريدة)، فلما وصلت أخبار هذه الواقعة إلى فيصل أمر بتتبع آل علي فقتل صالح بن عبد المحسن على يد حاكم بريدة في القصيم، وقتل كل من عثر عليه من أتباعه، فقتل بعضهم، وهاجر من لجا منهم إلى مكة

عمد فيصل إلى توطيد الأمن والاستقرار في منطقة القطيف كذلك، فأرسل في ربيع الآخر ١٢٥١ هـ / يوليه / أغسطس ١٨٣٥م، زويداً الخادم، ومعه جماعة إلى ناحية القطيف للقضاء على الاضطرابات، فلما وصل زويد إلى القطيف وسيهات، قام ببعض العمليات الحربية الناجحة، وأجرى تعديلات وتغييرات في المناصب الادارية، طبقاً لتعليمات فيصل، وعاد إلى الرياض وصحبته ابن أمير القطيف، ابن غانم، وأمير سيهات، ابن عبد الرحيم، وبايعوا فيصلاً على السمع

---

(١) دكتور عبد الفتاح حسن أبو علية، الدولة السعودية الثانية ص ٣٦ - ٣٧. حيث يذكر «وبذلك نشأت الإمارة الرشيدية في حائل».

والطاعة، وبذلك أعلنت بلدان نجد والأحساء والقطيف والجبل ولاءها لفيصل[1]، وما كاد الأمر يستقر لفيصل، حتى داهمه خطر أشد وأقوى، وهو خطر تطلع محمد علي إلى استرداد نفوذه على تلك المناطق، ولذا فإن العلاقة بين فيصل وحكومة الحجاز الممثلة لحكم محمد علي، بدأت تدخل مرحلة جديدة، شابها التوتر والعداء.

وواكب الفترة التي ولي فيها فيصل أمور الحكم، تأزم الموقف بين محمد علي والسلطان العثماني إلى درجة بالغة، وعندما نجح محمد علي في الاستيلاء على بلاد الشام، بدأ يرسم إطار خريطة سياسته التوسعية، والتي شملت في إطارها كل شبه الجزيرة مرة أخرى.

حملة خورشيد على الأحساء والبحرين والقطيف:

عمل خورشيد باشا، بعد استسلام فيصل بن تركي، وقبوله السفر إلى مصر، على بسط نفوذ محمد علي على كل المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ آل سعود، في شرقي شبه الجزيرة العربية، ولما كانت الأحساء ضمن المناطق التابعة لفيصل بن تركي، فإن خورشيد باشا أرسل إلى حاكمها من قبل فيصل عمر بن عفيصان، وكذلك أرسل إلى رؤساء الأحساء أن يأتوا إليه، ليعلنوا ولاءهم، فجاؤوا إليه ما عدا عمر ابن عفيصان الذي ذهب إلى البحرين، ومنها إلى الكويت، كما سبقت الإشارة إليه، وعين خورشيد باشا، أحمد السديري أميراً على الأحساء، فقام السديري بتنظيم إدارة الأحساء والقطيف، وأصبحت المنطقة خاضعة لنفوذ محمد علي منذ شوال ١٢٥٤ هـ/ ديسمبر ١٨٣٨م.

قرر خورشيد باشا عندما استقر له الوضع في الخارج واتخذ من

---

(١) عثمان بن بشير، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٨.

(ثرمداء) قاعدة له- أن يبدأ على نطاق واسع في تنفيذ مخططه الخاص باسترداد مناطق شرقي شبه الجزيرة العربية التي كانت خاضعة لآل سعود، ثم مد نفوذ محمد على إلى كل من الكويت والعراق، كي تلتحم هذه المناطق ببلاد الشام لتصبح وحدة تحت نفوذ محمد علي.

وقام خورشيد باشا في ٣ ذي القعدة ١٢٥٤/ ١٨ يناير ١٨٣٩م، بتعيين محمد رفعت وكيلا عنه لتنفيذ مخططه في منطقة الخليج، وأرسل معه قوة من المشاة. وثلاثمائة فداوي، تحت قيادة الفاخري المغربي، وزوده برسائل إلى آل خليفة في البحرين. وقد لعب محمد رفعت دورا مهماً في تاريخ المنطقة في تلك الفترة، فسيطر سيطرة تامة على الموقف في الأحساء والقطيف، ثم بدأ اتصالاته بآل خليفة.

السيطرة على القطيف:

أدرك خورشيد أهمية الأحساء والقطيف، لإحكام السيطرة على نجد من ناحية، والوقوف في وجه التحركات البريطانية من ناحية أُخرى، ومن هنا كان التركيز عليهما، فأرسل قوة أُخرى إلى المنطقة مع محمد رفعت خلف القوة التي أرسلت مع أحمد السديري، وكان يوجد بالقطيف قلعتان فيهما ثمانية وعشرون مدفعاً، ولذا فإن أوامر خورشيد لقواته، كانت صريحة في الاستيلاء على هاتين القلعتين، وتحصين المنطقة تحصيناً تاماً، واتخاذها قاعدة لتحرك قواته في منطقة الخليج لأهمية مينائها، وصلاحيته للعمل، وحرصاً من خورشيد باشا على إنجاح مخططه للاستيلاء على منطقة الخليج، فإنه طلب من محمد علي وحكومة الحجاز، أن ترسل قوة أُخرى لتعضيد قواته من جدة إلى القطيف، عن طريق البحر الأحمر، ولكن طلب خورشيد باشا هذا رفض بسبب بعض المحذورات، فقد وضع محمد علي في اعتباره عند تقديره الموقف، موقف

بريطانيا منه، الذي كان بلمرستون paimerston قد بدأ يفصح عنه بصراحة، ولذا كان تخوف محمد علي من بريطانيا في منطقة الخليج، خاصة وأنها قد وطدت نفوذها في مشيخات الساحل العماني، بسلسلة من المعاهدات منذ معاهدة ١٢٣٥ هـ / ١٨٢٠ م.

انزعج خورشيد باشا من رد القاهرة عليه، ورفضها لطلبه، فهو غير مدرك للاعتبارات التي كان يضعها محمد علي في تقديره للموقف، ولذا فإنه أرسل يطلب إيضاح المقصود بالمحذورات، التي تمنع إرسال القوة البحرية إليه من جده فكتب « إن كنتم تقولون في خطابكم العالي: إن في إرسال السفن محذورات، فقد حصل لنا قلق بال، واضطراب فكر من هذه الجملة، فنرجو إيضاح الكيفية لنا، حتى نجري بموجب تلك الإيضاحات سيدي »[1]، ولكن القاهرة رغم إلحاح خورشيد باشا، لإرسال القوة البحرية إلى القطيف فإنها لم تستجب لطلبه، وبدأ خورشيد بتفهم حقيقة الموقف، حينما بدأ تنفيذ مخططه معتمداً على قواته الذاتية، فقد أمر محمد رفعت باتخاذ الخطوات العملية لتنفيذ المهمة المنوطة به.

بدأ محمد رفعت تنفيذ مهمته في الخليج بتوطيد الأمور في منطقة الأحساء والقطيف، وقد أدرك بعد دراسة أحوال المنطقة أن آل خليفة لا يهتمون كثيراً بالأحساء؛ لبعدها عن البحرين؛ ولعدم صلاحية مينائها للملاحة. ولذا فإن اهتمامهم كان منصباً على القطيف؛ لقربها من البحرين؛ ولصلاحية مينائها للملاحة، ولهذا فإن مبارك بن عبدالله بن أحمد ابن أمير البحرين كان يقيم في قصر الدمام، وإن مبارك هذا وطد علاقته بأهل المنطقة، فهو متزوج من بنت شافير بن شعبان شيخ الهواجر

---

(١) الوثيقة السابقة، رقم (٢) أصلية، (٢٧) حراء.

وأن جماعة من الهواجر يقيمون معه، وأن الهواجر يعتدون منهم دائماً على أهل القطيف، كما أن أهل العمير الذين يقيمون في قلعة (عنك) الواقعة بين سيهات والقروة -وأن هذه القلعة محصنة، ولها أبراج أربعة، فإن هؤلاء البدو يتمتعون بحماية آل خليفة- يعتدون كثيراً على أهل القطيف كذلك، لذا فإن كثير من أهل القطيف نتيجة لاعتداءات الهواجر والعماير عليهم، اضطروا إلى الهجرة إلى البحرين.

قرر محمد رفعت بعد إدراكه لحقيقة الموقف في القطيف وضع حد لاعتداءات هؤلاء البدو على أهل القطيف، وإخضاعها لنفوذه خضوعا تاما، فاتجه يوم الاثنين ٢١ذي القعدة ١٢٥٤هـ/ ٥ فبراير ١٨٣٩م من الأحساء إلى القطيف على رأس قوة مكونة من خمسين نفرا من جماعة الفاخري، ومعه محمد آغا الكاشف، رئيس القوة، فوصل القطيف يوم الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٣هـ/ ٨ فبراير ١٨٣٨م، فوجد أبواب سكة القطيف مقفولة، والبلاد محاصرة، ونخيلها خربة، وأهلها لا يستطيعون الخروج، خوفا من الهجمات التى تقع عليهم من جانب بدو الهواجر والعماير، فأمر أهل القطيف بفتح أبوابها، ودخل بقواته البلد، فوجد بها أحد عشر مدفعا، ونحو مائتين وخمسين أقة بارود، فطمأن أهل البلد بحمايتهم، ونبه عليهم بجمع بنادقهم. وأعد مدفعين من المدافع التي وجدها في البلد، والتي لم يكن أهل القطيف على دراية بكيفية استعمالها بطريقة صحيحة، وخرج على رأس قوة إلى قلعة (عنك) حيث يقيم بدو العماير وبنو خالد، وهاجم القلعة، وتمكن من الإمساك بشيخ العماير، وهرب بقية الرجال الذين كانوا يتحصنون بالقلعة في مركبين إلى البحر، وتمكن محمد رفعت بقوته من السيطرة على القلعة، والاستيلاء عليها. ووجد فيها ثلاثة مدافع، وبعض التمر، وبعض الأثاث الخاص ببدو العماير، فرتب الأمر وأبقى في القلعة أبا خزام

والفداويين، وأخذ المدافع الثلاثة إلى القطيف، ثم أرسل الحمير لتحمل المتاع الذي وجد في القلعة.

هكذا تخلص محمد رفعت من إحدى الجبهتين اللتين كانتا تعتديان على أهل القطيف. وتسببان لأهلها الخوف والفزع، ولم يبق أمامه إلا الجبهة الأخرى. وهي جبهة قصر الدمام، حيث يقيم مبارك بن عبدالله.

أراد محمد رفعت أن يتبع مع مبارك أولا، طريق السلم. فارسل إليه طالبا حضوره إليه لمنحه الأمان، فأرسل إليه مبارك حصيناً شيخ الهواجر؛ ليقف على حقيقة هدف محمد رفعت، ويرى ما لديه من قوة، ومدى الاستعدادات التي لديه، فلما وصل حصين إلى محمد رفعت، خاف من الاستعدادات التي رآها لدى محمد رفعت، وشرح له محمد رفعت هدفه. وأنه ليس له من هدف سوى الاستيلاء على القلاع « لكون القلاع للحكام » ، وأن هؤلاء الناس مضرون لأهل البلاد، ومضرون لنا في الجمرك؛ لكون جميع المراكب يؤخذ عليها العشر. وأنه ليس له هدف عدواني، وأرسل الأمان مع حصين إلى مبارك، فقبل مبارك الأمان، واقتنع بما أوضحه له حصين، وليثبت محمد رفعت حسن نواياه لمبارك، قام بالإفراج عن شيخ العماير الذي يتمتع بحماية آل خليفة، ورد إليه مركبه الذي سبق له الاستيلاء عليه، وكذلك تمره، وأثاثه الذي أخذ من قلعة (عنك) ومنحه ورقة أمان له ولجماعته. شريطة أن يسكنوا جزيرتهم التي هي جزيرة العماير، القريبة من القطيف، ووعدهم بعدم فرض أية غرامة عليهم، أو وقوع أي ضرر عليهم، ماداموا يتمتعون بالأمان الممنوح لهم معلنين ولاءهم.

وبذلك استكان الأمر في القطيف. وبدأ سكانها يمارسون حياتهم، ويعيشون في أمان واطمئنان، وفرض محمد رفعت نفوذه عليها، وبدأ

ينفذ المرحلة التالية من المخطط الذي وضعه خورشيد باشا، وهي مرحلة الاستيلاء على البحرين.

انطباعات محمد رفعت عن البحرين والقطيف:

قام محمد رفعت بعد أن ضبط مينائي الأحساء والقطيف، ودراسته لأحوال المنطقة بصفة عامة، بزيارة سريعة للبحرين في غرة ذي الحجة ١٢٥٤هـ/١٥ فبراير ١٨٣٨م، للوقوف على أحوالها، ومدى أهميتها بالنسبة للمنطقة سياسيا واقتصاديا، وعاد من رحلته هذه إلى القطيف يوم ٨ ذي الحجة ١٢٥٤هـ/ ٢٢ فبراير ١٨٣٩م، وكتب تقريرا مطولا خاصاً جاء فيه: إن البحرين ذات أهمية قصوى لاستقرار الأحوال في الأحساء والقطيف، فميناؤها هو الميناء الوحيد ذو الأهمية في المنطقة، حيث إن ميناء القطيف، لا تستقر مياهه على حال، ولا ترده إلا سفن صيد السمك الصغيرة، وميناء العقير الذي هو ميناء الأحساء، لا يوجد به بلد، ولا ماء شرب، فضلا عن أن أهل الأحساء لا يملكون سفناً كبيرة ولا صغيرة، والميناء الوحيد الذي تروح إليه السفن وتغدو من نواحي الهند وعمان والعراق، هو ميناء جزيرة البحرين، والسفن ومراكب الجهات المذكورة لا تتجاوز ميناء البحرين ولا تتعداها بحسب العادة المسبقة، ولذلك اعتبرت جزيرة البحرين ميناءً للأحساء والقطيف، وسبباً في رواج المنطقة الاقتصادية.

وأكد محمد رفعت في تقريره لخورشيد باشا، أنه لاحظ منذ وصوله إلى المنطقة، أن سفن البحرين لم تأتِ إلى ميناء القطيف، وأصبحت ترسو تحت قلعة الدمام، التي تقع على يمين ميناء القطيف بمسيرة ساعات، وهي القلعة الواقعة في يد مبارك بن عبدالله بن أحمد، لجل أمير البحرين، وأن عدم مجيء السفن من البحرين إلى القطيف يضر

بأحوال المنطقة الاقتصادية. فضلا عما تسببه من اضطرابات سياسية؛ لأن هذه السفن التي ترسو تحت قلعة الدمام، تأخذ الهاربين من الأحساء والقطيف من الذين سبق لهم أن أعلنوا الطاعة لحكومة باشا.

كذلك ذكر في تقريره أنه اتضح له من تتبعه لأحوال جزيرة البحرين، ودراسته لسابق عهدها. أنها كانت تابعة لحكومة آل سعود، حتى عهد فيصل بن تركي وأنه استهدف من زيارته لها، التحقق من مقاصد أهلها، والوقوف على أحوالهم، بصورة صحيحة، تقديرا لأهميتها بالنسبة للمنطقة. وقد قابل أميرها عبدالله بن أحمد، وأنه تحقق أن أهل البحرين ممتنعون عن الدخول في الطاعة لحكومة محمد على للعوامل التالية:

أولا: مكاتبة كل من المقيم البريطاني في بوشهر Bushire، ووالي بغداد لعبدالله بن أحمد، وتحريضه على عدم إعلان طاعته لحكومة محمد علي، وقد رأى محمد رفعت بنفسه، مندوب كل من المقيم البريطاني ووالي بغداد في البحرين

ثانيا: احتجاج آل خليفة بأن تبعتهم لآل سعود كانت نابعة من كونهم عرباً مثلهم، وأنهم لم يدخلوا تحت حكم مطلقا، وأنهم كانوا دوما مستقلين، وأن دخولهم تحت حكم آل سعود لكون آل سعود عرباً مثلهم ولذلك دخلوا تحت حكمهم، ولم يدخلوا حتى اليوم، تحت حكم من لم يكن من العرب، بل كانوا مستقلين، في جهة لم يحكمهم فيها أحد.

ثالثا: اعتمادهم في حمايتهم على البحر الفاصل بين الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وحميرهم ووجود السفن لديهم. واستعدادهم للقتال. وذكر أن « هذا ما أخبرنا أهل الجزيرة، معلنين

الامتناع من الدخول تحت الطاعة».

وأكد محمد رفعت في تقريره هذا، أنه رأى في البحرين جمعا غفيرا من الذين رفضوا الدخول تحت الطاعة، من أهل الأحساء والقطيف ونجد، وعلى رأسهم عمر بن عفيصان، حاكم الأحساء السابق ومحمد ابن سيف العجاجي، حاكم القطيف. وفهد بن عفيصان الذي قتل محمد آغا رئيس المشاة وأخاه، ونهب مالهما، وغلال الجيش، التي تركها أمانة في الخرج، بعد الهزيمة التي حلت به هناك ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م، كما رأى جماعة الفداوية وغيرهم، وكل الأشقياء ولم يقبلوا الدخول تحت الطاعة، يتواردون إلى الجزيرة، لا سيما طوائف البدو الممنوعين من دخول القرى الداخلة تحت الطاعة.

وأوضح محمد رفعت كذلك خطورة تواجد مبارك بن عبدالله في قلعة الدمام؛ لأن كثيراً من قبائل الهواجر وبني خالد والعماير والمهاشير، وآل صبيح مقيمون داخل القلعة، أو في جوارها، وهم على اتصال عن طريق هذه القلعة بالبحرين التي أصبحت ملجأً لكل الذين يريدون الخروج عن الطاعة، أو الذين يرفضون أن يؤدوا ما يطلب منهم.

وهكذا أصبحت البحرين سبباً في الاضطرابات التي تلحق بالقوات، وبحكم محمد علي في الأحساء والقطيف ونجد، وبات أمر الاستيلاء عليها، وضمها إلى حكومة نجد، ضرورة لا بد منها حيث «إن هذه الجزيرة، إذا دخلت تحت طاعة الحكومة، فإن تلك الاضطرابات المذكورة، سوف تنقص»، هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإن الاستيلاء عليها فيه كثير من المنافع المادية التي تعود على حكومة نجد بالخير العميم، نظراً لكثرة ما فيها من أنواع المزروعات، فضلاً عما تموج به من حركة تجارية نشطة جداً، فجميع سفنها الكبيرة والصغيرة،

تروح وتغدو، بينها وبين نواحي البصرة والهند وعمان، وتدر عليها هذه الحركة التجارية كثيراً من الخيرات، وبذلك يصبح الاستيلاء عليها سبباً لحصول الحركة في ميناء الأحساء والقطيف، ولترويج بعض المنافع الأميرية؛ لادارة أمور العساكر الموجودة في فيلق نجد، هذا ما نراه في إدخالها تحت حكومة ولي النعم.

وبذلك أوضح محمد رفعت لخورشيد باشا في تقريره عن البحرين، أهمية الاستيلاء عليها، لاستقرار الأحوال في الأحساء والقطيف، بل في المنطقة كلها.

نص الاتفاق بين خورشيد ووالي البحرين:

قام الأمير عبدالله بن أحمد، أمير البحرين، بعد مقابلته لمحمد رفعت، أثناء زيارته للبحرين، بإرسال رسالة إلى خورشيد باشا، شرح له فيها ما دار بينه وبين محمد رفعت، وأوضح له أن البحرين، حينما كانت تابعة لآل سعود، كانت تدفع لتركي بن عبدالله، زكاة قدرها ثلاثة آلاف ريال، فرد عليه خورشيد باشا بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٢٥٤هـ/ ٦ مارس ١٨٣٩م، مؤكداً له أن الأموال ليست هدفه مهما كثرت أو قلت، وأنه لا يريد منه أكثر مما كان يدفع لتركي، وأن كل ما يهمه الإصلاح، وتأمين الطرق والمساعدة على استمرار الأعمال، والوقوف جبهة واحدة في وجه أهل فارس والإنجليز، فهدفنا «الإصلاح وتمشية السبل، والمساعدة على الأشغال، ونكون نحن وأنتم حالاً واحداً، في قبال العجم والانجليز، فالأفضل أن لا يعلموا ما اتفقنا عليه» هذا من ناحية. ومن ناحية أُخرى، فإن خورشيد أوضح للأمير عبدالله بن أحمد، ان دخوله في طاعة حكومة محمد علي فيه فائدة أُخرى له، ألا وهي إبعاد الخطر الذي يهدده من جانب سلطان مسقط سعيد بن سلطان ابن السيد

سعيد، الذي هو صديق لمحمد علي، فإذا علم بخضوع البحرين لحكومة لمحمد علي ابتعد عنها فإذا « لغة اتفاقنا معكم، فلا يحط يده، وهذه الأمور، لا تحملوا همها، هذا علينا ».

وذكر له أنه سيرسل إليه محمد رفعت وكيلا عنه، للاتفاق معه على هذه الأمور جميعها، وفعلا فإن محمد رفعت سافر إلى البحرين نيابة عن خورشيد للاتفاق مع أمير البحرين، فلما وصلها، وجد أن الأمير عبدالله، قد عدل عن فكرته التي ذكرها لخورشيد باشا، وأدرك محمد رفعت أن هذا التغيير الذي أصاب موقف الأمير قد حدث نتيجة لموقف حكومة بغداد التي كانت تسعى آنذاك بكافة الطرق لعرقلة مشروعات محمد علي، فتمكنت من إغواء الأمير بالعدول عن ميله للاتفاق مع خورشيد باشا، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الأمير كان يخشى جانب الإنجليز في حالة اتفاقه مع خورشيد، ولذا فإن محمد رفعت وجده يطيل الكلام حول هذه الموضوعات، بل وجده قد « شرع بإعطاء النقود للإنجليز ».

وكان خورشيد باشا آنذاك، قد كتب إلى القاهرة رسالة مطولة بناها على التقرير الذي أرسله محمد رفعت عن البحرين، وأكد للقاهرة أهمية البحرين لإحكام السيطرة على الأحساء والقطيف حيث « إن تلك الجزيرة لازمة لنا، وهي ميناء الأحساء والقطيف » ولذا فإنه جاد في العمل على إخضاعها لحكمه، وبسط السيطرة عليها.

وقد بذل محمد رفعت كل جهوده لتحقيق هدف خورشيد باشا، وقد أثمرت هذه الجهود، فقبل الأمير عبدالله بن أحمد، الاتفاق مع حكومة خورشيد باشا، ودفع الزكاة لها، وكتب الأمير عبدالله بن أحمد إلى خورشيد باشا بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٥٥ هـ / ٨ مايو ١٨٣٩م، يخبره

بالاتفاق الذي تم بينه وبين وكيله محمد رفعت، مؤكداً له أن هذا الاتفاق تم بيننا وبينكم على يد محمد أفندي، كما ذكر جنابه، نيابة من طرف جنابكم، على أن نعادي من عاداكم، ونوالي من والاكم، وأنتم كذلك، ونؤدي لجنابكم الزكاة، كما هو مذكور، في الورقة التي كتبناها لجنابكم. وأرسلناها معه، وأخذنا منه ورقة بالمقابل باسمك، وورقة أُخرى من جنابه لربط الجواب بالعهد، وصار حالنا معكم أحسن حال وهكذا تم الاتفاق بين أمير البحرين، ومحمد رفعت وكيل خورشيد باشا على هذه الأسس المذكورة، وما أن شاع نبأ هذا الاتفاق، حتى انزعجت الأطراف المعادية لمشاريع محمد علي في منطقة شرقي شبه الجزيرة والخليج، وعلى رأسها بريطانيا، التي رأت في هذه العلاقة التي نشأت بين حكومة نجد، وأمير البحرين، خطراً على نفوذها في منطقة الخليج، وبدأت مقاومتها الفعلية لهذه العلاقة.

بريطانيا تعارض الاتفاق:

عملت بريطانيا على مواجهة مشاريع محمد علي في منطقة الخليج، منذ وصول قوات خورشيد باشا إلى الأحساء، فأرسلت قوة استولت على خرج Kharaq ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، وبدأت تتطلع فعليا إلى البحرين وفي الوقت نفسه أرسلت بعض قواتها إلى البصرة، حتى يكون وجودها في تلك المناطق عائقا أمام أي تحرك لقوات محمد علي في منطقة الخليج. وطلب بلمرستون Palmerston، طلب من حكومة الهند أن تتصدى لأي عمل يقوم به خورشيد باشا في منطقة الخليج، ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة، كما أن بريطانيا، أرسلت في نفس الوقت إلى محمد علي، تنذره، بأنه في حالة محاولته احتلال البحرين، أو مد سلطانه إلى الخليج، فان الحكومة البريطانية لن تقف مكتوفة الأيدي، ولذا فإن

المقيم البريطاني في بوشهر Bushire ، لما علم بنبأ الاتفاق الذي تم بين عبدالله بن أحمد ، ومحمد رفعت وكيل خورشيد باشا ، أرسل إلى عبدالله ابن أحمد ، القبطان (هوكسل) أثناء وجوده بقطر ، حاملاً معه عدة رسائل ، موضحاً له فيها أن الاتفاق الذي تم بينه وبين محمد رفعت مخالف لما بينه وبين الإنجليز من ارتباطات. وقام الأمير عبدالله بن أحمد بالرد على رسائل المقيم البريطاني موضحا من جانبه الأسباب التي دعته إلى الارتباط بحكومة خورشيد باشا على النحو التالي:

أولاً: إن قوات خورشيد باشا ، سلكت سلوكا حسنا ، إزاء الأهالي في البلاد التي خضعت لنفوذ حكومة نجد ، فكان ذلك عاملا مشجعا له على الارتباط بهذه الحكومة.

ثانياً: إن قوات خورشيد باشا ، سيطرت على جزء كبير من ساحل الخليج المواجه للبحرين فأصبح لا مفر أمامه سوى الاتفاق ، مع هذه الولاية الجديدة ، حماية لبلاده وموارده.

ولكن المقيم البريطاني هنيل Hennell سجل احتجاجه رسميا على هذا الاتفاق ، في رسالة مختومة بخاتمه ، وأكد للأمير عبدالله بن أحمد أن إعلانه الطاعة الحكومة محمد علي بناء على هذا الاتفاق ودفعه الزكاة مخالف لأمرين:

أولاً: الاتفاق بين عبدالله بن أحمد ذاته ، والقائد العام للقوات البريطانية ، الذي تم منذ سنين مضت.

ثانياً: تعهد محمد علي للدولة الإنجليزية أن عساكره لا تتعدى على بلاد العرب المتصلة بخليج فارس.

وضع أمير البحرين الأمر أمام محمد رفعت ، لعرضه على خورشيد

باشا، لإبداء رأيه فيه، مؤكداً له أنه مهتم بأمر بقائه على الولاء لحكومة نجد، ولكن المقيم البريطاني نشط بصورة غير عادية لتحريض أهالي الساحل العماني والبحرين على عدم إعلانهم الطاعة لحكومة نجد، وقد أكد سعد بن مطلق المطيري، هذا الموقف من جانب المقيم البريطاني، لخورشيد باشا، ولما عرض الأمر عليه، قرر حسم الموقف بصورة قاطعة.

خورشيد باشا يطلب حسم الموقف مع أمير البحرين:

أُشيع في الأحساء والمناطق الأُخرى، نتيجة للتهديدات الإنجليزية، ولتحركات المقيم العام في البحرين ومناطق الخليج، أن هناك اتصالات تجري بين عبدالله بن أحمد والإنجليز من جهة، وبينه وبين فارس من جهة أُخرى، وان كل طرف منهما يرغب في أن تكون البحرين له، وأن الإنجليز اتبعوا لتحقيق رغبتهم هذه أسلوب التهديد، وأرسلوا إلى البحرين سفينة تحمل خمسة وثمانين مدفعا، وأنه حصل الاتفاق مع عبدالله بن أحمد، على أن البحرين مرعية للانجليز وأنهم سوف يظلون لمدة خمس وعشرين سنة، لا يطلبون من أهل البحرين إيرادا ولا شيئا.

كلف خورشيد باشا، وكيله محمد رفعت، بأن يتقصى له حقيقة هذه الأمور كلها، وأن يحسم الأمر مع الأمير عبدالله بن أحمد، أمير البحرين، سواء بصداقة، أو عداوة، فأرسل محمد رفعت إلى مبارك بن عبدالله الذي يقيم في قصر الدمام. يطلب منه أن يبلغ والده بأنه يرغب في مقابلته لأمر مهم. وطلب منه أن يحدد له موعد ومكان اللقاء.

جاء رد مبارك إلى محمد رفعت، وبرفقته رسالة من الأمير عبدالله ابن أحمد محددا مكان اللقاء في (خوير حسان، أحد بلدان سواحل قطر) وفي يوم السبت ٢٣ صفر ١٢٥٥هـ/ ٨ مايو ١٨٣٩م، تم اللقاء بين عبدالله

بن أحمد، ومحمد رفعت، وبعد أن أوضح الأخير الهدف الذي ينشده من وراء هذا اللقاء، قام عبدالله بن أحمد باطلاعه على المراسلات التي وصلته من القيم البريطاني، في بندر بوشهر Bushire، وكذلك على الأمر الصادر له من طرف شاه زاده وكيل محمد شاه، حاكم إقليم فارس، والادعاء من جانب هذا الحاكم بأن البحرين جزء من أملاك فارس، وأن محمد علي باشا، لا يرضيه نظرا للعلاقة بينه وبين فارس، التعدي على أجزاء من الممالك الفارسية على حد تعبير شاه زاده.

ثم قام محمد رفعت بالاستفسار من عبدالله بن أحمد عن العلاقة بينه وبين الإنجليز، وعن حقيقة موقفه، وأبلغه في نفس الوقت أن محمد علي باشا لن يرضى عن أي تصرف من جانبه مع الإنجليز يخالف ما سبق الاتفاق عليه لكون جزيرة البحرين تابعة لحكومة نجد من السابق، وحينئذ أفندينا قد استولى على نجد، وما يتبعها من الثغور مثل القطيف والأحساء، وأنتم والأحساء حال واحد، فلا يمكن حينئذ ترك البحرين إلا بعد العجز عنها، والحمد لله شايف سعادة أفندينا، ليس عاجز، ونحن نريد قطع الجواب معك ، حتى نعرف مرادك، ونعرضه على سيادة المشار إليه.

أكد الأمير عبدالله بن أحمد من جانبه لمحمد رفعت، أنه رغم مراسلة الإنجليز له، فإنه لم يتبعهم، فهم على غير الملة الإسلامية، وكذلك فإنه لم يتبع الفرس؛ لأن الفرس ليسوا على مذهبه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه قد رأى المعاملة الحسنة من جانب حكومة خورشيد للمناطق التي خضعت لها، ولهذا فانه راغب في اتباع حكومة خورشيد، على أساس المعاملة الحسنة، طبقا أعلنه سابقاً، وتوكيدا لموقفه هذا، فانه راغب في تجديد الاتفاق على أُسس واضحة المعالم.

تجديد الاتفاق:

أعلن الأمير عبدالله بن أحمد رغبته في تجديد شروط الاتفاق، شريطة أن يتم على الأساسين التاليين:

أولاً: أن يرسل له خورشيد باشا ورقة أمان واضح.ثانيا: أن يكون لدى محمد رفعت توكيل يطلع عليه، يفيد تفويضه، تفويضا كاملا في قطع مادة البحرين.

وما أن أعلن الأمير عبدالله بن أحمد هذين الشرطين، حتى أخرج له محمد رفعت الخطاب الذي وصله من خورشيد باشا، وفيه من يفيد بتوكيله بمادة البحرين، ووعده بإعطائه الأمان، فاطمأن الأمير لذلك اطمئنانا زائدا، ومنحه محمد رفعت ورقة الأمان، التي جاء فيها «وبعد الذي نعرفك أننا أعطيناك أماناً من طرفنا، أمان الله وأماننا، وأمان أفندينا محمد على باشا، على أموالك وحلالك ورعيتك، وأن أمر البحرين في يدك، أو وكيلك التي تحطه في طرفك، على اتفاق والعهد الذي يصير بينك وبين محمد أفندي، معاوننا ووكيلنا، ومن حيث أنه وكيلاً مفوضاً من طرفنا في ربط الأمر معك، كما اتفقت أنت وهو عليه وعاهدته عليه، فهو ماشي عندنا، وعلى هذا عهد الله وميثاقه، والله على ما نقول وكيل».

كذلك سلم محمد رفعت، للأمير عبدالله ورقة بختمه، نص فيها على أن زكاة البحرين سنوياً ثلاثة آلاف ريال يأخذ منها عبدالله لنفسه خاصة، سبعمائة وخمسين ريالاً، والباقي يُرسل إلى خورشيد باشا ابتداء من ١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩م، وجاء في هذه الورقة كذلك ما يؤكد أن أمر البحرين في يد عبدالله بن أحمد دون غيره، ونائبه الذي يحطه تحت يده، وما كان من رعاياه سابقا من أهل البحرين، أو غيرهم القاطنين بها،

وأهل بلدان ساحل قطر، تحت يده، ليس لأحد غيره تسلط عليهم، وقوانين الذي له عليهم من سابق، فهي له، ولنا عليه، أنه يقوم بالمساعدة مع أفندينا المشار إليه، فيما يتعلق به على قدر استطاعته، والله على ما نقول وكيل.

وبعد أن تسلم الأمير عبدالله ورقة الأمان المرسلة له من قبل خورشيد باشا، والورقة التي كتبها له محمد رفعت تم وختمها بختمه، تم الاتفاق بينهما على الشروط التالية:

أولا: أن يكتب عبدالله إلى ولده مبارك، يأمره بطرد عرب الهواجر والعماير، المقيمين عنده في بر القطيف، أو ان يضمن جميع ما يقع منهم من أضرار على أهل القطيف، وأن يطلب منه ألا يقبل أحدا من بدو العماير الذين هدمت القوات قلعتهم التي كانت في (عنك)، وهربوا، فيجب عليه ألا يقبل أحدا منهم الا من يصالح محمد أفندي، ويأخذ منه إذناً بالإقامة، فوافق عبدالله على هذا الشرط، وقام بتحرير إشعار منه لابنه مبارك بهذا الشأن.

ثانياً: يأخذ عبدالله بن أحمد، العوايد التي كانت له في السابق من غواصي البحرين والقطيف، وبعض غواصي القرى الأربع التي تقع على ساحل بحر قطر، وأن يكونوا جميعاً من طرفه.

ثالثاً: أما بدو قطر غير سكان تلك القرى الأربع، سواء أكانوا حضراً أم بدواً فإن زكاة ما عندهم من مواش وابل وغنم، فتدفع لحكومة خورشيد باشا، وأن يكون هؤلاء رعية لحكومة محمد على، فرضي عبدالله بن أحمد بذلك، وأرسل كاتبه الحاج أبو شهاب، برسالة إلى كبار هؤلاء البدو ليخبرهم بهذا الاتفاق، ورافقه من طرف محمد أفندي شخص لجمع الزكاة من هؤلاء البدو.

رابعاً: يقبل عبدالله بن أحمد إقامة ممثل من طرف خورشيد باشا في البحرين، لقضاء أشغاله التي تلزمه في البحرين، ويقبل التعاون مع حكومة خورشيد في نقل العساكر إلى البحرين، أو أي مكان آخر.

خامساً: يعيد كل من الطرفين إلى الطرف الآخر، الأشخاص الذين يهربون إلى جهته، ولا يقبلهم بطرفه، ابتداء من توقيع هذه الشروط، مع قبول رجاء عبدالله بن أحمد في إعطاء الأمان لعمر بن عفيصان حاكم الأحساء السابق، ومن معه من اللاجئين السابقين.

قام محمد رفعت بعد انتهاء المحادثات في (خوير حسان)، وتقديم الخلع والأكسية للأمير عبدالله وكاتبه الحاج أبي شهاب، بالتوجه يوم الاثنين ٢٥ صفر ١٢٥٥هـ/ ١٠ مايو ١٨٣٩م من قطر إلى البحرين، ومعه رسول من طرف عبدالله بن أحمد «لأجل إشاعة ما حصل، ومواجهة أعيان الناس به، وتأليف قلوبهم معهم، وتتميم مادة أهل نجد الذين هم في البحرين»، فوصلها يوم الثلاثاء ٢٦ صفر ١٢٥٥هـ/ ١١ مايو ١٨٣٩م، ونزل منزل حسن بن عبدالله، وفي اليوم الثاني والثالث من وصوله ٢٧، ٢٨ صفر ١٢٥٥هـ/ ١٢، ١٣ مايو ١٨٣٩م، وفد إليه أعيان البحرين، وبعض الزعماء السابقين من النجديين، وعلموا بما تم بينه وبين الأمير عبدالله بن أحمد، وحصل لهم الاطمئنان، وإن بقي بعض الناس على خوفهم، وأخذوا يقولون: «إنا لما صرنا في تبعية حكومة الترك، نخاف من تعدي الانكليز علينا» فما رد محمد رفعت على هؤلاء المتخوفين، سوى أنه أشاع بين الناس، أنه متوجه إلى جزيرة خرج Kharaq للتفاوض مع المقيم الانجليزي «بعدم التعدي والتعرض للبحرين، لا في البحر، ولا في الهند التي توجد فيها حكومتهم».

أما عبدالله بن أحمد، فقد أرسل إلى خورشيد باشا رسالة، أخبره

فيها بما تم الاتفاق عليه بينه وبين محمد أفندي رفعت، فَسُرَّ خورشيد باشا بانتهاء مسألة البحرين على النحو الذي وصله، فأسرع بالرد على الأمير من صداقتكم إن شاء الله، نحن وأنتم حال واحد».

وهكذا تم الاتفاق بين أمير البحرين، ووكيل خورشيد باشا على تبعية البحرين لحكومة نجد، وكانت في السابق، تابعة لآل سعود.

وضع شروط الاتفاق موضع التنفيذ:

ما كادت أنباء هذا الاتفاق، تنتشر حتى انزعج الإنجليز والفرس، ولذا فإن محمد رفعت عمل على وضع هذه الشروط في حيز التنفيذ، كما سبقت الإشارة، فأرسل من قبله شخصا لجمع الزكاة من بدو قطر، وأمر عبدالله بن أحمد بتعيين شخص من طرفه ليكون وكيلا عنه في البحرين، مهمته العمل على جلب الغلال من الجهات التى يمكن جلبها منها، حيث ان هناك صعوبات كثيرة، كانت موجودة آنذاك في الطريق من الكويت والبصرة وبوشهر «والسبب في ذلك أن الغلات القديمة لم يبق منهما شيء، والجديدة لم تحصد، أعنى حان وقت حصادها». هذا فضلا عن أنه يعلم أن هناك أوامر بعدم نزول الغلال في بندر بوشهر، ولذا فإن البحرين أصبحت هي المصدر الوحيد للحصول على الغلال خاصة، وأنه علم بأن سفن أهل البحرين سوف تتوجه إلى البلاد في جمادى الأولى ١٢٥٥هـ يوليه أغسطس ١٨٣٩م، وأنه يوجد بالهند القمح والذرة، وأنه تم الاتفاق مع عبدالله بن مشاري على استيراد أربعة آلاف أردب من الصنفين لوكيله في البحرين، وتم دفع ثمن هذه الكمية من الغلال التي سوف تصل من الهند في أواخر شهر رمضان ١٢٥٥هـ/ ديسمبر ١٨٣٩م، وكان محمد رفعت يهدف من وراء تعيين هذا الوكيل، وإتمام صفقة الغلال هذه، وضع شروط الاتفاق مع

عبدالله بن أحمد موضع التنفيذ، هذا من ناحية، وليفوت على كل من الانجليز والفرس، فرصة إفساد هذا الاتفاق من ناحية أخرى.

موقف بريطانيا من الاتفاق:

وقعت بعض الأحداث بين الانجليز، وأهل بوشهر اضطر الإنجليز على أثرها إلى نقل مقر المقيم البريطاني من بوشهر Bushire إلى خرج Kharaq، ولكن هذه الأحداث لم تشغل المقيم ـ بإيعاز من حكومته ـ عن مقاومة امتداد نفوذ محمد علي إلى منطقة الخليج بصفة عامة، والبحرين بصفة خاصة، وبدأ يتخذ خطوات عملية لإفساد الاتفاق الذي تم بين عبدالله بن أحمد، ومحمد رفعت وكيل خورشيد باشا، فعمل على إقناع أمير البحرين بالتخلي عن هذا الاتفاق، ووقف خورشيد على محاولات المقيم البريطاني، فأرسل إليه رسولاً اسمه الخواجة يوسف عزار، يحمل إليه رسالة، يوضح له فيها، أنه ضم البحرين لحكومته، فجاء رد المقيم على رسالة خورشيد باشا، هذه بتاريخ ١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ/ ١٧ فبراير ١٨٤٠م، يحمل أنه أرسل ما ذكره خورشيد إلى حكومته في الهند، فجاء ردها يحمل توكيداً بأن استيلاء خورشيد باشا على البحرين أمر غير مرغوب فيه، بل إنه مخالف لما هو مقرر بين الحكومة الإنجليزية ومحمد علي باشا، وأنه يرى وحكومته للإبقاء على حسن العلاقات بين الدولتين أنه يجب الكف عن ضم البحرين، وغيرها من الأماكن في سواحل هذا البحر، الملقب بخليج فارس، وطلب المقيم من خورشيد التفاوض والاتفاق حول هذه المسألة بصورة عاجلة. وأنه يجب أن تكون مراسلته بخصوص هذه المسألة عن طريق وكيله في البحرين (الميرزا محمد علي).

لم يستجب خورشيد باشا لتهديدات المقيم البريطاني هذه، ورد

عليه برسالة، مؤكداً له أن تحذيره له بعدم التعرض لبنادر العرب المتصلة بسواحل الخليج، وعدم إتمام الاتفاق مع البحرين، أمر مناف للواقع؛ لأن هذه المناطق كانت أساسا تابعة لحكومة آل سعود. وحيث إن محمد علي أولى أمر هذه البلاد، لأحد أفراد البيت السعودي، وهو الأمير خالد بن سعود، فليس هناك مبرر للاعتراض على هذا العمل. وإن الاتفاق الذى تم مع عبدالله بن أحمد آل خليفة هو في نطاق ما كان جاريا في السابق، مع ملاحظة أن الاتفاق أبقى شؤون البحرين في يد عبدالله مع موافقته على دفع الزكاة للتبعية.

وذكر خورشيد باشا للمقيم أن هذه الأُمور لن تؤثر على العلاقات الودية بين الدولة الإنجليزية ومحمد علي، وأنه من جانبه أرسل إلى محمد علي باشا، يستوضحه الموقف، وأنه يجب على المقيم أن يرسل من جانبه إلى حكومته يستوضحها الموقف، حتى يمكن الاتفاق بين الدولتين العليتين، وبناءً على رد الدولتين إليهما يتم التفاهم «وبمقتضاها نفيدكم وتفيدنا، ولكم العز والبقاء».

لم يستجب المقيم البريطاني من جانبه إلى دعوة خورشيد باشا للتفاهم بالأسلوب الودي، وتشبث بموقفه المتشدد، وقام بتوجيه إنذار لشيخ المنطقة بتاريخ ١٣ ربيع ١٢٥٥هـ/ ٢٦ يونيه ١٨٣٩م، يخبره فيه بأنه علم بما تم الاتفاق عليه، بين محمد أفندي وكيل خورشيد باشا، وأمير البحرين، وينذره أن هذا الاتفاق مخالف تماماً للقول من جانب محمد علي باشا، في جواب مطلب أُمناء الدولة العلية الإنكليزية، فيما أظهره له، عن عدم رضاهم بحركات خورشيد باشا بطواف يناير بر العرب المتصلة بخليج فارس، هذا ليكون معلوماً.

وقد كان لهذا الإنذار تأثير سيئ على أهل البحرين، الذين خشوا

التهديد الإنجليزي، وبدأ ميل بعضهم إلى الإنجليز، وبدأت المراسلات بينهم وبين المقيم البريطاني، وقام بعضهم ببعض الأعمال العدوانية وبخاصة من جانب البدو الذين كانوا يقيمون بالقصرين الموجودين بجزيرة العماير، في نفس الوقت أرسل المقيم البريطاني إلى خورشيد باشا رسالة يوضح فيها رأيه، ورأي حكومته المتشدد.

أدرك محمد رفعت وكيل خورشيد باشا في المنطقة خطورة الموقف، ولم يكن أمامه من سبيل للحفاظ على الموقف، سوى القيام ببعض الأعمال التأديبية ضد المتمردين، الذين أخافهم، وأغواهم تهديد الإنذار الانجليزي، فاستعمل الشدة مع أهل جزيرة العماير، وقتل منهم نحو خمسة وعشرين رجلاً، ونهب ما في القصرين، وهدمهما ثم عاد إلى الأحساء، فكان لهذه الأعمال العنيفة أثرها على أهالي البحرين، الذين أرسلوا إليه شخصاً يُدعى محمد نصر،، يخبره بعودتهم إلى الطاعة، وتعهدهم له بأن يرسلوا إليه مقداراً من الغلال.

ومع ذلك فإن المقيم البريطاني ظل يقوم بأعماله المضادة لإفساد الأمر بين البحرين وحكومة خورشيد باشا، واستمرت اتصالات بأمير البحرين لإقناعه بنقض الاتفاق مع خورشيد باشا.

الاتصالات التي جرت بين المقيم وعبدالله بن احمد:

جرت اتصالات كثيرة بين المقيم العام البريطاني Hennell في خرج Kharaq، وبين الأمير عبدالله بن أحمد، وأكد المقيم للأمير أن الحاكم العام غير راضٍ، وكذلك الحكومة البريطانية عن الاتفاق الذي عقده مع حكومة خورشيد باشا، وحاول المقيم أن يقنع الأمير بأنه أخطأ خطأً كبيراً في إتمام هذا الاتفاق، فما كان من الأمير إلا أن أوضح للمقيم العوامل التي دعته لعقد هذا الاتفاق مع وكيل خورشيد باشا وهي:

أولاً: وصول أنباء أكيدة إليه، بأن خورشيد باشا عازم عزماً أكيداً على محاربة البحرين، وإخضاعها لحكومته بالقوة، وأن الانجليز لم يقدموا له العون، رغم طلبه ذلك منهم، مما جعله يقبل الصلح حماية لمصلحة بلده.

ثانياً: نجاح قوات خورشيد باشا في حربها ضد ابنه مبارك المقيم في قلعة الدمام، والاستيلاء على ما في القلعة، وقتل من فيها.

ثالثاً: قرب البحرين من الأحساء التي أصبحت خاضعة لقوات خورشيد باشا، وبإمكان هذه القوات الاستيلاء على البحرين بسهولة، مما جعله يفضل الاتفاق قبل وقوع العدوان على بلاده.

رابعاً: رد المقيم البريطاني نفسه -الذي نصحه بعد ثلاث مرات من الكتابة إليه، موضحاً خطورة قوات خورشيد على بلاده- بأن يعقد الصلح مع خورشيد «ما دام الأمر كذلك، انظروا عملكم معه، واعقدوا معه الصلح، ونحن ننظر في هذا الأمر فيما بعد». وقد تمسك الأمير بهذا الرد، واتخذه سنداً ضد المقيم البريطاني، الذي حاول أن يتخلص من هذا الرد، ولكنه فشل في مسعاه هذا.

وصلت أخبار الاتصالات التي جرت بين المقيم البريطاني والأمير عبدالله بن أحمد إلى خورشيد باشا عن طريق الشيخ شافعي شيخ بني حجر الذي أبلغه بما دار في هذه الاتصالات شفوياً. وقد ذكر الشيخ شافعي لخورشيد باشا، أن المقيم البريطاني حاول إقناع شيخ البحرين بفسخ هذا الصلح بالوعد تارة، والوعيد تارة أخرى.

فقد وعده بوضع حامية إنجليزية في قلعة البحرين، وسفينتين حربيتين أمامها، وأن يمنح الشيخ حماية إنجليزية، ولا يأخذ منه لا زكاة ولا

جمركاً، لمدة خمس وعشرين سنة، وأن تبقى حكومة الجزيرة ـ على ما هي عليه ـ في يد آل خليفة، ولكن الشيخ امتنع عن قبول الحماية، وعدل عن الرضا بها. ورد على عروض المقيم البريطاني رداً بليغاً، موضحاً له، أن طلبه لحماية الإنجليز في السابق، لا يعني رغبته في أن يكون ضمن الرعايا الإنجليز، وإنما كان لتخوفه من اقتراب قوات محمد علي، أما أنه قد تصالح مع خورشيد باشا على شروط ارتضاها فإنه لم يعد في حاجة إلى الحماية الإنجليزية، وأنه يفضل الانضمام إلى حكومة خورشيد باشا وقال: إننا «منذ القدم مشتركون مع أهل نجد جيراننا في التجارة، فلا يمكن أيضاً أن نفترق عن مالنا وملكنا».

ولما رفض أمير البحرين قبول الوعود الإنجليزية اتبع المقيم أُسلوب الوعيد والتهديد، فهدد الشيخ بأنه سوف يلحقه الضرر إذا لم يستجب لمطالبه، ويعطيه وثيقة الصلح ليمزقها، ولكن الشيخ لم يرضخ لهذه التهديدات، وأكد له أن البلاد بلاده، ورثها عن أجداده، وأنه لا توجد ارتباطات بينه وبين الحاكم العام الإنجليزى وليس من حق الحاكم العام الاعتداء على بلاده، وانه إذا حدث ذلك فإنه سوف يبذل كل ما في وسعه لحماية أهله ورعاياه وملكه وأموالهم وبلاده ودينه ولم يجد المقيم أملاً فيما ذهب إلى تحقيقه في البحرين، فتركها يجر أذيال الخيبة، متجهاً شطر الساحل العماني.

وإزاء هذا الموقف الإنجليزي، فإن خورشيد باشا، ازداد تمسكه بالبحرين؛ لأنه رآها كمالطة في البحر المتوسط، بالنسبة لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية والعمرانية، ورأى أنه في حالة الفشل في إبقائها تحت سيطرة حكومته، فيجب أن تبقى مستقلة تحت حكم آل خليفة «فلا أقل من أن تبقى لا لنا، ولا للإنكليز، والأولى أن تترك

مستقلة لآل خليفة ».

عمل خورشيد باشا على التأكد من موقف الشيخ عبدالله بن أحمد، فأرسل له الشيخ شافعي للوقوف على حقيقة موقفه، فأكد له الأمير صلابة موقفه، وأنه لن يستسلم للانجليز، بل انه سوف يبذل ماله، وقوته في سبيل أن لا يكون رعية للكفار على حد تعبيره، وطلب من الشيخ شافعي أن يبلغ خورشيد « أن لا يمنع عرب نجد من المجيء عندنا، بل أرجوه أن يسهل لهم مجيئهم » حتى يمكنه في حالة هجوم الإنجليز عليه، أن يعد قوة تبلغ عشرة آلاف مقاتل من أهل نجد، والعراق لمواجهة هذا الموقف.

استشار خورشيد باشا القاهرة في هذا الموقف، فجاءته تعليمات سرية بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٥٥هـ/ ٢٥ نوفمبر ١٨٣٩م، بأن يسمح لمن يريد من عرب نجد بالذهاب إلى البحرين، وأن يغض الطرف عن ذلك، حتى يتمكن شيخ البحرين من إعداد القوة، التي تعينه في مواجهة الموقف الإنجليزي، فنفذ خورشيد هذه التعليمات لمجابهة موقف المقيم البريطاني في الخليج وتهديداته لأمير البحرين.

مقتل محمد رفعت وزوال نفوذ محمد علي:

في تلك الأثناء التي وصلت فيها تهديدات المقيم البريطاني ذروتها، لامتداد نفوذ حكومة خورشيد باشا إلى البحرين، وبعض مناطق الساحل العماني، أصيب حكم خورشيد باشا في منطقة شرق شبه الجزيرة العربية بنكسة شديدة، لمقتل معاوية ووكيله في المنطقة محمد أفندي رفعت، الذي كان يقوم بتنفيذ سياسة خورشيد باشا وخططه بدقة فائقة، أكثر مما يريد خورشيد نفسه، وتذكر المصادر المعاصرة والوثائق أن اغتيال محمد أفندي رفعت وكيل خورشيد باشا، يرجع لأسلوبه

القاسي في إداره الأمور، واتباعه أُسلوب العنف والقسوة مع الأهالي، فضلاً عن فرضه كثيراً من الضرائب الظالمة، التي لم يتعودها السكان، ولمعاملته السيئة لبني خالد، حكام المنطقة السابقين، ولذا فإن ثلاثة من قبيلة العوازم، وأتباع بني خالد، تربصوا به أثناء عودته من عين نجم - المعروفة في الأحساء بمياهما المعدنية- إلى بلد الهفوف، واعتدوا عليه، وأردوه قتيلاً، وقد أحدث قتل محمد أفندي رفعت بلبلة كبيرة، فقد أُتهم أحمد السديري حاكم منطقة الأحساء الإداري ومسؤول بيت المال، باغتيال محمد أفندي رفعت، وهذا يدل على أنه كان على خلاف معه، ولتبرير ساحته، أعلن أحمد السديري عن مكافأة لمن يرشد إلى قتلة محمد رفعت، فأرشده بعضْ الأهالي عن القتلة الثلاثة، فألقى القبض عليهم وحبسهم.

أما الفاخري أحد قواد خورشيد في المنطقة، والذي كان يقوم آنذاك بجمع الرواحل من عند أعراب العجمان، فإنه عاد مسرعاً إلى الأحساء، ولما دخلها، قام بإلقاء القبض على رؤساء بني خالد لأن القتلة من أتباعهم؛ ولأنه سبق لهم أن طلبوا من خورشيد ولاية الأحساء فأبى عليهم ذلك، فسكنوا في الأحساء على غير شيء، ولكن الفخاري عاد فأطلق سراح بني خالد، بعد أن تمكن السديري من إلقاء القبض على القتلة الفعليين.

أما خورشيد باشا، فقد أصابه نبأ اغتيال وكيله، ومنفذ سياسته في منطقة الخليج بصدمة شديدة، وادرك أنه لا بد من إجراء تعديل في إدراة المنطقة؛ لضمان استقرار الوضع فيها، فأسرع بإرسال وكيل آخر له، يحمل اسم محمد أفندي شرمي، وأعفى أحمد السديري من منصبه، وعين بدلاً منه عيسى بن علي بن فايز، رئيس جبل شمر، وجعله مسؤولاً عن

بيت المال في الأحساء، إرضاءً له عن منصب إمارة حائل، الذي فقده من قبل.

اتجه محمد أفندي شرمي، الحاكم الجديد على رأس قوة إلى الأحساء، وعلى خلاف ما كان متوقعاً من أنه سوف يتجنب أخطاء سلفه، ويسير في الناس سيرة حسنة، فإنه ارتكب كثيراً من المظالم، وصادر أموال أهل الأحساء، مما أساء إلى حكم محمد علي في المنطقة، وجعل كثيراً من الأهالي غير راغبين في هذا الحكم. في الوقت الذي كانت بريطانياً قد أحكمت مخططها لضرب سياسة محمد علي التوسعية في كل من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، وتآمرت عليه دولياً، وأجبرته على سحب قواته من كل مناطق شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام.

موقف بريطانيا من تطلع محمد علي لغزو البصرة:

أكد ماكنزي Mackanzie في تقريره الذي قدمه إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٩ رمضان ١٢٥٢هـ/ ٦ يناير ١٨٣٧م، تطلع محمد علي لغزو البصرة فقد أشار إلى أنه اتضح له من محادثاته مع كبار الضباط في جيش محمد علي، أن خطة الباشا قائمة على أساس أنه فور الانتهاء من ثورة عسير، فإن الجيوش سوف تواصل تحركاتها للاستيلاء على عدن، وبعدها حضرموت، ثم مسقط وعمان، وبعد ذلك يصبح أمر غزو البصرة وبقية أجزاء العراق أمراً ميسوراً فخشيت بريطانيا هذا الاتجاه من جانب محمد علي، وبدأت تعمل على مقاومته، وخاصة بعد أن أكدت لها تقارير قناصلها أن أهالي العراق يفضلون حكم باشا مصر، وليس في العراق، من يستطيع أن

يقاوم أية محاولة يقوم بها محمد علي لغزو العراق، ولـذا فـإن بلمرستون Palmerston، أرسل إلى محمد علـي عـن طريـق القنصل البريطاني في مصر، يحذره من محاولة ضم العراق حيث إن الإقدام على ضم العراق، أمر يضر بمصلحته، ويعكر العلاقات الحسنة السائدة بينه وبين الحكومة البريطانية.

كذلك فإن هينل Hennell المقيم البريطاني في الخليج، قام بتحذير خورشيد باشا، الذي كان يعمل على تنفيذ مخطط محمد علي في منطقة الخليج، من مغبة الاستمرار في عملياته في المنطقة، وقد كان لهذا الموقف البريطاني المتشدد من مشاريع محمد علي في منطقة الخليج، تأثيره على تفكير محمد علي، فتظاهر بأنه لا يفكر في الوقت الحاضر في غزو العراق، خاصة، وأن جيوشه مشغولة في عمليات توطيد الأمن في سوريا، وتوكيداً لهذا التظاهر أمام بريطانيا، رفض أن يستجيب لمطلب خورشيد باشا الخاص بإرسال قوة بحرية عن طريق الخليج، لتكون عوناً لقواته التي ذهبت للاستيلاء على القطيف قائلاً: « إن إرسال السفن من جدة إلى ميناء القطيف، لا يوافق بسبب بعض المحذورات » ، ولا شك أن رد القاهرة على خورشيد باشا بالمحذورات يعني الوجود البريطاني في الخليج، ومع أن خورشيد باشا، أزعجه رد القاهرة، وجعله يفكر في هذه المحذورات، ولكنه سرعان ما أدركها من التحذيرات التي وجهها له المقيم البريطاني في الخليج Hennell، وموقف هذا المقيم من تحركات وكيله محمد أفندي رفعت، واتفاقه مع أمير البحرين عبدالله بن أحمد، وأدرك أن اهتمام بريطانيا لم يعد متقصراً على البحرين والأحساء والساحل العماني، وإنما أصبح يشمل الكويت والبصرة؛ لأنهما أصبحتا في تلك الفترة تلعبان دوراً بارزاً في أحداث المنطقة حربياً واقتصادياً.

أهمية الاستيلاء على البصرة لاستمرار السيطرة على نجد ومنطقة الخليج:

لم تعد البصرة مجرد مركز استراتيجي يريد محمد علي الاستيلاء عليه، فقد أكدت مراسلات وتقارير محمد رفعت التي كتبها إلى خورشيد باشا من الأحساء على أهمية البصرة، لازدهار واستقرار الأحوال في منطقة الخليج ونجد، ولذا فإن خورشيد باشا، تحمس تحمساً شديداً لغزوها بعد أن أصبح الاستيلاء عليها، أمراً ضرورياً للعوامل الآتية:

أولاً: أنها أحد المراكز المهمة لتزويد القوات المتواجدة في نجد وشرقي شبه الجزيرة بالغلال.

ثانيا: أكد محمد رفعت أنه نظرا للحركة التجارية القائمة بين البحرين والبصرة، فإن الاستيلاء عليها وعلى البحرين، وقيام اتصال تجاري بينها وبين مينائي الأحساء والقطيف سوف يؤدي إلى رواج التجارة.

ثالثا: أهمية منطقة البصرة والزبير بالنسبة لإمداد قوات خورشيد بما تحتاجه لحمل أمتعتها وعتادها من البصرة والكويت.

رابعا: أهمية البصرة في إمداد القوات والأهالي في المناطق التي أصبحت تابعة لنفوذ محمد علي بكثير من السلع الغذائية والصناعية، وخاصة عن طريق التجار النجديين، الذين كانوا يقيمون في البصرة والزبير. وقد أكد عثمان بن بشر، هذه الحقيقة، فلا تكاد تخلو سنة من السنوات من الأحداث التاريخية التي دونها، دون أن يكون فيها ذكر لقوافل الرائحة الغادية، ما بين المناطق النجدية والبصرة والزبير، تحمل الزاد والغلال والأموال، مما يدل على أن البصرة كانت مركز تموين مهم لمنطقة نجد وشرقي شبه الجزيرة لوجود كثير من التجار والبدو النجديين فيها؛ ولأنها أصبحت مركزا رئيسيا لنشاط السفن التجارية القادمة من

الهند، ومن هنا كان تحمس خورشيد باشا لغزوها، وخاصة بعد أن نجح وكيله محمد أفندي رفعت في عقد الاتفاق مع شيخ البحرين عبداللّه بن أحمد ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م.

الوضع في البصرة بعد الاستيلاء على الأحساء:

حينما تمكنت قوات خورشيد باشا من مواصلة زحفها إلى الأحساء بعد التغلب على فيصل بن تركي، واستسلامه وقبوله السفر إلى القاهرة أحدث ذلك تأثيراً بالغاً في البصرة حيث شاع بين الناس، أن خورشيد باشا يزحف على البصرة، وأن عسكره وصل إلى الأحساء والكويت، فطلب تركجة بيلمز من علي باشا الموجود في الموصل، أن يبعث له على وجه السرعة عسكراً وأسلحة وجبه خانة، بقدر ما يكفي للمحافظة على البصرة.

فعمل علي باشا على ترتيب القوة اللازمة وإرسالها إلى تركجة بيلمز للمحافظة على البصرة، والوقوف في وجه الغزو المرتقب.

وقد أكد أعوان خورشيد باشا الذين كانوا يجمعون له المعلومات وينشرون الدعاية لمحمد علي في العراق بين السكان الناقمين على الحكم العثماني، وعلى رأسهم الشيخ حمود بن جسار ـ العالم النجدي الذي كان يعمل قاضياً في الزبير ـ أن أهل البصرة بل والعراق جميعه ـ نظراً لسوء الوضع في ولاية بغداد، والبصرة ـ أصبحوا متشوقين إلى التغيير والانضواء تحت لواء حكم محمد علي، وأنه إذا تحقق لديهم أن خورشيد باشا، قاصد إلى البصرة ثم العراق، فالجميع راغبون ومشتاقون إلى خدمة سعادة أفندينا محمد علي، ويكونون تحت أمر اللّه ثم أمره، وله عليهم القيام بخدمته فيما يأمرهم به.

وقد أبدى عبدالرحمن أفندي، نقيب الأشراف بالبصرة، واثنان من رجال الإفتاء، وبعض الأعيان، استعدادهم لتمهيد السبيل أمام قوات خورشيد باشا، وأنه إذا تحقق لهم أنه متوجه نحوهم فسوف يسلمون له البصرة بغير نزاع، وكذلك فعل شيوخ المنتفق، حيث راسلوا خورشيد باشا، وعرضوا عليه استعدادهم لمعاونته بفرسانهم، كما أن كثيراً من شيوخ القبائل النازلة حول بغداد هربوا إلى نجد وقابلوا خورشيد باشا، وطلبوا منه أن يسمح لهم بالإقامة في كنفه إلى أن يحين وقت ذهاب قواته إلى العراق.

ولم يكن هذا الموقف متقصراً على الأهالي والعلماء والأعيان، بل إن قوات البصرة ذاتها حدث فيها تمرد، لصالح خورشيد باشا، حيث قام بعض ضباطها، وجنودها بالهرب من البصرة إلى الكويت فالأحساء، وانضموا إلى قوات خورشيد باشا. وقد أكد محمد آغا المورة، الذي كان رئيسا على أربعمائة جندي سكباني، أنه اتفق مع خمسمائة جندي من الألف جندي الموجودين بالبصرة، على أن يعمل على هروبهم، والتحاقهم بجيوش خورشيد باشا، ومحاربتهم في صفوفها.

وقد عملت سلطات البصرة على إعادة الهاربين، وأجرت اتصالات مع الشيخ جابر بن الصباح أمير الكويت، تطلب منه إلقاء القبض عليهم، وإعادتهم إلى البصرة، فرفض أمير الكويت هذا الطلب، بحجة أنه غير قادر على إلقاء القبض عليهم، وإجبارهم على العودة إلى البصرة، بل إنه قدم العون للهاربين، حيث أركبهم سفينة وصلوا بها إلى الأحساء ، وقد أكد محمود آغا المرة، أن بقية الجنود الذين اتفق معهم على الهروب، أرسلوا إليه يطلبون منه أن يعين لهم مكانا يخرجون إليه، فأجل ذلك إلى حين موافقة خورشيد باشا، على الحاقهم

بخدمة جيوشه، ويعين لهم الرواتب، وبعد عرض الأمر على خورشيد باشا، عمل فوراً على تسجيل أسماء الجند الذين وصلوا فعلاً في الدفاتر من تاريخ وصولهم في ١ ربيع الأول ١٢٥٥/ ١٤ يونيه ١٨٣٩م، وأمر بصرف تعييناتهم، وكتب إلى القاهرة، يخبرهم بأمر هؤلاء الجند، والكيفية التي يجب أن يعاملوا بها، وهل يعطي أمراً لمحمود آغا المرة، أن يستدعي بقية الجنود المتمردين، فصدرت إليه أوامر تقول: إن القاهرة توافق على ترتيباته، وعلى استدعاء العسكر الذين اتفق معهم.

إزاء هذا الموقف المتدهور في البصرة، فإن خورشيد باشا، أصدر أوامره بإجراء تعديلات إدراية فيها، فعزل كل من تركجة بيلمز، ومحمد آغا متسلم البصرة، وعين شخصين بدلهما، مما كان له تأثير عكسي، حيث إننا لجد أن تركجة الذي انتقل إلى بغداد، بدأ يتصل بخورشيد باشا ويطلب العفو عما سلف منه، وذكر الشيخ حمود بن جسار أن إذا عفا عني سعادة أفندينا عمّا مضى، فإني خادم مملوك إلى الأبد نظير الذنب الذي تقدم فعله.

هذه صورة الوضع في البصرة خاصة والعراق عامة في أعقاب وصول قوات خورشيد باشا إلى منطقة الخليج، ويتضح منها أن الوضع كان مهيأ تماماً لتقبل قوات خورشيد باشا، وضم البصرة، بل والعراق جميعه إلى حكم محمد علي.

خورشيد باشا يغزو العراق من القطيف:

ما أن وصلت قوات خورشيد الأحساء والقطيف، وأحكمت سيطرتها على هذه المناطق، ونجح وكيله محمد أفندي رفعت في عقد اتفاق مع أمير البحرين، عبدالله بن أحمد، حتى تحمس خورشيد باشا تحمساً شديداً، لتنفيذ الفكرة التي كانت تراود محمد علي بغزو البصرة،

وبغداد، وبدأ يرسل نداءاته المتكررة للقاهرة طالباً صدور الأمر له لتنفيذ المشروع، مؤكداً لمحمد علي، أن عيونه وأنصاره في العراق، سوف يجعلون حملته ناجحة، مغرياً أياه بأن العراق ملك عظيم، يضاهي ملك مصر، وهو كالحسام الجوهر، الذي سقط في حفيرة، فإخراجه الآن واجب، وأكد له أن تنفيذ مشروع، إلا لبعض الفرسان، يأتونه من طرف أحمد باشا يكن حاكم عام الحجاز حتى تستكمل الحملة عدتها، وعندئذ يغادر الأحساء والقطيف متوجهاً بحملته لحو العراق مؤكداً له أن الحملة سوف تكون بعيدة عن الأخطار، أو الاعتراض من جانب الإنجليز الذين كانوا يحذرونه من الاعتداء على سواحل الخليج، حيث إن الحملة ستكون برية لا بحرية، وأن البر في يدنا، والسير في البر أقرب وأسهل، ولذلك فلن يكون هناك اعتداء على السواحل التي يهتم بها الإنجليز.

ولكن إغراءات خورشيد باشا هذه جاءت في وقت كان الموقف الدولي فيه في غير صالح محمد علي، الذي كان يرغب في تحقيق هذا المشروع منذ فترة طويلة، فأخذت بريطانيا تقف في وجه سياسته التوسعية في منطقة الخليج، وبدأت تخشى أن يقوم بغزو العراق، خاصة وأن تقارير قناصلها أكدت لها أن ظروف ولاية بغداد في تلك الآونة سيئة، ولا تقوى على مقاومة قوات محمد علي، وكانت الحكومة البريطانية تدرك أن لنجاح قوات محمد علي في الاستيلاء على العراق، سوف يؤثر تأثيراً مباشراً على المصالح البريطانية في الهند.

وقد بدأت التحذيرات البريطانية تتوالى على محمد علي عن طريق المقيم البريطاني في الخليج، والقنصل في القاهرة، محذرة اياه بأن حكومة جلالة المملكة لا تستطيع أن تتجاوز عن أية خطوة يتخذها، لمد سلطانه

نحو الخليج الفارسي (العربي)، أو بغداد؛ لأنها لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي، إذا أقدم على هذه الخطوة، فجعلته هذه التحذيرات، يتخوف ويتقاعس عن الاستجابة لاغراءات خورشيد باشا، ونداءاته المتكررة لغزو البصرة وبغداد، خاصة وأن بريطانيا بدأت تسفر عن سياستها العدائية لسياسته التوسعية في منطقة الخليج، رغم تعهداته المتكررة لها بعدم الاعتداء على مناطق نفوذها، ولكنها لم تعد تثق في تعهداته؛ لأن كل تقارير ممثليها في الشرق، أكدت لها أن طموح محمد علي لا يقف عند حد، ولهذا فإن إنذارات بلمرستون Palmerston توالت عليه، وبلهجة شديدة، محذرة إياه من عاقبة الاستمرار في سياسته التوسعية.

ثم حانت الفرصة لبريطانيا للقضاء على هذه المشاريع نهائياً حينما وصلت الأمور بينها وبين السلطان إلى ذروتها، وتحولت إلى أزمة دولية، بعد انتصار قواتها في معركة نزيب في ١١ ربيع الثاني ١٢٥٥هـ/ ٢٤ يونيه ١٨٣٩م، وزحفت هذه القوات نحو العاصمة العثمانية فقصدت الدولة الكبرى، وأرغمت القوات البريطانية محمد علي طبقاً لمعاهدة لندن ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ/ ١٥ يونيه ١٨٤٠م على سحب قواته من بلاد الشام، وشبه الجزيرة العربية.

وهنا أراد محمد علي أن يسدل الستار على فكرة تنفيذ مشروع غزو العراق الذي كان خورشيد باشا يلح في أن يصدر له الأمر لتنفيذه، فكتب له محمد علي قائلاً: «إن الوقت ليس وقت المصلحة التي تصورها، وآمل فيها، وإن أساس مهمته في الوقت الحاضر، أن يهيئ السبيل لسحب قواته، تاركا البلاد لخالد بن سعود، بشرط أن يترك

عددا من الجند يكفونه، ثم بعد ذلك يتوجه بقواتــه إلى مصـر، ويغلـق باب المصروفات التي فتحت المشروعات» .

هكذا كان اهتمام محمد علي ورجاله بمنطقة شمال الخليـج، وكيـف كانت فالمنطقة حلقة في سلسلة سياسته التوسعية، ولذا فان مخططه لغزو البصرة، بل والعراق كان واضحا، ومع اهتمامه الواضح بهـذا المخطـط من ناحية، فانه وللموقف الدولي الذى أصبح يحيط بسياسـته التوسـعية من ناحية أُخرى. ولذا فانه آثر أن يسدل السـتار علـى هـذا الجـزء مـن مخططه، ولم يستطع حتى أثناء وجوده في شـبه الجزيـرة العربيـة أن يحقـق أحلامه في الاستيلاء على البصرة ، فأغلق باب مشاريعه التوسعية، تاركا البصرة، بل والمنطقـة كلهـا تواصـل مسيرتها، طبقـا للمتغـيرات الـتي أحاطت بها في الفترات التالية.

مصدر الوثيقة: دار الوثائق القومية ـ القاهرة.
وحدة الحفظ: محفظة (٢٦٧) عابدين.
رقمها في وحدة الحفظ (٧) أصيلة، (٥٠) حمراء.
تاريخها: ٢١ محرم ١٢٥٥هـ/ ٦ أبريل ١٨٣٩م.

موضوعها: من خورشـيد إلى الباشمعـاون، حـول احتـلال الإنجلـيز لجزيرة خرج، وخوفه من استيلائهم على البحرين، ومرفق تقرير يوضح أهمية البحرين.

« سـيدي سـني الهمـم، صـاحب الدولـة والعاطفــة، الباشمعــاون الخديوي.

علمـت في هـذه الآونـة، أن حكومـة الإنكلـيز احتلـت الجزيـرة، المسماة خارك، التابعة للعجم، وأنزلت فيها عـدداً مـن العسـكر، وقـد

جاء هذا التقرير من معاوننا محمد أفندي، وهو يشتمل على أن الإنكليز احتلوها، قائلين: إننا أخذناها من العجم في وقت من الأوقات، وفيه أن شيخ البحرين، عبدالله بن أحمد، امتنع عن دخوله دائرة الأمان، بسبب أن حكومة بغداد، أغوته، ويبين ذلك التقرير: حيث قد أرسلناه إليكم، ضمن كتابنا هذا، أما البحرين فهي جزيرة، تحت حكم (نجد) من زمن آل سعود حتى اليوم، وفيصل وتركي، مستمران على أخذ زكاتها، وإن أهلها وإن كانوا راضين بدفع الزكاة لنا، كما كانوا يدفعونها لهم من قبل، ولكن نتوقع أن تمد بريطانيا يدها، ولو أنها لن تتظاهر بشيء من ذلك حتى اليوم، وهي وإن كانت لا تتظاهر، ولكن يفهم ذلك من أطوار خلفية المسار الذكر وأوضاعه؛ لأنَّ المذكور كان عاهدني قبلا، أن يدخل تحت الطاعة، فبذهاب معاوننا عنده، أخذ يطيل الكلام، وشرع يعطى النقود للانكليز، وقد كتب قنصل الانكليز، المقيم في البلد المعروفة ببندر أبو شير، من موانى بر العجم، كتبا لأفندينا الخديوي الأكرم ولقنصل الانكليز في الاسكندرية، بخصوص هذه المسألة، وهو منتظر ورود الجواب، وإن لم يحصل منهم تعدٍ علينا، وإذا علمتم أن تلك الجزيرة لازمة لنا، وهي ميناء (الأحساء) و (القطيف).

فنرجوكم عرض هذه المسألة، على أعتاب الخديوي، وإفادتنا بما يصدر به أمره».

من الرياض

في ٢١ محرم/ ٦ أبريل ١٨٣٩م

مير ميران

خورشيد

محفظة مذيلة رقم ٩

سيعلم (المكتوب إليه)، من صورة الترجمة المرسلة له، بتاريخ ١١ربيع الآخر سنة ١٢٥٥. وهي ترجمة الخطاب الآتي من القنصل المومأ إليه، إلى القنصل العام المقيم في هذا الطرف، وقد تكلم عن تلك الجزيرة، انه لا يناسب في الوقت الحاضر وضع اليد على تلك الجزيرة، علنا وعيانا، وان هذه المسألة تترك حسب ما صار البيان عنها، لخالد بك، وهو ينظر بكل امعان في الحالة التي تناسبها. وان عليه (على المكتوب له) أن يهتم بإجراء ايجاب ما يراه»

في ربيع الأول سنة ١٢٥٥
٤ أبريل ١٨٣٩م

تقرير يشتمل على ما وقع ومشاهد من الأمور والمواد عن جزيرة البحرين.

البند الأول:

بموجب أمر دولتكم، أتينا الأحساء، وأسكنا العساكر المنصورة في قلعة الوادي المذكورة، وإن عمر بن عفيصان، حاكم الأحساء، في عود فيصل، هاجم جيشنا في الزميقة، مع عدد عظيم من الرجال، وإن المشايخ الذين هم مع جيشنا، وإن قالوا: إن المذكور قتل في الحرب التي وقعت في شهر رمضان ، وإن هذا الرأس رأسه، والرأس الآخر هو رأس حمد بن غشيان، ولكن الذى تحقق، أن عمر بن عفيصان، رجع إلى الأحساء منهزما في تلك المحاربة، وأخرج ما بيت في المال، ومتاعه الذي في القلعة شيئاً فشيئاً، وفر قبل وصول العسكر إلى الأحساء بخمسة عشر يوما، كما أن حمد غشيان، فقد فر واءه، نظرا لأنه ناظر الإيرادات.

البند الثاني:

وبما أنه صدر لنا الإدارة بأن ندقق في أحوال الموانئ الموجودة على ساحل (الأحساء) و (القطيف)، وأحوال جزيرة البحرين، ثم نعرض نتيجة تدقيقنا، فامتثالا للأمر، نقول إذا نظرنا إلى ميناء (الأحساء) نجده على بعد مسافة يوم من وادي الأحساء، والمرفأ اسمه (العقير) على ساحل البحر، وانه لا يوجد في هذا الميناء لا بلد ولا ماء، وإنما يوجد على بعد مسافة ساعة في الرمال ماء للشرب.

وأنه ليس لأهل الأحساء سفن أصلاً، لا كبيرة ولا صغيرة، وبعد هذه المشاهدة، ذهبنا إلى (القطيف) فوجدنا أن ذلك الوادي على مسافة يومين من جهة شمال (الأحساء)، وأنه كان على ساحل البحر، ولكن مياه مينائه لا تستقر على حالة واحدة، بل تراها تقل وتارة تكثر، وحيث إنه ليس فيه فرصة موافقة لدخول السفن، فإن لأهل (القطيف) بضع قوارب لصيد السمك، ليست بالكبيرة، وبسبب هذا الحال، فإن ميناء المراكب التي تغدو وتروح من نواحي الهند وعمان، والعراق وإليها، إنما هو (جزيرة البحرين)، والسفن التي تأتي إلى ذلك الوادي، (وادي القطيف)، عند اللزوم، وإنما هي سفن جزيرة البحرين، ومواكب الجهات المذكورة، لا تتجاوز ميناء البحرين، ولا تتعداها بحسب العادة المسبقة، ولذلك اعتبرت جزيرة البحرين، ميناء (للأحساء) و (القطيف).

البند الثالث:

وبحسب ما قلنا في البند الثاني، إن جزيرة البحرين، هي ميناء الأحساء والقطيف، فقد كانت مراكبها تأتي لتينك الجهتين من قبل،

ولكن بعد مجيئي أنا والعسكر إلى هذا الطرف، لم يعد يأتي لا سفن ولا رجال، نعم أنه تأتي بعض المراكب الخفيفة، ولكن تأتي تحت قلعة (الدمام)، التي هي على بعد ثلاث ساعات من جانب (القطيف) الأيمن، التي هي في يد مبارك بن عبدالله، نجل أمير البحرين عبدالله بن أحمد، وتأخذ الناس الذين يفرون من الأحساء والقطيف اللتين دخلتا تحت حكم حكومة ولي النعم، وتذهب بهم كما شاهدنا ذلك، ثم إننا فحصنا وتتبعنا أحوال جزيرة البحرين في أيام فيصل ووالده تركي في عهد عبدالله بن سعود وأبيه سعود من قبله، فوجدناها كانت في حكم آل سعود، مثلما كانت القطيف والأحساء في حكمهم، وكانت تابعة لحكومة نجد على الدوام، وتحت أمرة فيصل بن تركي.

وبسبب الجزم الذي احترمه عبدالله بن أحمد، شيخ البحرين، والحالة هذه فقد بقي مسجوناً ثمانية أشهر عند سعود، كما علمنا هذا من الشائعات المستفيضة، وقد ذهبت في غرة شهر ذي الحجة هذا الذي فيه، إلى الجزيرة المذكورة بقارب لأتحقق من مقاصدهم، وأقف على أحوالهم كما يجب.

البند الرابع:

ذهبنا لتلك الجزيرة، كنا ركبنا الفلك، وقت الصبح لكون الريح متوسطاً، فوصلنا إليها الساعة الثامنة قبل العصر، وأرسلت خبراً إلى عبدالله بن أحمد، شيخ البحرين المذكور، بأنني جئت لأتكلم معه، فأرسل لنا صباح اليوم التالي، شخصاً من طرفه، فأخرجني إلى البر، وأجلت النظر في أحوال أهلها فتبين لي، أنهم لا يدخلون تحت الطاعة للأسباب التي سأذكرها، وعلمت من أطوارهم، وأوضاعهم وطباعهم أنهم ممتنعون عن الدخول، تحت حكومة أفندينا ولي النعم.

البند الخامس:

لقد خرجنا من الفلك، إلا تلك الجزيرة، وأقمنا فيها سبعة أيام فعلمت علم اليقين، أنه جاء مندوب من قبل الحكمدار، المعين من لدن شاه العجم، المقيم في بندر أبو شير، الواقع في آخر حدود بلاد العجم، والتي تبعد عن البحرين مسيرة يوم ونصف بحراً، بالريح المعتدلة، ومندوب من جهة بغداد، يحملون مكاتبات إلى عبداللّه بن أحمد، لتحريضه على عدم الطاعة، لحكومة ولي النعم، وقد رأيت أولئك الأشخاص بعيني، وسألت عبداللّه بن أحمد وجماعته، أولاد بني عتبة، أليسوا هم التابعين لحكومة نجد، حيث لا مجال للانكار فينكرون، نعم (أي أهل الجزيرة) أقروا في الواقع ونفس الأمر، أنهم كانوا تابعين لحكومة سعود وعبداللّه وتركي وفيصل، ولكنهم قالوا: إن المذكورين عرب مثلنا، ولذلك دخلنا تحت حكمهم، ولم ندخل حتى اليوم تحت حكم من لم يكن من العرب، بل كنا مستقلين في جهة، لم يحكمنا فيها أحد، وأنا بيننا وبينكم البحر، وسفننا حاضرة، فإذا هاجمتمونا فسنضطر -إن كان فينا قدرة على قتالكم- إلى أن نقاتلكم، وإلا فإن أرض اللّه واسعة، هذا ما أجابونا به أهل الجزيرة، معلنين الامتناع من الدخول تحت الطاعة.

البند السادس:

لقد رأيت في جزيرة البحرين، من الأشقياء المفسدين الذين كانوا في الأحساء والقطيف ونجد، حاكم الأحساء سابقاً، عمر بن عفيصان، وحاكم القطيف محمد بن سيف العجاجي، وفهد بن عفيصان، الذي قتل رئيس المشاة محمد آغا الكردي وأخاه غدراً،

ونهب مالهما، وغلال الجيش التي تركناها أمانة في الخرج، ولما انهزم جيشنا في السنة الماضية، وابن عمه عبد العزيز، لما ايرادات الحسا سابقاً، حمد بن غشيان، وسليمان هيبي، المعبر عنه عندهم بالمطوع (الفقي)، الذي كفر العساكر المصرية المظفرة من أمه محمد، وشيخ الفداويين سليمان بن هديب، وجماعة فيصل الفداوية، البالغ عدهم ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة، وهم الذين كانوا فروا قبلا، وكل الاشقياء الذين هم من تلك الجهات، ولم يقبلوا الدخول تحت الطاعة، يتواردون إلى الجزيرة، لا سيما طوائف البدو الممنوعون من دخول القرى الداخلة تحت الطاعة، ما لم يقدموا جمال الرحلة، وهم قد اعتادوا أن يتجولوا في الصحاري والقفار، وإنما يعرجون على القرى مرة في السنة، لأخذ ما يحتاجون إليه، من تمر ثم يعودون إلى أماكنهم، فهم والحالة هذه من حيث أنهم منعوا من دخول الأحساء والقطيف. كما ذكرنا آنفاً، فإنهم أخذوا يتواردون على جزيرة البحرين، شيئاً فشيئاً، ويأخذون ما يحتاجون إليه، وأن قبائل الهواجر وبني خالد والعمائر والمهاشير وآل صبيح، هم في معية مبارك ابن شيخ البحرين عبدالله، المقيم في قلعة (الدمام)، فمن أولئك المذكورين، من هم مقيمون داخل القلعة، ومنهم من هم مقيم في جوارها، وإننا كنا طلبنا من عساف أبي ثنين ألف جمل ووعدنا بها من مدة مديدة، إلا أننا رأينا أخاه أخيراً، في جزيرة البحرين، وعلمنا أن مقصده من مجيئه إليها، أن يشتري الطعام اللازم، وأنه في غنى عن أن يأتي لنجد والأحساء والقطيف، حتى لا يعطي الجمال المطلوبة، وأن هذه الجزيرة إذا لم تدخل تحت طاعة الحكومة، فإن تلك المضرات المذكورة لا تنقص بل تأخذ بالازدياد.

البند السابع:

إن جزيرة البحرين، هي في وسط البحر، وطولها مسافة يوم وعرضها مسافة أربع ساعات، وثلثها خراب؛ لأنها ليس فيها ماء، وفي ثلثها الثالث مياه جارية، ويحتوي هذا الثلث على أكثر من ثلاثين قرية، نعم أنه لا زراعة فيها، ولكن النخل فيها، مما هو في القطيف، وجميع مراكبها الصغيرة والكبيرة تروح وتغدو بينها، وبين نواحي البصرة والهند وعمان، وأن إدخالها تحت طاعة الحكومة موجب لدفع تلك المضرات الحاصلة فيها، وفضلاً عن ذلك فإنه يكون سبباً لحصول الحركة، في ميناء الأحساء والقطيف، ولترويج بعض المنافع الأميرية، لإدارة أمور العساكر الموجودة في فيلق نجد، هذا ما نراه في إدخالها، تحت حكومة ولي النعم».

أوضاع القطيف بعد وصول الدولة العثمانية:

مصدر الوثيقة: دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة الحفظ: محفظة (٢٦٧) عابدين.

رقمها في وحدة الحفظ: (٨) أصلية، (٤٤) حمراء.

تاريخها: ٢١ محرم ١٢٥٥هـ/ ٦ أبريل ١٨٣٩م، وصلت ١٥ ربيع أول ١٢٥٥هـ/ ٢٩ مايو ١٨٣٩م.

موضوعها: رسالة من خورشيد، حول الانتصار على فيصل بن تركي والاستيلاء على الديلم.

« سيدي سني الهمم، صاحب الدولة والعاطفة.

لقد علمتم من الخطابات المقدمة لدولتكم، أولاً وآخراً، أنه إلى أن استولينا على الدمام، وقبضنا على فيصل بن تركي، بمشيئة الله تعالى

وكرمه، وبقوة سيف حضرة الخديوي، لم يبق في الطرفين قوة، وإننا بعد ما أخرجنا فيصل بن تركي من الدمام، عرض علينا واجباً، أن يقيم في المدينة، ورجا هذا أيضاً الشيوخ وغيرهم الذين هم في معيتنا فأجبناهم بأنه حسن جداً، ثم قلنا لفيصل أن ذهابه إلى مصر أحسن بحقه، وسلمناه وأخاه جلوي، وابن عمه عبدالله بن إبراهيم إلى حسن آغا، رئيس الأدلاء، وبعثنا بهم إلى مصر، وأن وصولهم حتى اليوم إلى دولتكم من الأمور المعلومة لكم، وأن أهل فيصل وأقاربه يبلغ عددهم نحو مائتي نفس منهم أخوان اثنان أحدهما ابن عشر سنوات، والآخر أصغر منه، ووالدان اثنان، أحدهما ابن ثماني سنوات، والآخر ابن سبع سنوات، لم يرسلوا في ذلك الوقت، بل بقوا، وأن أخويه وولديه يكبرون يوماً بعد يوم، ومن البديهي أنهم يقومون بالعصيان فيما بعد، لذلك لا يوافق أن يبقوا في هذا الطرف بوجه من الوجوه، وقد قلنا لفيصل بن تركي بأن الأصلح بحقه أن يكون أولاده وعياله عنده، وهذا متوقف على صدور إرادة حضرة الخديوي، وعلى تكليف فيصل بأن يكتب كتاباً من طرفه بهذا الخصوص، لأهله وعياله، فنرجو عرض ذلك على أعتاب الجناب العالي، حتى يصدر لنا أمره العالي، بإرسال كل من له علاقة بفيصل، جميعهم إلى مصر، وهذا ما يرجى من همتكم ومن أجله كتبنا لكم هذا».

من الرياض في ٢١ محرم سنة ١٢٥٥/ ٦ ابريل ١٨٣٩م.
وصوله في ١٥ ربيع الأول ١٢٥٥/ ٢٩ مايو ١٨٣٩ م.

مير ميران

خورشيد

محفظة ٢٦٧ عابدين: إرادة مذيلة نمرة (٦)

« صدرت إدارة الجناب العالي، بأن يكتب فيصل إلى أولاده وعياله، ومن يتعلق بهم، حسب ما جاء في خطابه (خطاب خورشيد)، ويرسله له وبوصوله الخطاب إليه، يرسل أقاربه إلى هذا الطرف».

في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٥٥ / ٢ يونيه ١٨٣٩م

إدارة نمرة ٦

« إشعاراً بأنه صار استكتاب خطاب، من فيصل إلى أولاده وأقاربه، فاستوصِ لما طلبه، وأرسله إليه.

وصدر الأمر الكريم بأن يقوم بإرسال أقرب أقاربه إلى مصر».

١٩ ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ / ٢ يونيه ١٨٣٩م
صورة المرفق العربي
للوثيقة (١٣٧) حمراء
صورة الجرنال المحضر من طرف محمد أفندي

جرنال متضمن بيان الأحوال الصادرة من جهات مادة البحرين وغيرها».

البند الأول:

من حيث إنه صدر الأمر الكريم بتوجهنا إلى البحرين ميمماً جهة عبدالله بن أحمد آل خليفة، أمير البحرين، لقطع مادتها بأهون طريق، وبيدنا أمر من سعادة أفندينا، سر عسكر نجد، خطاباً إلى المذكور، ومشاع الخبر في الحسا وساير الجهات، أنه جاء إلى المذكور مراسيل من طرف العجم، وكذلك من جهات الإنجليز، والكل منهم يطلب أنه يكون في طرفه. وأنه لم يحصل بينه وبين العجم اتفاق، ولكن حضر من

الإنجليز واحد من كبارهم مخصوص، في مركب فرقطون، حمولة خمسة وثمانون مدفعاً، وأنه حصل الاتفاق معه على أن البحرين رعية للإنجليز، وأنهم يصيروا على هذا الحال مدة عشرين سنة، لا يطلبون منهم إيرادا ولا شيئاً، ولا يعلم هل ذلك صحيح أم لا ؟ وكنا حررنا جواباً من طرفنا، خطاباً إلى مبارك بن عبدالله بن أحمد، المقيم (بالدمام)، مضمونه أننا مأمورين بالتوجه إلى والده، وقطع مادة البحرين، إن كان بصداقة أو عداوة، فيقتضي يعرفننا لحضر له في أي مكان، فحضر منه جواب، وطية جواب، من والده عبدالله مضمونه أننا نواجه في (خوير حسان)، أحد بلدان ساحل قطر.

البند الثاني:

بناء على ذلك، توجهنا من (الحسا) إلى سكة (العقير) وصادف الخروج من (الحسا)، بعد العصر يوم الاثنين الثامن عشر من شهر صفر الخير سنة تاريخه، والوصول إلى (العقير) يوم الثلاث ١٩ الشهر المذكور، وبسبب عدم وجود المراكب انتظرنا ذلك اليوم، وفي اليوم العشرين، حضرت مركب من البحرين مشحونة ببعض أموال التجار، فركبنا فيها متوجهين لجهة قطر، وفي يوم الجمعة الموافق ٢٢ شهر صفر ١٢٥٥، وقت العصر وصلنا إلى يمات البلد المسمى، (خوير حسان) المقيم به عبدالله بن أحمد المذكور، وأنمنا عنده في القلعة، في البلدة المذكورة وأقمنا تلك الليلة، وفي يوم السبت ثالث وعشرون شهر صفر، صارت المخاطبة بيننا وبينه في هذا الشأن، وطال الخطاب بيننا وبينه، ورد الجواب منا، بما يناسب لجوابه، وفي أثناء المخاطبة، أبرز لنا الجوابات الذي حضرت له من طرف العجم، فرأينا فيهم جوابين من طرف حاكم بندر (أبو شهر)، مضمونهم أنه يستدعي يكون تابعاً لدولة العجم، وهم يحموه هو والبحرين عن ساير

الجهات، وثالث: رأينا فرمان كبير بالخط الثلث صادر له من طرف شاه زادة، وكيل محمد شاه، حاكم ايالات فرسان، مطول العبارة، ومن جملة مضمونه، وان جزيرة البحرين ممالكنا، وأنتم أدركتم، أن حضرة خورشيد باشا، ملك نجد وصلت عساكره (الحسا) و (القطيف) وملكوها، وأقاموا بها فحينئذ حاكم أبو شهر، وكيل من طرفنا، ترسلوا من طرفكم وكيل، يصير العهد بينه وبينكم، ويتمم الأمر معكم، وأما جهة الملك المفخم، والدستور المعظم، سعادة محمد علي باشا، فهو صاحب ملك عظيم. وجاه جليل، ولا يناسب مقامه التعدي على شيء من ممالكنا، فلا تخشوا بأس شيء من ذلك، فبعد أن أطلعنا على مضمون الفرمان المذكور، وعلمنا من ذلك سألنا عبداللّٰه بن أحمد، عن مراده وأجبناه بما سيأتي ذكره.

البند الثالث:

جواب من محمد أفندي إلى عبداللّٰه بن أحمد، أما فرمان شاه زاده المخم، وكيل أصفهان، فقد أطلعنا عليه، وفهمنا مضمونه، ولذلك بلغنا ما حصل من إتيان الانجليز إليك مراراً متعددة، وبالجملة حضر إليكم مركب فرقطون، فيه واحد من كبارهم وهل بينكم وبينه كلام ولا ندري ما هو، فإن كنت تريد أن تقطع طايفتنا منهم، وأنت أدرى بنفسك، ولكن تعلم أن سعادة أفندينا لا يخليك على رضاك، والسبب في ذلك، ليس بعداوتنا لهؤلاء الملوك، وإنما لكون جزيرة البحرين تابعة لحكومة نجد من السابق، وحينئذ أفندينا قد استولى على نجد، وما يتبعها من الثغور مثل (القطيف) و (الأحسا)، وأنتم والحسا حال واحد، فلا يمكن حينئذ ترك البحرين، إلا بعد العجز عنها، والحمد للّٰه شايف سعادة أفندينا، ليس عاجز، ونحن نريد قطع الجواب معك، حتى نعرف مرادي، ونعرضه على سعادة المشار إليه.

البند الرابع:

جواب عبدالله المذكور، أما فأنهم ارادوا، أنا أكون من تبعيتهم، وكاتبوني وأنا في السابق كنت متوقفاً معكم خوفاً منكم لأننا قد سمعنا عنكم أنكم تفعلوا بالرعايا أموراً عظيمة، وحيث من مدة توجهك من عندنا سابق، لغاية تاريخه، صرنا نبحث عن أفعالكم مع غيرنا، فلم نر أنه وقع مما يذكره الناس شيئاً، وحينئذ قد تركت والخوف منكم، وبهذا السبب لم حصل بينى وبين العجم اتفاق، ولا أعطيتهم جواب، وأما الإنجليز فأنهم لما علموا أنكم تريدونا نتبعكم، فصار منهم ما صار من تعدد جواباتهم إلينا، وترددهم لطرفنا، وفى كلامهم الإشارة بأنهم يريدونا ننتسب إليهم، ولكن علمنا أنهم لا يحمونا منكم، وبسبب معاملتكم لغيرنا بالإضافة، رأينا أن تبعتنا لكم مأمونة العاقبة، ولا سيما أن العجم على الروافض، والانجليز على غير الملة الإسلامية، فحينئذ يجب علينا اتباع سعادة أفنذينا خورشيد باشا، غير أني أريد منه الرفق معنا، فان كان راضيا بما ذكرنا له في الجواب، الذي أعطيناه لك وقت حضروا إلينا سابق، فنحن بالسمع والطاعة، نعاهدك على ذلك أنى أريد ورقة أمان كافية، من سعادة المشار إليه، و يكون مذكور فيه خطابا لي، لأن محمد أفندي وكيلا مفوضا من طرفه في قطع مادة البحرين.

البند الخامس:

لما رأينا منه هذا الكلام، وأبرزنا له الأمر المحرر، من سعادة أفنذينا المشار إليه، خطابا له، فقراه وفهم ما فيه، وكذلك أعطيناه الأمر المحرر خطابا إلينا، بمادة قدوم العساكر الواردين من الدنية، وفى أخرى أنا وكلناكم، بمادة البحرين فأطمأن بذلك اطمئنانا زايدا، وقال إذا كان هذا رفق أفنذينا بنا، فذلك ما كنا نبغي، ولكن أريد أن تعطيني ورقة أمان

بختمه، كما ذكرت لك، ومن حيث أنه حضر لنا ثلاثة أوراق من سعادة أفندينا، أحدهم: بخصوص الأمان، والثاني: بخصوص إذا أراد الإنجليز ورقة الأمان، والآخرين قد يتعظوا».

وجاءت صورة الأمان لبعد اللّه المذكوركالتالي:

«من خورشيد باشا، سر عسكر نجد، إلى الجناب المكرم، عبداللّه ابن أحمد آل خليفة، السلام عليك ورحمة اللّه وبركاته، وبعد الذى نعرفك به، أننا أعطيناك أمان من طرفنا، وأمان اللّه، وأماننا، وآمان أفندينا محمد علي باشا، على أموالك وحلالك ورعايتك، وان أمر البحرين في يدك، أو وكيلا الذي تحطه من طرفك، على الاتفاق والعهد الذي يصير بينك وبين محمد أفندي، معاوننا ووكيلنا، ومن حيث أنه وكيلا مفوضا، ومن طرفنا في ربط الأمر معك، كما اتفقت أنت وهو عليه وعاهدته عليه، فهو ماشي عندنا، وعلى هذا عهد اللّه وميثاقه، واللّه على ما نقول وكيل، وبعد ذلك حصل العهد بيننا وبينه، أخذنا منه ورقة بختمه، بصورة العهد، وأعطيناه ورقة بختمنا، بصورة العهد، واشترطنا عليه، وله شروط كما سيأتى بيانه».

صورة الورقة الذى أعطيناها له بختمنا:

«أقول وأنا الفقير إلى اللّه سبحانه وتعالى، عبده محمد رفعت أفندي، معاون سر عسكر نجد، ووكيلا مفوضا من طرفه، في ربط أمر البحرين، مع عبداللّه بن أحمد الخليفة، صاحب البحرين، أنه وقع الصلح والرأي، بيني وبين عبداللّه بن أحمد فصار العهد منه يطابق الوكالة، عن سعادة أفندينا، على أنه صديق لصديق أفندينا، خورشيد باشا وعدواً لعدوه، وان عليه زكاة البحرين من حول السنة إلى حول السنة، ثلاثة آلاف ريال فرنسة، لعبداللّه بن أحمد منها خاصة سبعمائة

وخمسين ريال، والباقي ألفين ومائتان وخمسين ريال يدفعها سنوياً إلى المشار إليه، من ابتداء حول سنة ١٢٥٥، وعاهدناه على أن أمر البحرين في يده دون غيره، ونائبه الذي يحطه من تحت يده، وما كان من رعاياه سابق من أهل البحرين، أو غيرهم القانطين بها، و أهل بلدان ساحل بحر قطر تحت يده ليس لأحد غيره تسلط عليهم، والقوانين الذي له عليهم من سابق فهي له، ولنا عليه أنه يقوم بالمساعدة مع أفندينا المشار إليه، فيما يتعلق به على قدر استطاعتهن والله على ما نقول وكيل» .

بيان الشروط الذى شرطناها عليه:

من جهة قصر (الدمام) الذي في بر (القطيف)، وفيه مبارك ولده مقيم، فإن عربان الهواجر والعماير، مقيمين بحواليه، والحال أن المذكورين معتادين، بإجراء الضرر على أهل (القطيف)، فإذا تبقوا على هذا الحال لا ربما يصير منهم الضرر، مثل عوايدهم، فيلزم أما أنكم تطردونهم، أو تعرف ولدك مبارك، أنه يضمن جميع ما وقع منهم، وأما العماير فمن حيث أنه قد هدمنا قلعتهم، التي كانت في (عنك) في القطيف، وهربوا إلى (الدمام)، ولا أعطيناهم غداً بالإقامة بذلك الطرف، فيلزم التنبيه على ولدك مبارك أنه وقت توجهنا إلى هناك، ولا يقبل منهم عنده إلا من يواجهنا، ويصير بيننا وبينه قطع جواب، يحسن عليه السكوت، ويصير مأذون من طرفنا بالإقامة، وقد حرر لولده مبارك إشعارا بذلك أيضا، من يواجهنا، ومن حيث أن عبدالله بن أحمد المذكور من السابق، وكان له عوايد على قوارب الغواصين، الذي يغوصوا في اللؤلؤة من أهل القطيف، فشرطنا عليه، أن المذكور الذي يكون على غواصين البحرين، فلا كلام فيه، وأما غواصين (القطيف) فليس له عليهم شيء أيضا، من حيث بلدان (قطر) محل بيته وبين

(الحسا) في البر مسافة خمسة أيام، في طريق (عمان) وبها أربعة قوارب غواصين، وشرط فى ورقته أن يكونوا طرفه، كما كانوا عليه من سابق، فشرطنا له على ذلك، ولكن من حيث إن خلفهم عربان بدو، كذلك من أهل قطر وكان في العادة ان يكونوا رعية لسعادة أفندينا، وأن جميع ما عنده مواشي حضر وبدوي، في قطر لا بد عن ذات، لكبارهم، وأفقنا أحد كبارهم به أن يزكيهم أيضا، عرفناه ان يتوجه واحد من طرفه، يواجه سعادة أفندينا، أما أولاده، أو رجل معتمد من طرفه فلا بأس، غير أن المناسب إن شاء الله تعالى متى تواجد الخيل، وصار تحضير دراهم الزكاة، نرسل واحد من طرفنا بها، كذلك عرفناه أنه لا بد من إقامة رجل بالبحرين، من أحد المعتمدين طرف سعادة المشار إليه، لقضاء أشغاله الذي يلزم بهذا الطرف، فقال لا بأس، غير أن حينئذ يصير منها، بعض تخف الناس، فيحتاج حينئذ الصبر، وأنا أوكل لكم وكيل في البحرين من طرفنا، لقضاء أشغال أفندينا، وبعد عدة أيام إن شاء الله، إذا حضر للإقامة من طرفه فلا بأس، أيضاً شرطنا عليه، أنه إذا أراد سعادة أفندينا إرسال عساكر إلى جهات مثل عمان وغيرهم، فيلزم منه المساعدة، بإرسال المركب من طرفه، لحمولة العسكر، فقال لا بأس، ولو يريد أفندينا المشي إلى البصرة، أو بر العجم أو عمان أو غيرها، فأنا أسير المراكب والرجاجيل الذي عندي مع عساكره.

أما الكويت، فإن أميرها الذي هو جابر بن صباح، فإنه ابن عمومتنا، ولا يمكننا المشي عليه بحرب، أيضاً شرطنا عليه أنه إذا كان أحداً من الرعية الذي تحت حكومة أفندينا، إذا أتى عندك أحد طلبه منهم هارب، أو عليه دعوة، أو طلب أو خراج مطلوب منه، إذا صار طلبه من عنده، فلا بد من إرساله، أو تخليص ما عليه وله علينا ذلك، فرضى بذلك، غير أنه ترجى من أهل نجد الذي عنده عمر بن عفيصان

ومن معه فأعطيناه أماناً بموجب أمركم، ووفق ما يريدون نجد فيحضروا، وأختم بيننا وبينه على ذلك، ومن حيث إن الأمر مقتضٍ لتوجهنا إلى بر عجم، لمشترى دخاير، وبعض كتب معنا إلى القنصل بجزيرة خرج لزمنا المرور بها إشاعة ما حصل، ومواجهة أعيان الناس بها، وتوليف قلوبهم معهم، وتتميم مادة أهل نجد الذي في البحرين، فتوجهنا من طرف عبداللّه بن أحمد من قطر إلى البحرين، ومعنا مخصوص من طرفه غير أولاده وأعيان أهل البحرين، بما حصل وأكسيناه خلعه فيور وكشميري، وأعطيناه عبر وأكسينا كاتبه إكراما من طرف سعادة أفندينا، وكان توجهنا من قطر يوم الاثنين ٢٥ صفر سنة ٢٥٥ وفي ٢٦ منه، وصلنا إلى البحرين، ونزلنا عند حسن بن عبداللّه بن أحمد المذكور، وفي ثاني وثالث يوم، حضر عندنا ناصر بن عبداللّه الذي واجه أفندينا في الحناكية والسيد عبد الجليل من أعيان أهل البحرين، ورفيقنا من سابق الشيخ عبداللّه بن مشاري واستخبروا عما صار، وحصل عندهم الاطمئنان، لأنه كان قبل ذلك ارتجاج، ولم يزل بعضه واقع عند بعض الناس، يقولون أنا لما صرنا في تبعية حكومة الترك، نخاف من تعدي الإنكليز علينا، وأشعنا عندهم أنا متوجهين لقطع الكلام معهم، بعد التعدي والمعارضة للبحرين، لا في البحر وفي الهند الذي هو حكومتهم.

البند السادس:

ومن حيث إن الإنكليز في الشهر الذي مضى حصل بينهم وبين أهل بوشهر حرب ونقلوا البالسيوز من عندهم، وحينئذ لا يمكن أحد منهم يروح أبو شهر، فربما ان كان البالسيوز لا يمكنا قضاء لوازمنا في مادة شراء القمح والشعير، وجزيرة البحرين متوسطة.فارسلنا جوابا إلى عبداللّه بن أحمد، مضمونه

أنه يعين لذا رجل مخصوص، يكون وكيلا من طرفنا في جلب الغلال من الجهات، ومن حيث إن الغلة تعلق دولتكم، حضرت في هذه الأثناء من الكويت، وفيها لحو ٣٠٠ وكسور قمح وشعير، حضر لنا جواب من جبر بن صباح ومحمد أفندى، مضمونهم أن صنف الغلال حينئذ غير موجود في الكويت، وكذلك البصرة لم يكن موجوداً فيها وبوشهر. وما حوله من البنادر بر عجم لم موجود فيهم؛ والسبب في ذلك أن الغلال القديمة لم يبق منها شيء، والجديد لم حصدت، أعني داير فيها الحصاد، والرقة لغاية تاريخه، لم يجهز منها شيء، ففتشنا على الموجود في البحرين، فوجدناه لحو مائتين وثمانين إردب قمح، وأما الشعر، فلم نجد منه شيئاً بالجملة، فاشترينا القمح الذي وجدناه هندياً، وجانب عراقي، وبكرة تاريخه إن شاء اللّه، يرسل إلى اسكلة (العقير) في المراكب، وعند وصولنا إلى خرج، ان شاء اللّه لجتهد على قدر الإمكان، فى شرا ما يمكن تحصيله من ذلك الطرف.

البند السابع:

بلغنا أن بندر أبو شهر، يصر التنبيه فيه على عدم نزول الغلال في المراكب، وربما أن بهذا السبب، لا يمكن تحصيل الغلال المطلوبة، جميعها من ذلك الطرف، ومن حيث ان بعض مراكب أهل البحرين متوجهة، في جمادى الأولى سنة ٥٥، إلى بلاد الهند، ويوجد صنف القمح والذرة بذلك الطرف، فاتفقنا مع عبداللّه بن مشاري في ذلك الوقت، يرسل ثلاثة أبغال عنده، تشيل أربعة آلاف أردب، وأنها تجيب غلال من هناك، من هؤلاء الصنفين على ذمته، ولحن نأخذ منه، وأخبرنا أن قدوم

المراكب المذكور يكون فى أو آخر شهر رمضان، وكذلك حذرا من عدم وجود المقدار المطلوب».

قدر تحرر هذا الجرنال بما صار ابنك

محمد معاون

غاية صفر سنة ١٢٥٥هـ/١٤ مايو ١٨٣٩م سر عسكر

مصدر الوثيقة: دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها: محفظة (٢٦٧) عابدين.

رقمها في وحدة الحفظ: (١٦٤) حمراء.

تاريخها: ٢٩ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٠ أغسطس ١٨٣٩م.

موضوعها: رسالة من خورشيد، عن حركة محمد رفعت في القطيف، وهدمه لقصري العماير التابعين للبحرين، ومرفق بها رسالة، من محمد رفعت، عن هذه العملية.

« سيدى سني الهمم صاحب الدولة:

(الباشمعاون الخدوي)

وصلت لنا إرادة جناب الخديوي المؤرخة في ١١ربيع الأول سنة ١٢٥٥، المشتملة على أن محافظ المدينة الآغا عرض على أعتاب ولي النعم أنه بسبب كون محمد أفندي، معاون الداعي، ذهب هو والفرسان المغاربة إلى القصرين المسميين بالعماير التابعين للبحرين، وأغار على من فيهما، فقتل نحو خمسة عشر رجلا من العرب، ونهب ما فيهما وهدمهما، ثم عاد إلى الأحساء، فقد جاء عنده محمد نصر، وأخبر أن أهل البحرين جاءوا عند الداعي، وأظهروا الطاعة، وطلبوا الأمان، وتعهدوا بأن يرسلوا مقدار من الغلال، فيطلب الجناب العالي أن نعرض

لـه، واقعـة الحـال كمـا هـي، في الجـواب علـى ذلـك، أنـه في الواقـع ونفـس الأمـر، كـان محمـد نصـر، في ذلـك الوقـت، معـي في (سليمة)، وهـو ليـس كاذبـاً، وإنمـا أخطـأ وأن القصـر المسـمى بالمعامير وهو تـابع البحريـن، وسبق أن عرضنـا لكـم مـا يتعلـق بـه، بتـاريخ ١٨ جمـادى الأولى سـنة ١٢٥٥، ومـن إطلاعكـم علـى مـا عرضنـاه، تحيطـون علمـاً بـه، والـذي هدمـه عبدكـم المعـاون، وهـو القصـر المسـمى (عنـك) وهـو تـابع للقطيـف، وتعلمـون سـبب هدمـه، مـن الكتـاب الآتـي لنـا مـن المعـاون المذكـور، وقـد أرسـلناه ضمن كتابنـا، وبـاطلاعكم عليـه بـإذن اللّـه تعـالى، تعلمـون مـا جـاء فيه، فتتفضلون بعـرض مـا هـو واقـع، علـى أعتـاب حضـرة الخديـوي المباركة، همة منكم، وهـذا مـا دعانـا إلى المبـاراة بعرضـه سـيدي».

من ثرمده في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٢٥٥هـ

أغسطس ١٨٣٩م

خورشيد مير ميران

صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٦٤) حمراء.

المؤرخ في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٥٤هـ

فبراير ١٨٣٩م.

«من: محمد رفعت

إلى: ولي النعم

ولي النعم تم بتمنتم مرحملتوا أفندم

لما حضرنا إلى الحسـا، وجدنـا أهـل القطيـف، الـذى هـم أمـرا البلدان، حضروا إلى الحسا، وإقناعهم أنهم يحضروا معنا إلى القطيف، وتحققنا أنه بسبب بعد الحسـا عـن البحـر، ولا يحصـل اهتمـام لأهـل

البحرين بإقامتنا في الحسا، وكذلك تحققنا أن حزام البحرين هو القطيف، وأن البدو من مدة توجهوا (توجه محمد بن عريض) عليه أخربوه، وكذلك قصر (الدمام) على البحر، بينه وبين سيهات أحد بلدان القطيف مسافة ساعتين، مع أهل البحرين، مقيم فيه مبارك بن عبدالله بن أحمد، الذي هو أمير البحرين، ومتزوج بنت شافير بن شعبان، شيخ الهواجر، الذي كان مع محمد بن عريض، ومعه لحوماية وخمسون رجلا وبعض الأوقات أزيد من ذلك، جميعهم من بني هاجر، الذي هم جماعة شافير ويحصل دايما تعدي من المذكورين، على أهل القطيف، وكذلك محل بين سيهات وبين القروة يسمى (عنك) فيه قلعة مبنية بأربعة أبراج، حولها وفيها دايما عربان يقال لهم العماير، ويحصل منهم تعدي على القطيف، وبهذه الأسباب صاروا أهل القطيف في محاصرة، وأكثر أهل القطيف شردوا إلى البحرين، فعاجلنا بالحضور إلى القطيف، وكان توجهنا من الحسا يوم الاثنين بعد العصر، والوصول إلى القطيف يوم الخميس ٢٤ شهرة، في الصبح فوجدنا اسكلته، الذي هي (الفرضة) مقفولة أبوابها، والبلاد محصورة، والنخيل خاربة، ولا يقدر أحد يطلع من الأبواب، فبوقته نبهنا بفتح الأبواب، وكبس البلد، ومعنا محمد أغا الكاشف، بخمسين نفر من جماعة الفاخري أدخلنا هم قلعة (الفرضة) كذلك أبو خزام بتسعة عشر خيال معه ووجدنا في البلد إحدى عشر مدفعا، ولحو مائتين وخمسين أقة بارود، سلمناهم لمحمد آغا المذكور، وفي ثاني يوم أحضرنا مدفعين لحاس من الذي في القطيف، وقصينا عجلهم، ونبهنا على أهل القطيف، يجمعوا بورديتهم وحضروا إلينا، فيوم تاريخه الذي هو السبت ٢٥شهره، أخذنا أبو خزام بخيالته وفهيد بن جعد، من جماعة أحمد السديري بخمسة عشر نفرا فداويين معه، وبواردية القطيف،

وجرينا المدفعين المذكورة، على ظهــور الرجـال، وتوجهنـا علـى قلعـة (عنك) الذى فيها ابن خالد مقبلين عليهم بالحرب، فمسكنا شيخهم، وصار عندنا بالسجن، والذي في القلعــة نحـو مايـة رجـل، هربـوا إلى البحر، تحت القلعة، ولهم ثلاث مراكب صغيرة، نزلوا في اثنين منهـا، والثالث سبقناهم عليه، وأخذنـاه واستولينا بهمـة ولي النعـم، علـى القلعة المذكورة، وأخذنا منها ثلاثة مدافع، ووجدنا فيهـا جـانب تمـر، وبعض عفش لهم، أبقينا أبو خزام، والفداويــين عنـده، وأرسـلنا لهـم حمير، من البلــد تشيله، والمدافـع أحضرنـاهم، إلى البلـد وأدخلناهـا قلعتها. ويوم حضورنا كذا أرسلنا جواب إلى مبارك بن عبدالله الـذي في الدمام وأن يحضروا يواجهونا، فخاف وأرسل لنا جواب، أنه أرسـل لنا رجل يسمى حصن شيخ الهواجر الذي عنده، ولما هربـوا العمـاير، من القلعة هربوا إلى عنده ... ولما رجعنا إلى البلد أطلقنا شيخ العماير الذي هو محبوس عندنـا وأعطينـاه مركبـه الـذي نهبنـاه وتمـر وكذلـك العفش وأعطيناه ورقة أمان لجماعته على أنهـم يسـكنوا في جزيرتهـم التي هي جزيرة العماير بينها وبـين القطيـف مسـافة يومـين مـن جهـة الشمال والقصد من هذا العمل تخويـف أهـل البحريـن أولاً، وثانيـاً اطمئنان أهل القطيف من حيث أن بيت المـال فـارغ ليـس فيـه شـيء والبدو كانوا نهبوهم كل شيء..

محمد رفعت ٩ فبراير ١٨٣٩م القطيف[1].

(١) للمزيد من معرفة الوثائق المتعلقة بهذ الشان مراجعة كتاب محمد علـي باشـا والجزيرة العربية، د. عبدالرحمن عبدالرحيم، ج ٢.

بعض الولاة العثمانيين الذين حكموا القطيف:

١ ـ نافذ باشا.

٢ ـ محمد أو محمود باشا.

٣ ـ فايز باشا.

٤ ـ محمد نافذ باشا.

٥ ـ مدحت باشا نفسه حين زار المنطقة، وأمضى فيها بضعة أشهر، واعتبروه المتصرف عملياً، وإن كان والياً لبغداد في نفس الوقت.

٦ ـ صالح باشا للمرة الأولى.

٧ ـ ثم يأتي بزيغ بن عريعر (أو بركة بن عريعر).

٨ ـ محمد نجيب أبو سهيل.

٩ ـ رشيد باشا.

١٠ ـ محمود ماهر باشا.

١١ـ محمد عارف.

١٢ ـ علي باشا مزيد باشا ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦.

١٣ـ سعيد بيك ١٨٧٦ ـ ١٨٧٧.

١٤ـ أحمد نديم باشا.

١٥ـ بزيغ العريعر ١٨٧٤ـ١٨٧٥.

١٦ـ سعيد باشا ١٨٧٧ ـ ١٨٧٩.

١٧ـ عبد الغني باشا (١٨٨١ ـ ١٨٨٢).

١٨ـ صالح باشا (١٨٨٥ ـ ١٨٨٦).

١٩ـ رفعت باشا (١٨٨٧ ـ ١٨٨٩).

٢٠ـ عاكف باشا (١٨٨٩ ـ ١٨٩١).

٢١ـ سعيد باشا (١٨٩١ ـ ١٨٩٤).

٢٢ـ إبراهيم باشا (١٨٩٤ ـ ١٨٩٦).

هذه أسماء أهم الـولاة المنصبـين مـن قبـل الدولـة العثمانيـة الـتي حكمت القطيف.

البريطانيون في القطيف:

عندما انتهت الحرب العالمية الأُولى كانت الحكومة البريطانيـة قـد ركزت نفوذها في المياه الخليجية، بل وتمكنت من استعمار أكثر الأراضي الخليجية، لاسيما البحرين والقطيف، والقـارئ لتـأريخ الحقبـة الزمنيـة التي حدثت فيها الحرب العالمية الأُولى التي كانت بريطانيا إحدى الـدول العظمى التي خاضت هذه الحروب، يرى الموقـف الـذي وقفتـه مشـائخ الخليج لمساندة الحكومة البريطانية مادياً ومعنوياً، وما أن انتهـت الحـرب العالمية الأُولى حتى خرقت الحكومة البريطانية الاتفاق الذي أبـرم بينهـا وبين مشائخ الخليج على استتباب الأمن في الجـزر الخليجيـة، ورشـحت بريطانيا من هيئة الأمـم الغربيـة علـى أن تكـون الدولـة المنتدبـة علـى العراق، وفلسطين، والأردن، وسـائر الـدول الخليجيـة، وتمكنـت بعـد المشـاورات والمحادثـات مـع الحلفـاء مـن الـدول الاسـتعمارية الكـبرى كفرنسا، وإيطاليا، من عقد اتفاق تم بموجبه تقسيم الدولـة العثمانيـة ـ التي عانى منهـا الاسـتعمار البريطـاني في الخليـج ـ لاسـيما البحريـن، والأحساء، والقطيف.. وأول عمل قامت به هو خرقها بنود الاتفاق بينها وبين الشريف حسين، بعد أن وعدته أن تمكنه من فرض سـيطرته علـى بعض الدول العربية، وهو الـوفي الـذي وقـف معهـم في الحـرب ضـد العثمانيين في الخليج، ولكن الحكومة البريطانية سعت إلى عقد الاتفـاق مع ابن سعود للقضاء علـى تيـار الشـريف حسـين، كمـا أنهـا سـعت لتوطيد نفوذها الاستعماري علـى منـابع الـثروات الطبيعيـة في الخليـج

العربي، فصارت تبحث عن أهم الموانئ الحيوية التي يمكن لها أن تعسكر فيها، وتفرض سيطرتها على أهاليها، فبعثت الأخصائيين الجغرافيين الذين درسوا جغرافية الخليج العربي سياسيا، من البحث والتنقيب فيما يخص هذا المشروع، وبطبيعة الحال أن القطيف كان لها النصيب الأوفر في السياسة البريطانية، لكونها منطقة حيوية وميناؤها يطلُّ على ساحل الخليج، وهو عصب المياه التجارية بين الغرب والشرق.

البريطانيون يتحدثون عن القطيف:

ولذلك تمكنت الحاملات البريطانية من فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية على الخليج العربي، وصارت تبحث عن أهم الموانئ التجارية السياسية في هذه المياه، فوصلت عبر مخبريها السريين إلى ميناء القطيف، والبحرين والأحساء، فأخذ كبار المعتمدين السياسيين والاقتصاديين في الحكومة البريطانية يتوافدون على المنطقة، من هؤلاء المعتمد البريطاني (جاسكن) الذي زارها على ظهر السفينة الحربية الملكية سفنكس في اليوم الثاني من فبراير ١٩٠٢ بناءً على أوامر الكولونيل كمبل، نائب المقيم السياسي في بوشهر، وكان الهدف من الزيارة متابعة قضية مقتل مجموعة من شيوخ البحرين بالقرب من القطيف على يد أفراد ينتمون إلى فرع البحيح من قبيلة المرّة، واستكشاف أسباب تلكؤ أو عدم قدرة السلطات العثمانية من القبض على القتلة، وكذلك لحثّ السلطات العثمانية على السماح للتجار الهنود من رعايا بريطانيا للمتاجرة مع المنطقة. لكن السفينة الحربية ومن عليها، قائدها ومساعد المعتمد السياسي قوبلوا بـ (مواقف غير وديّة) حسب التعبير البريطاني.

تفاصيل الموقف غير الودي مهمّ لمعرفة طبيعة العلاقة القائمة بين القوى العظمى المتنافسة من أجل السيطرة على الخليج. ومن المهم أيضاً معرفة تفاصيل الرحلة البحرية البريّة من وإلى القطيف، وأحوال القوة التركية المسيطرة عليها، عددها وتسليحها. وقد حوت رسالتان كتبهما جاسكن إلى مسؤوليه (القائم بأعمال المقيم في بوشهر الكولونيل أ. س. كمبل) في السادس والعاشر من فبراير ١٩٠٢، بعض المعلومات القيّمة عن الضرائب وتقديرات عدد السكان، ووضع ميناء القطيف ومدى صلاحيته للملاحة، والمجلس البلدي ومدى سلطته على القائمقام وغير ذلك.فيما يلي نص الرسالتين:

الرسالة الأولى:

قامت السفينة (سفنكس) بزيارة إلى مياه البحرين يوم الأول من هذا الشهر (فبراير ١٩٠٢)، وتطبيقاً لتعليماتكم، رافقت الكابتن (كمب) في صبيحة اليوم التالي إلى رأس تنورة، التي وصلناها في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم ذاته.

عند وصول السفينة إلى المرسى المذكور، وجدنا أن حركة المدّ والجزر لم تكن مناسبة، وهكذا اضطررنا إلى تأجيل زيارتنا إلى قائمقام القطيف إلى صبيحة اليوم التالي.

وحوالي الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم، صعد إلى ظهر السفينة مسؤول مرسل من قبل القائمقام ليقوم بالاستفسارات المعتادة عن أسباب رسو السفينة في تلك المياه، فأبلغ بأننا قدمنا من البحرين، وطلبنا منه نقل تحياتنا إلى القائمقام وإبلاغه بأننا سنزوره في الصباح.

بدأنا رحلتنا إلى القطيف في الساعة السابعة والنصف صباحاً عن

طريق القناة المحيطة بالجانب الشمالي لجزيرة تاروت، وعلى إثر مغادرتنا السفينة صعد إليها ضابط الحجر الصحي، وحين اكتشف أننا غادرناها لحق بنا ليبلغنا بأن هناك حجراً صحياً مفروضاً على جميع القادمين، وأنه إن كان لدينا ما نقوله للقائمقام، فمن الأفضل إبلاغه إليه كتابة، فأُبلغ هذا الضابط أنه كان من الواجب نقل هذه المعلومات إلينا في الليلة الماضية، وأنه ليس بإمكاننا العودة والتخلّي عن هدفنا.

حين اقتربنا من البلدة ـ القطيف ـ وجدنا المياه ضحلة جداً إلى حدّ أجبرنا على التوقّف على بعد ميل منها تقريباً، ثم السير نصف المسافة على ضفّة جافة، وهناك استأجرنا حميراً حملتنا إلى الشاطئ، حيث استقبلتنا مجموعة صغيرة من الجنود حاولت ردّنا على أعقابنا بحجّة الحجر الصحّي المفروض، ولكنهم سمحوا لنا بعدها بمواصلة رحلتنا ثم احتجزونا في كوخ قالوا: إنه دائرة الجمارك.

أرسل القائمقام وكيلاً عنه يدعى محمد بيك، ويحمل رتبة مدنيّة هي (بمباشي). قال: إن مهمته الاستفسار عن سبب زيارتنا، وطلب منّا إرسال رسالة مكتوبة إلى القائمقام، وهنا أبلغه الكابتن (كمب) بأن لديه الكثير من الأشياء لإبلاغها، ونظراً لبعد المسافة عن القطيف حيث رست السفينة، فقد استحال حمل رسائل مكتوبة، وقال: إنه يجب أن يلتقي بالقائمقام دون تأخير.

وبعد احتجازنا مدّة ساعة واحدة، عاد الوكيل وحاول المراوغة، وعندها احتجّ الكابتن كمب بقوة وطلب رداً فورياً حول ما إذا كان القائمقام سيقابله أم لا، وإذا كان الأمر يتعلق بالحجر الصحي، فعلى السلطات إبلاغه بعدد الأيام التي يتوجّب على السفينة قضاؤها في الحجر تحديداً.

لم يعد الوكيل، وبعد انتظار دام ساعتين، أرسل الكابتن كمب رسالة أخرى شفوية، حملها ضابط الجنود المرافقين لنا، وحين لم يأتِ الرد تظاهرنا بالرغبة بالعودة من حيث أتينا، ولكن ما أن وصلنا إلى زورقنا وانطلقنا حتى وصل رسول على عجل وقال: إن القائمقام يرغب في ملاقاتنا، وأنه يأمل أن نعود.

وهكذا نزلنا من القارب ومشينا إلى منزل القائمقام، حيث استقبلنا حرس الشرف الذي رفع سلاحه تحيّة لنا. واستقبلنا القائمقام ومعه تسعة من أعضاء المجلس البلدي عند المدخل.

بعد تبادل التحيّات المعتادة، أعرب الكابتن كمب عن أسفه للطريقة التي عوملنا بها، لكن القائمقام ادّعى بأنّه لم يعلم بوصول السفينة إلى البلدة قبل وصولنا إليها، وأنه ليس من المعتاد أن ترسو سفن حربية أجنبية هناك، ولهذا احتار الجنود ولم يعرفوا ما كان يتوجّب عليهم أن يفعلوه، وأعرب القائمقام عن أمله في أن ننسى الموضوع.

بعدها أبلغه الكابتن كمب بأسباب زيارتنا، وأشار عليه بأن يسمح لأولئك الذين لا يرغب أن يسمعوا الحديث بمغادرة المكان. هنا أخذنا القائمقام إلى غرفة مجاورة، واستدعى أعضاء المجلس البلدي، وعندها تمّ الاستفسار عن الخطوات التي اتخذتها السلطات التركيّة بخصوص القضايا الواردة في رسالتكم (الحديث موجّه إلى الكولونيل كمبل) رقم ١٣٤٨ والمؤرخة في ٢٧ ديسمبر ١٩٠١م، والموجّهة إلى كبير ضباط البحرية، فوج الخليج الفارسي.

رد القائمقام على جميع الأسئلة التي طرحها الكابتن كمب، فقال إن الضابط الذي وقعت الجريمة (المقصود مقتل الشيخ دعيج بن خليفة وآخرين على يد بدو البحيح) وعمليات القرصنة خلال فترة ولايته

مسافر الآن في إجازة، وبما أنه يقوم بأعمال ذلك الضابط منذ خمسة عشر يوماً تقريباً، فإنه لا يعلم شيئاً عن هذه القضايا أو الإجراءات التي اتخذت بشأنها. وأضاف بأنه يعتقد في مثل هذه المسائل، أن الحكومات الأجنبية اعتادت إحالة القضايا إلى الباب العالي لإصدار الأوامر إلى الحاكم العام في المنطقة التي تقع فيها تلك القضايا، وأنه من الأفضل في هذه الحالة أن يكتب الكابتن كمب إليه بخصوص الموضوع المطروح، فيحيله هو بالتالي إلى متصرف الأحساء لاستصدار الأوامر اللازمة.

قال الكابتن كمب إنه سينقل ردود القائمقام إلى حكومته، وطلب منه أن ينقل في هذه الأثناء ما أبلغ به إلى متصرف الأحساء في أقرب وقت ممكن، وأن يحصل على المعلومات المتعلقة بالقضايا موضوع البحث.

أظهر القائمقام تكتماً شديداً عندما سُئل عن وضع البدو في منطقة ولايته، وصرح بأن كل شيء في غاية الهدوء والنظام.

بعد لقائنا بالقائمقام حاولنا العودة إلى السفينة سفنكس، ولكن حالة المدّ والجزر لم تسمح لقاربنا باجتياز العبّارة القائمة على بعد حوالي نصف ميل من البلدة، الأمر الذي اضطرنا إلى العودة إلى القطيف وطلب مأوى من القائمقام، فخصص لنا غرفة في الطابق الأرضي من مكتب رئيس الميناء، وفي الطابق العلوي كانت هناك مفرزة من الجند تحرس خزينة رواتب الجند الموجودين في قطر.

أرسل إلينا القائمقام وجبة عشاء وبعض الفراش، وفي صبيحة اليوم التالي أرسل إلينا طعام الإفطار، ولمّا كان علينا انتظار ارتفاع المدّ بقدر يسمح لقاربنا باجتياز الحاجز عند العبّارة، فقد عبّر الكابتن كمب عن رغبته في رؤية السوق، ولكن الحرس المتمركزين في الطابق العلوي

منعوه من ذلك، وهكذا غادرنا القطيف حوالي الساعة الواحدة والنصف ظهر يوم الثلاثاء، وقد واجهنا ريحاً شديدة معاكسة بدءاً من منتصف المسافة باتجاه السفينة التي وصلناها في الساعة السادسة والربع مساءً، وغادرت الـ (سفنكس) رأس تنورة في الساعة الثامنة والربع من صبيحة اليوم التالي، فوصلنا إلى هنا (البحرين) الساعة الواحدة والنصف ظهراً.

يلاحظ من التقرير المثبت أعلاه أننا عوملنا من قبل السلطات التركية معاملة غير لائقة، وأنا أرى بأنه لا يجوز أن نتغاضى عن المماطلات غير المبررة والحجج الواهية التي قدّمها القائمقام، ولا عن الإهانة التي لحقت بنا، أولاً عند احتجازنا في دائرة الجمارك، ثم في منزل مكتب رئيس الميناء حيث وضعنا تحت الحراسة. وأرى أن يتم الاحتجاج على هذا بقوّة لدى الباب العالي بهدف تأمين معاملة لائقة للضباط والمسؤولين البريطانيين حين يزورون الموانيء التركية في المستقبل، وقد أرسل القائمقام، الذي أعرفه شخصياً، رسالة خاصة لي حملها نوخذا عربي رافقنا باعتباره خبيراً بجغرافية المنطقة، قال فيها إنه يدرك أن مرتبتنا تستحق معاملة أفضل لم يكن بإمكانه تقديمها خشية أن يتهمه أعداؤه بالتواطؤ معنا، وإنه يأمل ألاّ نلومه على ذلك. من هذا يبدو أن السلطات كانت على علم وإدراك كاملين بما كانت تفعله.

وكما أنه رفع رسالة ثانية يخبره فيها بأوضاع القطيف بشكل عام قال فيها:

أتشرف بأن أرفع إليكم المعلومات التالية التي تمكّنت من جمعها أثناء زيارتي الأخيرة لمنطقة القطيف.

الجزء المأهول من المنطقة محصور داخل القسم الذي تغطيه بساتين

النخيل الشاسعة التي تمتد إلى مسافة ١٤ميلاً على طول الشاطئ، وبعمق ثلاثة أميال باتجاه الداخل. أما جزيرة تاروت، وهي جزء من القائمقامية، وتقع على مسافة ميل ونصف تقريباً من الساحل في موازاة الشاطئ، فإنها تتصل باليابسة بواسطة عبارة عند الجزر على بعد حوالي ميل ونصف الميل من قلعة القطيف، وهي أيضاً مملوءة ببساتين النخيل. طول الجزيرة حوالي ٤,٥ ميلاً وعرضها ٣,٥ ميلاً.

تجدون في الهامش التالي أسماء تسع عشرة قرية قائمة على اليابسة، وأربع في الجزيرة، بدءًا من الشمال، وحسب الترتيب التالي:

صفوى، العوامية، القديح، البحاري، التوبي، القلعة، باب الشمال، المدارس، المياس، الشريعة، الكويكب، الشويكة، الدبابية، الجارودية، حلّة محيش، الخويلديّة، الجش، سيهات، الأجام، الفنية (الزور)، سنابس، تاروت، دارين.

جميع هذه القرى محميّة بالأسوار، باستثناء قرى الجزيرة، ويقدر عدد سكان المنطقة كلّها بحوالي أربعين ألف نسمة، ويستطيع هؤلاء تجنيد حوالي أربعة آلاف مقاتل، معظمهم مسلّح ببنادق حديثة.

أما القطيف البلدة، فتعرف باسم القلعة، وتحيطها أشجار النخيل من كل جانب، باستثناء جزء صغير في الجزء الغربي، حيث تقوم قلعة منهارة ترتفع أسوارها إلى علو عشرين قدماً، ويقدر عدد سكان القطيف بسبعة آلاف نسمة، في حين يقدّر حجم الضرائب التي يحصلها الأتراك بـ ١٢ ألف ليرة تركية سنوياً.

للأتراك حوالي ٦٠ من جنود المشاة، و ٤٠ من الخيّالة متمركزون في المنطقة وموزّعون في القرى. لا توجد بطاريات مدفعيّة أو مدافع حديثة، والمدفعية الوحيدة الموجودة لحماية القطيف لا تتجاوز مدفعين نحاسيين

وعدداً كبيراً من المدافع القديمة التي تُحشى من مقدمة السبطانة، كما أنّ هناك عدداً كبيراً من الكرات (قنابل المدافع) مخزونة في القطيف والدمام، لكن مخزون البارود غير كافٍ حسبما يقال.

الطرق المائية المؤدية إلى القطيف صعبة، والممرّ المائي الذي يطوّق النهاية الشمالية لجزيرة تاروت لا يمكن الإبحار فيه إلاّ عند ارتفاع المدّ، ومن قبل سفن مغطسها (عمقها) يقلّ عن خمسة أقدام. أمّا عند الجزر والحسار المياه، فلا يمكن للقوارب الصغيرة الاقتراب أكثر من ميل من اليابسة. الممرّ الملائم موجود جنوب البلدة، ولكن الإبحار فيه غير ممكن لقوارب يزيد مغطسها (عمقها) عن ستة أقدام.

والقطيف على اتصال بريدي بالبصرة عن طريق الأحساء، وتستغرق الرحلة بين القطيف والأحساء ٢٤ ساعة على ظهور الخيل، أما القوافل فتقطع المسافة في ثلاثة أيام، ويستغرق وصول البريد من الأحساء إلى البصرة سبعة أيام تقريباً...»[(١)].

القطيف في العهد السعودي:

لقد دخلت المنطقة تحت سلطة آل سعود عام ١٢٠٨هـ وكان ذلك أول محاولة لإضافة الجزء الشرقي المكون من الأحساء والقطيف إلى الجزيرة العربية في ذلك الوقت، غير أن أهلها أعلنوا في بداية الأمر الرفض بالخصوص عام ١٢١٠هـ فاتصل الزعماء الذين فقدوا سلطتهم بالوالي العثماني في العراق وطلبوا دعمه، فأمدهم بجيش هُزم عام ١٢١١هـ، فأردفه بثان عام ١٢١٣هـ غير أنه لم يجر قتال إذ تم الصلح، ولكن لم يلبث أن عاد القتّال، وغزا السعوديون جنوب العراق عام ١٢١٦هـ بعد أن وصلت

(١) المصدر السابق العدد الثاني.

الدعوة السلفية إلى أوجها وانتشرت أفكارها في ربوع الجزيرة العربية، وهكذا دان أكثر الجزيرة العربية إلى سعود الكبير الذي كان مسانداً ومدافعاً عن أفكار الحركة السلفية في ذلك الوقت، ولم تبق مكان من أصقاع الجزيرة العربية إلا ووصلت إليه هذه الحملات التبشيرية، سوى البحرين التي كانت خاضعة للاستيلاء الإنكليزي.

وبعد وفاة الملك سعود الكبير عام ١٢٢٩هـ خلفه ابنه عبدالله، ولم يكن له إمكانات أبيه، فأطمع هذا محمد علي باشا العثماني وقرر القضاء على الدعوة السلفية، وسار نحو عسير وطوقها من الشمال والغرب، غير أن جيوشه قد هُزمت في الجبهتين، وكان عبدالله بن سعود الكبير مشغولا ببعض المناوشات الداخلية التي أحدثها الشعب، فأعطى أخاه فيصلا قيادة الجيوش فهُزم هزيمة منكرة في (بسل) شرق الطائف، بعد أن جاءت الإمدادات بقيادة محمد علي بنفسه إلى القوات المصرية، فاضطر إلى عقد الصلح ورحل أسرة آل سعود إلى مصر في قضية مطولة ذكرتها كتب التاريخ ليس هنا محلٌ لتفصيلها.

لقد لاذ تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بالفرار إلى الخرج واعتصم فيها عندما سقطت الدرعية بيد إبراهيم باشا، ثم حكم الرياض أيام تسلم ابن عمه مشاري حكم الدرعية، فلما عاد ابن معمر إلى الدرعية سار تركي إليه وقتله عام ١٢٣٦هـ إلا أن القوات العثمانية قد جاءت إلى الرياض وأجبرته على مغادرتها عام ١٢٣٧هـ، وتمكن بعد مدة أن يعود إليها ثانية، وأن يهزم القوات العثمانية، وأن يخرجها عام ١٢٤٠هـ وعندها جاءت إليه وفود نجد تُعلن له الطاعة، وتمكن من تسيير جيش كبير لمحاربة الخوالد في الأحساء والقطيف، فتمكن منهم، وبايعوه وعادت الدولة السعودية من جديد وعرفت باسم الدولة السعودية

الثانية، وأصبحت قاعدتها الرياض[1].

وتمكن فيصل في هذه الفترة من حكمه أن يخضع المقاطعات الكبيرة لحكم آل سعود بالخصوص الأحساء والقطيف، فقد فك الحصار عن القطيف، وسار منتصرا عندما وصل إليه خبر مقتل أبيه، فما أسرع ما فلت زمام الأحساء والقطيف ثانية من يده، فحاول إعادتهما مرة ثانية بعد رجوعه من مصر التي قضى فيها خمس سنوات تقريباً، اتجه بعدها إلى منطقة حائل، ثم سار إلى الرياض فحاصرها ثم دخلها وقبض على عبدالله بن ثنيان وسجنه، وغدا فيصل سيد نجد.

واستطاع بعد ذلك أن يتجه إلى الأحساء والقطيف عام ١٢٦٠هـ ويخضعهما لنفوذه..

وبعد وفاته دخلت الأحساء والقطيف في سلطة عبدالله الفيصل الذي تمكن من أحكام زمامهما لنفوذه.

ومن ثم دخلت الأحساء والقطيف في حكم عبدالرحمن الفيصل ومن بعده محمد بن سعود بن فيصل، ومن بعده عبدالرحمن بن فيصل للمرة الثانية، ومن بعده عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي تمكن من أخذ الجزيرة العربية عام ١٣٢١هـ ومنها تمكن في عام ١٣٣١هـ من الاستيلاء على الأحساء ومنها إلى القطيف التي دخلها دون مقاومة بل زفت إليه من قبل الزعماء! وقد أشبعنا هذا البحث دراسة في الفصل الخاص بهذه الفترة من حكم الدولة السعودية للقطيف في فصل القطيف وأدوارها التاريخية فراجع، كما أننا هنا نحيل القراء الأعزاء إلى قراءة

---

(١) محمد شاكر مصدر سابق ج٨ ص ٢٦٦ العهد العثماني.

كتاب الشيعة في المملكة العربية السعودية للمؤلف حمزة الحسن، الجزء الثاني الخاص بتطور الحياة السياسية للقطيف والأحساء في عهد الدولة السعودية فتأمل.

أهم الأحداث في القطيف خلال مائة عام:

سوف نتحدث في هذه النقطة عن أهم الأحداث السياسة والاجتماعية التي خاضتها منطقة القطيف وملحقاتها، علما بأننا ذكرنا بعضها في الفصول الخاصة بدراسة كل منطقة على حدة؛ لأن لكل منطقة من مناطق القطيف الأم أحداثا تخصها لمواقعها الجغرافية تارة ولظروفها الخاصة بها تارة أُخرى وإن كانت كلها بينها قاسم مشترك في الأحداث والمواقف والأفكار، إلا أن كل منطقة تستفرد بحدث خاص يميزها عن غيرها.

حادثة الطائرة أنموذجاً:

في عام ١٣٤٨هـ عمت اضطرابات شملت نواحي ومناطق القطيف ابتداء من سيهات وانتهاءً بصفوى مروراً بالعوامية التي كان لها الثقل الأكبر في هذه الثورة؛ بحكم وجود الشيخ محمد بن نمر العوامي ﷺ كموجه وقائد لتلك الحملة، وكان السبب في إشعال فتيلها بعض الخصومات الداخلية، الأمر الذي أعطى الضوء الأخضر للقوات البريطانية أن تتدخل في الشؤون الداخلية ولذلك استنجد بحلفائه البريطانيين فهبوا لنجدته وحاصروا المدينة ومنعوا السفن والسكان من الخروج وأرسيت البوارج الحربية قبالة ساحل المنطقة وفرض الحصار البحري في الوقت الذي كانت الطائرات البريطانية والتي تتخذ من (دارين) مقراً لها تهاجم المواطنين وتلقي المنشورات التثبيطية والتهديدية على رؤوسهم، ومع أن الحصار الاقتصادي البحري كان شديداً

والطيران البريطاني لم يكف عن التهديد بتدمير القرى والمدن على رؤوس أهلها، إلا أن شجاعة المواطنين وحماسهم ونفوسهم الأبية أبت الخضوع والاستسلام، وكان بطبيعة الحال الموجه الأول والأخير الإمام النمر ﵀ وبعد فترة زمنية خضعت بعض قرى ومناطق القطيف، وبقيت بعض المناطق صامدة بفضل مجهود وتوجيهات وعزم الإمام الشيخ محمد بن نمر ﵀، ولم تخضع العوامية قط إلا بعد أن تنازل بعض الوجهاء!

وكانت هذه الحادثة من أكبر الحوادث السياسية التي مرت على المنطقة ولا زال الآباء والأمهات يخبرون بها أبناءهم إلى هذا اليوم حيث اعتبرت قصة وعبرة، وقد نقل لي شاهد عيان: في نفس الأسبوع من نفس السنة (١٣٤٨هـ) التي تم تسليم القطيف وملحقاتها، فقد فقدت المنطقة زعيمها وقائدها الروحي الشيخ محمد بن نمر ﵀.

وقعة الشربة أنموذجاً ثانياً:

وقعت عام (١٣٢٦هـ) وقد كان للشيخ النمر دور بارز وشهير في تحريض الجماهير على الثورة والجهاد، وهذه الحادثة كما يرويها الآباء بقولهم:كان الوقت صيفاً والمكان سوق الخميس، جاء رجل يبيع غنماً فاستقى ماء بارداً من رجل يسمى بالدبوس وبعد الشرب طالبه بالقيمة فامتنع، فحصل من جراء ذلك التشاتم ثم الضرب بينهما. إلى هنا لا تخرج المسألة عن كونها مسألة طبيعية تحدث في كل مكان وزمان، ولكن ولكون الرجل بائع الغنم ينتمي إلى قبيلة لتوها قد لجأت وسكنت أطراف منطقة القطيف، ويعرفها الأهالي بالبدو، وأنها قبيلة مساندة للحاكم الذي كان وقتها يهيئ الأجواء لاحتلال المنطقة، ولهذا فإن الرجل محط علامة استفهام في ذلك الوسط، ولما رأى الأهالي صاحبهم

مضروباً مظلوماً ورأى الطرف الآخر صاحبهم مضروباً تدخلا حتى قامت بينهم نتنة، استعمل فيها السلاح لتكون حرباً استمرت طويلاً.

كما جاء في مجلة المنهل: « أن البدو قد جاءوا بعد بضعة أيام من نشوب الفتنة لأول أيامها، وجاؤوا بجمع كثير، وعسكروا في الجهة الغربية وفي النخيل المجاور للدبابية التي اعتبرت مصدر الفتنة بإطلاق أحد رجالها النار، فكانت هدفهم الأول ثم بعدها واصلوا الزحف إلى مدينة القطيف للانتقام، وكانت هذه المدينة يومئذ تتكون من الشويكة والدبابية والكويكب والشريعة ومياس والمدارس وباب الشمال والجراري والقلعة. وكانت القلعة أكثر تحصيناً ومنعة لما فيها ـ أي القلعة ـ من النساء والأطفال والعجزة والشيوخ، وعاش الرجال في البلد في حذر، وكان ضمن الحاضرين الشيخ محمد بن نمر الذي اتخذ له بيتاً ثانياً في الدبابية، ففي يوم يقيم فيه وآخر يقيم بالعوامية مسقط رأسه.

« وقد رأى أهل القطيف أنهم إن لم يهزموا البداة في هجومهم، فإنهم سيظلون عاجزين عن مقاومتهم، فقال لهم الشيخ محمد بن نمر: اجعلوا الرجال على طول محيط السور وفي البرج. وكان سورها يومئذ محاطاً بالبيوت والبروج. وقال للمواطنين: فإذا رموكم فلا ترموهم وانتظروا حتى ينفذ بعض ما عندهم ثم ابتدؤوا بالرمي، وليكن بصورة متقطعة، وقبل كل شيء ضعوا (قلال) التمر على امتداد الجدار الأمامي من الداخل، وبقدر الإمكان اجمعوا التراب والرماد، فإذا اشتدت الرماية من قبلهم عليكم فالقوا به من أعلى من جهتي الغرب والشمال وعندئذ يظنون أن الحاجز الأمامي قد انهار، فيتقدمون إليكم بجمعهم يريدون دخول البلدة من هذا المكان، وهم لا يبصرونكم من شدة الغبار

وكثافة التراب، وأنتم لهم مبصرون بإطلالكم عليهم، حتى إذا اقتربوا منكم فعندئذ ارموهم رمية رجل واحد، وبهذه الخطة سينهزمون إن شاء الله تعالى».

وبالفعل نفذ أهل القطيف هذا التخطيط البارع الذي خططه لهم الشيخ محمد بن ناصر آل نمر رحمه الله وكانت النتيجة انهزام البادية عن القطيف، ولكن الاصطدامات ظلت معهم متتابعة[1].

وقد عكست هذه الحادثة التي تطاير شرارها إلى كل قرية من قرى القطيف بالحزن والأسى على الأبطال الذين خلفتهم

(١) كتابنا العوامية مجد وأعلام، ج ١، ص ١٣٠. وقد روى العلامة الشيخ فرج العمران قدس سره الحادثة برواية أخرى تختلف بعض الشيء عما ينقله الآباء، وهي كما يلي: «فيقول: إنها وقعت في سوق القطيف في يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى عام ١٣٢٦هـ (يوافق التاريخ ١٨ يونيو ١٩٠٨). وأصلها كما يقول المرحوم الشيخ (أن صبيًا اسمه مكي ابن الحاج ابراهيم الدبوس، من أهالي الدبابية كانت بيده شربة كبيرة (جرّة ماء) متخذة من الطين، ومملوءة ماءً للبيع. ووقعت من يده على الأرض فانكسرت، فرمى بها في الشارع فوقعت قريباً من أحد البداة، فظنّ أنّه رماها عليه متعمّداً، فجاء إليه البدوي فلزم حلقه ليخنقه، ووضع خنجره في خاصرته ليقتله، فاجتمعت عليه الناس فخلصوه. فكثر القال والقيل، وفشا السبّ والشتم، وتوفّر الضرب والجرح، فكانت الحادثة العظيمة بين الشيعة وعشائر السنّة من الصبيح ومطير والعجمان والعوازم والمهاشير وغيرهم، واستمرت الحادثة سبعين يوماً تقريباً (أواخر أغسطس ١٩٠٨، أو أواخر رجب ١٣٢٦هـ) وقتلت من الشيعة والسنّة رجال أبطال وذوو شخصيات، وممّن قتل فيها من الشجاع الباسل جعفر ابن الحاج حسن علي الخنيزي، وكان مقتله في ١٣٢٦/٧/١٨هـ، ودُفن في القلعة في المقبرة المجاورة لبيت آل أبي السعود» الأزهار، ج ١٣، ص ٣٠٣.

الحادثة صرعى، وآخرين جرحى، بل وصلت شرارتها إلى منطقة البحرين، وقد وجدت بعض الأوراق المخطوطة القديمة من مذكرات الحاج الشيخ عبدالحسين بن نمر العوامي: بأن الحادثة أثرت على جميع المنطقة، حتى تجهز أبطال البحرين واستعدوا لنجدة القطيف على البداة، ولكن منعهم عن ذلك المستعمر البريطاني الذي أمر بمنع كل من يحاول النزوح عن طريق البحر إلى القطيف.

أحداث وقعة الشربة من الوثائق البريطانية:

حضي كثير من الأحداث ومجريات الأمور الهامة في المنطقة بأنها أُرِّخت من قبل الوثائق الاستعمارية للدول العظمى التي احتلت المنطقة لسنوات عدة، بالخصوص أن وسائل الاتصال والتخاطب ونقل المعلومات كانت في غاية التدهور، لعدم توفرها في ذلك الوقت، مما اضطر القوى المستعمرة للمنطقة أن تبعث بالرسائل المكتوبة إلى قادتها في الخارج، ومما لاشك فيه أن هذه الرسائل تعتبر اليوم وثائق تاريخية تدلل على تاريخ المنطقة في ذلك الوقت، مما جعلها تحتفظ لنا بشيء من تاريخنا التليد، الذي أهمل تارة وفرض في تدوينه تارة أخرى.

ومن بين الأحداث السياسية التي حفظتها لنا هذه الوثائق الاستعمارية حادثة (وقعة الشربة)، وقد كان طموح أبناء هذه المنطقة المثقفين أن يظهروا تاريخهم لأبنائهم وللجيل القادم ويعرفوا العالم الإسلامي وغيره، على ضخامة تاريخهم وعظمة حضارتهم، وبراعة رجالهم، بذل ما في وسعهم من أجل البحث والتنقيب للحصول على تلك المعلومات والوثائق التاريخية للأحداث المنطقة، فبذل كل فرد منهم

ما استطاع بذله حتى تمكنوا من العثور على بعض تلك الوثائق التاريخية التي تشيد بتاريخنا وحضارتنا وأعلامنا النوادر، فنشرت مجلة الواحة التراثية بعض الوثائق المتعلقة بهذه الحادثة- وقعة الشربة- أحببت للقارئ أن يطلع عليه وهي كالتالي:

الوثيقة الأولى:

رقم ٤٢٢ تاريخ ٨ أغسطس ١٩٠٨

من: الميجور ف. ب. بريدو، المعتمد السياسي في البحرين

إلى: ب. ز. كوكس، المقيم السياسي في الخليج الفارسي

بخصوص تمرّد البدو في منطقة القطيف. أفيدكم بأنني توجهتُ في الثالث من هذا الشهر على ظهر السفينة (لابوينغ) للتحقيق شخصياً في الأوضاع.

فقد نزلتُ إلى البرّ بصحبة نائب الرائد (نائب قائد السفينة) بريدو برون، الذي انتدبه قائد السفينة غولد سميث لقيادة زورق المعتمديّة البخاري (البحرين) في الوقت الحاضر. وقد زرتُ دارين وسيهات وعنك، فوجدتُ أن الأوضاع قد وصلت بالفعل مرحلة بالغة الخطورة، سواء بالنسبة للأتراك أم بالنسبة لسكان بلدان وقرى الواحة الشيعية.

إن سكان قرية سيهات، وحامية عنك العسكرية يتعرضون لهجمات شرسة وحصار متواصل منذ أكثر من اسبوعين، ولم يسمح لهم بالاتصال أو الانتقال أبداً إلى خارج منطقتهم، رغم أنهم لم يتعرّضوا إلى هجوم كاسح حتى الآن.

أما بلدة القطيف نفسها، فتتعرّض لهجوم قوي ومتواصل كلّ

ليلة، وتُسمع زخّات إطلاق الرصاص المتبادل، وإطلاق المدافع من الحصن يتواصل كلّ ليلة.

أمّا في القرية القبليّة دارين، فقد وجدنا الاتصال والتنقّل مفتوحاً وحرّاً بينها وبين البحرين، وهناك من الأسباب الوجيهة ما يدفع للشك بأنّ اتهامات القائمقام القويّة للشيخ جاسم بن محمد بن عبد الوهاب بالتواطؤ مع تمرّد البدو هي اتهامات صحيحة على وجه العموم.

سأُرسل لكم تقريراً آخر حول القضيّة برمّتها في الأسبوع القادم. أمّا الآن فأنا أكتبُ لكم لأعرب عن اعتقادي بأنّه ما لم تُرسل تعزيزات قويّة إلى الواحة وبسرعة، فإنّ الحامية التركيّة ستتعرّض للجوع حتى الموت، وستُجبر على التخلّي عن سكان هذه البلدان والقرى البائسين، وتعريضهم بالتالي لمذبحة شاملة.

تلقيتُ عريضةً وقّعها عدد كبير من تجّار البحرين الذين بيّنوا أنه في أعقاب توثيق علاقاتهم التجارية بواحة القطيف، ونتيجة لذلك، أصبح هؤلاء أنفسهم يتعرّضون لخسارات فادحة نتيجة دمار وانهيار أهل القطيف وتدمير جميع الممتلكات والعقارات في الواحة. كما أنني أتوقّع أن تضطّر السلطات التركيّة في البصرة قريباً إلى استجداء المساعدة الفعليّة من سفننا الحربيّة لحماية ثلاثة معاقل رئيسية ما تزال تقاوم حتى الآن بمباشي عنك قال لي إن مؤونته قد نفذت أو تكاد، وليس هناك من شك في أنّ حال حامية القطيف وسكانها المدنيين أسوأ بكثير.

أعتقد أنه في هذه الظروف، بأن تقدّم الأتراك بطلب المساعدة منّا سيؤخذ بعين الاعتبار ويدرس على الفور، كما أسمح لنفسي بالتعبير

بقوّة عن الأمل بأن يكون رد الحكومة (البريطانية) إيجابياً.

إذا حدث قبل تلقينا ردّكم، وتلقيتُ أنا أو قائد السفينة (لابوينغ) طلباً خطيّاً من القائمقام لتقديم المساعدة الفعّالة للحيلولة دون وقوع مجزرة وشيكة، فإنني سأُوصي الكابتن غولد سميت حتماً باتخاذ جميع الإجراءات الممكنة، باستثناء إنزال قوات مسلّحة على التراب التركي، وذلك بهدف حماية السكان البؤساء وإجلائهم -إن أمكن- إلى البحرين.

الوثيقة الثانية:

برقية من: الأدميرال السير ج. وارندر

إلى: حكومة الهند

في: ٨ أغسطس ١٩٠٨

أفاد كبير ضباط البحر في الخليج الفارسي عن وقوع أعمال قرصنة في القطيف، وطلب استخدام زورق المعتمد السياسي في البحرين. إذا أمكن إعارة الزورق، فسآمر باستخدامه للعمليات العسكرية، وأزوّده بطاقم وعَلَم.

برقية من: حكومة الهند

إلى: الميجور كوكس

في: ١١ أغسطس ١٩٠٨

بالإشارة إلى برقية قائد البحرية المؤرخة في ٨ أغسطس.

لا مانع لدينا من إعارة الزورق، شريطة إصدار أوامر المهمّة الأُصوليّة وتزويد الزورق بطاقم وعَلَم.

الوثيقة الثالثة:

رقم: ٢٤١٩

التاريخ: بوشهر ٩ أغسطس ١٩٠٨

من: الكابتن أ. ب. تريفور، المساعد الأول للمقيم، والمسؤول عن المهام الجارية

إلى: س. هـ. بتلر، سكرتير حكومة الهند في وزارة الخارجية، سيملا.

أُرسل لاطلاعِ حكومة الهند، مذكرةً حول الأحداث الأخيرة في القطيف، وهي مبنية على معلومات تلقيناها من المعتمد السياسي في البحرين.

مذكرة:

على مدى الأيّام العشرة الأخيرة، ارتفعت حرارة العداء والكراهية بين سكان بلدة القطيف وبين البدو. يبدو أن الصراع الذي سببته القضية المشار اليها في برقية هذه المقيمية رقم ١٣٣٠ (مذكرات المقيمية رقم ٢٧ للأسبوع المنتهي يوم ٥ يوليو ١٩٠٨) تمّ ترقيعه مؤقتاً فقط نتيجة وساطة قام بها القائمقام والحاج منصور باشا. أما الطرفان المتصارعان، فيبدو أنهما كانا ينتظران الفرصة المناسبة لاستئناف الأعمال العدائية.

مصدر هذا العداء وإثارته هو المشاكل التي برزت مؤخراً بين أهالي القطيف وبين قبيلتي السبيع والعماير البدويتين الساحليتين، وذلك حين رفض أهالي القطيف السماح لأفراد قبيلتي السبيع والعماير بدخول بساتين التمور لقطف مؤونتهم من ثمار النخيل.

وهكذا انضمّ السبيعيّون والعمايرة إلى بعضهم وتحالفوا مع بدو الداخل، مما أدّى إلى نشوء قوّة كبيرة أحاطت كلّها بالواحة، وقد بدأ هؤلاء باختراق الممرات داخل بساتين التمور وقتل البحرانيين (شيعة القطيف) وكانوا يقتلون اثنين منهم أو ثلاثة في كلّ مرّة.

تضامن الشيعة مع بعضهم للمقاومة، ولكنّهم ردّوا على أعقابهم عدّة مرات، وكبّدوا خسائر كانت تصل حسبما قيل من ثلاثين إلى خمسين رجلاً في كلّ معركة، أمّا خسائر الطرف الآخر فكانت طفيفة بالمقارنة.

وأخيراً أصاب البحرانيين الخوف والوهن، وحاول الجنود الأتراك المتمركزون في عنك القيام بتظاهرة زحفوا خلالها إلى داخل الصحراء، ولكن دون جدوى.

ومنذ ذلك الحين والوضع يزداد سوءاً وخطورة، واجتاح الواحة البدو الذين يقترفون جميع أنواع الجرائم الوحشية. يُقال إن مئات من سكان القطيف قد قُتلوا، وقُطفت ثمار آلاف أشجار النخيل التي قطعت بعد ذلك، كما نُهبت ٢٨ قرية ثم أُحرقت عن بكرة أبيها.

وقد وصل حوالي ٨٠٠ لاجىء من الرجال والنساء والأطفال، ومعظمهم من طبقة صيادي اللؤلؤ، وصلوا إلى سنابس البحرين في يوم ٢٩ يوليو ١٩٠٨، وانتشروا في القرية، حيث احتلّ العديد منهم بيوتاً يخليها أصحابها في هذا الفصل من السنة بحثاً عن مناطق أقل حرارة ورطوبة على شاطىء البحر.

ويقال إن البدو استولوا على جميع الأماكن في الواحة باستثناء حصني عنك والقطيف. ويزيد الوضع خطورة اندفاع البدو إلى البحر حيث يسلبون صيادي اللؤلؤ القطيفيين صيدهم ثم يقتلونهم في البحر. ويقال أيضاً إن قارباً كان يحمل ٢٣ قطيفياً فاجأه البدو بغتة قرب دارين

وذبحوا من فيه حتى آخر رجل منهم.

أما التجار في البحرين، من رعايا بريطانيين وأجانب، والذين لهم مصالح كبيرة تتعرض للخطر في القطيف، فقد رفعوا مذكرة إلى المعتمد السياسي ناشدوه فيها إرسال زورق حربي مزوّد بالمدافع إلى القطيف، حماية لمصالحهم، وإنقاذاً للوضع المتدهور.

وبناءً على ذلك، تحرّك زورق المعتمدية يوم ٣٠ يوليو (١٩٠٨) بأمر من الرائد البحري غولد سميث وقيادة الرائد البحري بريدو برون، قائد السفينة لابوينغ، وذلك بهدف الحصول على معلومات صحيحة وحديثة من قائمقام القطيف. وقد عاد الزورق في الأول من أغسطس حاملاً معلومات تشير إلى أن سكان دارين من المسلمين السنّة (ودارين هي بلدة محمد عبد الوهاب باشا) يتعاونون راغبين أم مكرهين مع البدو دون أيّ اكتراث أو اعتبار لسلطة القائمقام، الذي يزعم أن قراصنة البدو يستخدمون قوارب دارين بحريّة للقيام بعمليات القرصنة ضدّ سكان قرى واحة القطيف وبلدتها. ويقال أيضاً أنَّ عدداً من القوارب الكويتية راسية في دارين، وأن أصحابها يقيمون في الجزيرة بلا عمل، ويخشى القائمقام أن ينضمّ هؤلاء إلى البدو الآخرين في هجوم كاسح على الحصن.

ويقال أن قارباً محمّلاً بأربعين بندقية غادر المحرّق إلى القطيف حوالي الثلاثين من يوليو (١٩٠٨) حين هاجمه البدو بغتة قرب ميناء القطيف، وقد أُصيب النوخذا حمد بن عبداللّه الحسن بجروح طفيفة وهو يحاول إنقاذ البنادق التي وقعت في أيدي البدو الذي أمروه بإعادة قاربه إلى البحرين، وتحذير الآخرين هناك من مغبّة القدوم إلى القطيف.

من المعتقد أن أهل القطيف ناشدوا أمير نجد عبد العزيز بن سعود أن يرسل قوّة لمساعدتهم. وفي الأول من أغسطس (١٩٠٨) أرسل القائمقام برقية إلى مكتب بريد البحرين لإرسالها إلى البصرة طلباً لتعزيزات عاجلة، بما في ذلك بارجة حربية وبعض قطع المدفعيّة.

كانت السفينة لابوينغ وزورق المعتمدية في البحرين على وشك الإبحار إلى المياه القريبة من القطيف في الثاني من أغسطس لمنع مرتكبي أعمال النهب والسلب من التوجّه إلى البحر وارتكاب جرائمهم هناك.

الوثيقة الرابعة:

في: ١٣ أغسطس ١٩٠٨

من: قائد السفينة أ. ن. غولد سميث

إلى: كبير ضباط البحر في فوج الخليج الفارسي (السفينة سفنكس)

تقرير حول تحركات السفينة لابوينع المتمركزة في البحرين

من الواضح أن اضطرابات القطيف مصدرها الأحقاد والضغائن القائمة بين أهالي بلدة القطيف من ناحية وبين البدو، وقد تحالفت قبيلتا السبيع والعماير مع بدو الداخل، وتجمّعت قوّة كبيرة حول القطيف، وأخذت تهاجم البلدة باستمرار، ويعتقد أن ما بين (٣٠ ـ ٥٠) رجلاً يُقتلون في كلّ هجوم يُشنّ على البلدة.

تبدو كلّ المناطق المحيطة بالقطيف وقد صعقها الرعب والخوف والذعر الشديد، أما النشاط التجاري فقد توقّف تماماً. وقُطعت آلاف من أشجار النخيل، ويقال أن ما لا يقل عن ٢٨ قرية قد نُهبت ثم أُحرقت، وهي حقيقة تؤكّدها المظاهر القائمة. كما أن حوالي ٨٠٠ لاجىء غادروا

القطيف إلى البحرين في نهاية شهر يوليو، ومنذ ذلك الحين غادرت القطيف ثلاثة قوارب أخرى محمّلة باللاجئين، ومن المحتمل أن تغادرها أعداد أخرى، لولا خشيتهم من اعتراض البدو لهم في عرض البحر.

ومن الواضح أيضاً أن حصني عنك والقطيف هما الموقعان الوحيدان على الساحل اللذان لم يسقطا في أيدي البدو، وقد علمتُ أن قارباً كان يحمل ٢٣ رجلاً قادمين من القطيف اعترض في البحر مؤخراً، وجرى ذبح جميع من فيه قرب دارين.

أبلغني مساعد الرائد بريدو برون أنه (عملاً بأوامري له بزيارة قائمقام القطيف للسؤال عمّا إذا كانت شائعات وقوع أعمال قرصنة في منطقة القطيف صحيحة، وعمّا إذا كان بإمكاننا تقديم أيّ نوع من المساعدة للقائمقام) وجد أن ما وصلنا عن أعمال القرصنة وعن التمرد في المنطقة صحيح. فقد قال القائمقام بأن الذين يسببون المشاكل والاضطرابات في البحر جعلوا من دارين مقراً لقيادتهم، حيث الأهالي والشيخ جاسم يظهرون تعاطفاً معهم، وهم يقدّمون لهم المؤونة والقوارب. ثم طلب القائمقام مني أن أحتجز وأُصادر جميع القوارب التجارية التي تنتقل بين راس تنورة والبحرين، خصوصاً تلك الموجودة في دارين، وأن أُسلّمها بعد ذلك له، وعندها فقط كما قال سيكون بإمكانه التمييز بين الأبرياء والمذنبين.

وافقتُ على طلبه، وأمرتُ جميع القوارب العاملة في المنطقة بالإبتعاد عن مياه القطيف، وإلاّ تعرضت للاحتجاز. وقال القائقمام إنه سيكون من المستحيل بالنسبة له أن يتحكّم تحكّماً كفواً بالبحر المجاور لمنطقة سلطته بدون مساعدة قطعة بحرية تحمل مدفعاً، وأضاف بأننا إذا كنّا راغبين في مساعدته في هذا المجال،

فإن مساعدة كهذه ستكون مقبولة، وقال: بأنه أبرق يطلب قوات إضافية وقطعة بحريّة مزوّدة بمدافع، ولكن نظراً للأوضاع المضطربة في الأقاليم التركية الواقعة شمال البصرة، فإني أشكّ في إمكانيّة توفر مثل هذا الدعم، وإمكانيّة الحصول عليه.

أقلعت السفينة وزورق المعتمديّة معاً، حيث غادرا صبيحة التاسع من أغسطس (١٩٠٨). رست السفينة مقابل رأس تنورة بعد ظهر اليوم ذاته، وتوجهتُ أنا على ظهر الزورق لزيارة القائمقام. من خلال حديثي معه، اتضح لي أن الاضطرابات في المنطقة في ازدياد بدل أن تخفّ وتتراجع، وقد استغرق الأمر منّي وقتاً طويلاً حتى أحصل من القائمقام على اعتراف بالعجز عن مقاومة البدو نظراً لقلّة عدد الجنود. وإذا لم يحصل القائمقام على تعزيزات قريباً جداً، فقد يصبح الوضع بالغ الخطورة. قال القائمقام إنه يأمل أن يحصل على تعزيزات من البصرة خلال بضعة أيام، ولكن إذا لم يحصل ذلك، وبقي الوضع على حاله، فإنه سيطلب منّي حينئذٍ إنزال جنود ومدافع إلى البرّ لمساعدته في تحقيق هدفه. وهنا أبلغته بأنني سأفعل كلّ ما بوسعي لطرد القراصنة وإبعادهم عن البحر، وذلك لمساعدته وتمكينه من الحصول على الدعم والمؤن، وكذلك لمساعدة الراغبين من الأهالي في مغادرة البلدة على الرحيل منها.

بقيتُ مرسياً زورقي مقابل القطيف طوال الليل، وقد سمعتُ خلاله تبادل نيران كثيف كان يجري في كلّ أنحاء المنطقة. وقد كان تبادل إطلاق النار متواصلاً على مدى الأسبوع الماضي، وسمعه كل من في الزورق خلال زياراتهم السابقة، كما أُمكن مشاهدة العديد من بساتين النخيل وهي تحترق وتلتهمها النيران

من على ظهر زورقنا.

في صبيحة يوم الحادي عشر من أغسطس، زارني الشيخ جاسم (بن محمد بن عبد الوهاب) على ظهر الزورق، وأبلغني أن القرصان أحمد بن سلمان قد انضمّ إلى البدو على اليابسة، وقال أيضاً إن البدو قد غنموا مدفعاً في الحصن التركي في الدمام.

وصباح الثالث عشر من أغسطس، أرسلتُ زورق المعتمدية إلى العقير للاستطلاع وتقصّي الأخبار، بينما توجهت السفينة إلى البحرين، التي وصلتها بعد ظهر هذا اليوم.

توقيع
أ. ن. غولد سميث
قائد السفينة

الوثيقة الخامسة:

مذكرة محضر رقم ١٦٧
تاريخ ١٣، ١٤ أغسطس ١٩٠٨

الخليج الفارسي التمرّد في واحة القطيف وجوارها، والجواب الذي سيقدم للقائمقام فيما لو تقدّم بطلب للمساعدة، وهو ما يتوقّعه المعتمد السياسي في البحرين.

مقدمة: تضمّ واحة القطيف حوالي ٢٦٠٠٠ نسمة، يقيم حوالي ١٠٠٠٠ منهم في بلدة القطيف وضواحيها. ولقد أقام الأتراك سلطة عليها منذ عام ١٨٧١، ولكن إدارتهم للمنطقة تتسم بالفوضى والارتجال.

الوثيقة السادسة:

الأزهار ج ١٣ ص ٣٠٣، قيادة البحرية
في: ١٥ أغسطس ١٩٠٨
إلى: وزير شؤون الهند

سيدي:

بأمرٍ من هيئة قيادة البحرية، أرسل طيه لاطلاع وزير شؤون الهند نسخة من رسالة تحمل تاريخ هذا اليوم، وتتعلّق بتقديم المساعدة للحامية التركية في القطيف.

برقية رقم ١٠٠
من: قائد اسطول جزر الهند الشرقية كولومبو
إلى: قيادة البحرية لندن
تاريخ: ١٥ أغسطس ١٩٠٨

فيما يلي برقية وصلت من الخليج الفارسي حول الأوضاع في القطيف:

القطيف والقرى المجاورة لها يحاصرها اعداد كبيرة من البدو، والحامية الصغيرة هناك تتعرّض لضغوط توشك نتيجتها على السقوط. المجازر والمذابح تتوالى. وتجارة جزيرة البحرين توقفت تماماً.

نحن نراقب الوضع فقط، ونراقب تحركات قراصنة البدو. نحن نقف على أهبة الإستعداد لمساعدة اللاجئين.

السفينتان (ردبرست) و (لابوينغ) تكفيان في الوقت الحاضر، وإذا وافقت الحكومة على تقديم المساعدة للسلطات التركية على شكل قوّة عسكريّة في حال طلبها، فإن المقيم السياسي في البصرة يقترح إرسال

زورق مزوّد بالمدافع في حملة عسكرية عناصرها من سفن الخليج الثلاث لطرد البدو، وإبعادهم عن القطيف، وتمكين القوات التركية من احتلال مواقعهم.

تستطيع سفن الخليج إنزال مدفعين ميدانيين، وأربعة مدافع، وربما حوالي أربعين من جنود البحرية. وسيكون هذا كافياً بالإضافة إلى التعزيزات.

لن يستطيع البدو مواجهة مدافع القوات التركية، ويتوقع أن يغادر البصرة مدفعان يوم ١٦ أغسطس، ولكن والي البصرة لم يطلب حتى الآن المساعدة البريطانية، غير أن الإيحاء بمثل هذه الرغبة سيلقى كلّ ترحيب.

هل توافقون على الإجراءات المبيّنة أعلاه، إذا ما تقدّمت السلطات التركية بطلب المساعدة؟.

انتهت البرقية

لقد أمرته بأن لا يقوم بأيّ إجراء نيابة عن السلطات التركية وبدون موافقة قيادة البحرية العليا.

نسخة من البرقية رقم ٦٧

من: قيادة البحرية

إلى: قائد أسطول جزر الهند الشرقية

تاريخ: ١٥ أغسطس ١٩٠٨

بالإشارة إلى برقيتيكم (٩٧، ١٠٠) تمّ إعلام وزارة الخارجية ووزارة شؤون الهند بأنّ قيادة البحرية لا ترغب في إنزال ذوي المعاطف الزرقاء BLUE JACKETS في القطيف. وإذا ما تقدّم الأتراك بطلب مساعدة بحريّة، فيجب أن تقتصر على ما هو ممكن من البحر، وبواسطة الزوارق.

الوثيقة السابعة:

رقم ٦٠، البصرة في ١٥ أغسطس ١٩٠٨
من: القنصل غري البصرة
إلى: السير ج. لوثر، سفير بريطانيا في القسطنطينية

سيدي:
بالإشارة إلى برقيتي رقم ٥٣ وتاريخ ١٢ من الشهر الجاري (أغسطس) أفيد سعادتكم بأنّ المقيم السياسي والقنصل العام في بوشهر أرسل إليّ برقية يوم ١١ من هذا الشهر لإرسالها إلى كبير ضبّاط البحريّة، الموجود حالياً في البصرة قائداً للسفينة سفنكس.

يقول المقيم السياسي في بوشهر في برقيته، إن سكان القطيف الذين تحميهم حامية صغيرة وغير كافية، هم في وضع بالغ الخطورة والحرج، حيث إنّ البلدة يطوّقها البدو الذين يقدّر عددهم بألفي رجل. ويقول إنه ما لم تصل تعزيزات فإن المتوقع أن يتعرّض سكان البلدة برمتهم لمجزرة ذبح جماعية.

بسبب هذه الظروف تمركزت السفينة لابوينغ في نقطة هي أقرب ما تكون للقطيف، ولكن نظراً للموقع الشاذّ للبلدة لا يستطيع أيّ زورق مزوّد بالمدافع أن يقترب اكثر من مسافة ستة أميال بعيداً عن المباني، وقد علمتُ الآن أن السفينة الحربية ردبرست تستعد هي الأخرى لتقديم المساعدة اذا طُلب منها ذلك.

رأيتُ من المناسب أن ألتقيَ بوالي البصرة، إذ إنّ قائمقام القطيف خاضع لإمرة حسان بيك. بدا لي أنه يرحب بتصرفنا تجاه هذه المسألة، وأخبرني أنهم (الأتراك) يستعدون لإرسال تعزيزات من هنا (البصرة)

إمّا على ظهر الزورق الحربي (كيليد البحر KILID-EL-BEHR) أو سفينة إنزال يتمّ استئجارها، حيث تختلف وجهات النظر بخصوص هذه النقطة بين السلطات العسكرية والسلطات المدنية. فعمق قاعدة الزورق الحربي التركي يبلغ ١٢ قدماً، ولا يمكنه الاقتراب من القطيف أكثر من رأس تنورة. هنا يتوجّب إنزال الجنود بواسطة قوارب، وقد يتعرّضون أثناء ذلك لنار البدو بقيادة جاسم بن محمد بن عبد الوهاب، الذي يسيطر على دارين والمتحالف مع المحاصرين.

سألني الوالي عمّا إذا كان ممكناً الحصول على مساعدة زورق الحكومة البريطانية الموجود تحت تصرّف المقيم السياسي في البحرين، فأبلغته أن ليس باستطاعتي إعطاؤه أيّة معلومات حول هذه المسألة بدون تعليمات من سلطات أعلى. كان الميجور كوكس (المقيم في بوشهر) ذكر في برقيته أن حكومة الهند قد سئلت بالفعل عن مدى المساعدة التي يمكننا تقديمها للأتراك نظراً لمصالحنا التجارية الهامّة هناك.

تؤكد مراسلة من البحرين وصلتنا بعد وصول برقية بوشهر على خطورة الوضع والحاجة إلى قرار عاجل، وقد طالبتُ الوالي بإلحاح أن يرسل تعزيزات على الفور. ومع أنه وعد بذلك، إلاّ أنني لا أثق بوعده كثيراً، لأنّه لا يوجد أكثر من ٢٥٠ جندي في البصرة، والوالي غير ميّال إلى إخلاء البلدة من الجنود وحرمانها منهم.

هذا النقص يحتمل تعويضه حين تصل التعزيزات من بغداد، ولكن في هذه الأثناء من الممكن جداً أن يتناقص عدد أفراد حامية القطيف إلى أنصى حدّ، ممّا قد يجبرها على إخلاء المدينة، وبناءً على هذا أنا مستمرٌ في حثّ الوالي على إرسال جميع من يستطيع توفيرهم إلى مسرح العمليات.

الوثيقة الثامنة:

من: قائد السفينة الحربية (ردبرست) الراسية في مياه القطيف

إلى: القائد القبطان شيرلي لتشفيلد، قائد اسطول الخليج الفارسي. السفينة سفنكس

تاريخ: ١٧ أغسطس ١٩٠٨

تقرير عن الوضع في القطيف

سيدي:

قمتُ بزيارة للقائمقام في القطيف في الساعة السادسة مساءً، وبدا لي أن الأمور واضحة تماماً في ذهنه بالنسبة للوضع، وقال: إنه أُبلغ بأن أعداداً إضافية من الجنود سيرسلون إليه، ولكنه لا يعلم متى ولا كيف. وقال: إن هذا الخبر قد وضع حدّاً لتصرفات البدو، وأنهم لم يهاجموا البلدة خلال الليالي الثلاث الماضية.

لم تصل أيّة أخبار عن القرصان أحمد بن سلمان، ولا يعتقد القائمقام أن القرصان موجود في أيّ مكان قريب من البلدة. لكن حقيقة الأمر هي أن وجود السفينة الحربية (البريطانية؟) هو الذي وضع حدّاً لهجمات البدو، على الرغم من وجودها في مياه البحرين، لأن هؤلاء البدو لا يعرفون متى تبحر السفينة وتتجوّل في تلك المياه (مياه القطيف).

لا أعتقد أن الوضع في القطيف خطير بالقدر الذي ظننناه في بادىء الأمر، ولكن من المؤكد أن قتالاً طويلاً وحامياً وقع هناك. بدا القائمقام راضياً ومقتنعاً بأن كميات المؤونة والذخيرة المتوفرة لديه ستكفي وتدوم حتى وصول القوات التركية.

أبلغته أنني سأظلّ أتجوّل بسفينتي في هذه المياه مدّة عشرة أيام، ثم أرسو في البحرين، وأحياناً في القطيف، وإذا ما سمع بأيّة اضطرابات أو

مشاكل في البحر فما عليه إلاّ أن يبلغني على الفور.

توقيع

ج. أ. شوتر، قائد السفينة

الوثيقة التاسعة:

رقم: ٢٨٤١٧

من: وزارة الخارجية

إلى: قيادة البحريّة

تاريخ: ١٧ أغسطس ١٩٠٨

سيدي:

أمرني الوزير (وزير الخارجية) السير إدوارد غري بأن أشعركم باستلامنا لرسالتكم المؤرخة في الخامس عشر من الشهر الجاري (أغسطس) بخصوص الوضع في القطيف. رداً عليها، أُمرتُ أن أطلب من هيئة قيادة البحرية أن تتفضّل فتوضّح بما لا يدع مجالاً للشكّ لقائد الأسطول في جزر الهند الشرقية، بأنّه لا يجوز له أن يقدّم المساعدة للسلطات التركيّة إلاّ إذا طلب الباب العالي ذلك من حكومة صاحب الجلالة، وإلاّ إذا خوّل هذه الصلاحية من قبل هيئة قيادة البحرية بعد التشاور مع وزارة الخارجية.

وأُمرتُ أن أضيف بأن تقديم المساعدة من قبل أي من سفن صاحب الجلالة يجب أن يقتصر، من وجهة نظر السير إدوارد غري، على إنقاذ حياة الناس فقط.

توقيع

لويس ماليت

الوثيقة العاشرة:

من: السفينة سفنكس

إلى: قائد الأسطول في جزر الهند الشرقية

في: ١٨ أغسطس ١٩٠٨

الموضوع: الوضع في القطيف

سيدي:

أرفق طيّه التقرير المرفق الذي وصلني هذا اليوم من الملازم غولد سميث، قائد السفينة لابوينغ، والمتعلّق بالأوضاع السائدة في القطيف، وبتحركات سفينته هناك.

وصلتني أخبار الأوضاع، في البدء، على صورة رسالة شخصية في السادس من هذا الشهر (أغسطس)، وتحسّباً لما قد يطلب منّا، أبرقتُ إلى سفينة (ردبرست) في مسقط وهنجام في طريق عودتها من كراتشي، طالباً منها التوجّه إلى البحرين، وطلبتُ من قائدها الاحتفاظ بسفينة (لابوينغ) هناك إذا دعت الضرورة، وأن يضع نفسه تحت تصرّف المعتمد السياسي في البحرين.

وفي الثاني عشر من الشهر الجاري، تلقيتُ برقية من المقيم في بوشهر، رأيت من الأفضل أن أرسلها لكم لتطلعوا عليها..، إذ إنه من المتوقع أن يطلب قائمقام القطيف المساعدة البريطانية لإنقاذ السكان من مذابح مؤكّدة بينما الحامية التركية يجري حصارها بهدف إماتتها جوعاً.

كما طلب المقيم زورقين حربيين تمّ توفيرهما، وأفادنا بأن حكومة الهند قد طلب منها الردّ على سؤال حول مدى المساعدة التي يمكننا تقديمها للأتراك نظراً للعلاقات التجارية الوثيقة القائمة بين القطيف والبحرين.

كما رفعتُ لكم مقترحاتي لتزويد زورق المعتمد السياسي بالسلاح لاستخدامه في المياه الضحلة لملاحقة قوراب القراصنة العائدة للبدو، على أن أبقى على اتصال برقي بالبصرة في الوقت الحاضر، وأن أتوجّه إلى القطيف فيما بعد إذا ما دعت الضرورة.

تلقيت موافقتكم على مقترحاتي في برقية رقمها ٢١ وتاريخها ١٤ من الشهر الجاري (أغسطس).

وفي اليوم ذاته تلقيتُ معلومات أخرى في رسائل من المعتمد السياسي في البحرين، أرسها إليّ والى سعادة القنصل هنا (البصرة) تشير إلى أن الأحوال في القطيف وصلت إلى مرحلة التردّي بالغ الخطورة فعلاً.

كان في نيّتي الاعتماد على تعاون قوات التعزيزات التركية، وتغطية عمليّة الإنزال من الزورق البخاري المسلّح العائد للمعتمد السياسي في البحرين، إذ لا السفينة (سفنكس) ولا الزوارق المزوّدة بالمدافع تستطيع الاقتراب لمسافة أميال عدّة بعيداً عن القطيف.

ومن المعتقد هنا، أن هؤلاء البدو لن يواجهوا المدافع أو القوات المنضبطة.

أما موقف والي البصرة الذي تقع القطيف ضمن منطقة صلاحياته القانونية، فيصعب فهمه. كان مطلعاً تماماً على حال الأوضاع يوم السادس من هذا الشهر (أغسطس) هذا إذا لم يكن قبل ذلك، وقد طلب القائمقام في القطيف منه أن يرسل تعزيزات وسفينة حربيّة تركية.

في ذلك اليوم جاءني الوالي ليرد على زيارة سابقة، وقال لي إنه سيرسل قوات، ثم أعرب عن أمله بأننا سنقدّم له المساعدة التي

سيرحب بها أجمل ترحيب، كما أعـرب عـن شـكره للدعـم والمسـعادة المعنويـين اللذيـن قدمـا فعـلاً إلى القائمقـام في القطيـف بصـورة غـير مباشرة، وذلك نتيجة وجود الباخرة (لابوينغ)، وكذلك الإجراءات التي اتبعت للحدّ من نشاط وعمليات القرصنة.

أبلغتُ الـوالي أنـه لا يمكـن تقديـم مسـاعدات فاعلـة أخـرى إلاّ بطلب رسمي لم يقدّمه بعد، وهو طلبٌ يجب أن يكون خطيّاً، توافق عليـه الحكومة، وقد ألححتُ عليه أن يرسل الجنود وزروقه الحربي دونما تأخير. كما حثّ القنصل البريطاني هنا (البصرة) الوالي مـراراً وتكـراراً علـى الإسراع في إرسال التعزيزات ولكن دونمـا أيـة نتيجـة حتـى الآن، وقـد رفض الوالي إرسال الزورق الحربي كيليد البحر في كل الأحوال.

قبـل بضعـة أيـام، أبـرق القنصـل (البريطـاني في البصـرة) إلى القسطنطينية يقترح القيام بخطوات هناك للحث على الإسراع في إرسال التعزيزات. وفي الخامس عشر من هذا الشـهر (أغسـطس) أكـد الـوالي لسـعادة القنصـل بمـا لا يـدع مجـالاً للشـك أن ١٥٠ جنديـاً ومدفعـين سيتوجهون إلى القطيف على ظهر الباخرة كـيزيمي المعـدّة لخـوض الميـاه الضحلة وذلك في يوم ١٦، لكن إرسالها تمّ تأجيلـه. ويقـال الآن أن ١٨٠ جندياً سيتحركون غداً، في حين يقدّر عدد أفراد الحاميـة في القطيـف في الوقت الحاضر بسبعين رجلاً.

بعد لقائه به، أبلغني القنصل أن الوالي ربما لن يتقدم بطلب أو نـداء رسمي خطّي للحصول علـى المسـاعدة البريطانيـة، ولكنـه لـن يعـترض أو يستنكر تدخّل القوات البريطانية أبداً، ويبدو انه ما يزال يأمل في الحصـول على مساعدات دون أن يعرّض نفسه لمثل هذا الموقف والى هذا الحدّ.

ربما يعود تلكّؤ الوالي إلى خوفـه مـن إمكـان تنـاقص عـدد أفـراد

حامية البصرة، وهي الحامية التي تضاءلت نتيجة إرسال أعداد كبيرة من أفرادها لإخماد الإضطرابات في أعالي النهر، كما أن قائد تلك القوات متحمّس جداً لإرسال قوات دعم وإمداد على الفور.

الاتصال بالبحرين (من البصرة؟) أمرٌ في غاية الصعوبة، فلا يوجد فيها جهاز برقي، والبريد يصلها من بوشهر مرّة كلّ خمسة عشر يوماً. وهناك بريد إسبوعي يأتي من مسقط، ولكن برقية ترسل إلى مسقط، يستغرق إرسالها بالبريد من البحرين إلى المرسل إليه خمسة أيام. أنا أقترح بل وأرى أنا لأوضاع الحالية تظهر مدى الحاجة إلى إقامة اتصال برقي هنا (البصرة).

ما إن وصلتني أولى المعلومات يوم السادس من هذا الشهر (أغسطس) حتى سارعت بالكتابة إلى الرائد البحري شوتر مبيّناً له مدى ضرورة التصرّف بحذر بالغ تجاه قضيّة القطيف هذه، وألاّ يستخدم القوّة إلاّ في حال وقوع عمليات قرصنة فعليّة.

في ١٤ من الشهر الجاري (أغسطس)، قدمت لنا الباخرة فرصة لمعاودة الاتصال مرّة أخرى، وقد أبلغت قائد السفينة في البحرين أن عملياته يجب أن تقتصر على الحدّ من عمليّات القرصنة وحماية اللاجئين الهاربين، وذلك بانتظار قرار من الحكومة (البريطانية).

وكانت نيّتي من وراء كل الترتيبات (تجنيد كل رجل أوروبي وجد في المنطقة) هو الإسراع في التوجّه إلى القطيف وتوجيه العمليات هناك وعلى الطبيعة.

تلقيتُ برقيتكم رقم ٢٢ يوم ١٦ من الشهر الجاري، وكانت أوامركم تقضي بعدم المشاركة في أيّة عملية نيابة عن تركيا إلاّ بعد

الحصول على موافقة قيادة البحريّة، وأن تقتصر جهودنا على تقديم المساعدة للاجئين كلّما دعت الحاجة. في وقت متأخر من ذلك اليوم تلقيتُ برقيتكم رقم ٢٣ التي أبلغتموني فيها أن قيادة البحرية ترفض إنزال ذوي المعاطف الزرقاء إلى برّ القطيف، وأن تقتصر المساعدات البحرية على ما يمكن تقديمه بالقوارب ومن البحر.

كنتُ قد أصدرتُ أوامري على ضوء هذه التعليمات الواردة أعلاه، ولكن نظراً لهذا الأمر القاطع الأخير، ورغبة مني في أن لا تقع أيّة أخطاء، قررتُ التوجّه إلى بوشهر، حيث ستصل السفينة (لابوينغ) كما سمعتُ لتوّي، لتأخذ مؤونتها من الفحم غداً. سأظلّ على اتصال بالرائد البحري غولد سميث، وإذا دعت الحاجة فسأتوجّه بنفسي إلى القطيف، وأتحاور مع الرائد شوتر، وأتأكّد بخصوص حالة الأوضاع هناك، ثم أعود إلى الفاو لأستعيد الاتصال البرقي يوم ٢٥، بعد زيارة الكويت، التي طلب منّي المعتمد السياسي التوجه إليها والحضور هناك يوم ٢٢ من الشهر على وجه الخصوص. من المحتمل أن تأتي السفينة (لابوينغ) بطلب مساعدة من المقام ؟؟؟.

بينما حالة القلاقل مسمرة في هذا الجزء من البلاد، فسيكون وجود سفينة في النهر ضرورياً لحماية المصالح البريطانية، هذا بالإضافة إلى متطلبات موسم قطف التمور.

سأرسل تقريراً في أقرب فرصة ممكنة.

توقيع/ شيرلي لتشفيلد

قائد الأسطول في الخليج الفارسي

الوثيقة الحادية عشر :

من: نائب الملك
في: ١٩ أغسطس ١٩٠٨
خارجي سرّي

بالإشارة إلى برقيتنا رقم... وتاريخ ١٣ أغسطس بخصوص القطيف. نرسل البرقيات التالية لاطلاعكم:

الأولى: من القنصل العام في بغداد، مؤرخة في ١٥ أغسطس:

« يبدو أن سكان بغداد لا يعرفون شيئاً عن قضيّة القطيف. أمّا الوالي فيبدو متكتّماً وميّالاً للتعامل مع المسألة باعتبارها لا أهمية لها. يقول القائد باشا إن المسؤول المدني في القطيف، والذي يوجد تحت إمرته قوّة مؤلّفة من ٧٠ رجلاً، طلب أغذية وتعزيزات يوم الثالث من أغسطس (تقريباً). وقد تمّ إرسال ٢٠٠ جندي من البصرة على ظهر الزورق الحربي التركي كيليد البحر، ويتوقع أن يغادر بغداد أيضاً مائة رجل آخرون ومعهم مدفع واحد متوجهين إلى القطيف خلال بضعة أيّام » .

الثانية: صادرة عن بوشهر بتاريخ ١٥ أغسطس وتقول:

« اكّد والي البصرة للقنصل وطمأنه إلى أن قوّة دعم مؤلّفة من ١٥٠ رجلاً ومعهم مدفعان تغادر البصرة غداً متوجهة إلى القطيف » .

برقية رقم ٣٠٨٢٠/ ٢٠٣ P
من: السير إدوار غري (وزير الخارجية)
إلى: السير ج. لوثر (السفير في القسطنطينية)
في: وزارة الخارجية، ٤ سبتمبر ١٩٠٨

أبرق القنصل العام في بوشهر إلى نائب الملك يقول إن ٣٢٠ جندياً تركياً بدأوا رحلتهم باتجاه القطيف. غادر الجنود البصرة يوم ٢٦ من الشهر الماضي ومعهم مدفعان.

الوثيقة ثانية عشر:

رقم: ٢٥٥١

تاريخ: بوشهر، ٢٣ أغسطس ١٩٠٨

من: الكابتن أ. ب. تريفور، المساعد الأول للمقيم والمسؤول عن المهام الحاليّة.

إلى: س. هـ. بتلر، سكرتير حكومة الهند في وزارة الخارجية، سيملا.

بخصوص موضوع الأحداث الأخيرة في القطيف، أرسل لكم مذكرة أخرى حول هذا الموضوع مبنيّة على معلومات تلقيناها من المعتمد السياسي في البحرين.

مذكّرة:

على إثر عودة السفينة (لابوينغ) من القطيف يوم ١٣ أغسطس، أبلغ قائدها غولد سميث المعتمد السياسي في البحرين أنه زار القائمقام يوم التاسع من الشهر الجاري (أغسطس)، وأن هذا الأخير أبلغه بعد تردّد أنه إن لم تصله التعزيزات خلال أسبوع، فإنه يخشى أن يضطرّ إلى طلب زورق حربي (بريطاني) لتقديم بعض المساعدة الفعّالة على الشاطئ.

أمضى الكابتن سميث ليلته على ظهر (البحرين) الزورق البخاري التابع للمعتمدية، خارج بلدة القطيف، وقد سمع خلال الليل تبادل إطلاق النار على امتداد المنطقة بأكملها. ويوم الحادي عشر من أغسطس صعد الشيخ جاسم شيخ دارين على ظهر السفينة (لابوينغ)

وتطوّع بتقديم معلومات مفادها أن القرصان سيّء السمعة أحمد بن سلمان قد انضمّ إلى البدو مع قواته، وأن البدو استولوا على مدفع قديم من حصن الدمام المدمر (والذي كان فيما مضى معقل الزعيم الشيخ عبدالله بن أحمد، شيخ البحرين) وحملوه إلى نقطة تشرف على القطيف لاستخدامه في ضرب حصنها.

كما وصلت إلى البحرين ثلاثة قوارب محمّلة باللاجئين الفارين من القطيف يوم ١٣ أغسطس، وقد أكّد هؤلاء الأخبار عن أحمد بن سلمان، وقالوا: إنه أشعل فتيل المدفع بنفسه مرتين، ولكن الأتراك قاموا بعد ذلك بهجوم مباغت استعادوا على إثره المدفع.

أمّا الرائد البحري بريدو برون، الذي كان أرسل يوم ١٣ من هذا الشهر لتفحّص الخط الساحلي من الدمام إلى العقير في زورق المعتمدية، فقد عاد إلى البحرين يوم ١٤ أغسطس، بعد أن التقى بمدير العقير، حيث استقبله هذا الأخير بأدب جمّ، وأبلغه أنه فقد الأمل بعودة ابن سعود إلى جوار القطيف.

بوشهر في ١٨ أغسطس ١٩٠٨

الوثيقة الثالثة عشر:

رقم: ٢٥٨٢

تاريخ: بوشهر، ٢٩ أغسطس ١٩٠٨.

من: الكابتن أ. ب. تريفور، المساعد الأول للمقيم والمسؤول عن المهام الحالية.

إلى: س. هـ. بتلر، سكرتير حكومة الهند لدى وزارة الخارجية في

سيملا.

فيما يتعلّق بأحداث القطيف الأخيرة، أرسل لاطلاع حكومة الهند مذكرة جديدة حول الموضوع، مبنيّة على معلومات تلقيناها من المعتمد السياسي في البحرين.

مذكّرة:

(٢٥أغسطس ١٩٠٨)

آخر الأخبار الآتية من مصدر موثوق، والتي حملها قارب شراعي آتٍ من القطيف تقول ما يلي:

١ ـ في ليلة السادس عشر من أغسطس، أبحرت مجموعة مؤلّفة من مائة رجل من بلدة القطيف في محاولة لشراء بعض الخضار. قتل المحاصرون ستة منهم.

ملاحظة: مترجم السفينة لابوينغ هو الذي سمع هذا حين نزل إلى برّ القطيف صبيحة اليوم التالي لحدوث الحادثة المذكورة، برفقة الكابتن شوتر والكابتن غولد سميث. ولكن من الواضح أن أحداً لم يصدّق قصّته عى إثر إعلان القائمقام بأن البدو توقّفوا عن إزعاج البلدة.

٢ ـ وفي الثامن عشر من أغسطس، هاجم البدو بلدة سيهات، فقتلوا سبعة من المدافعين عن البلدة، وجرحوا ثلاثة.

٣ ـ أرسل الحاج منصور باشا رسالة إلى صديق له في البحرين يقول فيها، إن أهالي البلد شارفوا على الموت جوعاً.

٤ ـ سكان قرية القديح، وهي قرية مسوّرة قريبة من القطيف، تمكّنوا بعد أن شارفوا على الوقوع في الأسر، من شراء حريّتهم من

البدو، حيث دفعوا لهم ٤٠٠٠ روبيّة، وسلّموهم ثمان بنادق.

٥ ـ ما يزال هناك قرويّون يقاومون، على الرغم من اشتداد الضغط عليهم، في الكويكب والدبابيّة ومدارس وميّاس والشريعة، وهي جميعاً قرى تشكّل ضواحي البلدة (القطيف).

٦ ـ يعتقدون في البحرين، أن عبد العزيز بن سعود يشجّع البدو على الاعتداء، وأنّه لن يتدخّل إلاّ إذا عُرض عليه حكم الواحة.

الوثيقة الرابعة عشر:

الموضوع: الوضع في القطيف

من: قائد السفينة سفنكس في بوشهر

إلى: رئيس أركان الأسطول في جزر الهند الشرقية

تاريخ: ٢٠ أغسطس ١٩٠٨

رقم: ٤٢

سيدي:

يبدو من التقارير الخطيّة والشفهيّة الواردة لي، ان الوضع في القطيف قد تحسّن كثيراً، وفي رأي الرائد البحري شوتر، أن الأمر لم يكن أبداً بتلك الدرجة من الخطورة التي تصورناها سابقاً، وقد يكون الرائد البحري شوتر على حق. ويبدو من غير المحتمل الآن أن يطلب الأتراك مساعدتنا العملية.

التعزيزات التي طال انتظار تحرّكها من البصرة يفترض أن تكون قد غادرتها يوم ١٨ أغسطس، ولكني لم أسمع شيئاً عن مغادرتها البصرة حتى الآن.

التقارير التي تتحدث عن زحف هذه التعزيزات يبدو أنها حدّت

من نشاط البدو، وليس هناك من سبب الآن يمنع مغادرة اللاجئين الذين يودّون الهرب من القطيف، أو يمنع استئناف النشاط التجاري.

وقد علمت أن أهل القطيف ربما يستعيدون ثقتهم بأنفسهم حين يعلمون بوصول المجموعة التي توجهت إلى البحرين سالمة، والتي غادرت القطيف بعد توجيه الإنذار إلى قوارب القرصنة بالابتعاد عن المنطقة، وهو الإنذار الذي أطلقته السفينة لابوينغ وزورق المعتمدية.

وفي اعتقادي، أنه لا داعي لوجود قطعة بحرية أو أكثر مزوّدة بالمدفعيّة، سواء في مياه البحرين أو مياه القطيف، في الظروف الحالية.

وإذا ما طرأت تطورات جديدة على الوضع في القطيف، وطلبت منّا المساعدة، وتمّت الموافقة على مثل هذا الطلب، فإنني وعلى ضوء المعلومات الجديدة المحليّة التي قدّمها لي الرائد غولد سميث، لا أرى ولا أعتقد أن بإمكان أيّة قوّة يمكن إنزالها إلى البرّ من سفن فوج الخليج أو حتى من إحدى السفن الأكبر حجماً، أن تقدّم أكثر من الاحتفاظ بالحصن الواقع قرب شاطئ القطيف، وربما طرد البدو من بساتين النخيل القريبة من أسوار البلدة.

لكي يمكن طرد البدو من المناطق المجاورة للقطيف وتطهيرها منهم، وعلى افتراض أن لديهم من الذخيرة ما يكفي، وأن التعزيزات القادمة من البصرة لدعم حامية القطيف لن تستطيع استنفاذ صبرهم.. فإن ملة عسكرية لا يقلّ تعدادها عن ٥٠٠ رجل من أهل البلاد ستكون مطلوبة وضرورية، ويمكن إنزالها إلى البرّ بيسر وسهولة أكبر في المنطقة الممتدة شمال رأس تنورة.

وليس هناك من سبب، كما يبدو، لحدوث مجاعة أو تجويع بين

أفراد الحامية الحالية، طالما بقيت قوارب القراصنة بعيدة عن مياه البلدة، وطالما ظلّت القلعة القائمة على ساحل القطيف صامدة، والسيطرة على الشاطئ مقابل البلدة مؤمّنة.

علمتُ أن ضعف الثقة بالنفس، وانعدام القدرة على التخطيط، هما اللذان يحولان الآن دون قيام اتصالات بحرية دائمة وآمنة بين القطيف والبحرين.

فيما يتعلّق بالمعلومات الجديدة التي قدمها الرائد غولد سميث في تقريره المؤرخ في العشرين من الشهر الجاري (أغسطس)، يبدو أنه كان من الأفضل لو أن المعتمد السياسي قابل القائمقام بنفسه. أبلغني الرائد غولد سميث أن ما أقدم عليه من توجيه إنذار لقوارب دارين بالابتعاد عن مياه القطيف وجوارها، إنّما حدث بناءً على طلب وموافقة المعتمد السياسي، ويبدو أن هذا التصرّف اعتبر مبرّراً على إثر النتائج المتمثلة في توقّف عمليات القرصنة.

كما علمتُ أن الشيخ جاسم، شيخ دارين، مشكوكٌ في أمره، وهي شكوك في محلّها، وأن هذه الشكوك تتركز حول تعاونه مع البدو.

أصدرتُ تعليمات إلى الرائد شوتر تنصّ على أنّه في حال إجراء مقابلات أُخرى مع القائمقام (في القطيف) وإذا ثبت أن مثل هذه المقابلات أمرٌ ضروري، فيجب أن يطلب من المعتمد السياسي (في البحرين) أن يرافقه وأن يقابل القائمقام شخصياً، أو أن يتبادل الرسائل معه.

أرى أنه ليس من المصلحة أن نُظهر تحيّزاً للأتراك على هذا النحو؛ لأنّ هذا التحيّز قد يشجّع آمالهم بأننا نرغب في تقديم

المساعدة، ممّا قد ينتج عنه تأخيرٌ جديد في إرسال التعزيزات التركية المناسبة.

توقيع
شيرلي لتشفيلد

الوثيقة الخامسة عشر:

في: ٢٠ أغسطس ١٩٠٨

إبلاغ عن تحركات السفينة الحربية (لابوينغ) الراسية في بوشهر

إضافة إلى تقرير تحركات السفينة لابوينغ في مياه القطيف والمرسل اليكم بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩٠٨، أبلغكم الان بما يلي:

تلقى الرائد البحري بريدو برون طلباً خطيّاً من قائمقام القطيف لاحتجاز القوارب المتنقّلة بين رأس تنورة والبحرين، وبناءً عليه أمرتُ جميع القوارب الراسية في دارين بمغادرتها، وإلاّ فإنّها ستحجز، وتجرّ إلى القطيف.

أمّا قوارب صيد اللؤلؤ القادمة من الشواطئ، فقد سمح لها بالدخول والتزوّد بالمياه، على ألاّ تبقى في الميناء مدّة تزيد عمّا هو ضروري جداً. كما أبلغتُ جميع القوارب الصديقة فعلاً، أنّها إذا رغبت في نقل المؤن إلى دارين، فإن عليها أن تحصل على إذن خطّي من المعتمد السياسي في البحرين، قبل أن أسمح لها بالتوجّه إلى هناك.

أوضحت للقائمقام بأنني لن يكون بإمكاني القيام بعمل عسكري مسلّح إلاّ إذا قدّم لي طلباً خطيّاً بذلك، وعندها سيكون عليّ طلب إذنٍ بذلك من حكومتي.

من الصعب جداً الحصول على معلومات موثوقة من القائمقام، وليس هناك من سبب ظاهر الآن يمنع مجموعات إضافية من اللاجئين من مغادرة القطيف، إذ لديهم قوارب موجودة تحت تصرّفهم، ولا يتوقّع أن تحاول قوارب القرصنة العودة إلى القطيف بينما السفينة الحربية البريطانية موجودة في البحرين أو في الجوار.

إذا أصبح في أيّة فترة مستقبلية من الضروري إرسال طواقم قوارب مسلّحة إلى القطيف، فستكون تلك عمليّة بالغة الخطورة، وذلك بسبب ضحالة المياه حول القطيف، ولأنّ الزوارق الحربيّة لا يمكنها الوصول إلى القطيف إلاّ حين يكون المدّ عالياً.

توقيع
أ. ن. غولد سميث
(قائد السفينة)

الوثيقة السادسة عشر:

السفينة الحربية (سفنكس)
في: ٢١ أغسطس ١٩٠٨
مذكرة إلى: قائد السفينة (ردبرست)

أولاً: منذ أن أرسلتُ مذكرتي المؤرخة في ١٤ من الشهر الجاري، وصلتنا برقياً الأوامر والتعليمات التالية من رئيس الأركان، ونرسلها بدورنا لكم للإطلاع والعمل بموجبها:

يجب إبلاغ المعتمد السياسي في البحرين بما يلي:

١ ـ ينبغي ألاّ يتخذ أيّ إجراء نيابةً عن تركيا بدون موافقة قيادة

البحريّة، ولكن ينبغي مساعدة اللاجئين فقط، وحسب الضرورة.

٢ ـ أبلغت قيادةُ البحرية وزارة الخارجية ووزارة شؤون الهند، أنها لا ترغب في إنزال جنود المعاطف الزرقاء إلى القطيف. وإذا صدر أمر بتقديم المساعدة البحرية، فيجب أن تقتصر على ما هو ممكن من البحر وبواسطة القوارب (استلمت بتاريخ ١٦ أغسطس).

٣ ـ أبرقت قيادة البحرية إلى رئيس الأركان بالتالي:

في حال تقديم طلب للمساعدة (من قبل الأتراك) اطلبوا تعليمات قبل إعطاء الإذن بالتصرّف (استلمت بتاريخ ٢٠ أغسطس).

ثانياً: أنتم ملزمون إذن بحصر أعمالكم في مياه البحرين والقطيف في نطاق محاربة القرصنة وتمكين الزوارق من التحرّك والإبحار ما بين البحرين والقطيف بسلام.

وإذا ما رغب أيّ لاجيء بالرحيل عن القطيف، فسيكون بإمكانهم عندئذ أن يفعلوا ذلك بدون مساعدة، ودون خوف من المضايقات والاعتداءات، وإذا ما عادت الثقة، ربما يستأنف النشاط التجاري أيضا.

ثالثاً: يبدو لي أن زورقاً حربيّاً واحداً سيكون كافياً، بالاشتراك مع زورق المعتمديّة، لهذه المهمّة، ولقد فهمتُ من رسالة تلقيتها من الميجور بريدو (المعتمد)، أنه لن يعترض على سحب السفينة (لابوينغ) حين يطّلع اطلاعاً كاملاً على موقف آمريّة البحر، ووجهة نظرها تجاه هذه المسألة. وفي كلّ الأحوال ينبغي على السفينة لابوينغ أن تعود إلى بوشهر

للالتقاء بي هنا يوم الخامس والعشرين من الشهر الجاري، لتقدّم لي آخر المعلومات حول الأوضاع، خصوصاً فيما يتعلّق بسلامة وأمان التنقّل بين البحرين والقطيف، وما إذا كانت هناك أيّ بوادر لاستئناف النشاط التجاري.

رابعاً: نوجّه انتباهكم إلى المادة ٢٤٩ من نُظم الخدمة البحرية التي نرغب إليكم اتباعه، خصوصاً تجاه القضيّة الحالية، ولا أريد منك ولا من أيّ ضابط خاضع لإمرتك أن تجري أيّة مقابلات أخرى مع القائمقام، ولقد أوضحتُ أسبابي بهذا الخصوص للمعتمد السياسي. وإذا كان الاتصال بقائمقام القطيف ضرورياً، فعليك ان تطلب من الميجور بريدو (المعتمد السياسي في البحرين) أن يقوم بذلك، إمّا شخصياً أو كتابة. وإذا كان القائمقام يرغب في إرسال رسالة أو تقرير إليكم أو إلى المعتمد السياسي، فيمكنه إرساله بالطريقة التي سيكون عليك تأمينها.

خامساً: وإذا ما أرسل القائمقام إليكم أو إلى الميجور بريدو، طلباً خطيّاً لمساعدته، فأرسله إليّ شخصياً على الفور برقياً عن طريق بوشهر، ثم بلّغ قيادة البحرية بذلك.

سادساً: كان من المتوقع أن تغادر البصرة قوّة مؤلّفة من ١٨٠ جندياً ومدفعين، وذلك في ١٨ من الشهر الجاري، ولكني لم أسمع بعد بمغادرتها.

سابعاً: لن تذهب (لابوينغ) الىكراتشي في كلّ الأحوال، والسفن الحربية الثلاث باقية في مياه الخليج في الوقت الحاضر.

ثامناً: ابق على اتصال دائم بي لإبلاغي واطلاعي في كلّ مناسبة

على الأوضاع. سأعود إلى هنا في ٢٥ من هذا الشهر، وسأخبركم عن كلّ تحركاتي المستقبليّة في حينها، كما أن تحركاتي ستكون معروفة لدى المساعد الأول للمقيم.

توقيع
شيرلي لتشفيلد
قائد أُسطول الخليج وكبير ضباطه

الوثيقة السابعة عشر :

من: قيادة البحرية
إلى: وزارة الخارجية
في: ٢٢ أغسطس ١٩٠٨

سيدي:

رداً على رسالتكم المؤرخة في ١٩ من الشهر الجاري، أمرتني قيادة البحريّة أن أطلب منكم إبلاغ وزير الخارجية بأن البرقية التالية أُرسلت إلى قائد الأُسطول في جزر الهند الشرقية:

« بالإشارة إلى برقية قيادة البحرية رقم ٧٨، تفيد وزارة الخارجية أن الباب العالي لم يطلب المساعدة البريطانية في القطيف، على الرغم من إدراكه ومعرفته بوجود السفن الحربية البريطانية في المياه المجاورة. وسيرسل الباب العالي كتيبة عسكرية من البصرة » .

وقد تمّ تلقي إشعار باستلام قائد الأُسطول للبرقية

توقيع
و. غراهام غرين

الوثيقة الثامنة عشر:

من: السفينة سفنكس في البصرة

إلى: رئيس أركان البحرية في جزر الهند الشرقية

في: ٢٨ اغسطس ١٩٠٨

تشير آخر التقارير إلى تحسّن آخر في أوضاع القطيف، والى احتمال انتهاء للاضطرابات وشيك.

حين عدّتُ إلى هنا أمس، سمعتُ أن ٣٢٠ جندياً تركياً ومدفعين أبحروا إلى القطيف يوم ٢٦ من الشهر الجاري (أغسطس).

لم تقع أيّة حوادث قرصنة منذ تمّ طرد القوارب من دارين، والقوارب الثلاثة التي غادرت القطيف محمّلة باللاجئين يوم ١٢ أغسطس وصلت سالمة إلى البحرين، كما وصل عشرة قوارب سالمة إلى البحرين قادمة من القطيف وهي ترفع العلم التركي، وذلك يوم الثالث والعشرين من الشهر الجاري.

كما أن الأغذية والمؤن بدأت بالوصول إلى القطيف، باستثناء حصن منعزل في قرية مجاورة، ما يزال مقطوع الاتصال بالخارج، وهو في وضع سيّء.

ويبدو أن هجمات البدو لم تعد تحمل ذلك التصميم والإصرار، ولا ذلك التكرار الذي كان لها في السابق.

أوكلتُ إلى السفينة ردبرست وزورق المعتمدية (البحرين) مهمّة منع أعمال القرصنة، ويفيد الرائد شوتر بأن الثقة بالأمن بدأت تعود إلى مسافري البحر.

للحيلولة دون استيلاء البدو على القوارب الراسية في دارين، ثمّ

استخدامها في أعمال القرصنة، صدرت أوامر بمنع رسو القـوارب هنـاك مدداً أطول من اللازم عند حضورها للتزوّد بالمـاء والمـؤن. كمـا أبلغـني الشيخ مبارك شيخ الكويت بأنه أصدر أوامر مشدّدة للقـوارب الكويتيـة للالتزام بهذا الترتيب.

ورغبة منّا في فصل العمليات البحرية البريطانية الهادفة إلى القضاء على القرصنة عن أيّ عملية قد تبدو تدخلاً من قبلنا لصالح الأتراك، أو تدخّلاً في شؤونهم، صدرت الأوامـر إلى الرائـد البحـري شـوتر (قـائد ردبرست) بأن يتحاشى زيارة القطيف بسفينته، ما لم يكن ذلك ضرورياً للغاية، للتأكّد من عدم وقوع أعمال قرصنة هناك.

أمّا دارين، فسيزورها الزورق التابع للسفينة كلّما دعت الحاجـة، وذلك للتأكّد من عدم وجود قراصنة مختبئين فيها. إن البـدو يعرفـون أن السفن الحربية البريطانية ترابط قريباً من القطيف لمنع القرصنـة، ونحـن نرى أن ظهور الزورق التابع للبحرية في تلك المياه، بينما ترسو السفينة ردبرست في البحرين، أو مبحرة قرب شواطيء صيـد اللؤلـؤ، سـيكون كافياً لردع القراصنة عن النزول إلى البحر.

وقد صدرت أوامر تقضي بعدم نـزول أي شـخص (مـن السـفن البريطانيـة) إلى بـرّ القطيـف أو داريـن، باسـتثناء المعتمـد السياسـي شخصياً، وإذا رغب هو في ذلك. كما أمرتُ القطع الحربيـة بـألا تمتثـل لأيّ طلب من القائمقام إلاّ إذا صدرت تعليمات تقضي بذلك.

يفترض أن الشيخ جاسم، شيخ دارين، متورّط كما يظـن في تمـرّد البدو، ولكني علمتُ أن موقفه العام هو الحياد الظاهري (الجلوس علـى السياج بانتظار النتائج).

حين زار الرائد شوتر قائمقام القطيف يـوم ١٦ أغسـطس الجـاري

(قبل أن تصله تعليماتي وأوامري) طلب منه القائمقام أن يلقي القبض على الشيخ جاسم ويسلّمه له، لكن الرائد شوتر أوضح للقائمقام وهو محقّ في هذا أنه ليس بمقدوره القيام بمثل هذا العمل.

أمرتُ بسحب السفينة لا بوينغ من البحرين وأرسلتها جنوباً باتجاه مسقط، حيث الطقس الحار جداً قد انتهى أو شارف على الانتهاء، وسنتصل بها برقياً لتكون جاهزة لأداء أيّة خدمة قد تطلب منها.

عندما زرتُ الكويت في الفترة الواقعة بين ٢٢ و ٢٤ من الشهر الجاري، أبلغني الشيخ مبارك أن القطيف طلبت منه المساعدة والدعم لمهمّة تشتيت البدو وإبعادهم، ولكنه ردّ بالقول إنه لا يعتقد أن مثل هذا التدخّل في صراع بين السلطات التركية المحليّة والبدو سيكون صحيحاً ولائقاً.

أعتقد أنه ربما يكون مقبولاً أن نتوقّع عودة السلام إلى القطيف بعد وصول القوات المرسلة من البصرة مباشرة. ولكن القطيف سيّئة الحظ ستتكبّد خسائر جسيمة نتيجة تدمير محاصيل التمور التي يملكها أهالي القطيف.

الوثيقة التاسعة عشر:

من: القائم بأعمال القنصل البريطاني في البصرة

إلى: السير ج. لوثر في القسطنطينية

في: ٢٩ أغسطس ١٩٠٨

أبلغكم أنه، طبقاً لآخر الأخبار، بقيت الأُمور في القطيف على ما كانت عليه. استمرّ القتال، لكن حامية تركية صغيرة مؤلّفة من سبعين

رجلاً لجحت في الاحتفاظ بالبلدة، وألحقت طبقاً لتقارير موثوقة جداً خسائر بلغت أربعمائة قتيل في صفوف المحاصرين للبلدة، في حين خسرت هذه القوات ما بين مائة ومائتي شخص بين مقاتل وغير مقاتل على الجانب الآخر.

ويوم الأربعاء الموافق للسادس والعشرين من أغسطس، توجهت إلى القطيف الكتيبة الرابعة من الفوج الثاني والأربعين، ومعها مدفع من (علي الغربي) وآخر من (العمارة)، وكانت هذه القوة تتألف من مائتي رجل، رافقهم مائة جندي من الكتيبة الثالثة التابعة للفوج الثاني والأربعين، كما رافقهم متصرّف الأحساء الذي عيّن مؤخراً.

كما أُرسل قائد الجندرمة (الدرك) في البصرة في مهمّة التحقيق في أسباب الاضطرابات، ومن المعلومات التي حصلتُ عليها لا أشكّ أبداً في أنّ هذه القوات ستكون كافية لتشتيت البدو، وإعادة الهدوء والأمن إلى القطيف[1].

أحداث ١٤٠٠هـ انموذجاً ثالثاً:

لا أريد أن أسهب القول في هذه الحادثة السياسية لأنها تحتاج إلى صفحات طويلة بل إلى كتاب مستقل، إنما أردت أن أنوه إليها على سبيل الإيجاز، لأنها من الحوادث السياسية التي تعرض إليها تاريخ المنطقة السياسي..

وان كانت هناك حوادث كثيرة في هذا الجانب ذكرنا بعضها في الفصول الخاصة بكل منطقة فراجع.

---

(١) الواحة العدد الثالث، وراجع كتاب الأمن الداخلي في القطيف في عهد الحكومة العثمانية، د. السبيعي، ص ٢٣٤.



القطيف والبعد الثقافي

الرؤى الدينية والثقافية الشاملة للحياة الإنسانية، والتي تتفق مع عقل و عاطفة الإنسان، وتحاول أن تصوغ شخصيته وفق متطلبات الدين والإسلام هي قواعد البعد الثقافي في منطقة القطيف، فالناس في هذه المنطقة يتلقون بادئ ذي بدء تربيتهم في حجور أسرهم الكريمة بذور التدين والمعرفة والأخلاق؛ لأنهم يؤمنون أن الثقافة هي التي تصنع الانعطافات التغيرية في سلوك الإنسان، بالإضافة إلى أن الثقافة في نظرهم مرتبطة بالفكر المسؤول وترفض بإصرار الأفكار اللامسؤولة، كالأفكار الغيبية التواكلية التي توحي بتعطيل دور الإنسان المسلم وفاعليته في الأحداث اليومية التي يعايشها الإنسان، وبالتالي ترفض كل الأفكار الرجعية التي ورثتها الأمة من أجيال التخلف،كما ترفض الثقافات الحتمية التي استوردتها الأمة من الخارج وإيمان الثقافة الإسلامية التي تتمتع بها المنطقة آتية من رؤية دينية واضحة المعالم والأهداف، تلك الروئ التي تنسجم مع الحق والفطرة، كما تنسجم مع النصوص والموروث الثقافي الثابت.

والمثقف فينا يعي هذه الحقيقة جيدا، وهي أنه مسؤول عن ثقافته كما أنه ومسؤول عن دينه وحياته ومبادئه، كما أن الثقافة مسؤولة عن تغيير معالم حاملها لحو حياة أفضل،لذلك إذا تعطلت هذه الأبعاد الثقافية في حياة الجيل تعطل دوره في هذه الحياة.

وإذا عدنا إلى الأبعاد الثقافية التي تتمتع بها هذه المنطقة نراها متمثلة في كلِّ فرد وكل أُسرة، فقد عرف عن أهلها بذكائهم الفطري، ووعيهم المورث، وهذا عائد إلى نموذجية التربية التي يتلقاها الفرد في أُسرته ونواديه العلمية والثقافية التي يعقدها العلماء في ذلك الوقت، فالقطيف -منذ أن كانت- تتبلور فيها المعالم الثقافية وإن كانت بمستوى بسيط، إلا أنها في مستوى الطابع العام الذي يسوده الفقر والجهل تعتبر من أرقى الثقافات العلمية الفطرية.

القطيف والإبداعات الثقافية:

الثقافة -كما تفيد اللغة- هي المعرفة التي تؤثر في عقيدة الإنسان وسلوكياته الخارجية، مما تسبب انعكاسة واضحة في فكره وحديثه وسلوكه العام، سواء على صعيده الشخصي أو العائلي أو الاجتماعي، كما يقول الفلاسفة في تعريفهم وعلماء التاريخ في مصادرهم وغيرهم: إنها العامل الذي يؤثر في بناء الإنسان عقلاً وروحاً ومعنىً، وهي أيضاً مجموعة أُمور تؤثر في الإنسان في كل جوانب حياته اليومية، ولذلك نرى المرأة الواعية ملتزمة التزاماً عاماً بمفاهيم وبصائر القرآن والسنة والتعاليم والأخلاق والدين الحنيف، سواء على الصعيد الشخصي لها أو الصعيد العائلي، أو الاجتماعي مع سائر طبقات المجتمع الإسلامي.

وعامل الإبداع الثقافي الذي تمثلت به القطيف بشكل عام كان يضرب به المثل الأعلى في سائر القطاعات العلمية والفنية والثقافية؛ لما يملكه أهل هذه المنطقة من ذكاء فطري، فقد أشاد بهذه العقليات الثقافية كبار العلماء والمحللين والزعماء، فالقارئ لمصنفات علمائها،

والواقف عند معالم ثقافتها، والدارس لحياتها الثقافية والاجتماعية يكتشف ذلك جلياً. فقد أكد الميجر كوكس المقيم البريطاني في الخليج، والذي كان مسؤولا عن التحركات البريطانية في استعمارها لدول الخليج، ولاسيما المناطق الساحلية منها؛ لكونها غنية بالنفط وأهلها ـ على حسب تعبيره ـ أكثر ذكاءً وتفهماً من غيرها؛ لأن غيرهم من رعاة الأغنام، أي البدو الذين لا يحسنون التصرف، وأبرز بعد بقائه طويلا في هذه المناطق الخليجية لرؤسائه البريطانيين النتائج المنطقية للسياسة البريطانية، إذا أقدمت على القيام بعلاقة مع الأمير السعودي في ذلك الوقت؛ لأنه كان يرى أن وضع شيوخ الساحل المتصالح والكويت سيبقى ضعيفاً، طالما أن الحكومة البريطانية لا تبالي بالأحداث التي تجري داخل شبه الجزيرة العربية، بل على العكس قد تكون لهذه السياسة مضاعفات تنعكس على المصالح البريطانية في المنطقة ككل ،إذا ما وجد زعيم في داخل شبه الجزيرة العربية يصبح في يديه زمام المبادرة، عندئذ لا بد لبريطانيا من إقامة علاقات معه، وها هو قد ظهر الزعيم الآن وهو الملك عبد العزيز (يرحمه الله).

وكان المقيم البريطاني على أتم الحذر من أن يتدخل ابتدأ بما يجري وفق المصالحة الخليجية على الساحل، وكان يراقب الأحداث عن كثب ويكون عنده مع الأقوى، بل إن الحكومة البريطانية لم تكن يعنيها وضع شبه الجزيرة العربية إلا بالقدر الذي يؤثر على مستقبل وجودها في مياه الخليج، ومن هنا يمكن القول بأن البريطانيين قد زهدوا في زج أنفسهم في متاهات شبه الجزيرة العربية، فكانت علاقاتهم مع السعودية في بادئ الأمر تتسم بالبرود واللامبالاة، لكن تغيرت العلاقات بعد أن تمكن الملك عبدالعزيز من احتلال منطقة الأحساء، وبعض المقاطعات المجاورة، بل اتسم الموقف بالأهمية بالنسبة لهم بعد أن تمكن الملك عبد العزيز

من أخذ منطقة القطيف، وبالخصوص مينائها المطل على مناطق الخليج العربي، الأمر الذي دفعهم إلى إعادة النظر في اتفاقية عام (١٩١٣)، الأمر الذي جعل الحكومة البريطانية تعترف بعد ذلك عبر الاتصال الذي أُجري مع الملك عبدالعزيز بأنّ القطيف والأحساء والجبيل وملحقاتها وأراضيها وموانئها على شواطئ الخليج العربي هي ممتلكات ابن سعود، وكان ذلك الاعتراف عام (١٩١٤)[1]. وإن كان هذا الاعتراف غيَّرَ كثيراً من المواقف العلمية والثقافية على ساحة المنطقة في ذلك الوقت من الجيد إلى الأجود، حيث نمت طول تلك المسيرة المباركة روح العلم والثقافة؛ لما كانت تزخر به القطيف من تراث علمي وثقافي، وإذا أردنا أن ندرس هذه الحقبة دراسة دقيقة فإننا لن نصل إلى تاريخ يحدد لنا متى بدأ الانقطاع الثقافي في القطيف عن نموه الإبداعي! لكن نستطيع أن نحدد الفترة الزمنية التي نما فيها وهي منذ أن كانت القطيف وكان أهلها.

فقد كتب بعض الباحثين في هذه الشؤون تباطؤ الحركة الإبداعية عن المواصلة فترة زمنية، لبعض الأسباب السياسية التي مرت بها القطيف يقول: لاشك أن حركة الإبداع العلمي والثقافي تباطأت كثيراً إلا أنها لم تخمد،ثم ما لبثت أن بدأت بالنهوض حتى استولت بعض الحكومات في ذلك الوقت على المنطقة، بالإضافة إلى غزو الحكومة التركية إلى القطيف، وسرعان ما عادت الحركة إلى إبداعها الثقافي في فترة الحكم السعودي الثاني والحكم المصري، حتى بلغت ذروتها، وسرعان ما أجهضت تلك الإبداعات بسبب الفتنة الطائفية التي حدث في المنطقة على يد بعض المذاهب المأجورة، فظلت المنطقة تشتكي من

(١) للمزيد راجع تاريخ ساحل عُمان السياسي، ج٢، ص٢٥٠.

قلة العلماء ورجال الفكر والثقافة، وكان ذلك في العقد السادس والسابع والرابع عشر الهجري، فقد اختطفت يد المنون أولئك الرجال، واحداً تلو الآخر، وبقيت -على حد قوله- القطيف تندب حظها وتراثها[١]، وبعد فترات متتالية من القمع والإرهاب الثقافي الذي مورس بحق أهالي هذه المنطقة، بدأت تزدان بالعلماء، مما دفعها إلى دفع هذه العجلة إلى تكثير رجال العلم والمعرفة، فكثرت فيها المجالس العلمية والأدبية والثقافية، فأصبحت القطيف في يوم من الأيام النجف الصغرى! على حد تعبير الكثيرين ممن قرأوا وسمعوا وتتلمذوا على أيدي رجالها وعلمائها وأدبائها.

العهد التركي والنهضة الثقافية في القطيف:

من المعروف بل من المتسالم عليه أن الحكومة العثمانية لم تتمكن في فترة من فترات استيطانها في المنطقة من بسط نفوذها الكامل، ولم تتمكن من نشر برنامجها العلمي والثقافي لوجود الحكومة البريطانية التي كانت تراقب عن كثب ما تصنعه الحكومة العثمانية في المنطقة، بالخصوص على الممر المائي الذي يكون بالنسبة للبريطانيين عصب استعمار منطقة الخليج العربي، وعلى وجه الدقة استعمار المناطق النفطية فيها، بالإضافة إلى ذلك أن هذا الموقع مكن التجار العرب في هذه المنطقة من السيطرة على التجارة العامة، وعلى تجارة الهند خاصة، فحظيت مناطق الخليج العربي بثراء واسع، ومن ثم ازدهرت المنطقة عمرانياً وزراعياً ونشطت حركة الصيد، فازداد سكانها ثراءً وسيطروا على الأسواق العلمية خاصة فيما يتعلق بتجارة اللؤلؤ، وبالأخص منطقة البحرين وما جاورها كـ(القطيف) وملحقاتها كـ(تاروت) التي اشتهرت بأجود أنواع اللؤلؤ الخليجي وإلى

---

(١) بعض المقالات عن أهل المنطقة، حمزة الحسن.

غيرها من الميزات التي أطمعت الدول العظمى في استعمار هذه المناطق المطلة على مياه الخليج العربي[1].

وبطبيعة الحال فإنَّ للحكومة العثمانية دواراً بارزاً على الساحة في التنافس على الاستيلاء على هذه المنطقة، وفعلا تم الاستيلاء على هذه المنطقة ما يقارب في عام (٩٣٢هـ - ١٥٢٤م)، حيث كانت غالبية الدول الإسلامية -سواء في الخليج العربي أو غيره- خاضعة بشكل من الأشكال لهذا النفوذ لعدة أسباب أهمها:

١- لأن الدولة العثمانية دولة إسلامية.

٢- ولأنها -أي الدولة العثمانية- جاءت إلى المنطقة تحت غطاء الدفاع عن حقوق المسلمين في العالم، ضد الحكم العنصري الصليبي الذي سعى بكل قواه لتفتيت معالم الدين والإسلام.

٣- كان سلاطينها يتمتعون بسمعة جيدة في الوسط الإسلامي، لكن مع الأسف أن الحكومة العثمانية لم تكن متوجهة تماماً، أو لم تكن على دراية سياسية لتعرف تمام الخطط الاستعمارية التي سعى إليها الاستعمار الغربي للمنطقة، أو كانت على علم لكن غضت الطرف قليلا لبعض المصالح المشتركة، كما هو حال الاستعمار في كل مكان وزمان، أو لعلَّ هناك اتفاقية مشتركة بينهم في الموارد التي يحق لكل منهما استعمارها، بمعنى آخر تقاسموا استعمار المنطقة، كما نتبينه من تحركات

---

(١) سوف نستعرض في الفصول القادمة إلى بعض الأسباب الرئيسية التي شجعت الدول العظمى على استعمار الخليج وملحقاته.

الاستعمار البرتغالي والهولندي والبريطانيين والفرنسي...[1].

وكيف كان: فالحكومة العثمانية بالنسبة للمنطقة كانت أخف وطأة من غيرها؛ لما تتمتع به من صبغة إسلامية، فقد ذكر بعض الباحثين في الشؤون التاريخية أنّ بعض الإبداعات الثقافية التي تمت في المنطقة في الفترة التي استعمرت الحكومة العثمانية القطيف والخليج العربي، كانت تتسم بنوعية جيدة في نمو الحركة العلمية وازدهار الثقافة وروح الإبداع الثقافي، ولعلهم وجدوا أهل المنطقة مؤهلين لتلقي الثقافات الأُخرى، أو لأنهم يرون أنّ استعمارهم لا يتم إلا إذا تمكنوا من تثقيفهم بثقافاتهم المختلفة، لذلك كثر في هذه الفترة عدد العلماء، والشعراء والكتاب والمدارس العلمية والحلقات الفكرية... وزاد عدد الطلاب والوافدين من أجل العلم، ووجد عشرات الشخصيات النابغة في المجالات العلمية الكثيرة، كما أنه نشطت حركات الاتصال العلمي بالمناطق المجاورة.

كما أن المنطقة نشطت في تأسيس المدارس العلمية والمنتديات الأدبية، حيث كانت تعج بالعلماء ورواد الفضيلة والثقافة، فنبغ في المنطقة ثلة كبيرة، حيث أصبح فيها المراجع والبيوت العلمية، بالإضافة إلى مئات المجالس العلمية والأدبية التي تعقد في كل منطقة من مناطق القطيف وفي كل بيت من بيوتها على اختلاف مراتبها العلمية، فكانت تدرس فيها الحلقات العلمية بمختلف المستويات العلمية والثقافية والعقلية، كما أن بعض الباحثين أكد في كلامه أن المنطقة دخلها التعليم النظامي قبل غيرها من المناطق الخليجية أبان الحكم العثماني لها.

---

(١) راجع النفوذ البرتغالي على الخليج، الصيرفي، ص١٣٤.

ففي عام (١٩٠٠) زار المبشر المسيحي رويمر الأحساء وذكر أن بها ثلاث مدارس، ففي الهفوف التحق بها (٣٥٤٠) طالباً، وأن عدد السكان كان يومها (٢٥٠) ألفا، كما أنّ المتتبع لدراسة تلك الحقبة الزمنية من حكم العثمانيين في المنطقة يرى أنهم تمكنوا من تأسيس عدة مدارس علمية من أجل تثقيف الموطنين فيها، كما ذكر ذلك..[1].

هجرات علماء القطيف إلى الخارج:

بعد معركة البكيرية التي وقعت بين الملك عبدالعزيز وبين قوة التحالف العثماني وابن رشد عام (١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م) والتي انتصر فيها عبد العزيز على أعدائه مكنته هذه المعركة من فرض هيمنته على منطقة الدرعية وما جاورها، فضعفت شوكة الحكومة العثمانية مما جعلها تتنازل عن بعض أطماعها في المنطقة، ولاسيما بعد أن اشتغلت الحكومة التركية بحربها مع إيطاليا مما أهل الملك عبدالعزيز أن يرسل للحكومة البريطانية ـوهي آنذاك في البحرين والكويتـ يستنجد بهم لغزو الأحساء والقطيف، وكان في الوساطة الشيخ مبارك الصباح الذي نقل طلبات عبدالعزيز إلى المعتمد البريطاني، وقبل أن ترد بريطانيا على عبدالعزيز رسالته بعثت بالمعتمد الرسمي لها إلى القطيف؛ للتفاوض مع زعمائها على المساعدة البريطانية للقطيف، وأنهم إذا تحالفوا مع

(١) نقلاً عن حمزة الحسن، ج ١، ص ٢٣٠، كما أنّ من أشهر المدارس العلمية الثقافية التي أُنشئت في المنطقة مدرسة الشيخ محمد بن النمر العوامي الذي أسس على غرارها في القديح والقطيف، حيث خرجت كبار العلماء والفطاحلة الفهماء في مختلف فنون العلم، ولقد استعرضت إلى هذا الجانب في كتابي (الإمام النمر جهاد وعطاء) وسوف نشير لها في الصفحات القادمة إن شاء الله. فراجع.

البريطانيين لن يصل إليهم عبدالعزيز على الإطلاق، فزار المعتمد المعروف (كوكس) في عام ١٩٠٦ القطيف والتقى مع زعمائها في قصر الدرويشية المطل على البحر، وعرض عليهم الحماية البريطانية، لكن رفض الأهالي الحماية البريطانية مما ساعد الحكومة البريطانية من الوقوف في صف عبدالعزيز للاستيلاء على المنطقة، فتمكن عبد العزيز من خلال هذه المواقف من فرض توسعاته على ربوع الجزيرة العربية بما فيها المقاطعات الشرقية التي تعتبر بالنسبة له عصباً اقتصادياً كبيراً، فتحالفت بريطانيا العظمى والوهابية من جهة، والملك عبدالعزيز من جهة ثانية على تملك منابع المنطقة الحيوية، فمد نفوذه من الأحساء إلى القطيف، وقد نزل إلى ضم هذه المنطقة إلى الرقعة الجغرافية التي عليها المملكة بكل قوته،حيث تمكن الوهابيون من بسط نفوذهم على أهالي المنطقة فتباينت الآراء عند زعماء الدين والوجهاء في الداخل.

أما موقف رجال الدين من كل هذا فكانت آراؤهم مختلفة ومتباينة.

الحركة الوهابية في القطيف:

وفي سنة ١٨٠٠م تمكن (الوهابيون) من القطيف وملحقاتها، حيث نشبت بين الوهابية وبني خالد الذين كانوا أصحاب إمرة بسيطة في القطيف وملحقاتها، وفي عام ١٢٤٥هـ-١٨٣٠م) تمكنت الوهابية من دحر قبيلة بني خالد من المنطقة، مما ساعدهم بعد ذلك على التفكير في غزو البحرين عن طريق ميناء القطيف، فقد قام والي الوهابية في القطيف محمد ابن الشيخ عبدالله بتجهيز الجيش لغزو البحرين، وكان ذلك عام ١٨٥٩م، لكن سرعان ما باءت خططهم بالفشل بعد أن استعانوا بالاستخبارات البريطانية في هجومهم، أرسلت الأساطيل البحرية

المعسكرة في مياه الخليج العربية المحملة بأعداد كبيرة من الجيش، وكان قائدها في ذلك الوقت (بلفور) الذي اتخذ على نفسه عهدا أن يوقف كل تحرك الوهابية في البحرين إيقافاً كاملاً.

وفي سنة ١٨٦٦م وعلى أثر انقطاع العلاقات بين الحكومة البريطانية وأمير نجد بدأت سفينة صاحب الفخامة (هاي فلاير) بقيادة الكابتن باسلي العميل أو الممثل البريطاني في القطيف، بتوجيه إنذار مدته ١٧ يوماً إلى أمير نجد في الرياض عن طريق ممثله في القطيف، بأنه سوف يدخل إلى ميناء القطيف ويستقر فيها أياماً.

وعندما رأى الممثل أن أمير نجد لم يرد على جوابه، أمر بإدخال القوارب الحربية والمدرعات العسكرية إلى داخل القطيف وكانت هذه القيادات بقيادة الملازم فيلوز، وكان ذلك في يوم ٢ فبراير من عام ١٨٦٦م، حيث قامت القوات البريطانية بتحطيم الحصن الصغير الذي يسور القطيف من جهة الميناء البحري رالمعروف باسم (برج الليف).

كما دمرت سفينتهم الحربية بعض بروج الدمام التي يستوطنها الدواسر في ذلك الوقت ..

لقد كان موقف حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العقائد والشعائر الدينية للمنطقة سلبياً، إذ حاولت أن تفرض عقائدها، وأفكارها وتشريعاتها، بحيث اعتبروا أن أفكار أهل المنطقة وشعائرهم ومبادئهم يجب محاربتها والقضاء عليها، وقد خفت تلك الممارسات تدريجياً حتى تلاشت.

الكتاتيب في القطيف:

لقد كانت للحضارة الفينيقية الفضل الكبير على شعوب المنطقة في الخليج العربي، فهم أول من جاء بحضارة ثقافية على صعيد التعليم، فقد عرفت عنهم الحروف الأبجدية التي قامت على أساس جعل علامة لكل حركة من حركات الفهم الصوتية، ووضع هذه العلامة إزاء بعضها لتدل على كلمة ما مؤلفة من عدد من هذه بدلا من الطريقة المعقدة التي كانت تقوم عليها الكتابة الأُخرى.

ولا يستبعد بعض الباحثين أن تكون الأبجدية الفينيقية التي عرفت في ما بعد عند شعوب منطقة الخليج العربي، أن تكون مشتقة من خط المسند اليمني، خلافاً لما يراه بعض آخر من عكس ذلك، وخط المسند اليمني حلقة متوسطة بين التصوير وعلامات الحركات الشفوية الصوتية، والذي جعل هؤلاء يقولون ذلك هو كون هذا الخط كان مستقراً في اليمن على عهد الدولة المعينية ومنتشراً في أنحاء جزيرة العرب وخارجها حتى بلاد الشام وسواحلها قبل الزمن الذي يظن أن الفينيقيين ابتكروا أبجديتهم فيه.

وقد ابتكرت الأبجدية الفينيقية في القرن الثالث عشر؛ لأنهم رأوا الفينيقيين يسجلون أفكارهم قبل هذا التاريخ بالخط المسماري البابلي أو الخط الهيروغليفي، غير أن حفريات أوغاريت كشفت عن أبجدية تعود إلى القرن الخامس عشر، وصفها مكتشفوها بأنها أُولى أبجدية في العالم، ولقد قال لانرمان: لا نعرف أحرفاً للكتابة سبق وجودها حروف الفينيقيين، بل نعرف أن كل ما بقي له اثر من الحروف وجميع الحروف المستعملة اليوم في جميع اللغات قد صدرت تواً عن الحروف التي وضعها الفينيقيون أو تفرعت من أحد فروعها. فالحروف الفينيقية أُم

وحروف سائر اللغات أولادها، وكان هذا القول قبل اكتشاف أبجدية أُوغاريت التي يُظَنُّ أنها ابتكرت في القرن السادس عشر أو قبله.

والجدير بالذكر هنا أن الأبجدية الفينيقية المكتشفة قبل الأبجدية الاوغارتية مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً في حين أن أبجدية أُوغاريت مؤلفة من ثلاثين حرفاً مع تشارك الأبجديتين في التساوق والتسلسل مما قد يسوغ القول: إن الأبجدية الفينيقية العامة المختصرة هي الأصل وان أبجدية الاوغاريت تطور تجديدي وتكميلي لها(١).

ومهما يكن من أمر هذه المنقطة فإنه يلوح لنا أن شهرة الأبجدية الفينيقية هي في الدرجة الأُولى، بسبب كونهم هم ناشريها ومعلميها في حوض البحر الأبيض الذي كانوا قابضين على زمام الملاحة البحرية فيه، والذي انتشرت منه حتى معضم العالم وغدت منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد أساساً لكل الخطوط فيه، وقد عرف عنهم اشتغالهم بالعلوم والتدوين.. وقد ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي: أنهم كان لهم سجلات يسجلون فيها أحداثهم التاريخية ويحفظونها في خزائن خاصة، وقد نقل عنها بعض مراسلات جرت بين الملك حيران والملكين النبيين دواد وسليمان عليهما السلام ولقد ذكر هوميروس الشاعر أنه استقاها من كتب وسجلات الحضارة الفينيقية(٢).

وقد شرع الإسكندر الكبير في كتابة تاريخ الشعوب العالمية، كتابة تاريخ الحضارة الفينيقية نقلاً عن سجلاتهم ومذكراتهم المكتوبة بخطوط مؤلفيها، ومن هؤلاء العلماء: يثودوت وهيبكرات وموس، ولقد ضاع ما

---

(١) تاريخ البشر، ج ٤، ص ٩٠.

(٢) تاريخ سوريا، للدبس، ص ٣٥١.

كتبه هؤلاء، ويستفاد من بعض المنقولات الأدبية أن الحضارة الفينيقية كان لها سجلات تدون فيها المعلومات الخاصة بكل علم، فلها سجلات خاصة بعلم الفلك والجغرافيا والاقتصاد و الزراعة والصناعة وهكذا، وأنه كان لهم أسفار تشتمل على شرائعهم ورسوم دينهم كوصايا سماوية مقدسة، كانوا يعزونها إلى إله اسمه (تاوت) الذي من المحتمل أن يكون نفس الإله المصري طوت الذي هو إله الحكمة على ما قاله المطران الدبس..

وكانت الحضارات التي جاءت بعد حضارة الشعوب الفينيقية لها الدور الكبير في بلورة الثقافة الخليجية، مع أن أغلب الحضارات التي استوطنت في الخليج العربي لم تكن لها أطماع ثقافية بمقدار ما كان لها أطماع سياسية واقتصادية، باستثناء الحضارة البرتغالية الصليبية التي كانت تمزج أطماعها الاقتصادية بالأطماع الثقافية المسمومة، ومع هذا كله لم تتمكن من فرض سيطرتها الثقافية على المنطقة، بل كانت شعوب الخليج العربي منذ أن كانت لهم سيادتهم وهويتهم الثقافية والحضارية فهم متمسكون بتقاليد وعادات لم تتأثر بالغزو التهويدي الثقافي الذي مارسته بعض الشعوب والحضارات والحركات التي استوطنت فيها.

ولذلك فمن الصعوبة أن نعرف بداية نشوء الحركة العلمية والثقافية في المنطقة، فلذلك يعتمد بعض الباحثين على كبار السن الواعين المدركين لحوادث الزمان والمكان في وصف تلك الحقبات الزمنية العلمية والثقافية التي مرت بها المنطقة.

وأول ما يواجهنا هنا في دراسة لتلك الحقبة الزمنية العلمية

الثقافية للخليج، مرحلة التعليم البدائي ـ الكتاتيب) أو بما يسمى (المعلم).

وهذا أيضا ليس له بداية تاريخية معينة، فهو يمتد إلى تاريخ الحضارة الإسلامية لدولة الرسول الأعظم محمد ﷺ وهو مرتبط ارتباطاً وثيقا بوجود الإسلام، وليس لها فترة زمنية تحدد مراحله التعليمية، وإن كان هناك بعض الباحثين في هذه الشؤون توصلوا إلى تحديد الفترة الزمنية التي نشأ فيها التعليم بحدود سنة (١٩١٢)[١]، وآخر قال: إن بدايته منذ أن ظهر المذهب الوهابي في الجزيرة العربية وجعل في كل حي من الأحياء حلقة علم يدرس فيها القرآن[٢]، وكلا التعريفين فيهما نظر؛ لأن الحلقات العلمية ومجالس تعليم القرآن الكريم لم تكن في هذين العهدين فقط، إنما كانت مع بداية نشوء الدولة الإسلامية عهد رسول الله ﷺ فقد نقل التاريخ الإسلامي أنه ﷺ كان يأمر بعض أصحابه بتعليم بعض الرجال، وكانت في عهده ﷺ مجالس العلم والثقافة بكثير، ثم تطورت هذه المجالس وكان المعلم فيها لا يقتصر على تدريس القرآن إنما يمزج فيها بين التعليم القرآني والحديث والفقه، وتطورت بتطور الزمان والمكان، وكان المعلم فيها يدرس أكثر من هذه العلوم فدخل عليها تعليم الحساب والتجويد والإملاء، والفقه والتاريخ الموجز، كما هو حاصل الآن في سائر مناطق الخليج العربي، وبالخصوص البحرين والقطيف، فقد عرف عنهما نموذج خاص للتعليم في هذه المدارس البدائية (الكتاتيب) وطريقتها كما يلي:

---

(١) قصة التعليم في الإمارات، د. المر، ص ١١.

(٢) تطوير التعليم، د. الحربي، ص ٣١.

الكتاتيب الأوائل (المعلم):

يعتبر بيت المعلم (الكتاتيب) في ذلك الوقت معقلاً لتعليم العلوم وتطوير الفكر والثقافة، حيث لم يقتصر على تعليم القرآن وتجويده، إنما يتلقى الطالب فيه بعض المسائل الشرعية واللغوية والخطابية والإملائية، حيث يؤتى به إلى (المعلم) الذي يقوم بتعليم الأطفال وتهذيبهم والرعاية الكاملة لهم، ومعه بيضة وبخور تعطى للمعلم، ومن ثم يعملون له قلماً من سعف النخل وحبراً من الطين وذلك بإذابته حتى يصبح سائلاً، ويحضر التلميذ معه كربة من النخل للكتابة عليها، وبعد هذه المقدمات تتم عملية التعليم، وهي الكتابة والإملاء ما « يسمى بالطيان » ويكتب الحروف الهجائية على هذه الكربة إلى أن يحسن الكتابة. وبعد ذلك يتعلم القرآن الكريم من سورة (الحمد) (الفاتحة) ويدخل بعدها جزء (عم) من البوابة أي النهاية ويقوم المعلم بقراءة سورة وهم يرددون معه وعندما يختم كامل السور أو الأجزاء وقبل أن ينتقل إلى جزء آخر يجري له امتحان بسيط ثم ينتقل إلى السورة أو الأجزاء الأخرى.

وأما يوم الأربعاء عند الكتاتيب فيعتبر يوم الفسحة والنزهة والترويح عن النفس، إذ هو نهاية الأسبوع الدراسي، فيقوم الطالب بدفع بعض النقود في كل يوم أربعاء لعمل بعض الأطعمة و الأشربة مع إنشاد بعض الأشعار، وتدفع هذه النقود إلى المعلم حيث يتولى هو مهام الاحتفال.

وفي بعض دول الخليج العربي كـ(الإمارات، وعُمان) لا تقتصر مهمة المعلم على تعليم القرآن والفقه والسيرة ،بل كان يؤهل التلميذ لتعليم طرق الدفاع النفس والحماية الشخصية، وتعليم الخدمة الملاحية

والتجارية لاستخراج اللؤلؤ، وأما بالنسبة لتعليم الفتاة في بعض دول الخليج فكان لها مدرسة أو بيت خاص تعلم فيه القرآن الكريم والفقه، ومبادئ النحو والحساب والحياكة وبعض المهن النسوية الأُخرى.

وهكذا يتفاوت التعليم في الكتاتيب على حسب المكان والزمان، لكن القاسم المشترك بينهم والثابت عندهم ولا يتغير تعليم القرآن الكريم، ومبادئ الفقه، والسيرة النبوية، ومبادئ القراءة والكتابة.

دور العلماء في تطوير ثقافة المنطقة:

ولكون رجل الدين مسؤولاً عن إصلاح الشعوب الإسلامية وشدهم لحو تطبيق المبادئ والنظم الشرعية، وإخراجهم من الظلمات إلى نور الحرية والكرامة والحق، أخذ على عاتقهِ حمل هذه المسؤولية العظمى، فسعى بكل ما في وسعه من أجل تحقيق هذا الهدف المنشود في الحياة الإنسانية، ومن الأولويات المهمة في نظره بث الوعي في صفوف أبناء الإسلام، لأنَّ الشعوب لا ترتقي إلا به، حيث لا يستطيع أي مجتمع من المجتمعات البشرية أن يصل إلى حقيقة الإصلاح الجذري إلا بالتعمق في قضاياه ومشكلاته، وتلمس الواقع الفاسد الذي يعيشه الإنسان المسلم، ثم يقوم بالبحث والتنقيب عن الخلل الحادث في جسد الأُمة أو المجتمع الإسلامي، وبالخصوص الجذور الأصلية لقضايا الإنسان نفسه؛ لأن الإصلاح الجذري يبدأ عادة بالإنسان، ومن تمكن من إصلاح نفسه وأسرته فإنه عندئذ يكون قادراً على إصلاح مجتمعه، وإلا يصبح تحركه الإصلاحي هباء منثوراً. وكما يقال (فاقد الشيء لا يعطيه) وليس من الإصلاح أن يرتفع مستوى معيشتنا المادية، وأخلاقنا في الحضيض كما هو حال الحضارة الغربية والشرقية اليوم، وليس من الإصلاح في شيء أن يسود قوم على قوم، وليس من الإصلاح أن تعرف فن التفكير فتسخره في الشهوات والملذات المحرمة، كما

ليس من الإصلاح أن ننتج أكبر قدر من الأدوات المادية إذا كان ذلك وسيلة لاستغلال الضعفاء والمساكين، وليس من الإصلاح أن نصلح الدنيا وننسى الأقدار ونغفل عن الآخرة.. فذلك هو الفساد المبطن الذي تعيشه أكثر الشعوب العالمية والإسلامية، ولذلك أحكم الاستعمار قبضته علينا وجلسنا حائرين لا نعلم ماذا نصنع وننتظر من حضرة الاستعمار أن يخلصنا من مشاكلنا وقضايانا المصيرية، لقد بكينا على الآخرين حينما هتكت أعراضهم واغتصبت أموالهم وأراضيهم وشردوا من أوطانهم والحال أننا أولى بالبكاء على أنفسنا، وحياتنا المدمرة، ووضعنا المتخلف. وصدق الشاعر حينما قال:

فما فلسطين تدعوني لأرثيها ... مذ أصبحت وهي في أيدي أعادينا

بل ديننا كان أولى بالرثاء فقد ... غزوه من قبل أن يغزوا فلسطينا

إذاً: الإصلاح الذاتي لحياة الإنسان يبدأ من نفسه أولاً، ثم في مجتمعه ثانياً، وإلا فإن الإنسان المصلح يفسد أكثر مما يصلح، ولعمري إن هذه من أدهى الدواهي التي منيت بها الشعوب الإسلامية، والحركات والأحزاب الإصلاحية في العالم الإسلامي، فقد نشرت في أوساط المجتمع الإسلامي وغيره من لا يحسن الأداء، و لا يمتلك الكفاءة العلمية والعقلية والفكرية والأخلاقية، فأفسدوا أكثر مما أصلحوا وشوهت سمعة الدين والإسلام الحنيف، والواقع الذي لا مراء فيه أن السلوكيات الخاطئة التي انتهجتها بعض الجماعات الإسلامية التي تعمل باسم الدين والإسلام، ليست من الدين والإسلام في شيء على الإطلاق، إنما تعمل بهذا الاسم وتحت تلك المظلة حتى يتسنى لها تشويه وطعن الدين والإسلام والعقائد الإسلامية.

من هذا المنطلق تؤكد الرؤية الإسلامية السليمة وتحث على

التعامل من خلال المبدأ الإسلامي والأخلاقي السليم، على المصلح أن يكون بمثابة المعلم والأب والابن للمجتمع الإسلامي، فيتعامل مع الجميع الذين يمثلون مختلف الشرائح والطبقات الاجتماعية كما كان الأنبياء والأوصياء والعلماء، ينبغي للمصلح أن يتجنب السقوط في شراك الأخلاق الذميمة ولاسيما التكبر والغرور والتعالي على الناس مما يُسبب حدوث فجوة كبيرة بينه وبين المجتمع الإسلامي.. ولو تتبعنا سيرة النبي ﷺ لوجدناه مثالاً حياً للمربي الناجح، حيث كان يجود على الفقراء والمساكين، ويتواضع إلى الصغير والكبير، ويجلس مع الغني والفقير، ويسدي النصح للمنحرفين، ولم يكن يتحرج حتى من الدعاء للمرضى ليشفوا من أمراضهم، وصدق الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

وجاء في الحديث عن الصادق: «كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم».

فالمصلح الغيور والمشفق على مجتمعه ينبغي له أن يكون مثالاً حياً ونموذجاً صادقاً وأسوة حسنة للآخرين، الذين ينظرون إلى الدين والإسلام من خلال سلوكياته اليومية، وهذا الأُسلوب كفيل بأن يدفع أبناء المجتمع إلى أن يقتدوا به، أو بها إذا كانت داعية مخلصة في عملها الإصلاحي.

وأما على صعيد تكريس روح الدين والإيمان في المجتمعات فقد سعى العلماء ورجال الفكر والثقافة لتهذيب نفوس البشر على وجه الأرض في كل عصر وزمان، وحاولوا الأخذ بأيدينا من أجل الوصول إلى الكمالات الحقيقية وأن يخرجونا من الظلمات

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

إلى النور والكرامة والفضيلة، وتعرضوا خلال هذا الجهاد الإصلاحي الجذري لكثير من أنواع العذاب والمعاناة الكثيرة والعقبات الكأداء التي وضعها المفسدون في طريقهم، ولكنهم واصلوا العزم والإصرار على تحقيق الأهداف الإلهية في الأرض، فقد كانت الطبقة المترفة أو الحاكمة في ذلك المجتمع تواجههم بالسخرية تارة وتارة أُخرى بالتشكيك والتكذيب وبث الاتهامات الباطلة الرخيصة في حقهم، وحينما تصل الطبقة الحاكمة إلى قناعة أن هذه الأعمال لا تثمر، تبدأ باتخاذ إجراءات قمعية إرهابية شديدة تجاههم وتجاه كل من له علاقة بحركة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام حيث تفرض عليهم الحصار وتصب على رؤوسهم أنواع العذاب الجسدي والنفسي المختلف، وقد تعرض القرآن الكريم إلى مثل هذه المراحل في حياة الأنبياء والعلماء بقوله: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾[1].

وجاء في تاريخ الأنبياء أن رجلاً من قوم نوح عليه السلام كان يأتي بابنه ويوصيه قائلاً: يا بني لا تسمع كلام هذا المجنون ولا تجلس عنده، ويصور القرآن الكريم حالات عديدة من تعرض الأنبياء للعناء والعذاب والاستهزاء بقوله: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[2].

وعن قوم لوط يتحدث القرآن أنهم هددوه بالطرد، يقول تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ

---

(١) سورة الزمر، آية: ٤٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٨٨.

أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[(١)].

وإذا تصفحنا تاريخ نبينا العظيم ﷺ نرى ذلك واضحاً أيضاً، فقد تعرض للاضطهاد حتى وصل به الحال أن يأمر أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة، وكان على رأس المهاجرين جعفر بن أبي طالب وثلة مؤمنة من أصحابه، وبعد أن رأى النبي ﷺ أن الطبقة الحاكمة تحاول أن تصطدم معه وجهاً لوجه أمر الرسول الأكرم ﷺ بحمل السلاح لمواجهة الإرهاب القرشي فنزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنَ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[(٢)].

كل ذلك الصراع الذي جرى بين الأنبياء والأوصياء مع الطبقة الحاكمة آنذاك في عصرهم أو مع قومهم الفاسدين كان من أجل إعلاء كلمة الإسلام (لا إله إلا اللّه)، وترسيخ عقيدة التوحيد في نفوس الناس، وإزالة الرؤية المادية والرؤية المشركة الكافرة عن آذانهم، وإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد والعبادة والفضيلة.

فقد بذل علماء المنطقة في زمن التفتح الثقافي للجيل الناشئ من تصحيح المفاهيم الخاطئة التي أخذوها عن تيارات منحرفة في العالم، فقد مرت فترة زمنية على بعض شرائح المجتمع انقلبت فيها مفاهيمهم عن الإيمان والدين، فأصبح منهم من يعتقد أن الإيمان ألفاظ خارجة عن معانيها، ومنهم من يعتقد أن الإيمان فترة زمنية ثم انتهت بلا عودة، ومنهم من يعتقد أن الإيمان نظرية خارجة عن التطبيق العملي لحياة

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٢.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٩ ـ ٤٠.

الفرد المسلم، والحال أن الإيمان نظرية وتطبيق في نفس الوقت، غير أن الإيمان اللفظي الكاذب الخارج عن الحقيقة الواضحة التي عليها الإنسان المؤمن المخلص، لا ينفعه البتة، بل يجره إلى الهلاك المحتوم؛ لأن اللّه تبارك وتعالى لا يخدع عن جنته، وطريق السعادة الأبدية واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار، بل أكبر من ذلك فالإيمان حركة يومية وسلوك حياتي يمارسه صاحبه في جميع مرافق حياته على نفسه مع أسرته ومجتمعه، فلا يجعله وقتياً أو في إطار محدود، بل هو إشعاع كشمس يعم نورها المعمورة.. وليس من الإيمان بشيء أن يحصر الإنسان المسلم نفسه في ساحات إيمانية ضيقة ومحدودة فلا يتعلق بالاجتماع ولا الأسرة ولا يستثمر إيمانه في الإصلاح والإرشاد والوعظ وهداية الآخرين، بل هو حركة دائمة تمارس في كل يوم، بل في كل لحظة من لحظات الإنسان المسلم، ينقل في أحوال بعض حكام الدولة الإسلامية أنه جعل الإيمان موقتاً بوقت ومحدداً بحد، متى ما احتاج إليه أخذه ومارسه مع نفسه وأهله ومجتمعه وجعلوا الإيمان كلما شعروا بضرورة ممارسته فعلوا ذلك! وكلما رغبوا عنه وزهدوا فيه لسبب ما، كأن يتعارض ومصالحهم أو يتنافى ورغباتهم علّبوه وجمدوه إلى إشعار آخر.

كالخليفة الأموي الذي كان -قبل أن يتسلم الخلافة- كثير القراءة للقرآن ومداوماً عليها، وحينما بشر بالخلافة كان في حالة تلاوة وتهجد فيه فقبله ووضعه على رف قريب وقال مخاطباً إيّاه: (هذا فراق بيني وبينك)! وبمفهوم أدق لا حاجة لي بك الآن، وقد استلمت مقاليد الحكم السياسي الذي أستطيع من خلاله أن أطلق العنان لأهوائي ورغباتي المكبوتة وأُمارس ما أُمارسه مما تعارضني أنت فيه!

فالذي كان منزوياً منطوياً مغلوباً على أمره في الحكم، ارتدى ثوب

الإيمان وتمسح بمسوح المؤمنين حتى إذا شعر أنه لا داعي لاستمرار هذه الحالة نزع ذلك الثوب ووضعه بكل وقار واحترام على هامش حياته الدنيوية!

ثم يمارس الإنسان هذا الدور مع الإيمان فإنه لا محالة سيقع بمثل ما وقع فيه كثير من المغفلين(١).

وكذلك فإن الإيمان بالله سبحانه وتعالى والإيمان بمنهاجه يولد الشعور بالاطمئنان في النفس الإنسانية، فالمؤمن بالله سبحانه وتعالى يتولد عنده شعور النفس باستقرارها، ورضاها بما يقع في حاضرها وهو مع ذلك يدفعها إلى السعي إلى العمل وإلى عدم الجمود والتوقف عن الحركة الإصلاحية على مدار حياته وبعده الخلافي في الأرض؛ لأن الله الذي أمنت النفس به واطمأنت بالركون إليه عند الأزمات والأحداث، هو نفسه الذي يبشر المؤمن بأن يجزيه أحسن الجزاء على عمله الخير المثمر: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾(٢)، ومضاعفة الجزاء على عمل الخير يدفع من غير شك إلى العمل الصالح دفعاً قوياً. وهنا لا يتسرب اليأس والقنوط إلى النفس.وليس ذلك فقط، وإنما تتمكن منها الرغبة الملحة في العمل والمثابرة عليه مع ذلك.

ومن أجل أن الإيمان بالله هو مصدر اطمئنان النفس ورضاها يقول الله تعالى في الآية السابقة: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٣). فناشد المؤمنين وناداهم بأن يذكروا الله سراً وجهراً، ويستشيروا قرآنه

---

(١) راجع كتابنا الوعي ،ص ٤٥.

(٢) سورة الأنعام، آية:١٦٠.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

فيما عملوا أو تحدثوا، إذا ما فكروا أو تصرفوا، وناشدهم بذلك حتى يكون عملهم للخير وسعيهم للخير وحديثهم في سبيل الخير، وعندئذ تطمئن نفوسهم دوماً، وهنا تشعر بالسعادة الحقة، التي لا تراها بحال في جاه أو ولد أو مال، إذ قد يصيبها الأذى من جاهها، ويأتيها القلق من ولدها، وتعتريها الهموم من مالها: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(١).

العلماء وتربية المجتمع روحياً:

وثمة فرق واضح بين طبقات المجتمع الإسلامي مع بعضه البعض، وبين رجال العلم والدين وبين الناس العاديين، فقد يتمتع رجال العلم والفكر بميزات قيادية وإدارية وروحية وأخلاقية لا يتمتع بها سائر الناس في المجتمع، وهذا الذي فضل العلماء على سائر الناس، بل أكبر من ذلك فقدموا العمل الجهادي والتضحية وإصلاح المجتمع على جميع مصالحهم الشخصية والذاتية، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(٢).

وإذا قرأت صفحات التاريخ المشرف لعلماء الإسلام تراهم يمتلكون بصائر ورؤى ربانية تتمثل بالشرائع السماوية السمحاء، وتلك العلاقة الروحية القوية التي تربطهم مع خالق الكون والرب القوي وجبار السماوات والأرض.. تلك البصيرة الثاقبة وتلك العلاقة الوطيدة هي التي ألهمتهم القوة وشحنت أنفسهم بالعزيمة وجعلتهم لا يرون إلا الله في كل شيء.

---

(١) راجع الإسلام في حياة المسلم، ج:١، ص:٣٦١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

وكذلك المعروف في تاريخ العلماء أنهم لا يخافون ولا يخشون أحداً إلا اللّٰه سبحانه وتعالى، ويقولون كلمة الحق ولا تأخذهم في اللّٰه لومه لائم:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وقد استمدوا هذه البصائر وهذه القوة وتلك الروحانيات من مواقف أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم العطرة وحياتهم المشرفة..

نعم أخي القارئ.. إن للروحانيات آثاراً وموازين كما للأشياء المادية موازين ومقاييس، ومن موازين الروحانيات أنك تحب العلماء من عباد اللّٰه وتضحي من أجلهم وتبذل كل ما في وسعك من أجل راحتهم وخدمتهم، وتود مجالستهم ومشاركتهم في كل صغيرة وكبيرة تخدم الدين والإسلام والمبدأ والعقيدة، وإذا أردت معرفة ذلك فانظر إلى قلبك واقرأ ما يقوله الصادق: إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً، فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة اللّٰه ويبغض أهل معصيته ففيك خير، واللّٰه يحبك، وإذا كان يبغض أهل طاعة اللّٰه ويحب أهل معصيته فلا خير فيك، واللّٰه يبغضك، والمرء مع من أحب [2].

نعم إن الروحانيات صفة من صفات العلماء والأولياء للّٰه تبارك وتعالى، بل هي منهجهم الواضح، ودستورهم الوحيد الذي يصلون من خلاله إلى طريق الكمالات النفسية والروحية والعلمية، وبها امتازوا على سائر الخلق بعد طبقة الأنبياء والأوصياء.

---

(١) سورة آل عمران،آية: ١٧٥.

(٢) التكامل في الإسلام، ج ٧، ص ٧٧٣.

يقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

من هنا ترى أن العلماء والسلف الصالح من رواد العلم والإيمان يولون أهمية كبرى للواجبات والمستحبات والأدعية والزيارات والصلوات الليلية، بل كانوا يحرزون قصب السبق في هذا المجال على سائر علماء المذاهب الأُخرى وهذا لا يختلف فيه اثنان قط لمن راجع تاريخهم وصفات حياتهم المشرفة. يقول الكاتب الغربي (هنري كوربان) في كتابه الأخير (الشيعة الاثنا عشرية، في الإسلام الإيراني) ص: ٢٧: «إن الجوانب الروحية في المنهج الشيعي بحاجة إلى فهم معمق باعتبارها المنهج الذي يرتكز عليه حياة العلماء والعرفاء والزهاد في هذا المذهب.. وفي توقعي ليس هناك منهج إيماني كهذا المنهج».

ولا غرابة إذاً أن تكون حركة العلماء العلمية الثقافية في المنطقة تكرس هذا المنهج العلمي والعبادي والثقافي في حياة سكان هذه المنطقة،وإذا استنطقنا تاريخها نراه يخبرنا أنها ـ القطيف والأحساء ـ محطة ركاب الكثيرين من العلماء الذين برزوا في تاريخ الحركة العلمية والثقافية والأدبية للشيعة عبر ارتباطهم بحواضر الفكر الإسلامي ومعاقل العلم والعلماء مثل: النجف وكربلاء وقم المقدسة والسيدة زينب مؤخراً.

الحركة العلمية في القطيف والأحساء والبحرين:

والمتتبع لتاريخ النهضة العلمية الإمامية في الواحتين مجتمعتين يرى أنّ الكثافة السكانية البارزة والمتداخلة والمشتركة في التقاليد والعادات،

---

(١) سورة الزمر، آية ٧٦.

إضافة إلى التقارب الجغرافي والتاريخي، برغم أن الباحث في هذا الإطار لا يمكنه فصل المنطقة الثالثة (البحرين) لذات الأسباب، بل لتداخل السكان واشتراكهم في كثير من القواسم وبالخصوص عندما يتطرق البحث إلى دراسة حركة الإمامية السلمية، ولذا يلاحظ المتتبع للدراسات التاريخية الفقهية أن هذه المناطق الثلاث تدرس كمنطقة واحدة للهجرات المتبادلة بينها ولأواصر النسب والقربى، حيث يتداخل فيها العلماء بشكل يعجز الباحث.

فمؤلف أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف وهجر والبحرين الشيخ علي البلادي البحراني القديحي قبل عدة عقود من الزمن عندما كتب كتابه لم يستطع الفصل بين هذه المناطق الثلاث فبعد أن يكتب ١٢٣ ترجمة لعلماء البحرين، يكتب ٥٨ ترجمة لعلماء القطيف و ٢٣ ترجمة لعلماء الأحساء، وفي العصر الحديث كتب الأستاذ سالم النويدري موسوعته (أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين) وسجل لنا تراجم كثيرة لعلماء القطيف والأحساء سواء كانوا المنحدرين من البحرين أو الوافدين إليها[1].

تاريخ الحركة العلمية في المنطقة:

إن تاريخ حركة الإمامية العلمية في المنطقة غني وحافل وذو جذور ضاربة في الأعماق، وهذا الأمر لا يحتاج إلى أدلة كثيرة؛ لأن الحركة العلمية في أي منطقة تحمل مؤشرات أهمها:

١ـ وجود العلماء والرواد وطلبة العلوم الدينية.

٢ـ الاتجاهات الفكرية.

---

(١) انظر: اعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، المجلد الثالث.

٣ـ الحلقات والمدارس الدينية (الحوزات).

٤ـ الأدوار الشرعية والثقافية والدينية (القضاء، التوجيه، الخطابة، الأدب).

ولا عجب في ذلك؛ لأننا عندما نستنطق تاريخ المنطقة نجد أنها كانت محط ركاب الكثير من العلماء الذين برزوا في تاريخ الحركة الإمامية عبر ارتباطهم بحواضر الفكر الإمامي، مثل النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وقم المشرفة، وعبر إسهاماتهم الكثيرة في إغناء الفكر العلمي الإمامي على صعيد الفقه والأُصول. وعلى صعيد الفكر والأدب والإصلاح الاجتماعي والثقافي داخل الطائفة الإمامية. ولا عجب أن يطلق على هذه المنطقة في فترة سابقة (النجف الصغرى) وذلك لكثرة العلماء والحلقات العلمية.

وأقدم علماء المنطقة يرجع إلى القرن الرابع الهجري، وذلك بظهور الشيخ أبو صالح السليلي بن أحمد بن عيسى شيخ الأحساء، ويرجع أصله إلى قرية ناظرة المندثرة بالأحساء، حيث هاجر إلى الكوفة ومن ثم إلى واسط، وتوفي بعد سنة ٣١٢هـ، ويبدو أن هذا الشيخ من الرواة، له كتابان: السقيفة، والفتن[١]

ولقد برز من هذه المنطقة في القرن التاسع الهجري الشيخ محمد ابن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي، المتوفى ٩٩٩هـ، صاحب غوالي اللئالي بما إليه وعليه والذي صنف أكثر من ثلاثين مصنفاً في العديد من العلوم[٢].

---

(١) أعلام هجر، السيد هاشم الشخص ١ / ٩٢.

(٢) ولد ابن أبي جمهور الأحسائي مابين سنة ٨٣٨هـ وسنة ٨٤٠هـ، ويحتمل وفاته

وفي القرن العاشر نرى الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي الغروي (توفي ٩٤٥هـ) صاحب المصنفات الكثيرة والتي منها الفرقة الناجية، والسراج الوهاج.

وقد عرّفه صاحب الرياض: الإمام، الفقيه، الفاضل، العالم، الكامل، المحقّق، المدقّق، المعاصر للشيخ علي الكركي العاملي، المعروف بـ«المحقّق الثاني» ، وكان هو والشيخ عز الدين الآملي والشيخ علي الكركي شركاء الدرس عند الشيخ علي بن هلال الجزائري، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، مشهوراً، تاركاً للدنيا برمّتها.

وقد دارت بينه وبين زميله الشيخ علي الكركي مساجلات ومناظرات في مسائل فقهية أهمها مسألة الخراج.

و ذكر صاحب الروضات أسماء مصنفاته الفقهية بالنحو التالي:

١ـ الهادي إلى سبيل الرشاد في شرح الإرشاد.
٢ـ نفحات الفوائد ومفردات الزوائد.
٣ـ رسالة في أحكام الرضاع.
٤ـ رسالة في محرّمات الذبيحة.
٥ـ رسالة في الصوم ينقل عنه الأردبيلي في «مجمع الفائدة».
٦ ـ رسالة في أحكام الشكوك.
٧ـ شرحه على ألفية الشهيد في الفقه.
٨ـ تعليقات كثيرة على الشرائع[1].

ومن المسائل التي خالف فيها المحقّق الكركي هو مسألة حل

بين سنة ٩٠١هـ، وسنة ٩٠٦هـ.

(١) رياض العلماء: ١/١٥، روضات الجنات: ١/٢٥ـ٢٧ برقم ٣.

الخراج، ففي الواقع كان المحقّق الكركي يؤيد الحكومة الصفوية لا سيما الشاه طهماسب، وكان القطيفي على خلافه.

فألّف المحقّق كتابه «قاطعة اللجاج في تحقيق الخراج» عام ٩١٦هـ، رتّبه على مقدّمة في أقسام الأرضين وخمس مقالات، وقد طبعت مع الرسائل الرضاعية.

ونقضها الشيخ إبراهيم القطيفي بكتاب أسماه «السراج الوهّاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج».

وصارت المسألة موضع نقاش حاد بين العلماء، فألّف المحقّق الأردبيلي رسالة دافع فيها عن القطيفي، كما ألّف ماجد الشيباني رسالة دافع فيها عن الكركي، والكتابان الأوّلان مطبوعان.

ومن فتاواه حرمة صلاة الجمعة في عصر الغيبة مطلقاً ردّاً على المحقّق الكركي القائل بوجوبها مع وجود المجتهد الجامع لشرائط الفتوى.

إنّ الخلاف بين المحقّق الكركي والقطيفي لم يكن سياسياً كما زعمه بعض، بل إنّ منشأه أنّ الخراج إنّما يؤخذ من الأراضي التي فتحت عنوة بإذن الإمام وكانت معمورة عند الفتح ولم يثبت وقفيتها أو لم يدّع أحد أنّ بيده ملكيّتها، ففي مثل تلك الأراضي يؤخذ الخراج و يصرف في مصالح المسلمين.

فالقطيفي ومن أيّده كالأردبيلي يدعون عدم ثبوت هذه الشروط في الأراضي التي يؤخذ منها الخراج[1].

---

(١) للمزيد من المعرفة حول هذا الموضوع راجع مقدّمة جامع المقاصد: ٤١ـ٤٣. وتعرض الشيخ الأعظم الأنصاري ﵀ لهذا المبحث في كتابة المكاسب ج١ ص٢٤٠.

وعلى صعيد الأدب نرى أن المنطقة كانت زاخرة بالشعراء والأدباء، ولا يخلو عقد من بروز شاعر أو أديب يتجاوز إطاره الإقليمي، فهذا الشاعر الأمير الشيخ علي بن المقرب العيوني الإحسائي (٥٧٢هـ - ٦٣١هـ)، الذي ينتسب لمؤسس الدولة العيونية في الأحساء علي بن عبدالله العيوني (جده لأمه)، حيث أرخ لتاريخ المنطقة عبر شعره لدولة العيونيين والتي أنهت دولة القرامطة في ٤٦٧هـ - ١٠٧٤م، ولقد سجل ذلك ابن المقرب قائلا:

سل القرامط من شظى جماجمهم   فلقاً وغادرهم بعد العلى خدما
وما بنوا مسجداً للّه نعلمه   بل كل ما أدركوه قائماً هدما
وحرقوا عبد قيس في منازلها   وغادروا الغر من ساداتها حمما

ولابن المقرب ديوان شعر طبع أول مرة في مكة المكرمة عام ١٣٧٠هـ، ثم حققه الأستاذ عبد الفتاح الحلو وإن كان قد حذف منه الكثير من الأشعار التي تبيّن ولاءه لأهل البيت عليهم السلام، ومن أشعار العيوني في آل البيت عليهم السلام:

يا آل طه أنتم وسيلتي   عند إلهي وإليكم مفزعي
وإن منعتم من نوالي غيركم   إن يرد الحوض غدا لم أُمنع

ولقد عانى هذا الشاعر الكبير من مصائب الدهر، حيث سلبه أبناء عمه الأمراء ماله وبيوته في الأحساء، فهاجر إلى القطيف ومنها إلى خارج المنطقة، بسبب معارضته لمعاهدة ابن عمه الأمير الفضل بن محمد مع ملك جزيرة القيس المجحفة، وفي شعره الكثير من هذه الإشارات مثل قوله:

وان وطن ساءتك أخلاق أهله   فدعه فما يغضي على الضيم ماجد

وان وطـن سـاءتك أخـلاق أهلـه فدعه فما يغضي على الضيم ماجد
فمـا هجـر أمــاً غذتــك لبانهــا ولا الخط إن فارقتها لــك والــد[1]

ومن شعره الذي يعبر عن مآسيه وحزنه وعظم مصيبته:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحدُ وهب لصروف الدهر ما أنت واجدُ
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبـه فواعجبـا إن أسـلمتك الأبـاعدُ

وفي القرن الحادي عشر برز الشـيخ جعفـر الخطـي (أبـو البحـر) المولود في قرية التوبي (القطيف)٩٨٠ هـ والمتوفى في شـيراز ١٠٢٨ هـ، وقد اشتهر الشيخ أبو البحر الخطي بقصيدة (السبيطية) والتي مطلعها:

برغـم العــوالي والمهنــدة البــتر دمــاء أراقتهــا ســبيطية البحــر
إلا قد جنـى بحـر البـلاد وتوبلـي عليّ بما ضاقت به سـاحة الصـدر
فويل بني شن بن أفصى وما الــذي رمتهم به أيدي الحوادث من وتــر

والقصيدة طويلة والتي أنهاها قائلا:

لعمر أبــي الخطـي أن مـات ثـأره لدى غير كفـء وهو نادرة العصـر
فثأر عليٍّ بــات عنـد ابـن ملجـم وأعقبـه ثـار الحسـين لـدى شمــر

وللشاعر الشيخ جعفر الخطي ديوان شعر مطبـوع، يحـوي الكثير من القصائد والأشعار، وهناك الآن من يسعى ليقوم بتحقيقه من جديـد لإخراجه للنور[2]

---

(١) ساحل الذهب الأسود ـ ص ١٣٩.

(٢) ذكر هذه القصيدة بكاملها الشيخ يوسف البحرانـي في كشـكوله: ..، وأصـل مخطوطة الديوان في المكتبة الظاهرية بدمشق، قام بطبعه وإخراجه السيد علـي الهاشمي، وطبع في إيران سنة ١٣٧٣.

كما أن للمنطقة تاريخا سياسيا يغص بالأحداث والوقائع، إلا أننا آثرنا عدم التطرق إليه خوف الإطالة، برغم أن هذه الأحداث كان لها تأثير على الحركة العلمية، بحيث كانت تشكل حاجزا قويا من نشوء حركة علمية قوية ذات امتدادات كبيرة في تاريخ الفكر الإمامي.

يمكن القول أن نشوء مدرسة الإمامية في القطيف والأحساء بشكل واضح وجلي في العقدين الثالث عشر هجري والرابع عشر هجري، حيث يشاهد المتتبع أن المنطقة كانت تزخر بالعلماء والحلقات الدراسية التي كان العلماء يقيمونها؛ لأن للأوضاع السياسية والاقتصادية التي عاشتها المنطقة، إضافة إلى عدم استقرار علماء كبار في المنطقة وإصرارهم على الهجرة للحواضر الإمامية في العراق وإيران أثر على تكوين مدرسة قوية تضاهي الحواضر الأُخرى.

وفي تصوري أن نشوء مدرسة الإمامية في القطيف يعود إلى القرن الثاني عشر هجري حيث استقر الشيخ حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي البحراني في القطيف في حدود عام ١١٣٥هـ قادماً من كربلاء بسبب استيلاء اليعاربة على البحرين سنة ١١٣٠هـ، حيث اصبح مقره مدرسة علمية لكثير من العلماء وطلبة العلوم الدينية[١].

إضافة إلى علماء كانوا في المنطقة لهم حلقات علمية، بالرغم أن علماء كثر كانوا متواجدين في القطيف، فقبل أربعة قرون من الزمن، أي قبل مجيء الشيخ الماحوزي إلى المنطقة، ظهر في القرن الثامن الهجري، اسم الشيخ حسن بن علي القطيفي، وهو من أعلام القطيف وشعرائها المشهورين، وكذلك الشيخ رضي الدين: الحسين بن راشد القطيفي، الذي يروي عن الشيخ أحمد بن فهد الحلي، والشيخ رضي الدين من

(١) انظر: الموسم، العددان ٩ و ١٠.

فضلاء القطيف وعلمائها المرموقين وكذلك وجد الشيخ كريم الدين: يوسف بن حسين بن أَبي الرشالي القديحي[1].

ولكن التاريخ لا ينقل لنا إلا عن الشيخ حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي وحلقته العلمية في تلك الفترة التاريخية، ومن المظنون أن هناك حلقات علمية وجدت في المنطقة، والشاهد أن الهجرات إلى الحواضر العلمية بدأت متأخرة، وهذا ما يؤكد هذه الحقيقة التاريخية.

وبعد هذه المحاولة العلمية من قبل الشيخ الماحوزي بدأت المنطقة تتجه نحو إنشاء مدرسة علمية بشكل جدي في منطقة القطيف، فمن الحلقات والمدارس التي نشأت فيما بعد، مثل: مدرسة الشيخ أحمد صالح آل طعان البحراني القديحي، وتلميذه صاحب أنوار البدرين الشيخ علي البلادي القديحي ومدارسه في القديح، ومدارس الشيخ محمد بن ناصر آل نمر العوامي في العوامية والقطيف، والشيخ عبداللّه بن معتوق التاروتي في تاروت، الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، الذي أقام بحثاً فقهياً في قلعة القطيف، ومحاولة الشيخ منصور المرهون الحمامي القطيفي وابنه المعاصر الشيخ علي بن الشيخ منصور الحمامي القطيفي والتي لم يقدر لها النجاح لظروف كانت تسود المنطقة.

واليوم فإن حاضر القطيف لا يزال يحفل بالحلقات العلمية والعلماء والأدباء وطلبة العلم الدينية، ويتواجد فيها مجموعة خيرة من كبار علماء الدين في القطيف وقراها.

يقوم علماؤها بالبحث والتدريس على شكل حلقات علمية كثيرة.

---

(١) الموسم، العددان ٩ و ١٠، ص ٢٢٢. دراسة السيد سعيد الشريف.

الحوزة العلمية في القطيف:

ولقد تأسست أخيراً حوزة القطيف العلمية سنة ١٤١٣هـ على يد نخبة من العلماء والأفاضل يتقدمهم الشيخ يوسف بن سلمان المهدي الصفواني المولود ١٣٧٧هـ[١] مع ثلة من علماء وطلبة العلوم الدينية في المنطقة.

- يقدر عدد المنتسبين إليها ٧٠ طالباً. ويدرس فيها المقدمات والسطوح العليا.
- عدد الدروس الحاضرة (١٢) درساً تتوزع على أربعة مستويات (مراحل)، وتشمل دروس الفقه والأصول والمنطق والحكمة واللغة وعلم الرجال وتفسير القرآن. وهناك توجه لتدريس الكمبيوتر، والكتابة الأدبية.
- يبدأ اليوم الدراسي في الساعة السابعة والربع صباحاً وينتهي في الحادية عشرة.
- يوجد بين طلاب الحوزة (٢٠) إمام جماعة، (٢٠) مرشداً في حملات الحج، (١٥) كاتباً ومؤلفاً، (٣٠) خطيباً. وقد قاموا بالتبليغ في (٧١) مجلساً في هذا العام ١٤٢٢هـ، ويبلغ عدد الكتب التي طبعت لهم (٥٠) كتاباً في مجالات مختلفة.
- تعتمد الحوزة الجمع بين نظام الحوزة التقليدي والنظام الحديث القائم على الامتحانات والمحاسبة على الغياب.
- تشجع الحوزة الطالب بعد إنهائه للمقدمات والسطوح على

(١) للمزيد انظر: صفوى تاريخ ورجال، صالح آل إبراهيم، سوف تجد ترجمة الشيخ يوسف المهدي، وهو أحد تلامذة مدرسة الرسول الأعظم ﷺ في الكويت، التي أنشأها السيد محمد الحسيني الشيرازي الحائري.

الذهاب إلى قم المقدسة أو النجف الأشرف إذا رأت منه الذكاء والاهتمام، وتتعهد بمساعدته مالياً.

- تلتزم الحوزة براتب شهري مختصر لكل طالب ومدرس، وهذا بالإضالة إلى سائر المصارف الأخرى يعني ميزانية سنوية قدرها مليون ريال تقريباً.

الدراسة المسائية:

بدأت الحوزة العلمية في إقامة دورة مسائية غرضها إيصال علوم أهل البيت عليهم السلام ودروس الحوزة إلى فئات الشباب المتدين في المجتمع ممن لا يستطيعون التفرغ لطلب العلم ولديهم الرغبة في الاطلاع على علوم الحوزة، وقد بدأت هذه الدراسة في مستويين دراسيين من تاريخ ١٨ ربيع الأول ١٤٢٢هـ تيمناً بذكرى مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

أما في منطقة الأحساء، فيعود الفضل في تبلور مدرسة الإمامية في الأحساء إلى شخصيتين وهما الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبو خمسين، المتوفى سنة ١٣١٦هـ، وإلى السيد هاشم آل السيد سلمان الموسوي الأحسائي المتوفى ١٣٠٩هـ، و هاتان الحلقتان العلميتان كانتا في القرن الرابع عشر الهجري.

والسيد هاشم الموسوي من كبار رجال الدين المراجع في الأحساء، ولقد تتلمذ على يديه مجموعة من العلماء مثل: الشيخ احمد الدندن المتوفى ١٣١١هـ، والسيد حسين العلي (١٢٨٠ ـ ١٣٦٩هـ)، والذي كان أول عالم إمامي يشغل منصب القضاء الإمامي بشكل رسمي في الأحساء تحت ظل الحكومة السعودية، وقد استمر أكثر من أربعين عاما فيه[1]،

---

(١) السيد هاشم الشخص ـ أعلام هجر ـ ١/ ٤٠٦.

ومن تلاميذ السيد هاشم نجله السيد ناصر الأحسائي (١٢٩١ ـ ١٣٥٨هـ) الذي يعد أحد رواد الحركة العلمية في هذه المنطقة.

والحلقة العلمية الثانية أسسها الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين في الهفوف، ولقد تتلمذ علي يديه الشيخ حسين الدندن، وواصل من بعده في إحيائها ابن عمه الشيخ موسى أبو خمسين المتوفى سنة ١٢٥٣هـ حيث خرجت هاتان المدرستان العديد من علماء الأحساء. واليوم هناك في المبرز حوزة علمية يؤمها طلبة العلوم الدينية وهي امتداد للماضي القريب ويدرسون على يد مجموعة من علماء المنطقة.

الحركة العلمية في المنطقة في عقدها الثالث والرابع:

ولقد ارتبط عهد النهضة الفكرية في المنطقة (العقد الثالث والرابع عشر الهجري) بشخصيات علمية تواجدت في مدرسة النجف الأشرف، وقد تتلمذ على أيديهم اغلب أعلام تلك النهضة في القطيف والأحساء، وأبرز هذه الشخصيات:

١ـ السيد محمد مهدي ابن السيد مرتضى بحر العلوم (١١٥٥ ـ ١٢١٢)، من أساطين الطائفة الإمامية، وأساتذة الفقه والأثصول، وتتلمذ على يده الكثير من العلماء.

٢ـ الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر الإصفهاني النجفي، المتوفى سنة ١٢٠٢هـ، صاحب الجواهر، من زعماء الطائفة الإمامية، وأعلام الفقه والأُصول، ويكفيه فخراً أن موسوعته (جواهر الكلام)، غدت لقباً له ولذريته من بعده.

٣ـ الشيخ مرتضى ابن الشيخ محمد أمين الانصاري الدزفولي، (١٢١٤ ـ ١٢٨١ هـ)، من كبار زعماء الطائفة وعلمائها الكبار، تتلمذ

على يده الكثير من علماء الطائفة بالنجف، والشيعة قاطبة.

٤ـ الشيخ راضي ابن الشيخ محمد النجفي المتوفى سنة١٢٩٠ هـ، من فقهاء النجف العظام، وعلمائها ومراجعها، وبعد وفاة الشيخ الأنصاري دانت له الشيعة بالمرجعية والتقليد.

٥ـ الشيخ محمد بن كاظم الخراساني المشهور بالآخوند (١٢٥٥ - ١٣٢٩)، أحد علماء الأصول والفقه، وعلماء الشيعة، ومن أساتذتها الكبار، وزعماء الحوزة، تتلمذ على يده الكثير من العلماء، قاد تياراً ومنهجاً يدعو إلى إسقاط الظلم وإحقاق العدل، وتزعم ثورة المشروطة، وصدرت منه فتاوى ضد الحكومة الإيرانية آنذاك، وقيل أنه مات مسموماً، عندما عزم على السفر إلى إيران لحل النزاع، وإعادتها إلى هدوئها، بعد أن قتل بعض العلماء مثل الشهيد النوري.

٦ـ الشيخ محمد حسين ابن الشيخ هاشم العاملي الاصفهاني الكاظمي (١٢٢٤ ـ ١٣٠٨)، من زعماء الشيعة، وأساتذة النجف، اشتهر بالزهد، والابتعاد عن الرئاسة والشهرة، هاجر إلى النجف بإلزام صاحب الجواهر.

٧ـ الشيخ محمد حسن بن ياسين بن محمد علي آل ياسين الكرخي، (١٢٢٠ ـ ١٣٠٨)، من أعاظم العلماء، وكبار زعماء العلم والدين وهو من ثنيت له وسادة العلم والزعامة والمرجعية.

٨ـ الميرزا الشيخ حبيب اللّه الرشتي، (١٢٣٤ ـ ١٣١٢)، من شيوخ الفقه والأُصول، من أكابر أساتذة النجف، ولقد تخرج على يده الكثير من علماء الطائفة المعروفين، وقد انتهى إليه زعامة الحوزة في زمانه، بعد وفاة أستاذه الشيخ الأنصاري.

٩ـ الشيخ محمد هادي ابن الشيخ محمد الطهراني المعروف بالمدرس (١٢٥٣ ـ ١٣٢١)، من أساتذة النجف في الفقه والأُصول، تصدى للدرس وهو صغير السن فحسدوه، مما تعرض إلى هجمات الكثير، ولكن مراجع عصره وعلماء النجف دافعوا عنه وانتصروا له، وبالخصوص الشيخ الكاظمي المتقدم ذكره.

١٠ـ الشيخ محمد طه ابن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد رضا نجف، (١٢٤١ ـ ١٣٢٣)، من كبار العلماء والفقهاء، انتهت إليه الرئاسة والزعامة في عصره، درس على يده نخبة من العلماء، وبالخصوص علماء المنطقة، والى جانب علمه كان شاعراً وأديباً.

١١ـ الشيخ محمد حسن ابن الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الحسين الجواهري، (١٢٣٣ ـ ١٣٣٥)، من العلماء المتضلعين في العلم والأدب، تتلمذ على السيد اليزدي، والآخوند الخراساني، والشيخ محمد طه نجف.

١٢ـ السيد محمد كاظم ابن السيد عبد العظيم اليزدي الطباطبائي، (١٢٤٧ ـ ١٣٣٧)، من فقهاء الطائفة وأعلامها البارزين، تتلمذ على يده علماء الطائفة وعلماء المنطقة، دانت له شيعة العالم الإسلامي بالتقليد، وتزعم الحوزة العلمية في العراق وإيران، وكان على نقيض معاصره الآخوند الخرساني، فلقد التزم الطريق المحافظ في قضايا الشيعة بالعالم، ولم يؤيد المشروطة، وإن كان بعض المؤرخين نفى ذلك، عندما أظهر فتاواه التي تؤيد ثورة العشرين، ولقد تأثر تلاميذه بمنهجه.

١٣ـ الميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي، (١٢٧٠ ـ ١٣٣٨)، من كبار علماء النجف والعالَم الشيعي المشهورين، ومن أساتذة الفقه والأُصول، تتلمذ على يده الكثير من العلماء في كربلاء وسامراء

والنجف، ويكفيه فخراً أنه فجر ثورة العشرين بفتواه ضد الاستعمار البريطاني، واشترك فيها العلماء والفقهاء، وكان نجله أحد قادة هذه الثورة، وذلك لينال الشعب العراقي استقلاله، وحقوقه.

١٤ـ الشيخ علي بن الميرزا فضل اللّه المازندراني الحائري المتوفى سنة ١٣٣٩، من علماء النجف، وأساتذة الفقه والأُصول فيها، درس على يد الميرزا حسين الخليلي، والآخوند الخراساني، وتصدى للتدريس، وفي حدود ١٣٢٤، غادر إلى مازندران، وتولى إقامة الجماعة والتوجيه الديني.

١٥ـ الشيخ فتح اللّه بن محمد بن جواد النمازي الشيرازي، المعروف بشيخ الشريعة الإصفهاني، (١٢٦٦ ـ ١٣٣٩)، من كبار أساتذة الفقه والأُصول، ومن زعماء الشيعة، الذين جمعوا بين العلم والسياسة، كان من قادة ثورة العشرين، وكان الاستعمار البريطاني يهابه، فلقد واصل الثورة ضد البريطانيين، بعد وفاة الميرزا الشيرازي، ولكنه خذل من الناس، فلبث في بيته حزيناً حتى مات. تخرج على يده الكثير من العلماء المجتهدين.

١٦ـ السيد أبو تراب بن ضياء الدين السيد أبو القاسم الموسوي الخونساري، (١٢٧١ ـ ١٣٤٦)، من كبار علماء النجف، وأساتذتها المبرزين، وأئمة الجماعة الموثقين، تصدى للدرس، وتتلمذ على يده جمع غفير من علماء الإمامية، وعلماء المنطقة، ونالوا منه الإجازات.

١٧ـ الشيخ محمد بن حسين بن الشيخ علي بن كاشف الغطاء (١٢٩٤ ـ ١٣٤٩)، من زعماء الطائفة الشيعية، ومن الذين جمعوا بين العلم والزعامة السياسة والاجتماعية، كانت له حوزة علمية في النجف.

١٨ـ الميرزا الشيخ محمد حسين ابن الشيخ عبد الرحيم

المنوجهري النائيني، (١٢٧٧ ـ ١٣٥٥)، من علماء الفقه وأساتذة الأصول الكبار، ومن زعماء الثورة في العراق وإيران، ومراجع التقليد، وبعد وفاة أستاذه الآخوند الخرساني، استقل بالدرس والزعامة، له رسالة سياسية شرعية باسم (تنبيه الأمة وتنزيه الملة).

١٩ـ الشيخ محمد جواد ابن الشيخ حسن البلاغي، (١٢٨٠ ـ ١٣٥٢)، فقيه كبير ومجتهد مجاهد، واجه الماديين والمسيحيين واليهود ودحض شباتهم، والى جانب ذلك كان شاعراً أديباً، وقف بحزم أمام من يريد إيقاف الشعائر الحسينية.

٢٠ـ السيد أبو الحسن الإصفهاني، (١٢٨٤ ـ ١٣٦٥)، من كبار علماء الطائفة وزعمائها، ومن المراجع الذين ثنيت لهم الوسادة، وأصبح مفتي الشيعة في عصره بلا منازع في أغلب مناطق الشيعة، تصدى للتدريس والتأليف المرجعية في النجف إلى أن مات ودفن فيها.

٢١ـ الشيخ محمد كاظم ابن حيدر الشيرازي، (١٢٩٢ ـ ١٣٦٧)، من مراجع الشيعة وعلمائها، ولد بشيراز، وأكمل المقدمات في كربلاء، ومن ثم هاجر إلى النجف، وتصدى للتدريس والتأليف والفتيا والتقليد.

٢٢ـ الشيخ محمد رضا ابن الشيخ عبد الحسين آل ياسين، (١٢٩٧ ـ ١٣٧٠)، من أعاظم العلماء والفقهاء ومراجع التقليد، وشيوخ الفقه والأصول والأدب، تخرج على يديه الكثير من العلماء، وبالخصوص علماء المنطقة، واتسعت شهرته فرجع إليه الشيعة في التقليد، وكان بعيداً عن زخارف الدنيا.

٢٣ـ الشيخ محمد حسين ابن الشيخ جعفر الأكبر آل كاشف

الغطاء، (١٢٩٤ ـ ١٣٧٣)، من أعلام الطائفة وأساتذة الفقه والأُصول، وأئمة البيان والفصاحة، وزعماء العراق الدينيين، الذين شاركوا في مقاومة الاستعمار البريطاني، حضر الكثير من المؤتمرات الإسلامية، وبعدها استقر بالنجف، وواصل بحثه وتأليفه ودرسه، وأقام مكتبة عامرة بنفائس الكتب.

٢٤ـ السيد مصطفى العاملي، من أساتذة الفقه والأُصول في النجف الأشرف، ولقد تتلمذ على يده بعض علماء المنطقة، ولم نجد له ترجمة في أعلام النجف.

٢٥ـ السيد حسين ابن السيد الحمامي الموسوي، (١٢٩٨ ـ ١٣٧٩)، فقيه أُصولي، عالم مجتهد، من مراجع عصره، وأهل الفضل والورع، تصدى للدرس والبحث، ورشح للمرجعية والفتيا، وإقامة الجماعة في حرم الإمام علي عليه السلام.

٢٦ـ الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ علي بن كاظم الجزائري، (١٢٨٩ ـ ١٣٨٢)، عالم جليل، وفقيه أُصولي، وشاعر أديب، حضر على الآخوند الخراساني، والسيد اليزدي، وشيخ الشريعة، وغيرهم.

٢٧ـ السيد محسن ابن السيد مهدي بن السيد صالح الطباطبائي الحكيم، (١٣٠٦ ـ ١٣٩٠)، سيد الطائفة زعيمها وفقيهها في عصره، من مراجع التقليد والفتيا الذين هيمنوا على ساحة الشيعة العالمية، تصدى للتدريس و التأليف بالنجف، وتزعم الحوزة العلمية، ولقد خلف أبناء علماء شهداء، ومؤلفات اشهرها المتمسك.

٢٨ـ الشهيد السيد محمد باقر ابن السيد حيدر الصدر، (١٣٥٠ ـ ١٤٠٠)، من علماء عصره، وأساتذة الفقه والأُصول، ومن مفاخر

الطائفة الإمامية، واجه المد الشيوعي مع علماء النجف بفكره الذي ضمنه اقتصادنا وفلسفتنا، وربى جيلاً من الشباب المتدين في العراق، واجه السلطة العفلقية، واستشهد على يد جزار العراق (صدام).

٢٩ـ السيد نصر اللّه ابن السيد رضا المستنبط، (١٣٢٧ ـ ١٤٠٦)، أحد أساتذة الفقه والأصول في النجف، كثير البحث والتدقيق، وحسن البيان، حضر على الميرزا النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي، وتصدى للتدريس في البحث الخارج، وكان يحضر بحثه الكثير من الأفاضل، وبالخصوص علماء المنطقة والبحرين، ويقيم صلاة الجماعة في مسجد الوحيد البهباني.

٣٠ـ السيد أبو القاسم ابن السيد علي أكبر بن السيد هاشم الموسوي الخوئي، (١٣١٧ ـ ١٤١٣)، من زعماء الطائفة ومن كبار مراجع التقليد، وأساتذة الفقه والأصول، تتملذ على يده، العديد من العلماء المجتهدين، هيمن تقليده على الطائفة بلا منازع، وتزعم الحوزة العلمية، وساهم في المحافظة عليها بالرغم العواصف السياسية التي مرت بالعراق، ولقد طاله قمع السلطة العفلقية في آخر أيامه حيث ساقه صدام إلى بغداد في محاولة فاشلة لتلويث سمعته العلمية. وبفقده اختل نظام الحوزة العلمية.

٣١ـ السيد عبد الأعلى ابن السيد علي رضا السبزواري (١٣٢٨ ـ ١٤١١)، أحد علماء النجف الكبار، من أساتذة الفقه والأصول، ومن علماء الدين المجتهدين في النجف، درس على يد كبار علماء النجف مثل الميرزا النائيني، الشيخ ضياء الدين العراقي، كان له موقف مشرف في انتفاضة شعبان ١٤١٠هـ، وقيل انه توفي مسموماً على يد جزار العراق، بسبب موقفه المعارض للحكومة العراقية.

ولقد خرّجت مدرسة النجف الأشرف العديد من الزعماء والقادة والأدباء والخطباء ورجال الدين والتوجيه الديني، وبعضهم استقر بالنجف، والأغلبية عادت لبلادها، مثل: السيد جمال الدين الأفغاني، الشيخ مهدي الخالصي، والشيخ محمد طاهر ابن الشيخ عبد الحميد الخاقاني، السيد حسن المدرس، الشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محسن الأمين، والسيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، والأستاذ إبراهيم الصفواني، السيد مهدي الحكيم، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد موسى الصدر، والشيخ عبد الحسين الأميني، والسيد نواب صفوي، والسيد مصطفى جمال الدين، والشيخ عبد الكريم الزنجاني، الذي ألقى في الأزهر محاضرة، وبعد انتهى منها خر على يده طه حسين وقبلها قائلاً: «هذه أول وأخر يد أقبلها في الشرق»، ولا غرو في ذلك، فما زالت حواضر الإمامية تزخر بعلماء هذه المدرسة العريقة، بل يشاهد أن أغلب أساتذة الفقه والأُصول في قم والسيدة زينب، درسوا بالنجف الأشرف.

المساجد والمدارس العلمية في النجف:

تكثر في النجف المساجد والمدارس والحوزات العلمية، إضافة إلى الأضرحة الروحية، والآثار التاريخية، وأكبر المراقد، مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والحوزات هي أحد معالم مدرسة النجف الأشرف العلمية، ولقد سجل لنا الشيخ جعفر بن الشيخ باقر آل محبوبة، في ماضي النجف[1] (٧٨) مسجداً، وذكر بالخصوص مساجدها المشهورة، ووصفها وتحديد موقعها الجغرافي، ووقفيتها الشرعية، وغيرها من المعلومات، وسبب ذكرنا لها هي أن هذه المساجد كانت تستخدم للدراسة والحلقات العلمية، وأشهر تلك المساجد وأقدمها:

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ـ ١/ ٩٨ ـ ١٢٤.

مسجد الحنانة، مسجد عمران بن شاهين، مسجد الخضراء، مسجد الرأس، مسجد الشيخ الطوسي، مسجد الحاج عيسى كبة، مسجد الشوشتري، مسجد الصاغة، المسجد الحيدري، مسجد المراد، مسجد آل كاشف الغطاء، مسجد صاحب الجواهر، مسجد السيد الشيرازي، مسجد آغا رضا الهمداني، مسجد الحاج ميرزا حسين الخليلي، مسجد الشيخ الأنصاري، مسجد الهندي، مسجد سوق المسابيح، سوق الشيخ الطريحي، وأغلب هذه المساجد كانت تستخدم للدرس إلى جانب الاستفادة الرئيسية منها، وهي الصلاة والشؤون العبادية، وأهم تلك المساجد التي كان يدرس فيها: المسجد الهندي، مسجد السيد الشيرازي، مسجد الخضراء، مسجد الشيخ الأنصاري.

أما المدارس الدينية في النجف فكثيرة، ولقد ذكر صاحب ماضي النجف العديد من المدارس العلمية، إلى تاريخ ١٩٦٨م، ومن تلك المدارس:

١ ـ مدرسة المقداد السيوري، تم بناؤها سنة ٨٣٢هـ، على يد عبد الوهاب بن محمد بن جعفر السيوري الأسدي، ولقد تغير اسمها إلى السليمية

٢ ـ مدرسة الشيخ ملا عبدالله، كانت هذه المدرسة مؤول المقدس الأردبيلي، عندما هاجر إلى النجف، ولقد تحولت إلى خربة فيما بعد[1]

٣ ـ المدرسة الغروية، تعود إلى أوائل القرن الحادي عشر، ولقد كان لهذه المدرسة شأن كبير أيام التجنيد الإجباري العثماني ١٢٨٦هـ، حيث عينت مدرساً يعفي طلبة العلوم الدينية من التجنيد بعد تأدية الامتحان[2]

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ـ ١ / ١٢٦.

(٢) نفس المصدر: ١ / ١٢٧.

٤ـ مدرسة الصدر، أسسها الحاج محمد حسين خان الإصفهاني، الذي كان يشغل منصب الصدارة للشاه فتح علي القاجاري، ولقد كلف بناؤها ٩٥ ألف تومان ذهب أشرفي[١]

٥ـ مدرسة المعتمد، شكلت أيام الشيخ حسن ابن الشيخ الكبير صاحب كشف الغطاء، المتوفى ١٢٦٢هـ، وتهدمت فسعى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في تجديد عمارتها[٢].

٦ـ مدرسة الشيخ مهدي، أُسست هذه المدرسة في عهد الشيخ مهدي ابن الشيخ علي كاشف الغطاء، سنة ١٢٨٤هـ، وكادت أن تهدم، فقام السيد أبو الحسن الإصفهاني، ومعه المتولي الشيخ محمد علي ابن الشيخ عبد الكريم آل كاشف الغطاء، بتجديد بنائها[٣].

٧ـ مدرسة القوام، تم بناؤها سنة ١٣٠٠هـ، وهي مجاورة للمدرسة السابق ذكرها، وهي من أفضل المدارس المشهورة، والتي خرجت الكثير من أهل العلم والفضل والتقوى[٤]

٨ـ مدرسة الإيرواني، تأسست سنة ١٣٠٥، وكان يسكنها طلاب العلم الأتراك، وهي مجاورة لدار الحجة الإصفهاني، وكان الباذل لهذه المدرسة الحاج مهدي الإيرواني[٥].

٩ـ مدرسة القزويني، عمرها الحاج محمد آغا الأمين القزويني في

---

(١) نفس المصدر: ١/ ١٢٨.
(٢) نفس المصدر: ١/ ١٢٨ ـ ١٢٩.
(٣) نفس المصدر: ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠.
(٤) نفس المصدر: ١/ ١٣٠.
(٥) نفس المصدر: ١/ ٨٧.

سنة ١٣٢٤هـ، وبلغت وارداتها سنوياً أكثر من ستمائة تومان تصرف على طلابها[١].

١٠ـ مدرسة البادكوبئي، اختطها الحاج علي نقي البادكوبئي، في حدود سنة ١٣٢٥هـ، ولقد كانت مدرسة عامرة بالطلاب[٢].

١١ـ مدرسة الهندي، وهي من المدارس المشهورة في النجف، كان تخطيطها بحدود سنة ١٣٢٨هـ، كانت داراً لآل بحر العلوم، فاشتراها رجل من لاهور اسمه ناصر علي خان، فجعلها مدرسة تعرف به.

١٢ـ مدرسة الشربياني، وهي من المدارس المشهورة، اختطها الشيخ المعروف بالفاضل الشربياني، وهو من مشاهير العلماء، وقد انتهت إليه الرئاسة والزعامة، بعد وفاة السيد حسن الترك، والمجدد السيد الشيرازي، في أيام زعامته سنة ١٣٢٠هـ، وهي بجوار مدرسة السيد اليزدي، وللأسف عطلت بعد وفاة مؤسسها، وغدت داراً للإيجار.

١٣ـ مدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي الصغيرة والكبيرة، المدرسة الصغيرة كانت في محلة العمارة، وكان ابتداء تأسيسها سنة ١٣٢٢هـ، والباذل الميرزا محمد علي خان كركاني، والكبيرة في محلة العمارة أيضاً بالشارع العام، ويجاورها مرقد الشيخ خضر الشلالي، وأوقفت سنة ١٣١٦هـ، عند الآخوند الخرساني والسيد اليزدي، والشيخ محمد طه نجف.

١٤ـ مدارس الشيخ الآخوند الخراساني الكبرى والوسطى والصغيرة، المدرسة الكبرى كمل بناؤها سنة ١٣٢١هـ، في محلة الحويش،

---

(١) نفس المصدر: ١/ ١٩٨.

(٢) نفس المصدر: ١/ ٩٨.

والباذل لها جان ميرزا، من أهل بخارى، وكان وزيراً للسلطان عبد الأحد البخاري، أما الوسطى، فهي بمحلة البراق، ولقد فرغ منها سنة ١٣٢٦هـ، عمرها الوزير البخاري آستان قلي بك، وزير السلطان السابق ذكره، وأما المدرسة الصغرى فكانت حافلة بالطلبة الأفغان، ولقد فرغ من بنائها سنة ١٣٢٨هـ، وموقعها كان من جملة دور آل يازي الأُسرة النجفية المنقرضة اليوم من النجف.

١٥ـ مدرسة البخاري، من المدارس العامرة، وفيها بعض الكتب الموقوفة على ساكنيها، موقعها في الحويش بجوار مدرسة الآخوند الكبرى، عمرها محمد يوسف البخاري، ولقد فرغ من بنائها سنة ١٣٢٩هـ.

١٦ـ مدرسة السيد محمد كاظم اليزدي، كان ابتداء تأسيسها في صفر ١٣٢٥هـ، وتم بناؤها ١٣٢٧هـ، عمرها الوزير الكبير البخاري آستان قلي بك، وكانت موئل لرواد العلم ورجال الدين.

١٧ـ مدرسة السيد البروجردي العلمية، ولقد أنشأها السيد حسين القمي البروجردي، أيام زعامته، على مساحة تربو على خمسمائة متر مربع، وتحتوي على ثلاثة طوابق، وأنشئت فيها مكتبة علمية، وقد أشرف على بنائها الشيخ نصر الله الخلخالي، ولقد تم بناؤها سنة ١٣٧٣هـ.

وفي النجف مدراس صغيرة مثل: مدرسة المجدد الشيرازي، ومدرسة صغيرة أخرى يسكنها الطلبة، ومدرسة النجف، أو جامعة النجف، التي أسسها السيد محمد الكلانتر، حيث تم شراء أرض تربو على خمسمائة متر مربع، ولقد رصد لها مبلغاً آنذاك ١٥٠ الف دينار.

ولقد تأسست بعد تاريخ ١٣٦٨هـ، مدارس عديدة في النجف، لم

يذكرها صاحب ماضي النجف، مثل: مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام، على يد السيد مرتضى العسكري، وغيرها من المدارس الكثيرة.

مدرسة كربلاء المقدسة وارتباطها بالمنطقة:

كانت كربلاء قديماً محط رحال طلاب العلم والمعرفة والأدب، وكان فيها أساطين رجال الدين وأعلام العلماء والمجتهدين وعظماؤهم، ممن نالوا الزعامة الدينية العامة، وكانت لهم المرجعية، وقد حفلت المدينة بطلاب العلم، وغصت بيوتاتها ومدارسها العلمية، ومساجدها بالوافدين من شتى الأقطار والأمصار لطلب العلم والتفقه بتعاليم الشريعة الإسلامية في معاهدها، وتخرجوا على علمائها»[1]

تأسست مدرسة كربلاء بشكل قوي بقدوم الوحيد البهبهاني في القرن الثالث عشر، وان كانت كربلاء كمدرسة كانت موجودة، ففي «القرن التاسع الهجري، حدثت نقلة نوعية في حوزة كربلاء العلمية، فقد تطورت المعاهد والمدارس العلمية الدينية فيها، واكتظت برجالات الفكر وأعلام الأدب ورواد العلم والثقافة..فانتشرت فصول الدرس وقاعات المحاضرة في أرجائها المختلفة، وخلال هذا القرن وخاصة في نصفه الثاني انجذب إليها رعيل من ذوي العقول النيرة والمواهب المبدعة، والأفكار الخلاقة، يتصدرهم الزعيم الديني..الشيخ أحمد بن محمد بن فهد الحلي المتوفى ٨٤١هـ»[2]

---

(١) كربلاء في الذاكرة، السيد سلمان هادي الطعمة، ص ١٠٧، سنة الطبع ١٩٨٦م.

(٢) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء المقدسة ـ نور الدين الشاهرودي ـ ص ١١٧.

وقبل الوحيد البهبهاني الميرزا محمد أمين الاسترابادي المتوفى ١٠٢٣هـ، والذي تزعم الاتجاه الاخباري في القرن الحادي عشر الهجري، وهو صاحب كتاب الفوائد المدنية.

ويمكن القول: إنَّ مدرسة كربلاء كانت تشاطر الحركة العلمية في النجف الأشرف برغم إن حوزة النجف كان لها السبق في تاريخ التعليم الإمامي، وتتفوق عليها بكثرة الأساطين والحلقات العلمية التي تواجدت في النجف الاشرف.

فقد كان إلى جانب الشيخ محمد باقر الوحيد البهبهاني المتوفى ١٢٠٨هـ قلة من العلماء استقروا في هذه المدرسة من أمثال:

١ـ الشيخ يوسف ابن الشيخ إبراهيم آل عصفور البحراني، من أعلام الطائفة الإمامية، وعلمائها الكبار، ومازال تقليده في البحرين حتى الآن، ولد في البحرين وهاجر للقطيف، وبعدها استقر بكربلاء المقدسة، مشتغلاً بالدرس والتأليف، ولقد تتلمذ على يده بعض علماء كربلاء، كان معاصراً للوحيد البهبهاني، ولقد تعرض إلى هجمات من البهبهاني، ولكنه واجهه بالمدح والصمت تجاه حملاته، اشتهر بالمحدث البحراني، وبصاحب الحدائق، موسوعته العلمية، «الحدائق الناضرة». توفي سنة ١١٨٦هـ.

٢ـ السيد علي ابن السيد محمد الطباطبائي ولد سنة ١١٦١هـ، وهو ابن أُخت العلامة الوحيد البهبهاني، وصهره، درس على يده وعلى الشيخ يوسف البحراني حيث كان يحضر درسه سراً، ونسخ الحدائق بخطه، له كتب كثيرة منها: رياض المسائل وهو شرح للمختصر النافع، وله شرح على كتاب المفاتيح، وله رسالة وجيزة في الأُصول الخمسة وله رسالة في الإجماع والاستصحاب، وله حواشٍ على المدارك وبعض أجزاء الحدائق، والسيد الطباطبائي مجتهد صِرف يراعي

الاحتياط بما يرى توفي سنة ١٢٣١هـ.

٣ـ صاحب الضوابط.

٤ـ والسيد محمد بن علي صاحب الرياض، ويلقب هذا السيد بالمجاهد، لتحريضه شاه إيران القاجاري على مقاومة الاحتلال الروسي في شمال إيران، بل قاد الجيوش بنفسه لإخراج الروس، وذلك للدفاع عن بيضة الإسلام.

٥ـ والشيخ محمد شريف بن حسن علي المتوفى سنة ١٢٤٥هـ، المشهور بشريف العلماء.

٦ـ والشيخ محمد حسين الاصفهاني.

٧ـ السيد كاظم الحسيني الرشتي المتوفى (١٢٥٩هـ)، تلميذ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وبعد وفاته تسلم زعامة مدرسة الحكمة التي أسسها أُستاذه، كانت له حلقات علمية وحكمية، ولقد تعرض لهجمات عديدة بسبب توجهه الفكري، مع علماء النجف.

٨ـ الشيخ علي بن محمد الشاهرودي النجفي، عالم بارع وفقيه جليل، محقق من أساتذة الفقه والأُصول، تتلمذ على الشيخ محمد كاظم الخراساني، وبرز من بين تلاميذه، وسافر إلى كربلاء بأمر الشيخ محمد تقي الشيرازي، فحضر عليه لفيف من الأفاضل والأجلاء، إلى أن مات فيها، لديه رسالة عملية وتعليقة على العروة الوثقى[1].

٩ـ الشيخ محمد صادق بن الآغا محمد البرادكاهي القفقازي المتوفى ١٢٨٥هـ، قال عنه الأميني: «فقيه كبير، مجتهد عالم جليل، من

---

(١) معجم رجال الفكر في النجف ـ الدكتور الأميني ـ ٢ / ٧٠٤.

أعلام المراجع والتقليد، وأساتذة الفقه والأُصول»، هاجر إلى العراق سنة ١٢٤٨هـ، فتتلمذ أولاً في كربلاء على يد شيوخها، ومن ثم انتقل إلى النجف، ولازم دروس أكابر العلماء، ومن ثم رجع إلى بلاد القفقاز، وتصدى لنشر الأحكام والهداية والتوجيه وخدمة العقيدة إلى أن توفي[1].

١٠ـ الشيخ محمد صالح ابن الميرزا فضل اللّه ابن المولى محمد حسن الحائري الغروي، (١٢٩٧ ـ ١٣٩١هـ)، «من كبار الفقهاء وأساتذة الفقه والأُصول، والمؤلفين المتتبعين والمحققين، ولد في كربلاء وأخذ الأدبيات والمقدمات والسطوح، وانتقل إلى النجف الأشرف، وحضر على الميرزا حسن الخليلي، والشيخ محمد كاظم الخرساني.. وفي عام ١٣٢٤هـ، سافر إلى مازندران، ثم هاجر إلى مشهد وأقام فيها ودخل قضايا سياسية، فأبعدته السلطة الحاكمة إلى مدينة سمنان، وبقي فيها مدة، ثم أُعيد إلى خراسان، وواصل التأليف إلى أن مات»[2]

١١ـ السيد محمد علي ابن السيد محمد حسين ابن السيد محمد علي الشهرستاني الحسيني الغروي، (١٢٨٠ ـ ١٣٤٦هـ) من أساتذة الفقه والأُصول والحديث، حضر على أبيه وأجلاء عصره بكربلاء، ومن ثم انتقل إلى النجف، وحضر عند السيد محمد حسن الشيرازي، والميرزا حبيب اللّه الرشتي، وعندما توفي والده سنة ١٣١٥هـ، عاد إلى كربلاء وقام مقامه في الإمامة والتدريس ومرجعية الأُمور الحسبية[3]

١٢ـ السيد علي نقي الملقب بالهادي، والمعروف بالميرزا هادي

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف ـ ٣ / ١١٣٠.

(٢) نفس المصدر: ٣ / ١١٤٠.

(٣) نفس المصدر: ٢ / ٧٦١.

الخراساني، ابن السيد علي ابن السيد محمد البجستاني النجفي، (١٢٩٦ ـ ١٣٦٨)، «فقيه أصولي فذ، وعالم جليل متتبع ومؤلف محقق مكثر، هاجر إلى النجف وحضر على السيد محمد كاظم اليزدي، والمولى الآخوند الخراساني، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والشيخ عبدالله المازندراني، ثم عاد إلى كربلاء وجعلها محلاً إقامته وتصدى للتدريس.. وأصبح من كبار علمائها الأصوليين والفقهاء.. له تقريرات أساتذته في الفقه والأصول، أصول الشيعة وفروع الشريعة، أجوبة المسائل الفقهية»[1].

١٣ـ السيد حسين ابن السيد محمود الطباطبائي الغروي القمي، (١٢٨٢ ـ ١٣٦٦هـ)، من كبار مراجع التقليد والفتيا، وفي طليعة الفقهاء المجاهدين، والزعماء الدينيين، ولد في قم، وقرأ المقدمات والسطوح، وجد واجتهد، وفي عام ١٣١١هـ، هاجر إلى النجف، وتتلمذ على الميرزا حبيب الله الرشتي، والمولى النهاوندي، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيد محمد اليزدي، ومن ثم سافر إلى سامراء وحضر على يد الشيخ محمد تقي الشيرازي، وحاز على درجة عالية في الفضل والاجتهاد، وفي ١٣٣١هـ سافر إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، واشتغل بالتدريس والإمامة ونشر الأحكام، أعلن الثورة ضد السلطة الحاكمة آنذاك، مطالباً بتطبيق القوانين الشرعية، فلم يعبأ به، ونفي إلى مدينة كربلاء، وأقام بها ورشح للمرجعية، بعد وفاة السيد أبو الحسن الإصفهاني سنة ١٣٦٥هـ، ولكن الموت عاجله فتوفي سريعاً[2].

١٤ـ السيد محمد هادي ابن السيد جعفر ابن السيد أحمد الحسيني

---

(١) نفس المصدر: ٢ / ٤٨١.

(٢) نفس المصدر: ٣ / ١٠١٦ ـ ١٠١٧.

التبريزي الميلاني، (١٣١٣ ـ ١٣٩٥)، فقيه أُصولي كبير، ومجتهد محقق بارع، وزعيم ديني خبير ومن أئمة التقليد والفتيا، وأساتذة الفقه والأصول والحكمة الإلهية والتفسير والبيان، وفي طليعة قادة الحركة الإسلامية الكبرى في إيران ١٣٨٣هـ، ولد في النجف ودرس فيها المقدمات والسطوح ودخل بحث الخارج، وتتلمذ على يد شيخ الشريعة، والشيخ ضياء الدين العراقي، والميرزا النائيني، والشيخ محمد جواد البلاغي، واستقل بالدرس والبحث وبلغ الاجتهاد، وبعدها هاجر إلى كربلاء، وفتح باب التدريس على مصراعيه، فتتلمذ على يديه جمهرة من الأفاضل والعلماء، وفي عام ١٣٧٣هـ هاجرالى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، للزيارة فطلب منه الإقامة بين ظهرانيهم، وواصل جهاده العلمي والفكري، إلى أن مات، كان من رواد الحركة العلمية بكربلاء، ولقد ساهم في تنشيطها قبل هجرته إلى مشهد[1].

١٥ـ السيد مهدي ابن السيد حبيب ابن السيد بن السيد آقا بزرك ابن السيد محمد بن السيد إسماعيل الشيرازي، (١٣٠٤ ـ ١٣٨٠)، فقيه كبير وعالم مجتهد جليل، جامع للمعقول والمنقول، ومن أساتذة الفقه والأُصول، وأئمة التقليد والفتيا، ولد في كربلاء ومن ثم هاجر إلى النجف، وتتلمذ على يد علمائها مثل الشيخ آغا رضا الهمداني، والميرزا الشيرزاي، والسيد اليزدي، والميرزا النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، وبعدها تصدى للتدريس، وكان يحمل ذوقاً عربياً وأدباً جمًّا وينظم الشعر العربي والفارسي، وبعدها عاد إلى كربلاء وواصل العمل العلمي، وأقام الجماعة بالصحن الحسيني، إلى أن مات في شعبان ١٣٨٠هـ، وخلف أبناء فقهاء وعلماء: السيد محمد الشيرزاي، والسيد

---

(١) نفس المصدر: ٣ / ١٢٥٥ ـ ١٢٥٦.

حسن، والسيد صادق، والسيد مجتبى[١].

١٦ـ السيد حسن بن السيد محمد باقر المعروف بالآغاء مير بن السيد مهدي بن السيد محمد باقر القزويني الموسيو الغروي، (١٢٩٦ ـ ١٣٨٠)، عالم جليل وفقيه بارع، من أساتذة الفقه والأُصول، هاجر إلى النجف الأشرف، وتتلمذ على يد علمائها مثل: الشيخ محمد كاظم الخراساني، والميرزا الشيخ محمد تقي الشيرزاي، واشتغل بالتأليف والتصنيف، وكان كثير البحث والتتبع والتحقيق، ثم هاجر إلى مدينة كربلاء واستوطنها إلى ان مات فيها[٢].

١٧ـ الشيخ محمد رضا الإصفهاني.

١٨ـ الشيخ يوسف الخراساني البيارجمندي، من أساتذة الفقه والأُصول، في مدينة كربلاء المقدسة.

١٩ـ السيد أحمد الفالي.

٢٠ـ السيد صادق القزويني.

٢١ـ السيد محمد ابن السيد مهدي الشيرازي، من مراجع العصر الراهن، وفقهاء الشيعة، وقادة التغيير في العالم الإسلامي، ولد في النجف الأشرف، سنة ١٣٤٧هـ، انتقل إلى مدينة كربلاء ودرس على يد والده وعلماء عصره، وبعد وفاة والده تسلم مكانته وزعامته العلمية، وغدا من أساتذة الفقه والأُصول، وأعلن عن مرجعيته، ولاقى الكثير من العوائق في طريقه، وأكيلت له التهم والأقاويل المزعومة، ولكنه صمد أمامها، وتغلب عليها بفضل صبره وتواضعه، ولقد رعى الحركة

---

(١) نفس المصدر: ٢ / ٧٧٠ ـ ٧٧١.

(٢) نفس المصدر: ٣ / ٩٩٥.

العلمية بكربلاء ووكله السيد عبد الهادي الشيرزاي، بالإشراف على الحوزة العلمية، وكذلك السيد محسن الحكيم، في وكالتين منفصلتين، هاجر إلى الكويت بسبب ضغوط السلطة العفلقية، التي لم تقبل عمله الديني الساعي إلى مواجهة الفساد وظلم السلطة الطائفية، ومن بعد ذلك انتقل إلى إيران، بعد انتصار الثورة الإسلامية في أوائل ١٩٧٩م، وهو اليوم من مراجع التقليد في الطائفة الشيعية، وبالخصوص في الخليج العربي، له مؤلفات عديدة، اشهرها موسوعته الفقهية التي تصل إلى ١٥٠ مجلد تقريبا..

٢٢ـ الشهيد السيد حسن ابن السيد مهدي الحسيني الشيرازي، المتوفى ١٤٠٠هـ، فقيه ومفكر وزعيم ديني، وشاعر أديب، أحد رواد التغيير في العراق، وزعماء المعارضة العراقية، اعتقل في العراق ووجهوا له تهمة القيام بانقلاب للإطاحة بالنظام العفلقي بالعراق، ولقد تعرض لتعذيب شديد، وبعد خروجه من السجن سافر إلى بيروت سنة ١٩٦٩م، واستقر بها فترة طويلة يتنقل بين بيروت ودمشق، ولقد استشهد، وهو بطريقه لعزاء الشهيد الصدر كان قد أقامه، حيث تعرض لرصاصات غادرة من قبل أعوان النظام العفلقي، ونقلت جنازته إلى قم المقدسة حيث وُوري الثرى، مخلف تراثاً علمياً وفكرياً وأدبيا جديراً بالاهتمام.

إن مدرسة كربلاء اهتمت بالتراث فأنتجت لنا عشرات الكتب الموسوعية، مثل موسوعة الحدائق الناضرة ورياض المسائل، وإذا كانت مدرسة النجف أغنت الفكر الأُصولي، فإن مدرسة كربلاء أغنت الاتجاهين الأُصولي والاخباري، وفي فترة لاحقة درس فيها الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي المتوفى ١٢٤١هـ والذي تتلمذ على يد الوحيد

البهبهاني، ولقد استقر فيها فترات زمنية أُخرى، وعلى أثر الصراع الذي تعرض له هاجر مرة أُخرى إلى إيران، مخلفاً فيها تلميذه السيد كاظم الرشتي، واستقر الشيخ زين الدين في إيران فترة طويلة يجوب مدنها، وقد أسس فيما بعد مدرسة جديدة في الحكمة الإلهية، كانت محط نقاش بن مؤيد ومعارض، وانعكست على تاريخ المنطقة وعلى مسيرة مدرسة الإمامية بشكل عام.

وكما درس علماء المنطقة في النجف فإن هناك ثلة من العلماء درسوا في كربلاء، كما لابد من توضيح أمر مهم، وهو أن مدرسة البحرين والتي تمثل أحد الجذور الفكرية للمدرسة القطيفية والأحسائية ارتبطت بشكل أقوى بمدرسة كربلاء، بل اعتبرت في بعض الأحيان امتدادا للمدرسة الكربلائية، وعبر هذا الارتباط غير المباشر نستطيع القول: إن كربلاء تعتبر جذرا أساسيا للمدرسة التي نشأت في المنطقة.

وهناك مجموعة من علماء المنطقة درسوا في كربلاء بدءاً من القرن الثاني عشر الهجري مثل:

١ـ الشيخ محمد بن سليمان بن زوير الخطي، تتلمذ على يد أبي الحسن الشريف، ويبدو أنه أقدم علماء المنطقة الذين درسوا في كربلاء المقدسة.

٢ـ الشيخ ضيف الله بن أحمد بن صالح بن طوق البحراني القطيفي الحائري.

٣ـ والسيد محمد ابن السيد مال الله ابن السيد محمد الفلفل (أبو الفلفل) التوبي المهاجر سنة ١٢٧١ هـ إلى كربلاء، ولقد توفي في كربلاء في حدود ١٢٧٧هـ.

٤ـ الشيخ علي بن حسن الجشي البحراني القطيفي والذي تنقل

بين مدارس النجف وكربلاء والكاظمية.

٥- السيد محمد ابن السيد مال اللّه ابن السيد معصوم القطيفي النجفي الحائري، توفي بكربلاء سنة ١٢٧١هـ - ١٨٥٤م.

٦- الشيخ عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن علي آل عبد الجبار البحراني الخطي، لازم أستاذه الشيخ خلف الحاج عسكر الحائري، وتوفي في كربلاء.

٧- الشيخ أحمد مهدي السويكت القطيفي الحائري، درس عند علماء القطيف ومن ثم هاجر إلى كربلاء، توفي في العقد الأخير من القرن الرابع عشر، وذكر الشيخ العمران في أزهاره أنه زاره في المدرسة المهدية، وكانت محل سكناه ودرسه، وكانت هذه المدرسة تحت نظارته، بأمر وليها الشيخ صالح الجعفري، وكان يتبعها خان.

٨- الشيخ علي ابن الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي، استقر في كربلاء بنهاية القرن الرابع عشر الهجري، وكانت له حلقة دراسية، وله مناقشات علمية مع علماء كربلاء، توفي عام ١٤٠١هـ.

٩- الشيخ محمد الهاجري المولود ١٣٤٦ هـ، من المعاصرين، وهو القاضي الجعفري في الأحساء اليوم، حيث اشتغل شطراً من حياته بتدريس بحث الخارج في كربلاء، يعد اليوم من مجتهدي المنطقة.

١٠- الشيخ عبد المجيد ابن الشيخ علي أبو المكارم، المولود سنة ١٣٤٤هـ، وهو أحد رجالات العلم في القطيف اليوم، درس في بدء أمره بالنجف، ومن ثم انتقل إلى كربلاء ودرس فيها على يد علماء المنطقة المستقرين في كربلاء.

١١- الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد آل عيثان

الأحسائي ﷫ درس في كربلاء فترة طويلة، ومن ثم عاد إلى المنطقة فأخذ في التنقل في قراها.

ولا نستبعد أن بعضهم هاجر إلى كربلاء قبل القرن الثاني عشر الهجري، ولكن لم يصل إلينا اسمه، وهناك ملاحظة مهمة في البين، أن قلة من علمائنا درسوا في كربلاء، وبشكل نادر، ويبدو أن السبب يرجع إلى قوة النجف على ممر التاريخ الشيعي.

لا شك ان مدرستي النجف وكربلاء العلميتين تشكلان جذرا أساسيا في الحركة العلمية في المنطقة، وخصوصا منذ القرن الثاني العشر الهجري حتى أواسط القرن الخامس عشر هجري، فلقد كانت هاتان المدينتان المقدستان عند الشيعة تعجان بأبناء القطيف والأحساء بحيث ساهمتا في نشوء ونمو وتطوير الحركة العلمية الإمامية فيها.

فالظروف السياسية الأخيرة التي عاشها الوضع العراقي أثر كثيرا على بقاء الحركة العلمية في العراق، بل ساهم في تجميد ونمو الحالة العلمية، وهكذا الوضع السيئ برز في مدرسة كربلاء منذ سنة ١٩٧٢ م لظروف سياسية معروفة، مما جعل العديد من رجال الدين والأسر العلمية المعروفة في كربلاء تهاجر منها، وكان على رأس المهاجرين السيد محمد الحسيني الشيرازي راعي الحركة العلمية في كربلاء، حيث غادر إلى الكويت واستوطن فيها سنة ١٣٩١ هـ وأنشأ حوزة الرسول الأعظم ﷺ مكملا دوره العلمي النشط، ولقد شاركت هذه الحوزة في رعاية بعض العلماء من المنطقة، ودرس فيها ثلة من العلماء عاد منها البعض إلى المنطقة، والبعض الآخر غادر مع السيد الشيرازي إلى قم المقدسة ومجموعة من المدارس في قم المقدسة، ومشهد الإمام الرضا، وإصفهان.

أما في النجف فقد سارت على هذا المنحى بعد عدة سنوات عندما نشبت حرب الخليج الأُولى ١٩٨٠ حيث سادت النجف أجواء سياسية مضطربة ساهمت في وقف نمو الحالة العلمية برغم وجود السيد أبو القاسم الخوئي الذي كان أستاذاً قديراً في الأُصول والفقه وأحد مراجع الإمامية الكبار، الذي أوقف الهجرة من النجف.

ولقد جاءت حرب الخليج الثانية سنة١٩٩٠م (بعد احتلال الكويت)، وأجهزت على الحالة العلمية بشكل يثير الأسى، وخصوصاً بعد وفاة رائد الحركة العلمية في النجف المرجع السيد أبو القاسم الخوئي ﯽ، والسيد عبد الأعلى السبزواري ﯽ.

وإذا كانت مدرسة كربلاء أصابها الانهيار، فإن مدرسة النجف استطاعت على الأقل المحافظة على بقائها برغم الظروف السيئة التي مر بها الوضع السياسي، ولكن بفعل انتصار الثورة الإسلامية في إيران توجهت مركزية الدرس العلمي نحو قم المقدسة مع بقاء مدرسة النجف الأشرف بزعامة السيد علي السيستاني (أطال الله في عمره)، ومجموعة من العلماء المراجع مثل: السيد محمد سعيد الحكيم، والشيخ علي الغروي، السيد محمد صادق الصدر ﯽ اللذان استشهدا أخيراً، كما تحتوي على العديد من رجالات العلم والفكر والثقافة، أمثال الشيخ باقر شريف القرشي الذي أثرى الحركة العلمية بمصنفاته الكثيرة.

وإذا كان واقع الحوزة في كربلاء شبه منهار فإن الحوزة في النجف تحوي ما بين ٧٥٠ ـ ١٠٠٠ طالب ونخبة من العلماء، وان ضعفت هذه الحوزة في مكانها الجغرافي، فإن امتداد هذه الحوزة منتشر بل هي أقوى من الموقع ذاته بشخصياتها العلمية والأدبية، وإن كانت حوزة النجف تحاول النهضة ولكن الظروف التي تطورت ركزت مدرسة قم والسيدة

زينب، كبديل أفضل.

مدرسة قم المقدسة وصلتها بالمنطقة:

إن هذه المدرسة كانت موجودة قبل مدرسة بغداد والنجف كما أسلفنا، وذلك في عهد أئمة المذهب الإمامي، ولكن لم تستمر طويلا بفعل بروز مدرسة بغداد، ثم النجف الأشرف والحلة. حيث كانت عامرة بالمدارس والمكانة وحافلة بالعلماء والفقهاء والمحدثين من أمثال الصدوقين.

ولقد كانت مدرسة قم تعيش حالة مد وجزر وفي بعض الأحيان توقف بسبب اتجاه غالبية علماء الإمامية لحو النجف وكربلاء والكاظمية وغيرها من الحواضر، وقد «أقفرت مدارس قم الدينية وتحولت إلى خرائب بعد وفاة العلامة ميرزا قمي عام ١١٨٥م مؤلف كتاب القوانين وعانت من فقر فكري وروحي مدقع، وقد ظلت على هذه الحال مدة قرن كامل، إلى أن هيأ الله لها من يبعثها من جديد، فعاد إليها من سلطان آباد -أراك- العلامة الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي»[1]

ولقد كان هذا التوجه من قبل الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي[2] بتوجيه من الشيخ مرتضى الأنصاري، وقيل من قبل المجدد

---

(١) الفقهاء حكام على الملوك، حسن الدجليلي، ص ١٧٣.

(٢) الشيخ عبد الكريم بن محمد بن جعفر المهرجردي اليزدي الحائري الغروي (١٢٧٦ - ١٣٥٥)، ولد في قرية مهرجرد، وسافر إلى يزد، ودرس عند علمائها ومن ثم هاجر إلى العراق، ودرس في سامراء عند السيد محمد حسن الشيرزاي، والشيخ فضل الله النوري، والسيد محمد الفشاركي، والشيخ محمد تقي الشيرازي، ومن ثم هاجر إلى النجف، ولازم درس الأخوند الخرساني وبعدها انتقل إلى كربلاء واستقر فيها لعدة سنوات، يدرس فيها، وفي ١٣٣٣هـ، عاد إلى إيران، وأقام في بلدة أراك، وواصل دوره العلمي،

الشيرازي، وباستقرار الشيخ الحائري في قم المقدسة بدأت الهجرة من العراق والمدن الإيرانية نحوها وبدأ الطلبة والعلماء بالاستقرار فيها لإقامة الحلقات والمدارس العلمية، وبوفاة مرجع الإمامية في النجف السيد أبو الحسن الإصفهاني سنة ١٣٦٥هـ انفصلت المرجعية لفترة وجيزة وانتقلت إلى قم المقدسة بزعامة السيد حسين البروجردي المتوفى ١٣٨٠هـ[1]، مما ساهم في إعادة الاعتبار العلمي لهذه المدرسة، وإن كانت المرجعية الدينية عادت مرة أُخرى للنجف الأشرف بوفاته إلى السيد محسن الحكيم المتوفى ١٣٩٠هـ.

وإذا كان المؤسس الحقيقي لمدرسة قم الشيخ عبد الكريم الحائري المتوفى ١٩٣٥م، فإن السيد البروجردي هو من نظم هذه المدرسة وأول من دعا إلى الامتحانات وحاول إدخال اللغات الأجنبية إلى الحوزة فأثارت هذه الإصلاحات العديد من رجال الدين، الذين اعتبروا هذه الإصلاحات خروجاً عن العرف الحوزوي في التعليم الإمامي المتعارف عليه طوال مئات السنين الماضية في بغداد والنجف الأشرف، وكربلاء وباقي حواضر الإمامية، ولقد اصطدم بالتيار التقليدي الرافض للتغيير، مما جعله يتراجع عن أفكاره التجديدية بعض الشيء.

حتى تم دعوته للإقامة في قم المقدسة، وغدا بعدها المشرف العام على هذه المدرسة، وأحد مراجع الدين في ايران، معجم رجال الفكر: ٣ / ١٣٦٦.

(١) السيد حسين (الآغا) ابن السيد علي بن أحمد الحسني البروجردي، (١٢٩٢ - ١٣٨٠)، أحد زعماء الإمامية وفقهائها ومراجعها المعروفين، ولد في بروجرد، وأخذ المقدمات في إصفهان، ثم هاجر إلى النجف حدود سنة ١٣٢٠، ودرس على يد علمائها، ثم عاد إلى بلده فقيهاً مجتهداً متصدياً للتدريس والتوجيه، وبعدها غادر إلى قم سنة ١٣٦٤، وقام برعاية الحركة العلمية فيها، وحاول ان يطور في مناهجها.

ومع ذلك فقد اكتسبت مدرسة قم ثقلاً كبيراً بوجود أعلام ساهموا في دعم التطوير والتعليم الحوزوي إلى جانب الشيخ اليزدي، والسيد البروجردي، من أمثال:

١ ـ السيد جواد (محمد تقي) ابن السيد علي رضا النجفي الرضوي، المتوفى سنة ١٣٠٣هـ، أحد الفقهاء والأصوليين، والأساتذة، هاجر إلى النجف وتتلمذ على الشيخ محمد تقي الإصفهاني، والشيخ الأنصاري، وعلى غيرهما، وعاد إلى قم المقدسة، واستقل بالبحث والتدريس، وكان من المجتهدين الناشرين لأحكام الدين، والمتصدين لإقامة الحدود الشرعية، وكان مجتهداً مبسوط اليد[1].

٢ ـ الشيخ محمد علي بن جعفر الحائري، المتوفى سنة ١٣٥٨هـ، وصفه الأميني قائلاً: «فقيه كبير ومجتهد نحرير، وعالم جليل، من شيوخ التدريس في الفقه والأصول، درس على علماء طهران، ومن ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣١٨هـ، وتتلمذ على الشيخ محمد كاظم الخراساني، والشيخ محمد تقي الشيرازي، واستفاد منهما كثيراً، واشتغل بالتدريس، والتأليف والإمامة والتصنيف، وانتقل إلى بلده وواصل عمله إلى أن مات»[2].

٣ ـ السيد صادق ابن السيد محمود بن السيد صادق ابن السيد زين العابدين الحسيني الروحاني (جد السيد محمد والسيد صادق الروحاني)، المتوفى سنة ١٣٣٨هـ، من فحول الفقهاء وكبار المجتهدين وأعلام العلماء، هاجر إلى النجف سنة ١٢٧٩هـ، وحضر عند الشيخ الأنصاري، والسيد محمد حسن الشيرازي، والشيخ حبيب الله الرشتي،

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب: ٣ / ١٠١١.

(٢) المصدر: ١ / ٢٣١.

ولازم دروسهما، عاد إلى قم فاستقبلته كافة الطبقات بالتبجيل والإكبار، وتصدى للمرجعية والتقليد والزعامة العامة، والأُمور الشرعية[1].

٤ـ السيد محمد الحجة ابن السيد علي نقي كوهكماري (١٣١٠ ـ ١٣٧٢)، هاجر إلى النجف الأشرف، من كبار الفقهاء والعلماء وأعلام الفقه والأُصول، ومراجع التقليد والفتيا والزعامة الدينية، أخذ المقدمات في تبريز، ومن ثم هاجر إلى النجف ودرس على يد السيد محمد كاظم اليزدي، والسيد أبو تراب الخونساري، وشيخ الشريعة، والميرزا النائيني، والشيخ على القدباني، وغيرهم، وفي عام ١٣٤٩، عاد إلى قم وتصدى للتدريس والإمامة والتأليف، وزعامة الحوزة العلمية[2].

إضافة إلى ذلك هناك أعلام استقروا منذ زمن قريب في قم المقدسة، ولقد قامت هذه الشخصيات برعاية الحوزة العلمية وحاولت تقديمها للأمام:

١ـ السيد بهاء الدين المحلاتي.

٢ـ السيد محمد الطباطبائي.

٣ـ السيد محمد كاظم ابن السيد حسن ابن السيد محمد الحسيني الشريعتمداري، (١٣٢٢ ـ ١٤٠٦)، قال عنه الأميني: «من كبار أئمة التقليد والفتيا، ومراجع الفقه والأُصول، وفي طليعة القادة الإسلاميين في الوطن الإسلامي.. ولد في تبريز وأكمل المقدمات فيها وسافر إلى بلدة قم ومنها إلى النجف، فحضر على الميرزا حسين النائيني، والشيخ محمد

---

(١) المصدر: ٢ / ٦١٨.

(٢) المصدر: ٣ / ١١٠٣ ـ ١١٠٤.

حسين الإصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والسيد أبو الحسن الإصفهاني، وحاز على مرتبة الاجتهاد، وتصدى للتدريس والبحث.

وفي ١٣٦٩هـ، عاد إلى قم بطلب من مشايخها فوردها وتزعم الحوزة والحركة العلمية والدعوة والتوجيه، فأسس داخل إيران وخارجه عدة مؤسسات ثقافية وعلمية ومكتبة ضخمة في مدينة قم، وأرسل وفوداً للتبليغ ونشر الإسلام في أمريكا، والبلاد الأوروبية» ، ولقد تعرض هذا الفقيه إلى محنة شديدة، حيث تلاقفته ألسن الجهلة بالشتم، فلقد اتهم بمؤامرة لقلب الحكم الإسلامي في إيران، وعلى أثر ذلك أجبر على التخلي عن مرجعيته الدينية، وتعد هذه أول محاولة شاذة يتعرض لها أحد مراجع الشيعة، وفي وفاته حدثت بعض الاضطرابات، حالت دون دفنه بحرم المعصومة عليها السلام.

٤ـ السيد علي ابن السيد محمد حسن ابن السيد حسين ابن السيد مرتضى الحسيني الإصفهاني، المعروف بالعلامة الفاني، (١٣٣٣ ـ ١٤٠٩) ، قال عنه الأميني: «مجتهد محقق، عامل عالم، محدث متتبع جليل، من أساتذة الفقه والأصول، وأئمة التقليد والفتيا والجماعة، هاجر إلى النجف واستوطنها، وتتلمذ على السيد أبو الحسن الإصفهاني، والسيد جمال الدين الكلبيكاني، والسيد عبد الهادي الشيرازي، ومن ثم استقل بالتدريس والبحث، قرأ على يده الكثير من الأعلام، وبعض علماء المنطقة، هاجر إلى قم على اثر سياسة التشريد الصدامية العفلقية، فاستوطن بلدة قم، وواصل التدريس والبحث[1].

٥ـ السيد روح الله الخميني، (١٣٢٠ ـ ١٤١٠)، من مراجع التقليد والفتيا، قائد الثورة الإسلامية في إيران، ولد في بلدة خمين، وانتقل إلى

(١) معجم رجال الفكر والأدب: ٢ / ٩٢٩.

مدينة قم المقدسة، ودرس على يد علمائها، وكان من أساتذة الفقه والأُصول والأخلاق، ومن ثم انتقد الشاه وقاد الشعب الإيراني في مظاهرات ضد الدولة الفاسدة، وحدثت فيها مذبحة ١٥ خرداد، فقام الشاه بنفيه إلى تركيا ومن ثم إلى العراق، وقد استقبله السيد محمد الشيرازي، في كربلاء كقائد للثورة الإسلامية في إيران، وبعدها استقر في النجف الأشرف قرابة الخمس عشرة سنة، مواصلاً ثورته المقدسة، وفي أواخر أيامه سافر إلى باريس، ومن هناك قاد شعبه للثورة، وفي ١٩٧٩م، عاد إلى وطنه بقوة إرادته، حيث هدده الشاه محمد رضا بهلوي بإسقاط طائرته، ولكنه لم يعبأ بذلك، مما جعل الشاه يخرج من إيران، وبعدها بأيام انتصرت الثورة الإسلامية، وأسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقاد بلاده كفقيه جامع للشرائط، ويعد أول فقيه شيعي يقوم بإقامة بدولة في التاريخ الإمامي.

٦ـ السيد محمد رضا الكلبيكاني، توفي ١٩٩٤م.

٧ـ السيد محمد حسين (شهاب الدين) ابن السيد شمس الدين: محمد بن السيد شرف الدين: علي المرعشي النجفي، (١٣١٨ ـ ١٤١١)، قال عنه الأميني: «فقيه جليل مجتهد محقق عالم نحرير، متضلع في الأنساب والرجال ومن مراجع التقليد والفتيا، وأساتذة الفقه والأُصول، طيب القلب سليم الذات، كريم الطبع حسن الحديث»، ولد في النجف، ودرس فيها، على والده، والشيخ مهدي المازندراني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والسيد حسن الصدر، وتوجه للبحث والتنقيب، والاتصال بالشخصيات العلمية على اختلاف مذاهبهم ولغاته، وفي عام ١٣٤٢هـ، توجه لطهران ودرس فيها الحكمة والمنطق والرجال والأدب والطب، ومن ثم انتقل إلى قم، ولازم أُستاذه الشيخ عبد الكريم اليزدي، وبعد وفاته تصدى للتدريس والمرجعية وإمامة الجماعة في حرم

المعصومة، ورعاية الحوزة العلمية، وتأمين لوازمها مثل بناء المدارس، ودعم الطلبة ومساعدتهم على شظف العيش، وإقامة المكتبات، وتشييد الحسينيات للمآتم والتدريس، وطباعة نفائس المخطوطات الإمامية، وعندما توفي أوصى بدفنه بمكتبته العامة[1].

٨ـ الشيخ محمد علي الأراكي، فقيه جليل، وعالم معروف، من العلماء المعمرين، لقب بشيخ الفقهاء عند توليه المرجعية بعد وفاة السيد الخميني وذلك بدعم الحكومة الإسلامية في إيران، ولكنه لم يعمر كثيراً في المرجعية، فقد توفي بعد سنة من استلامه للمرجعية سنة ١٩٩٣هـ.

٩ـ الميرزا الشيخ هاشم الآملي، أحد مراجع قم وعلمائها المجتهدين، توفي مؤخراً سنة ١٩٩٣م، ويعد من أساطين الفقه، درس على يده الكثير من الطلبة المعاصرين.

١٠ـ السيد محمد ابن السيد محمود ابن السيد صادق ابن السيد زين العابدين الحسيني الروحاني، (١٣٣٦ـ ١٤١٨)، فقيه أصولي جليل، ومجتهد، من أساتذة الفقه والأصول، وأعلام المراجع والفتيا والتقليد في العالم الإسلامي، هاجر إلى النجف ودرس على يد السيد عبد الهادي الشيرازي، ولازم أبحاث السيد الخوئي سنين عديدة، وكانت له حلقات علمية، غادر النجف بسبب الظروف السياسية آنذاك، وانتقل إلى قم، وواصل الدرس والبحث، وأشار الأميني إلى ذلك قائلاً: «وواصل فيها التدريس وتربية الطلاب، رغم العنف والخسة والدناءة الموجهة إليه من قبل بعض الشراذم الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله»، واستمر هذا السيد الجليل في البحث، حتى غدا أحد المراجع

(١) المصدر: ٣ / ١١٨٩.

المشار إليهم بالبنان في الخليج العربي والعالم الإسلامي، توفي مؤخراً ودفن في بيته الذي أوصى أن يكون مكتبة[١].

وبعد انتصار الثورة الإسلامية ووصول واحد من هذه النخبة إلى سدة الحكم، وهو الإمام الخميني ﷺ تعززت مدرسة قم، ويكفيها أن عدد الطلبة في العصر الراهن يقارب الثلاثين ألف طالب بين مجتهد وفاضل وطالب مبتدئ، وبرغم وفاة هذه الثلة العلمية بأجمعها. حيث كان آخرهم السيد محمد الروحاني في ١٩٩٧م ما زالت هذه المدرسة مستمرة في عطائها العلمي وذلك على يد نخبة من العلماء المراجع أبرزهم اليوم:

١ـ السيد محمد صادق ابن السيد محمود ابن السيد صادق ابن السيد زين العابدين الروحاني، المولود ١٣٤٠م / ١٩٢٢م. عالم فذ ومجتهد جليل، ومن أعلام الفقه والأُصول، محقق متتبع مؤلف مكثر، هاجر إلى النجف، وتتلمذ على الشيخ محمد علي الكاظمي، والسيد أبو الحسن الإصفهاني، والسيد أبو القاسم الخوئي، وفي سنة ١٣٦٨هـ، عاد إلى قم، وتصدى للتدريس والبحث والتأليف والجهاد في سبيل عقيدته، له كتب كثيرة أهمها موسوعته الفقهية «فقه الإمام الصادق»[٢]

٢ـ الشيخ حسين علي المنتظري.أحد أساطين الفقهاء والعلماء في المذهب، يعد من أشهر فقهاء عصره اليوم، له عدة مصنفات في الفقه الاستدلالي منها: دراسات في ولاية الفقيه.

٣ـ السيد محمد الحسيني الشيرازي،أشهر من أن يعرف، فهو من أساطين الفقهاء المعاصرين، وأحد رجالات الإصلاح والتغيير في العالم

---

(١) المصدر: ٢ / ٦١٨.

(٢) المصدر: ٢ / ٦١٨.

الإسلامي، مصنفاته العلمية المختلفة في كل الفنون والعلوم دليل على عظمته وعلو شأنه.

٤ـ الشيخ محمد تقي بهجت، من الفقهاء المعاصرين في قم ويعد من الرجال الأتقياء والزهاد العلماء.

٥ـ السيد بهاء الدين، أحد مجتهدي قم المقدسة، ولد سنة ١٣٢٧هـ، كان زميلاً مقرباً للإمام الخميني، طرحت عليه المرجعية مرات عديدة ولكنه رفضها، وبالخصوص بعد وفاة الشيخ الآراكي، ألقى بحث الخارج منذ سنة ١٣٨٤هـ، في مدينة قم المقدسة، ولكنه عطل درسه آنذاك، لأجل عدم مزاحمة الإمام الخميني، وقام فيما بعد بإلغاء باب القضاء (في بحث الخارج)، من أجل عدم التعارض مع الدولة ومحاكمها.

٥ـ الشيخ الوحيد الخراساني أُستاذ الأُصول، يحضر بحثه اكثر من ألف طالب، ولديه رسالة عملية، ولكن سحبها بعد فترة زمنية، لأسباب معروفة.

٦ـ الميرزا الشيخ جواد التبريزي.من أساطين الفقهاء في قم، له شهرة علمية فاقت الأفاق، يعود له اليوم شريحة كبرى من أبناء الخليج العربي.

٧ـ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، من الفقهاء المعاصرين المهتمين بالشؤون العلمية والثقافية، له عدة مصنفات من أشهرها تفسيره المسوم بـ(الأمثل).

٨ـ الشيخ جعفر السبحاني، من أساتذة الفقه والأُصول، له بحث خارج، له مؤلفات عديدة في العقائد والفكر، مثل: الإلهيات، والملل والنحل، ويعد من العلماء المجتهدين المتنورين في الحوزة العلمية بقم المقدسة.

إضافة إلى العديد من الشخصيات العلمية التي تدرس في حوزة قم، وتلقي أبحاث خارج في الفقه والأُصول أمثال:

١ـ السيد كاظم الحائري، من علماء الدين العراقيين المقيمين في قم، و أحد تلاميذ السيد محمد باقر الصدر، له بحث خارج يحضره الكثير من الطلبة والعلماء العرب.

٢ـ السيد عباس خاتم اليزدي، من المجتهدين المشهود لهم بالعلم والفضيلة، وأُستاذ لبحث الخارج في قم المقدسة، حضر أبحاث السيد الخوئي لمدة ربع قرن، وأبحاث السيد يحيى اليزدي، وكما أنه تتلمذ على يد الإمام الخميني، لمدة أربع عشرة سنة، كان عضواً في مجلس الافتاء التابع للإمام الخميني، يبلغ من العمر ٦٤ سنة.

٣ـ السيد جعفر كريمي، من علماء قم وأساتذة البحث الخارج فيها، يبلغ من العمر ٦٤ سنة، درس على يد أعلام الطائفة الإمامية في النجف المعاصرين مثل: السيد محسن الحكيم، لمدة ثلاث سنوات، والسيد أبو القاسم الخوئي، لفترة تقارب (٢٤) سنة تقريباً، والإمام الخميي، لمدة (١٤) سنة، طوال إقامته في النجف، كان عضواً في لجنة الإفتاء التابعة للإمام الخميني، وعضواً في جامعة المدرسين بقم، وله مخطوطات عديدة.

٤ـ الشيخ إبراهيم الجناتي، من أساتذة البحث الخارج (الأُصول والفقه) في قم المقدسة، درس في قم بداية أمره على السيد البروجردي، ومن ثم هاجر إلى النجف، وحضر لمدة خمسة وعشرين سنة على يد علماء الإمامية مثل: السيد محسن الحكيم، والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد محمود الشاهرودي، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ حسين الحلي وغيرهم، لديه إجازة اجتهاد من السيد

الشاهرودي، وهو عضو في مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، له اثنان وثلاثون مؤلفاً، أهمها كتاب الحج (تقريرات) في خمس مجلدات، والمساجد وأحكامها في التشريع الإسلامي.

٥ـ السيد صادق ابن السيد مهدي الحسيني الشيرازي، حضر على علماء كربلاء وبالخصوص والده الميرزا مهدي الشيرازي، ثم هاجر إلى الكويت مع أخيه السيد محمد الشيرازي، وغدا أحد أساتذة قم، حيث يلقي بحث خارج في الفقه والأصول، له كتب عديدة منها: تعليقة على الشرائع، وعلى العروة الوثقى، والسياسة في الإسلام، ونحو بنك إسلامي.

٦ـ السيد محمود الهاشمي، عضو لجنة صيانة الدستور في إيران، حصل على درجة الاجتهاد من أستاذه السيد محمد باقر الصدر بالنجف، لديه بحث خارج في قم، كما أنه يشترك في بحث علمي مع السيد علي الخامنئي في طهران مع مجموعة من العلماء المجتهدين، له كتب عديدة، منها تقريراته في الأصول.

٧ـ الشيخ الأذري القمي، عضو في جامعة المدرسين، ومن شخصيات مدرسة قم العلمية.

٨ـ السيد محمد علي ابن السيد مرتضى الموحد الإصفهاني الابطحي، ولد ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠، من الشخصيات العلمية التي تهتم بعلم الحديث والتوجيه الديني، وعضو في جامعة المدرسين في قم المقدسة، له مؤلفات مطبوعة.

٩ـ الشيخ محمد ابن الشيخ محمد رضا لسان الواعظين الإصفهاني الصادقي، المولود سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.

١٠ـ الشيخ علي المشكيني، من رجال الثورة الإسلامية، وإمام

الجمعة المؤقت في قم، له كتب عديدة منها: مصطلحات الأُصول.

١١ـ الشيخ جواد آملي، من أساتذة العرفان والأخلاق في مدينة قم المقدسة، أرسله الإمام الخميني إلى الاتحاد السوفياتي، ليسلم رسالته إلى الرئيس الروسي (غورباتشوف). لديه العديد من الطلبة يحضرون دروسه الأخلاقية والعرفانية.

١٢ـ الشيخ حسن زادة الآملي، من أُساتذة العرفان والفلسفة في قم، ويعد من كبار الفلاسفة والعرفانيين حسب المصطلح المتداول في الحوزات اليوم في قم، له مصنفات وكتب عديدة في تخصصه الفلسفي والعرفاني، يبلغ من العمر سبعين سنة.

١٣ـ السيد مرتضى العسكري، أحد الشخصيات العلمية والفكرية، ومن مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية بالعراق وقياداته، كان من تلاميذ السيد محمد باقر الصدر، وكان له نشاط ديني ملحوظ في العراق، من حيث تربية وتنشئة جيل مسلم، له مؤلفات عديدة أبرزها كتاب معالم المدرستين، ويقيم حالياً في قم، متصدياً للنشاط الديني والعلمي والفكري.

١٤ـ السيد كمال الحيدري،أحد أساتذة الحوزة العلمية في قم ومن مشاهيرها المعاصرين، غادر إلى الإمارات العربية المتحدة، ليعمل في الأوقاف الجعفرية بدبي.

١٥ـ الشيخ محمد سند البحراني، من علماء الدين المستقرين في قم، له بحث خارج في الفقه، وكذلك بحوث عقائدية، أصدر تقريرات فقهية ذات مدلول معاصر تدل على شخصيته العلمية، كتبها تلميذه الشيخ علي الماحوزي، يحضر لديه الطلبة العرب من الخليج والعراق.

١٥- الشيخ محمد الآصفي،شخصية علمية ومفكر وقائد سياسي، من قيادات حزب الدعوة الإسلامية،

١٦- السيد حسين الشاهرودي.

١٧- الشيخ هادي آل راضي النجفي.

١٨- السيد أحمد المددي.

١٩- الشيخ محمد باقر الإيرواني.

٢٠- الشيخ حسين النوري الهمداني.

٢١- الشيخ الكواكبي.

٢٢- الشيخ حسين نجاتي البحراني.

٢٣- السيد محمود الشاهرودي.إلى غيرهم من العلماء والمفكرين الذين لا يسع المجال لذكرهم.

ولقد مر على هذه المدرسة -المدرسة القمية- ما يقارب الألف طالب من القطيف والاحساء من بينهم الفضلاء والعلماء والخطباء والطلبة المبتدئون، وفي الفترة الأخيرة عادت ثلة منهم للمنطقة لممارسة دور التوجيه الديني والعمل الاجتماعي، والآن يستقر مائتا طالب، ومن الجدير بالذكر أن مدرسة قم تضم طلبة من جنسيات متعددة من العالم الإسلامي.

وتنتشر في قم المقدسة الكثير من المدارس والمنتديات العلمية ومراكز التوجيه والتبليغ والخطابة، وهنا سوف نذكر أهم المدارس وهي:

١- المدرسة الفيضية، وهي أقدم الحوزات العلمية في قم، وقد أسسها الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، ولقد تخرج من هذه المدرسة غالبية المراجع والعلماء، والدرس في هذه المدرسة باللغة الفارسية،

ولقد جعلها السيد الخميني مقر الثورة ضد الشاه البهلوي، مما جعل أجهزة الأمن تقوم بهتك حرمتها وقتل بعض طلبة العلم فيها، في أحد الاصطدامات بين الطرفين.

٢ـ رئاسة الحوزة العلمية في قم المقدسة، (سرا برستي)، وهي الإطار القانوني للطلبة الدارسين في قم، من قبل حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وبالخصوص للطلبة الأجانب، (من خارج إيران).

٣ـ جماعة مدرسي الحوزة العلمية في قم المقدسة، (أو جامعة مدرسين قم)، وهي هيئة حوزوية غير حكومية، (أهلية)، تتكون من أربعين عضواً، من علماء قم أغلبهم قد بلغ الاجتهاد، ويرأسها الشيخ إبراهيم الأميني النجف آبادي، خلفاً للشيخ ناصر مكارم الشيرازي(١)،

---

(١) تتألف من التالي: الشيخ إبراهيم الأميني، (الرئيس)، والشيخ أحمد الأذري القمي، وأحمد الجنتي، والسيد أبو الفضل الموسوي التبريزي، والشيخ أبو الفضل تجليل، والشيخ أبو الفضل المير محمدي، والشيخ ابو الفضل الخوانساري، والشيخ أبو القاسم الخزعلي، والسيد حسن الطاهري، والشيخ حسين المظاهري، والشيخ حسن الطهراني، والشيخ حسين الراستي الكاشاني،والسيد جعفر كريمي، والشيخ جلال طاهر الشمسي، والشيخ عباس المحفوظي، والشيخ علي الأحمدي الميانجي، والشيخ علي محقق داماد، والشيخ علي أكبر المسعودي، والشيخ علي المشكيني، والشيخ رضا الاستادي، والشيخ عبدالله الجوادي الآملي، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (الرئيس السابق للجماعة)، والشيخ محمد المؤمن، والشيخ محمد اليزدي، والسيد محمد الأبطحي الكاشاني، والشيخ محمد الفاضل اللنكراني، والشيخ محمد محمدي الكيلاني، والشيخ محمد علي الشرعي، والشيخ محسن الحرم بناهي، والشيخ محسن دوز دوزاني، والشيخ مسلم الملكوتي، والسيد محسن الخرازي، والشيخ مرتضى المقتدائي، والسيد مهدي الروحاني.

وتقوم هذه الهيئة بنشاطات علمية ودينية وإدراية من حيث الشأن والبحث، وفي السنوات الأخيرة، دخلت في الشأن المرجعي، حيث يرجع إليها الفضل في تقديم السيد محمد رضا الكلبيكاني على مرشح الدولة الإيرانية الشيخ محمد على الأراكي آنذاك، بعد وفاة الإمام الخميني، وقامت فيما بعد بترشيح الشيخ الأراكي بعد وفاة السيد الكلبيكاني، وفعلت ذات الشيء، بعد وفاة الشيخ الأراكي، حيث قامت(١) بترشيح مجموعة من العلماء للمرجعية.

٤ـ حوزة السيد محمد رضا الكلبيكاني، ويدرس فيها أكثر من ١٠٠٠ طالب، ويدرس فيها الشيخ الإعتمادي درس الرسائل.

٥ـ مدرسة الحجتية، وغالبية الطلبة فيها من الأجانب، وتدرس فيها الدروس باللغة الفارسية، حيث يضعون برنامجاً باللغة الفارسية للمنتسبين لمدة ستة أشهر أو سنة، قبل الالتحاق بها، ويكون هذا البرنامج معزولاً عن الدروس الدينية.

٦ـ مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام، التابعة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٧ـ المسجد الأعظم، حيث يدرس فيه الشيخ الوحيد الخرساني، ويحضر درسه بحدود ١٠٠٠ طالب بمختلف المستويات، والذي يعد واحداً

---

(١) قامت جماعة المدرسين بقم المقدسة بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩٩٤م، بترشيح مجموعة من مجتهدي قم، وهم كالتالي: الشيخ فاضل اللنكراني، والشيخ محمد تقي بهجت، والسيد علي الخامنئي، والشيخ وحيد الخرساني، والشيخ جواد التبريزي، والسيد موسى شبير الزنجاني، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي. وبناء على ترشيحها، قامت رابطة روحانيت مبارز بترشيح هذه المجموعة، والتأكيد على مرجعية السيد علي الخامنئي.

من أعمدة الدروس في هذه المدرسة الإمامية.

٨ـ منتدى جبل عامل، ويشرف على هذا المنتدى السيد جعفر مرتضى العاملي، ويديره الشيخ أحمد قصير، ويدرس فيه العديد من الطلبة العرب، وبالخصوص اللبنانيين، حيث يدرس فيه أساتذة من مختلف الجالية العربية، كما يُلقى فيه بحث خارج للشيخ محمد باقر الإيرواني، ويعد من مراكز الدرس العربي في قم.

٩ـ مجمع البحرين، ويشرف عليه الشيخ عيسى قاسم الدرازي، وهو مركز الطلبة البحرينيين، ويدرس فيه ما بين ١٣٠ ـ ١٢٥ طالب علم، وكذلك بعض الطلبة العرب من مختلف الأقطار العربية.

١٠ـ منتدى أُم القرى، وهي مركز درس عربي، ودورات خطابية وكتابة، يشرف عليه أحد السادة الأحسايين.

١١ـ منتدى السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، وهو مركز للدرس والبرامج الخاصة كالكتابة والخطابة، ويدرس فيه اللبنانيون وبعض العرب الآخرين.

١٢ـ المدارس التابعة للمرجع الديني الإمام الشيرازي وهي الصادقية والكربلائية ومدرسة تحفيظ القرآن.

١٣ـ حوزة الزهراء النسائية، وتضم هذه المدرسة الكثير من طالبات العلم من النساء، وهذه المدرسة غالبيتها من النساء اللبنانيات والخليجيات، وبالخصوص زوجات المشايخ وطلبة العلم في قم المقدسة.

وهناك الكثير من المدارس التي تعد بعضها كسكن خاص، مثل مدرسة الرسول الأعظم أو مكان للدراسة مثل: مدرسة دار الشفاء، ومدرسة الرسول الأعظم ﷺ، ومدرسة الإمام الهادي عليه السلام، بالإضافة

إلى الحسينيات والمآتم الدينية، مثل الحسينيات الإيرانية والعراقية، وحسينيات الجاليات المختلفة.

ويتواجد أغلب الطلبة في حوزة الإمام الخميني، المشهورة بالحوزة الحجازية، وهي تضم سكن للطلبة العزاب يتسع لـ ١٨٠ طالباً، وهي مركز الطلبة الأحسائيين والقطيفيين الذين يقاربون ٢٥٠ طالباً، وعبرها يتم ترتيب (إقامات) للطلبة، وهي الإطار القانوني للطلبة السعوديين، ويقام فيها الاحتفالات الدينية، والدروس، العلمية، وللأسف تحولت إلى إطار قانوني فيما بعد ومكان للسكن فقط، تعاقب على إدارتها مجموعة من علماء المنطقة مثل:

١ـ السيد هاشم الشخص الأحسائي.
٢ـ الشيخ حسين العايش الأحسائي.
٣ـ الشيخ عبد اللطيف الناصر الأحسائي.
٤ـ السيد عبدالله الياسين الأحسائي.
٥ـ الشيخ نزار إسماعيل القطيفي.

مدرسة طهران (حوزة القائم عج) نموذجاً:

كانت مدينة طهران من الأماكن التي نشأت فيها مدرسة علمية ساهمت في الفكر الإمامي، ولكن هذه المدرسة في حالة مد وجزر، برغم أنها مستمرة في عطائها العلمي، وقد نشأت العديد من المدارس الدينية في طهران، وإن كانت لا تقارن بالحالة العلمية التي وجدت في الأماكن الأُخرى، واستوطنها العديد من العلماء والفقهاء مثل:

١ـ الشيخ عبد الحسين (شيخ العراقيين) بن علي الرازي الطهراني النجفي المتوفى سنة ١٢٨٦هـ، ذكره الأميني في معجمه: «فقيه

أُصولي مجتهد كبير، من أعاظم علماء عصره، كان من شيوخ الفقه وأفضل العلماء، نادرة الزمان وأُعجوبة الدهر في الدقة والتحقيق والفقه والحديث والرجال واللغة، حامي الدين ودافع شبه الملحدين »، درس في النجف على يد صاحب الجواهر، والشيخ حسن كاشف الغطاء، وعندما بلغ مرتبة الاجتهاد تصدى للتدريس، ومن تلامذته الميرزا حسن النوري صاحب المستدرك. وعقب الأميني: « عاد إلى طهران، واصبح زعيماً ورئيساً مطاعاً ذا مرجعية عظيمة، ونفوذ كبير وقام بمآثر خالدة حية »، توفي بكربلاء المقدسة ودفن فيها، له ترجمة نجاة العباد إلى الفارسية، ورسالة عملية، وطبقات الرواة[١].

٢ـ الشيخ أبو القاسم ابن الميرزا محمد علي بن هادي الطهراني الكلانتري النوري (١٢٣٦ ـ ١٢٩٢هـ)، أحد كبار علماء الأُصول، درس في طهران ومن ثم انتقل إلى كربلاء، وبعدها استقر في النجف، حيث درس على يد الشيخ الأنصاري لمدة عشرين سنة، ومن ثم عاد إلى طهران، في سنة ١٢٧٧هـ، فكان بها فقيها مرجعاً وزعيماً دينياً. وكان يحضر درسه جمع من العلماء والفقهاء[٢].

٣ـ السيد إبراهيم ابن السيد صادق ابن السيد أبو طالب بن السيد معصوم الحسيني الناصر آبادي اللواساني، المتوفى سنة ١٣٠٩هـ، فقيه أُصولي، درس على يد صاحب الجواهر ولازم درسه في النجف، وفي عام ١٢٦٥هـ، رجع إلى طهران وأصبح من علمائها الموجهين، وتصدى للأُمور الحسبية وإمامة الجماعة، لديه تقريرات أُستاذه في الفقه والأُصول[٣].

---

(١) معجم رجال النجف ـ ٢ / ٨٥٤.

(٢) المصدر: ٣ / ١٣٠٦.

(٣) معجم رجال الفكر والأدب: ٣ / ١١٣٣.

٤ـ الشيخ أبو الفضل ابن الشيخ أبو القاسم ابن الميرزا محمد علي بن هادي الكلانتري النوري الطهراني، (١٢٧٣ ـ ١٣١٦)، كان أديباً أصولياً مجتهداً، واسع الخبرة بالتاريخ والرجال، هاجر إلى النجف سنة ١٣٠٠هـ، ودرس عند الميرزا حبيب اللّه الرشتي، والسيد محمد حسن الشيرازي، وبعدها بتسع سنوات عاد إلى طهران وتصدى للتدريس والوظائف حتى توفي فيها، له كتب عديدة: تتمة الحديث في الدراية، حاشية الأسفار، حاشية على فرائد الأُصول، وحاشية على المكاسب[1]

٥ـ الشهيد الشيخ فضل اللّه ابن المولى عباس النوري (١٢٥٨ ـ ١٣٢٧ هـ)، درس في طهران، ومن ثم هاجر إلى النجف، وحضر على يد الشيخ راضي النجفي، والسيد الشيرازي، عاد إلى طهران، واشتغل بالدرس والبحث والعمل السياسي، وراح ضحية المشروطة، حيث واجه التيار الفاسد الذي أراد أن يحرف الثورة عن هدفها الديني، فلم يقبل بالجهل، فقتل على يد عوام الجهلة[2].

٦ـ الشيخ أبو الحسن بن محمد دولت آبادي التبريزي المتوفى سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، «فقيه، فاضل، عالم، مجتهد، مؤلف، متتبع، أقام في سامراء مدة ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وتتلمذ على الفاضل محمد الشربياني، والشيخ محمد علي الخونساري، والميرزا حسين الخليلي، والشيخ محمد طه نجف، وبعد وفاة أُستاذه الشربياني، عاد إلى إيران واستوطن بلدة (الشاه عبد العظيم)، وواصل رسالته الشرعية»، إلى أن مات، وقد خلف كتباً كثيرة: بستان الأبرار أو لمعات الأنوار، لوامع

---

(١) نفس المصدر: ٢ / ٨٥٦.

(٢) نفس المصدر: ٣ / ١٣٠٨.

الأنوار، مظهر الأنوار[١]

٦ـ الشيخ محمد حسين ابن الحاج محمد حسن خان القزويني النجفي، (١٢٩٢ ـ ١٣٨٧)، فقيه فاضل عالم جليل، هاجر إلى النجف حدود ١٣٣١هـ، بعد أن أنهى المقدمات والسطوح في مسقط رأسه (طهران)، حضر بحوث السيد اليزدي والآخوند الخراساني، وشيخ الشريعة، عاد إلى طهران سنة ١٣٧١، بطلب من أكابر علمائها[٢]

٧ـ الشيخ محمد ابن الحاج فتحعلي بن علي قلي بيك المتوفى سنة ١٣٨٥هـ، أنهى المقدمات في طهران، ومن ثم هاجر إلى النجف سنة ١٣٥٤هـ، وحضر دروس السيد أبو الحسن الإصفهاني والسيد أبو القاسم الخوئي، وبعدها عاد إلى طهران سنة ١٣٧٠هـ، وقام بجهاده الديني والسياسي، حيث أسس الهيئة القائمية في طهران، وواصل جهاده حتى توفي بالسل فيها، له تقريرات شيوخه في الفقه والأُصول، كما له مجموعة مقالات بالفارسية[٣].

٨ـ السيد أحمد ابن السيد يوسف ابن السيد حسن المعروف بالميرزا ابن السيد محمد مهدي الحسيني الخونساري، (١٣٠٩ ـ ١٤٠٥)، وصفه الأميني: «من كبار الفقهاء ومراجع التقليد والفتيا، وأفذاذ المجتهدين والعلماء الورع والتقوى والتواضع والبساطة، لم يتكالب على المرجعية والرئاسة كسائر الذين يتراكضون عليها»، ولد في خونسار وأكمل المقدمات في بلده، ومن ثم هاجر إلى النجف، وحضر أبحاث الآخوند الخراساني، والسيد محمد كاظم اليزدي، وآغا ضياء الدين

---

(١) نفس المصدر: ٣ / ١١٩٢.

(٢) نفس المصدر: ٢ / ٨٥٨.

(٣) معجم رجال الفكر والأدب: ٢ / ٨٥٨.

العراقي، عاد إلى قم ولازم الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، وفي عام ١٣٧٠هـ قدم طهران من قبل السيد البروجردي، وتصدى للتقليد والإمامة والتدريس والتصنيف إلى أن مات، ودفن في الحرم المقدس بمدينة قم، له كتب كثيرة أهمها موسوعته جامع المدارك في شرح المختصر النافع، ورسالة عملية[1].

٩ـ الشيخ ذبيح الله بن محمد علي بن علي أكبر بن إسماعيل بن أتابك السامرائي، النجفي، (١٣١٠ ـ ١٤٠٦)، عالم متتبع ومؤلف محقق، وخطيب ماهر، هاجر إلى النجف، وتتلمذ على السيد محمد الفيروزآبادي، والميرزا آغا الإصطهباني، والشيخ عبد الحسين الرشتي، ومن ثم هاجر إلى سامراء، واستوطنها مشتغلاً بالتأليف والبحث، وفي سنة ١٣٧٦هـ، عاد إلى طهران، وتصدى لإمامة الجماعة وواصل التأليف، له كتب عديدة: اختران تابناك، الحق المبين، رياحين الشريعة، شمس الضحى، كشف العشار[2].

وفي طهران اليوم العديد من علماء الدين والفقهاء، وبالخصوص بعد انتصار الثورة الإسلامية، حيث انتقل إليها العديد من علماء الدين الذين تسلموا مناصب حكومية ودينية، سواء في مجلس الشورى ووزارات الدولة. ولقد نشأت فيها العديد من المدارس الدينية وبالخصوص في عهد الثورة الإسلامية، وكذلك كليات إسلامية مثل جامعة الإمام الصادق عليه السلام.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران تواجدت مجموعة كبيرة من

---

(١) المصدر: ٢ / ٥٤٦.

(٢) المصدر: ٣ / ١١٦٢.

العلماء ورجال الدين والفكر في طهران، وتسلمت مناصب في الدولة الإسلامية، بعد فشل التيار الليبرالي والعلماني في إدراة الدولة ومؤسساتها، وبعض هؤلاء عاد إلى مدنه الأصلية، أو إلى مدن أخرى، ولقد انخرط هؤلاء في مؤسسات رسمية عديدة، مثل جهاز القضاء، ومجالس الدولة المختلفة: مجلس الخبراء (خبرگان)[1]، والذي يعين قائد الثورة، ومجلس الشورى (البرلمان)، ومجلس صيانة الدستور، ومجلس إعادة النظر في الدستور الذي تأسس قبيل وفاة الإمام الخميني، ومجلس تشخيص مصلحة النظام، الذي يرأسه الشيخ رفسنجاني الآن، وكذلك بعض اللجان المتعددة في أجهزة الدولة، المستحدثة من قبل الثورة بناء على توصيات الإمام الراحل، مثل الحرس الثوري، والذي يلعب دوراً مهماً في الحياة السياسية في إيران اليوم، وقد يكون أئمة الجمعة والجماعة أبرز تلك المناصب، حيث أصبحت ذات تنظيم دقيق يدار من الدولة، بل أصبح لها مؤتمراً يرأسه رجال دين مقربين للثورة، فقد تسلم رئاسته في فترة من الزمن السيد علي الخامنئي.

كما سوف يلاحظ المتتبع أن بعض هذه المناصب، كانت حصراً على الفقهاء والمجتهدين، مثل رئاسة مجلس القضاء الأعلى، (السلطة القضائية)، والذي تقلده السيد علي البهشتي، والسيد الأردبيلي،

---

(١) تأسس هذا المجلس في أواخر حياة الإمام الخميني، وبعد إقالة الشيخ حسين المنتظري، خليفة الإمام في قيادة الجمهورية، وذلك لكي يحل هذه المشكلة الدستورية التي طرأت على النظام الإسلامي، يتألف مجلس الخبراء من سبعين مجتهداً، من بينهم، الشيخ أحمد جنتي، والشيخ مرتضى بن فضل، والشيخ محمد اليزدي، والشيخ عبد النبي النمازي، والشيخ أسد الله إيماني، والشيخ حسين الراستي، والشيخ محمد حسين الزرندي، والشيخ مهمان نواز، والسيد علي أكبر القرشي، والسيد عبد الراجي الموسوي الجزائري.

والسيد اليزدي الآن، بل وصل رجال الدين كثير من المناصب مثل: رئاسة الدولة ونيابتها، الذي رأسها السيد الخامنئي، والشيخ رفسنجاني، ومجلس الأمن القومي، ورئاسة جهاز المخابرات، كما حدث مع الشيخ ريشهري، والجيش، والوزارات المختلفة، ووزارة الدفاع، بل حتى في الرياضة.

إضافة إلى تلك المناصب التابعة للدولة والتي تسنمها العلماء في طهران، هناك مؤسسات عديدة لا حصر لها منها:

١ ـ الحزب الجمهوري الإسلامي، والذي كان يرأسه قبل تجميده السيد البهشتي، حيث كان هذا الحزب غالبيته من العلماء والطلبة، وتلاميذة الإمام الخميني ﷺ وقيادات الثورة من جميع المدن الإيرانية، ولكن الإمام الخميني قام بتجميده فيما بعد، لعدم قبوله بالحياة الحزبية، باعتباره عنصر تفرقة ويهدد الوحدة الوطنية.

٢ ـ جامعة روحانيت (رابطة العلماء، او هيئة العلماء)، وهي هيئة دينية تضم في عضويتها رجال الدين، وتتبنى أفكاراً تقليدية وحوزوية صرفة، ولهذا فإنها انغمست في الشأن العلمائي الديني، وتهدف هذه الرابطة إلى إعادة رجل الدين للحوزة، وإبعاده عن الشأن السياسي، وبالتالي فإنها ترفض إدخال الحوزة إلى السياسة، يرأسها الشيخ مهدوي كني.

٣ ـ روحانيون مبارز (رابطة العلماء المناضلين)، وهي تقابل الهيئة السابقة، وجاءت كانشقاق من الهيئة الأساسية، بسبب اختلاف الأفكار، فيما تسعى تلك الهيئة إلى كف رجال الدين عن العمل السياسي، فإن هذه الرابطة تدعو العلماء والطلبة إلى ممارسة العمل السياسي، والانخراط في مناصب الدولة الرسمية، ويرأس هذه الهيئة الشيخ مهدي كروبي.

إضافة إلى مؤسسات وهيئات وروابط وتجمعات متعددة أُسست بعد انتصار الثورة، وغالبيتها تابعة للدولة، مثل:

١ـ منظمة التبليغ الإسلامي (سازمان تبليغات إسلامي).

٢ـ المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والذي يرأسه الشيخ محمد واعظ الخرساني.

٣ـ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، والذي يرأسه الشيخ محمد علي التسخيري.

حوزة القائم نموذج حي:

ولكن النموذج الذي تأسس في طهران حري بالدراسة والتأمل في تاريخ المدارس الإمامية ألا وهو حوزة القائم العلمية. ففي عام١٤٠٠ هـ قام آية الله السيد محمد تقي المدرسي المولود في ١٩٤٥م أحد تلاميذ مدرسة كربلاء المقدسة والذي شملته رعاية خاله المرجع السيد محمد الحسيني الشيرازي في كربلاء المقدسة والكويت، بالاشتراك مع ثلة من علماء المنطقة، مثل الشيخ حسن بن موسى الصفار، ولقد تعاقب على إدارتها مجموعة من العلماء أبرزهم:

١ـ الشيخ عبد الرحمن العراقي.

٢ـ الشيخ نديم الحائري الكربلائي.

٣ـ السيد محمد باقر ابن آية الله السيد كاظم المدرسي دام ظله.

٤ـ الشيخ محمد فوزي بن محمد تقي السيف.

٥ـ الشيخ محمود بن محمد تقي السيف.

٦ـ الشيخ صادق بن خضر العبادي العراقي أحد رجالات العلم والثقافة في العالم الإسلامي اليوم، ومن أساتذة الحوزة العلمية في

العراق، وقم وطهران.

٧- الشيخ صاحب حسين الصادق، ولد في مدينة كربلاء المقدسة عام ١٩٥٣م، أكمل دراسة الابتدائية في مدرسة حفاظ القرآن الكريم، ومن ثم انتقل إلى دراسة العلوم الدينية في الحوزة العلمية، هاجر إلى إيران عام ١٩٩٧١م، وتابع دراسته في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة، تنقل بين الدولة العربية ودول الخليج العربي للتبليغ الإسلامي، وإلقاء المحاضرات وتربية جيل مسلم، عاد إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، واشترك في العديد من المؤسسات الثقافية والسياسية، من بينها تمثيله للجمهورية الإسلامية كسفير في سلطنة عمان، ومن بعدها تفرغ للتدريس والإدارة في حوزة القائم العلمية بطهران، له مؤلفات عديدة منه: إستراتيجية الأسرة وقضايا الزواج، الإسلام.. مجتمع أفضل، هل ندخل حصن الله، الثورة والقائد، لماذا المجتمع الإسلامي، قصة انتصار الثورة الإسلامية في إيران[1].

وتختلف هذه الحوزة عن باقي الحوزات والمدارس الإمامية بمحاولتها الجمع بين الأصالة والمعاصرة، بحيث شملت هذه المدرسة دروس الفقه والأُصول واللغة العربية والى جانبها دروس القرآن والتدبر فيه والثقافة ودراسة التاريخ والفكر السياسي وغير ذلك من الدروس الحديثة..مثل: الاقتصاد، والكتابة، والتأليف، والخطابة بقسميها المنبري والجماهيري.

وقام سماحة السيد المدرسي ومعه مجموعة من تلاميذه بتطوير طريقة التدريس في هذه الحوزة واعتماد الأساليب العصرية المطبقة في المدارس

---

(١) انظر: قصة انتصار الثورة الإسلامية في إيران، للشيخ صاحب الصادق.

الحديثة والجامعات، وإدخال نظام الامتحانات، والإصرار على مبدأ التغيير وممارسة العمل الديني والتبليغي في المجتمعات الإسلامية.

وقد استمرت هذه التجربة لمدة عشر سنوات، وانظم لهذه المدرسة أكثر من ألف ومائتي طالب ينتمون لدول إسلامية عديدة، وكانت غالبية الطلبة المنتمين لهذه الحوزة من منطقة القطيف والأحساء والعراق والبحرين، وقد تم افتتاح مدرسة نسائية منفصلة عن الحوزة ومرتبطة معها في الأهداف والأساليب والطموح.

وقد استطاعت هذه الحوزة أن تفتح لها فروعاً عديدة في طهران ومشهد وأفريقيا وسوريا، والهند، وباكستان، وان تخرج علماء دين وكوادر إسلامية انتشرت في بقاع الأرض تقيم المراكز الإسلامية لتوعية الأمة، في العديد من الدول مثل أمريكا وبلجيكا وأسبانيا.. والكثير من الكتاب الذي ساهموا في الإعلام الإسلامي ومن نتاج هذه الحوزة بعض المجلات والنشرات؛ لأن ما يميز هذه المدرسة إيمانها بالوحدة الإسلامية والأممية والفكر الشمولي ومحاولة الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ونتيجة لبعض الظروف التي لسنا بصدد دراستها توقفت هذه الحوزة في عام ١٩٨٩م، وانتقل غالبية الطلبة إلى أحد فروع الحوزة وهو حوزة الصادق عليه السلام في السيدة زينب، والتي تأسست سنة ١٩٨٣م، والتي تغير اسمها إلى حوزة القائم سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٥م، وانتقلت إلى مبنى جديد يتسع لأكثر من ١٠٠ طالب.

إن حوزة القائم برغم قصر التجربة إلا أنها استطاعت أن تنتج أعمالا ضخمة، وان ذلك لا يعني أن هذه التجربة كانت خالية من العيوب أو الأخطاء، ولذا فان حوزة القائم (عج) تعتبر جذرا أساسيا في حاضر المدرسة الإمامية في المنطقة، فلقد خرجت ما يقارب (٤٠٠) عالم

دين استقر معظمهم في المنطقة، ويمكن القول أن المدرسة المحمدية والتي تأسست في القطيف سنة ١٩٩٣م، تعتبر امتدادا لهذه الحوزة؛ لأن غالبية المنتمين إليها دَرَسُوا ودَرَّسُوا في هذه الحوزة النموذج.

ولم تسبق هذه التجربة إلا تجربة الشيخ محمد رضا المظفر صاحب أُصول الفقه، المتخرج من النجف الأشرف، حيث حاول أن يطور من الدراسة الإمامية وطرقها، ولعل كلية أُصول الفقه إحدى هذه النتاجات الماثلة أمام أعيننا، فلقد ساهم كتابه أُصول الفقه، والمنطق،، وكتاب الحلقات للسيد محمد باقر الصدر، وكتب أُخرى كمؤلفات الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي المتخصصة في مناهج الحوزة بشكل عام، والتي كتبت بشكل معاصر وأُسلوب مبسط، أن تسد ثغرة واسعة في منهج الدراسة في علم الأُصول والفقه والمنطق.

مدرسة دمشق (السيدة زينب عليها السلام):

يرجع تأسيس هذه المدرسة في هذا العصر الراهن لسماحة السيد حسن ابن الميرزا مهدي الشيرازي الكربلائي، والذي انتقل من العراق للظروف السياسية السائدة هناك وبتوجيه من أخيه السيد محمد الشيرازي، حيث أخذ يتنقل بين لبنان وسوريا واستطاع أن يؤسس في لبنان مدرسة دينية وعدة مشاريع إسلامية، وفي سوريا قام بتأسيس الحوزة العلمية الزينبية سنة ١٩٧٥م.

ولقد كانت دمشق في الفترات الزمنية الماضية إحدى حواضر المدرسة الإمامية، فلقد استقر فيها العديد من علماء الشيعة الكبار.

وقد كان لوجود هذه الحوزة بجانب السيدة زينب ابنة الإمام علي عليه السلام تأثير كبير على تجذيرها واستمرارها، حيث استقطبت طلبة العلوم الدينية وبالخصوص في ظل الظروف السياسية التي سادت

العراق وظروف حرب الخليج الأُولى، وبفضل السيد حسن الشيرازي الذي اغتيل في بيروت عام ١٤٠٠ هـ نشأت حركة علمية بجانب هذا المرقد الشريف، حيث توالت المدارس الدينية في هذه المنطقة، وتشكل اليوم إحدى جذور الحركة العلمية في القطيف والأحساء والكثير من بلدان العالم الإسلامي، واليوم أهم المدارس والحوزات العلمية في السيدة زينب عليها السلام كالتالي:

الحوزة العلمية الزينبية:

تأسست في سنة ١٩٧٥م، علي يد السيد حسن الشيرازي المتقدم ذكره، وهي أقوى الحوزات في السيدة زينب عليها السلام، وذلك من جهة الدرس وتواجد المدرسين، وكثرة الطلبة من مختلف الجنسيات، ويشرف على إدارتها السيد جعفر ابن السيد محمد الشيرازي، ويديرها السيد عطاء.

حوزة القائم العلمية (حوزة الصادق سابقاً):

تأسست هذه الحوزة بتاريخ ١٩٨٣م، ولكنها استطاعت أن تكون من أقوى الحوزات العلمية بعد الحوزة الزينبية، عندما انتقل إليها طلبة حوزة الإمام القائم من طهران كما أسلفنا، ساهم اندماج حوزة الإمام علي عليه السلام، في أن يجعلها أكثر قوة من حيث الكم والكيف، وتدرس هذه الحوزة مناهج تقليدية ومعاصرة تحدثنا عنها سابقاً، عندما ذكرنا المركز الرئيسي لها، وقد تعاقب على إداراتها العديد من علماء المنطقة مثل:

١ـ الشيخ محمد بن حسن الحبيب الصفواني، المولود في ١٣٨٤هـ.
٢ـ الشيخ محمد بن حسن العليوات السنابسي، المولود سنة ١٣٧٦.
٣ـ الشيخ محمود بن محمد تقي السيف، المولود سنة ١٣٧٨هـ.
٤ـ الشيخ عبد اللطيف الشبيب الحمامي، المولود سنة ١٣٨٤هـ.

٥ـ الشيخ نمر بن باقر النمر العوامي، المولود سنة١٣٨٠هـ.
٦ـ الشيخ علي هلال الصيود السيهاتي، المولود سنة ١٣٨٥هـ.

ويدرس فيها الآن أكثر من ستين طالباً من مختلف الجنسيات، وبالخصوص من منطقة القطيف والأحساء، ومن آذربيجان، ومن دول أفريقيا، ودول المغرب العربي.

حوزة الإمام الخميني ﭬ :

وهي من الحوازات العلمية النشطة التي تمارس دور التبليغ والإصلاح ونشر الثقافة العلمية، يقوم بإدارتها الشيخ محمد حسن الشيخ العراقي.

حوزة المرتضى عليه السلام :

تأسست هذه الحوزة في عام ١٩٩٢م، حيث أسسها السيد محمد حسين فضل الله النجفي اللبناني، ويدرس فيها العديد من طلبة الخليج والعراق، ويشرف عليها السيد عبدالله الغريفي، ومديرها الشيخ أبو خليل العراقي، ولقد شيدها الوجيه الكويتي الحاج عبد الحسين بهمن، وبجانبها مستشفى خيري قيد البناء، شيده الحاج المذكور، كما أن لدى هذه الحوزة مدرسة نسائية يدرس فيها البنات دروساً حوزوية ومعاصرة.

حوزة أهل البيت النموذجية:

تأسست سنة ١٤١٦هـ على يد السيد صادق الحكيم الطباطبائي، وهو الذي يقوم بإدارتها حالياً، يدرس فيها الفقه واللغة والأدب، والأصول والمنطقة، وبها ما يقارب من ٥٠ طالب، أغلبهم من العراقيين المهجرين.

حوزة أهل البيت العلمية:

تأسست سنة ١٤١٦هـ، على يد السيد محمد الموسوي الهندي، ومديرها السيد هادي العراقي، عدد الطلبة: ١٣٠ طالبا من العراق وإيران والأفغان وبعض الدول العربية.

حوزة المصطفى العلمية:

تأسست بتاريخ ١٤١٦هـ، على يد الشيخ جمال الوكيل الحائري،

حوزة الصادق العلمية:

تأسست سنة ١٤١٦هـ، على يد الشيخ محمد مالك الحائري، وبالرغم من كون هذه المدرسة تعتبر حديثة التكوين إلا أن لها مستقبلا مشرفا بوجود نخبة من العلماء المستقرين فيها، يمارسون دور التدريب والرعاية والإشراف على هذه المدرسة، من خلال تدريس البعض منهم بحوث الخارج والسطوح، وأبرز هؤلاء الموجودين:

١ـ الشيخ محمد محمد طاهر الخاقاني المحمري، له بحث خارج في الفقه والأُصول، في مكتبه الكائن بمنزله.

٢ـ السيد محمد علي الطباطبائي النجفي الحائري، لديه بحث خارج في الفقه، كما أنه يدرس العديد من دروس السطوح في الفقه والأُصول في منزله.

٣ـ الشيخ محمد علي الفاضلي الأفغاني الغروي، من أساتذة الفقه والأُصول، له بحث خارج في الفقه والأُصول في الحوزة الزينبية، ويدرس السطوح العالية.

٤ـ الشيخ سلطان الفاضلي النجفي، من أساتذة الفقه والأُصول في الحوزة الزينبية، له بحث خارج في مكتب السيد الخامنئي.

٥ـ الشيخ محمد الأنصاري، له بحث خارج في الفقه والأُصول بحرم السيدة زينب عليها السلام، يحضره لفيف من طلبة العلم من المنطقة.

٦ـ السيد عباس كاظم المدرسي الحائري القمي، له بحث خارج في حوزة القائم (عج)، في الفقه، كما أنه يدرس بعض الدروس الحوزوية.

٧ـ السيد احمد الفهري الغروي، له بحث خارج في الفقه بمكتب السيد الخامنئي، ومن أساتذة السطوح في حوزة الإمام الخميني لفترة طويلة.

٨ـ السيد صادق الطباطبائي الحكيم، لديه بحثان في الفقه والأُصول في مكتب السيد السيستاني.

٩ـ السيد محمد حسين فضل اللّه، لديه بحث خارج في الفقه والأُصول، لديه رسالة عملية، وكتب فقهية أُخرى، من الشخصيات الدينية في لبنان.

١٠ـ السيد عبد المنعم الحكيم الطباطبائي، لديه بحث خارج في الفقه، في مكتب السيد محمد سعيد الحكيم، قدم مؤخراً من حوزة قم المقدسة.

١١ـ الشيخ المحمدي الباميـاني الأفغـاني الغـروي، من أساتذة الفقه والأُصول في السطوح العالية بالسيدة زينب عليها السلام، مثل الرسائل والمكاسب.

١٢ـ السيد أحمد الواحدي، من أساتذة السطوح العالية، يدرس في منزله بحسينية الواحدي.

١٣ـ الشيخ الأحمدي الأفغاني، أُستاذ الفلسفة والأُصول في الحوزة الزينبية.

١٤ـ الشيخ عبد اللطيف الشبيب القطيفي الحمامي، من أساتذة السطوح العالية، في حوزة القائم (عج)، غادر إلى القطيف سنة ١٩٩٢هـ.

١٥ـ الشيخ الناصري الأفغاني، أُستاذ السطوح العالية في الحوزة الزينبية.

١٦ـ السيد عبدالله الغريفي البحراني، من الشخصيات الدينية في السيدة زينب عليها السلام، ولديه دروس في منزله، وكذلك محاضرات أسبوعية.

إضافة إلى أن هناك اليوم في السيدة زينب العديد من الحسينيات ومراكز الإرشاد ومكاتب المراجع المعاصرين، التي تمثل هذه المكاتب مع الحوزات أماكن إشعاع للفكر الإمامي، والكثير من المشاريع الإسلامية ذات الطابع الاجتماعي والثقافي... وفي هذه المدارس درس أكثر من ٤٠٠ طالب ينتمون للمنطقة، أما الآن فيقاربون المائة الطالب، وفي هذه المدرسة العلمية يدرس أكثر من ١٢٠٠ طالب من مختلف الجنسيات.

كما يستقر في دمشق العديد من رجال العلم، مثل السيد علي ابن السيد حسين مكي العاملي، أحد شخصيات الطائفة الإمامية في سوريا، والذي يشرف على مدرسة حوزوية، والسيد عبدالله نظام، وهو أُستاذ سطوح في حوزة الإمام الخميني، والشيخ نبيل الحلباوي، إمام مصلى السيدة رقية عليها السلام.

مدرسة البحرين وعلاقتها بالقطيف:

مدرسة البحرين من المدارس العريقة التي نشأت في تاريخ الطائفة الإمامية، ولقد قدمت لنا هذه المدرسة الكثير من الأعلام، ومئات من الكتب وعشرات الموسوعات الفقهية والعلمية، وفي إحدى فتراتها

الزمنية استطاعت أن تنافس بعض الحواضر الشيعية، ويبدو أن مدرسة البحرين تشكلت منذ القرن السابع الهجري، فلقد وجدت الكثير من المدارس العلمية التي أنشأها العلماء، إضافة إلى الحلقات الحوزوية التي خرجت الكثير من العلماء.

ولقد وجدت شخصيات علمية برزت في التاريخ الشيعي مثل: الشيخ نصر بن نصير البحراني، والشيخ قوام الدين: محمد بن محمد البحراني، وابن الشريف أكمل، والشيخ ناصر الدين: راضي بن إبراهيم بن إسحاق البحراني، والشيخ أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني، والشيخ علي بن سليمان، والشيخ ميثم البحراني (٦٣٦ ـ ٦٩٩هـ)، والشيخ أحمد ابن الشيخ عبدالله بن متوج البحراني، والشيخ مفلح الصيمري، والشيخ دواد بن أبي شافيز، والسيد عبدالله القاروني، والشيخ محمد بن ماجد البحراني، والسيد ماجد الصادقي، والسيد ماجد ابن السيد محمد البحراني، والشيخ علي بن سليمان القدمي (أم الحديث)، وابنه الشيخ صلاح الدين القدمي، والمحقق الشيخ سليمان الماحوزي (١٠٧٥ ـ١١٢١هـ)، والشيخ عبدالله بن صالح السماهيجي، والشيخ حسين بن محمد الماحوزي مؤسس النهضة العلمية في القطيف، والشيخ يوسف العصفور صاحب الحدائق الناضرة، والشيخ حسين العصفور المتوفى ١٢١٦هـ، صاحب سداد العباد، والشيخ عبدالله بن عباس الستري المتوفى سنة ١٢٧٠هـ صاحب معتمد السائل، وغيرهم كثير[1].

---

(١) للمزيد حول تاريخ علماء البحرين انظر: لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف البحراني، أنوار البدرين للشيخ علي البلادي، وعلماء البحرين للشيخ المهتدي البحراني، واعلام الثقافة الإسلامية في البحرين للأستاذ سالم النويدري.

يقول الأُستاذ سالم النويدري: «المشرب الفقهي السائد بين العلماء السابقين في هذه الديار كان الاتجاه الأخباري الذي يحصر الأدلة الشرعية في أصلين هما الكتاب والسنة، في مقابل الاتجاه الأُصولي الذي يضم إليهما الإجماع والعقل، أما الاجتهاد والتقليد فمشترك بينه».

ثم يعلق على تاريخ هذه الحركة العلمية قائلاً: «ولو تتبعنا الحركة الفقهية في البحرين لرأينا أنها بلغت الذروة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين. ثم بدأت تتجه إلى الانحسار في القرن الرابع عشر، ففي القرنين السابقين ظهر في البحرين العديد من مراجع التقليد ذوي الشهرة الفقهية في المنطقة الخليجية عامة كأصحاب الحدائق والسداد والمعتمد، أما في القرن الرابع عشر فلانعدم الفقهاء أمثال الشيخ أحمد آل طعان وحفيده الشيخ عبدالله بن محمد بن صالح آل طعان والشيخ خلف بن أحمد العصفور وغيرهم».

ويلاحظ ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين مدرسة كربلاء والبحرين، وقد يكون الرابط صاحب الحدائق، وان كانت مدرسة البحرين مدرسة شبه مستقلة وبالخصوص في عهد نهضتها الفكرية وسبب ذلك هو الاتجاه الأخباري السائد، وان كان ذلك لا يمنع من الارتباط بمدرسة العراق وفروعها، وبالخصوص بعد غياب الأعلام من مدرسة البحرين، وهذا ما تشاهده فيما بعد من خلال تراجم علماء البحرين..من حيث الارتباط بمدرسة النجف الأشرف.

والملاحظة المهمة في تاريخ هذه المدرسة أنها تتحد بمدرسة القطيف والأحساء بشكل لا يمكنك فكه، وبالخصوص في المراحل الأُولى لتشكل المدرستين، بل يمكن التقرير بأنهما مدرسة واحدة وليست مدرستين، وان المدرسة التي تشكلت في المنطقة في المرحلة الأُولى هي امتداد لمدرسة

البحرين العلمية.

فالشيخ سليمان الماحوزي تتلمذ على يديه بعض علماء المنطقة، مثل الشيخ ناصر بن محمد آل أبي ذيب، والشيخ ناصر بن محمد الجارودي الخطي، وبعد وفاة الشيخ الماحوزي لازم تلميذه الشيخ عبدالله السماهيجي، ويذكر لنا التاريخ أن الشيخ الماحوزي أجاز الشيخ ناصر الجارودي إجازة رواية، وأن من ضمن مصنفات الشيخ الماحوزي الكثيرة رسالة باسم أجوبة الشيخ الفاخر الشيخ ناصر الجارودي، كما تجدر الإشارة أن أحد أساتذة الشيخ الماحوزي الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الخطي المقابي البحراني (تلميذ العلامة المجلسي)، والثاني الشيخ حسن بن محمد بن يحيى الخطي[1]، وهذا يؤكد ارتباط المدرستين.

ولقد كان لتلامذة الشيخ سليمان الماحوزي الأثر الكبير في إثراء مدرسة القطيف، فهذا الشيخ حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي البحراني الذي استقر في منطقة القطيف وأقام حلقة علمية تتلمذ فيها العديد من علماء المنطقة، منهم الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق، ولقد شارك المحدث البحراني أيضاً في إنضاج مدرسة القطيف الإمامية بتدريس بعض علمائها، كما شارك ابن أخيه وتلميذه العلامة

---

(١) وصفه الشيخ سليمان الماحوزي في أزهار الرياض قائلا: «من جملة مشائخي في العلوم العربية، الأديب النحوي الفقيه الشيخ حسن بن محمد بن يحيى الخطي، وكان ألحى من عاصرتهم، وأحفظهم للعلوم العربية وغيرها، حتى أنه كان يحفظ شرح الجامي للكافية، وألفية جمال بن مالك، ومنظومة الشيخ تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي في الفقه وغيرها، إلا أنه كان كثير الهزل والمجون، ومن ثم كان ساقط الجاه عديم الصيت»، ولقد رجح الشيخ فرج العمران في مستدرك تحفة الإيمان انه من أُسرة آل عمران، بناءً على قول التاجر، ص ٨٧.

الشيخ حسين العصفور، حيث نرى ضمن ترجمته ذلك، فنرى من أبــرز تلامذته ثلاثة من أعلام الأحساء، وأربعة من أعلام القطيف:

١ـ الشيخ عبد المحسن اللويمي الأحسائي.
٢ـ الشيخ أحمد بن زين الدين المطيرفي الأحسائي.
٣ـ الشيخ حسن بن عبد المحسن اللويمي الأحسائي.
٤ـ الشيخ عبد علي بن قضيب القطيفي.
٥ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن الحسين أحمد الشويكي الخطي البحراني.
٦ـ الشيخ عبد علي بن محمد الحسين الشويكي الخطي البحراني، ابن المتقدم.
٧ـ الشيخ مرزوق الشويكي القطيفي.

وأما تلميذه الشيخ عبدالله بن عباس الستري البحراني فإنه أقام مدرسة كسابقيه، فتخرج منها عدة من علماء البحرين من بينهم ابن عمه وتلميذه الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمدالتغلبي الجدعلاني الستري المتوفى سنة ١٢٨٢هـ، حيث استوطن هو وأُسرته مدينة العوامية المتوفى ١٣٤٢ هـ وخلف ابنه الشيخ محمد المعروف بأبي المكارم، المتوفى ١٣١٨هـ وهو والد الشيخ جعفر التغلبي الستري العوامي المتوفى ١٣٤٢هـ صاحب التصانيف الكثيرة والذي خلف الشيخ علي ابن الشيخ جعفر أبي المكارم الستري العوامي المتوفى ١٣٦٤ هـ والذي تولى القضاء في البحرين لفترة وقد خلف هذا الشيخ علمين معاصرين هما: الشيخ عبدالمجيد آل أبي المكارم، والشيخ سعيد آل أبي المكارم[1]

---

(١) للمزيد انظر: الشيخ سعيد أبو المكارم، أعلام العوامية.

ومن تلامذة مدرسة الشيخ عبدالله بن عباس الستري الذين شاركوا في النهضة الفكرية في المنطقة الشيخ احمد بن صالح آل طعان البحراني القديحي والذي سافر إلى النجف الأشرف واتصل بالشيخ مرتضى الأنصاري والشيخ محمد حسين الكاظمي، ثم عاد إلى البحرين وفي أواخر حياته استقر في القطيف، حيث افتتح حلقة علمية تخرج منها العديد من علماء المنطقة، هناك الكثير من العلماء الذين شاركوا في نشوء وإغناء مدرسة القطيف بشكل أساسي.

ونشاهد أُسرة علمية أُخرى من أصل بحراني في المنطقة أيضاً في القرن الثاني عشر وهي أُسرة آل مبارك العلمية، حيث تزعم هذه الأُسرة الشيخ مبارك آل حميدان الجارودي الأحسائي، وقام هذا الشيخ بافتتاح حلقة دينية، وكان من أبرز تلاميذه أولاده الشيخ عبدالله والشيخ محمد والشيخ علي، وهم أُسرة مباركة اسماً وعلماً وورعاً، حيث لهم كرامات ذكرها صاحب الأنوار، وآخر فقهاء هذه الدوحة المباركة الشيخ محمد صالح المبارك الصفواني (قاضي القطيف الجعفري) الذي يعد من مفاخر الحركة العلمية في المنطقة وساهم مساهمة كبرى في رفع عجلة العلم والنهضة الأدبية والثقافية في المنطقة، فكانت ندواته ومجالسه العلمية شاهدا على ذلك في ذلك الوقت.. ومن المعاصرين الشيخ جعفر المبارك القمي الصفواني.

« كانت البحرين -في عصرها الذهبي- مزدهرة بالمدارس العلمية التي خرجت فطاحل العلماء وأنجبت العديد من الفقهاء الذين مازالت تفخر بهم المنطقة قاطبة، بل عالم الإيمان أجمع..: وكانت المدارس منتشرة في أغلب قرى البحرين كأبي إصبع، والشاخورة، والقديم، والدراز، والماحوز، وبوري، والبلاح القديم، وسترة، وجدحفص، وغيرها من

البلاد، وكانت المدارس العلمية تجتذب الكثير من طلاب العلم في المناطق المجاورة، ليتلقوا علومهم على أيدي علمائها الكبار.. ومن علماء المنطقة الذين تخرجوا في تلك المدارس: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، والشيخ عبدعلي بن قضيب، وكثير سواهما»[1].

ويستقر في البحرين اليوم العديد من العلماء الأفاضل، الذين يتسلمون العديد من المناصب العلمية مثل: القضاء، والتدريس، والتوجيه الاجتماعي الديني، والخطابة، والأدب، مثل:

الشيخ منصور بن محمد بن سلمان الستري، الشيخ أحمد بن خلف العصفور، السيد جواد الوداعي، الشيخ سليمان المدني، السيد علوي ابن السيد أحمد الغريفي، الشيخ محمد بن منصور الستري رحمه الله الشيخ حسن آل نتيف، الشيخ عبدالله الديهي، الشيخ عبد الأمير الجمري، الشيخ محمد سند، الدكتور الشيخ محمد علي بن منصور الستري، الشيخ عيسى قاسم، الشيخ عبد الحسين الستري، الشيخ عبد الحسين العريبي، السيد علوي الشهركاني، الشيخ علي بن محمد بن محسن العصفور، الشيخ محمد جعفر الجفيري، الشيخ محمد صالح الربيعي، السيد محمد العلوي، السيد عبدالله الغريفي، السيد محمد صالح ابن السيد عدنان القاروني، الشيخ محمد صالح العريبي، الشيخ محمد محسن العصفور، وغيرهم كثير من الخطباء والشعراء والكتاب ورجال الدين المستقرين في البحرين، والمهاجرين إلى قم المقدسة والسيدة زينب، ومازال في البحرين بقايا السلف الصالح، وبعض المدارس الدينية، مثل مدرسة الشيخ سليمان المدني في جدحفص،

(١) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين ـ ١/ ١٣٦.

والشيخ منصور الستري في سترة، والتي تسمى المدرسة المنصورية[1].

وبالجملة فإن مدرسة البحرين كانت جذراً أساسيا لمدرسة الإمامية في القطيف، ولا يمكن لأي باحث أن يتغاضى عن دورها العلمي، وسوف يشاهد المتتبع أن مدرسة البحرين لا تقل عن حواضر الإمامية شأناً وعظمة.

بظروف سياسية قاهرة في سنة ١١٣٠هـ، عندما هجم اليعاربة على البحرين، عندها هاجر الكثير من العلماء الأعلام إلى المنطقة، وكان من ضمنهم الشيخ أحمد آل عصفور والد صاحب الحدائق وأولاده العلماء، والشيخ حسين الماحوزي، والشيخ حسن الدمستاني، والبقية توجهوا إلى شيراز، مثل الشيخ عبدالله السماهيجي المتقدم ذكره.

وبغياب المحدث البحراني ووفاته في كربلاء المقدسة ١١٨٦هـ، وخلو الساحة للوحيد البهبهاني استطاع أن يحد من وجود هذا الاتجاه في العراق لفترة ليست بقليلة، حتى ظهور الميرزا محمد النيسابوري المشهور بالأخباري المولود سنة (١١٧٨هـ/ ٧٦٥م)، مؤسس مدرسة قرية المؤمنين الأخبارية القائلة بحرمة التقليد لغير المعصوم، وأن الفقهاء رواة عنه ووسائط، وهي تتفق من حيث المبدأ مع الميرزا الاسترابادي والشيخ السماهيجي. وهذه المدرسة عكس مدرسة البحرين القائلة بالاجتهاد والتقليد.

تتلمذ الميرزا محمد الأخباري على أيدي علماء كبار منهم: السيد مهدي بحر العلوم، والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، والسيد محمد الشهرستاني، والشيخ محمد علي (نجل الوحيد البهبهاني).

ولقد اشتهر أمر الميرزا الأخباري في العراق ونواحيها، ودخل في

---

(١) للمزيد انظر: أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين ـ ١/ ١٠٢ ـ ١٠٥.

سبيل الدفاع عن آرائه وأفكاره الكثير من المعارك العنيفة من الجدل والمطارحة والسجال، وجرت بينه وبين الشيخ جعفر الجناحي صاحب (كشف الغطاء)، حوادث عديدة من المناظرة والجدال، تحولت في الأخير إلى منافرة وخصومة بينهما، ولقد انتهت بقتله وقتل ولد الميرزا أحمد في الكاظمية -قرب بغداد-، وذلك في سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م.

ولقد ترك الميرزا الأخباري مؤلفات كثيرة وعديدة تدل على مكانته العلمية والفقهية، وتتكرز أكثرها في الدفاع عن آرائه وعقيدته منها: دوائر العلوم، إنسان العين، وموارد الرشاد، بغية الفحول.

ولقد بقيت هذه المدرسة ضمن حدود العراق وتمركزت في سوق الشيوخ (المركز الرئيسي)، ولم تستطع الانتشار خارج العراق، وأن تصل إلى المنطقة، باستثناء علاقة الميرزا الأخباري الشخصية بالشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن آل عيثان الأحسائي، وبعض العلماء القلائل.

ومن الشخصيات التي سارت في هذه المدرسة الأخبارية من المنطقة، الشيخ حسين ابن الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي القاري، والذي توفي في حدود سنة ١٢٤٠هـ في إيران، وكان من أشد المناصرين للاتجاه الأخباري، هو وأبوه الشيخ محمد آل عيثان، وله كتب عديدة في الدفاع عن قناعاته وأرائه وله أُرجوزة استدلالية في ذلك والتي منها:

وبعد فالجاني حسين القاري لجل (ابن عيثان) الفتى الأخباري

وانفرد المترجم له بقناعته بمدرسة قرية المؤمنين الأخبارية، وذلك لصحبته وعلاقته الوثيقة مع مناصره في مشرب الأخبارية الميرزا محمد النيسابوري الأخباري المتوفى ١٢٣٢هـ.ولكن يبدو أن هذا الاتجاه فشل في أن يمد خطوطه إلى المنطقة بشكل قوي، ولذا لا نشاهد شخصيات قوية التأثير تبنته في المنطقة، وحاولت أن تروج له. وإن كان استطاع أن

يحافظ على وجود داخل العراق.

بعكس المدرسة البحرانية التي استطاعت الاستقرار في المنطقة، وخصوصاً بعد أن تطورت هذه المدرسة علي يد صاحب الحدائق، وعرفت فيما بعد باسم الفرقة الوسطى، وتبعه في ذلك صاحب معتمد السائل، وقسم من تلاميذه أبرزهم الشيخ عبدالله الستري، وولده الشيخ محمد أبو المكارم، وحفيده الشيخ جعفر أبو المكارم، والذي أوضح ذلك السيد مهدي الغريفي في يقظة الوسنان، حسبما سوف يأتي، وتبعهما في هذا القول كذلك الشيخ عبد العظيم الربيعي في كتابه الفرقة الوسطى، ولقد ذكر الميرزا محمد الأخباري في كتاب دوائر العلوم: «إن الشيعة ينقسمون إلى ثلاثة فرق: الأُصولية، والأخبارية، والفرقة الوسطى».

ومن أحفاد الميرزا الأخباري، السيد رؤوف جمال الدين، وهو أحد المناصرين إلى هذا الاتجاه بشدة وقوة، له بعض الكتب، وقام بالاشتراك مع الشيخ عبد المجيد أبو المكارم بتحقيق كتاب: هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار ـ للشيخ حسين بن شهاب الدين الكركي، والذي يتحدث فيه عن موضوع الخلاف بين الطرفين.

ومن أحفاد الميرزا الأخباري المرحوم الدكتور السيد مصطفى جمال الدين، رجل العلم والأدب، وكان الوريث الشرعي لهذا الاتجاه، تسلم مكانة أجداده بوصية من جده الميرزا في سوق الشيوخ، وكان إمام الجمعة والجماعة فيها، هاجر من العراق بسبب الظروف السياسية في الثمانينات من هذا القرن، وعاش في دمشق حتى مات في ١٩٩٦م.

الاتجاهات الفكرية والعلمية في المنطقة:

سوف نتحدث في هذه السطور القليلة عن تطور نشأة التوجهات العلمية والمرجعية في المنطقة، وهي ثلاث مدارس علمية لها الباع الطويل في تكريس المبادئ والقيم السماوية المحمدية في نفوس الناس من بينها:

١- الاتجاه الأخباري في المنطقة:

يعد هذا الاتجاه أقدم اتجاهات الإمامية ولا غرابة في ذلك؛ لأن الشيعة الإمامية لم يكونوا بحاجة لفقيه يقوم باستخدام الاجتهاد لاستنباط الحكم الشرعي، لوجود الإمام المعصوم المنصب من اللّٰه سبحانه وتعالى. وإذا مورست عملية الاجتهاد فإنها حالة نادرة الحدوث، فكل من يحتاج لحكم شرعي يرجع للإمام بشكل مباشر أو تلاميذه ووكلائه المنتشرين في حواضر العالم الإسلامي آنذاك.

وسوف يلاحظ المستقرئ لمسيرة الفقه الإسلامي، بأن السنة كانت الأسبق في استخدام علم الأُصول المشتمل على الفلسفة والعلوم العقلية مثل المنطق، ولم يستخدم الأُصول عند الإمامية، إلا بعد الغيبة الصغرى بشكل بدائي، حتى تطور على أيدي علماء الإمامية أثناء الغيبة الكبرى بشكل جدي سبق السنة فيما بعد.

ولذا فإن غالبية الجيل الأول من علماء الشيعة قبل الغيبة الصغرى وبعدها، أمثال صاحب الكافي الشيخ الكليني، وعلماء مدرسة قم المقدسة مثل: الشيخ احمد بن عيسى شيخ القميين، والشيخ علي بن إبراهيم القمي، والشيخ علي بن الحسين بن بابويه (٢٦٠هـ - ٢٣٩هـ)، وولده الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ، والشيخ علي بن عبداللّٰه بن بابويه المشهور بمنتجب الدين (٥٠٤ هـ - ٥٨٥ هـ)،

وغيرهم كثير، كانوا ينحون تجاه الأخبار والأحاديث، وقد لا تشاهد في هذا الجيل من يعتمد الاجتهاد كوسيلة لاستنباط الحكم الشرعي.

بينما تأرجح الجيل الثاني و الثالث من علمائنا بين استخدام الأُصول، واعتماد الأخبار والعمل بها، مثل: الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، وانفردت شخصيتان وهما: ابن عقيل، وابن الجنيد، في تبني القول باستخدام القواعد الأُصولية لاستنباط الحكم الشرعي، واللذان تعرضا لتقريع وذم من قبل الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي، فيما ذهبا إليه من إدخال القياس، وبعض القواعد السنية الأُصولية إلى الفقه الإمامي، حيث قام الشيخ محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ، بتأليف كتاب (تهذيب الشيعة)، في عشرين مجلد، وحاول تطبيق القياس فيه وعملية استنباط الفروع من الأُصول على طريقة أهل السنة. وبالرغم من الهجوم الكبير الذي تعرض له ابن عقيل وابن الجنيد من قبل تلميذهم الشيخ المفيد، وفيما بعد من قبل السيد المرتضى، فإن ذلك لم يمنعهما من تأليف الكتب الأُصولية[1].

واستمر علماء الشيعة الإمامية في الأخذ بأُصول الفقه، بل قاموا بتطويره بشكل مذهل، ولقد شكلت مدرسة الحلة إحدى المنعطفات التي ساهمت في إذكاء هذا الاتجاه، وإن بقي علماء آخرون يؤمنون بالاستمرار على الأخذ بمتون الأخبار والنصوص، إلا أنهم كانوا قلائل وشبه نادر في الوسط الإمامي في تلك الحقبة الزمنية.

---

(١) سوف نتعرض لذلك بشكل مفصل لاحقاً في دراستنا للاتجاه الأُصولي.

الميرزا الاسترابادي وإحياء الاتجاه الأخباري:

وبحلول القرن الحادي عشر الهجري ظهر الميرزا محمد أمين الإسترابادي، في مدينة كربلاء المقدسة، بعد عقود من الفتور العلمي في النجف وكربلاء وغالبية حواضر الفكر الإمامي، وذلك ليحيي هذه الطريقة من جديد، وبشكل أثار الجدل في حواضر الإمامية، بعد سيطرة دامت قروناً للاتجاه الأُصولي، ولقد أوعز البعض سبب ذلك الظهور إلى ظروف وأسباب عديدة ساهمت في تقوية هذا التيار من أهمها غياب الفقهاء الأُصوليين الذين يستطيعون توظيف علم الأُصول في استنباط الأحكام الشرعية في تلك الفترة.

و «كان أول من دعا لهذه الفكرة، هو السيد الميرزا محمد أمين الإسترابادي المتوفى سنة ١٠٢٣ هـ، وقد تزعّم الأخباريين في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أولُ من باحث المجتهدين الأُصوليين، داعياً للعمل بمتون الأخبار الواردة، قائلاً: إن اتباع العقل، والإجماع، واجتهاد المجتهد، وتقليد العامي، للشخص المجتهد من المستحدثات، وقد ضمّن آراءه هذه في كتاب سماه (الفوائد المدنية في الردّ على من قال بالاجتهاد والتقليد)، وهو كتاب مطبوع، وكان عند تأليفه له مجاوراً المدينة، فسماه بـ (الفوائد المدنية)»[1].

ولقد أثار كتاب الفوائد المدنية كثيراً من الجدل والإثارة؛ لأن صاحبه قام بجهد كبير لإثبات حججه وبراهينه للانتصار لرأيه. وحاول إثبات أن هذه الآراء لقدماء المذهب وطريقة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وبفعل ذلك تحول الكتاب إلى مصدر أساسي لهذا الاتجاه، واستطاع التأثير في كثير من علماء مدرسة الإمامية، وإن كانت عباراته تتسم

---

(١) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، نور الدين الشاهرودي، ص ١٢٤.

بالجرأة والصراحة الزائدة.

وهذا أحد علمائنا الأبرار يوضح هذه الحقيقة وهو العلامة الحر العاملي ﷺ في معرض دفاعه عن الكتاب وصاحبه الميرزا الإسترابادي:

« أقول: الذي عرّض صاحب الفوائد المدنية بالطعن عليهم وهم خمسة لا غير كما يأتي.. ولم يصرّح صاحب الفوائد المدنية بالطعن عليهم، وإنما رجح طريقة القدماء على طريقة المتأخرين بالنصوص المتواترة.. وقد أثبت تلك الدعوى بما لا مزيد عليه، ومن أنصف لم يقدر أن يطعن على أصل مطلبه ولا أن يأتي بدليل تام على خلاف ما ادعاه »[1]

بينما وصفه الشيخ يوسف البحراني قائلاً: « كان فاضلاً محققاً مدققاً ماهراً في الأُصولين والحديث، أخبارياً صلباً، وهو أول من فتح باب الطعن على المجتهدين وتقسيم الفرقة الناجية إلى أخباري ومجتهد، وأكثر في كتابه الفوائد المدنية من التشنيع على المجتهدين، بل ربما نسبهم إلى تخريب الدين، وما أحسن وما أجاد، ولا وافق الصواب والسداد، لما قد ترتب على ذلك من عظيم الفساد، وقد أوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه في كتابنا: الدرر النجفية، وفي كتابنا الحدائق الناضرة »[2]

الفرق بين الاتجاهين:

وليست هناك فروقاً كبيرة بين الاتجاهين الأُصولي والأخباري مثلما تصورها العامة، بقدر ما هي فروقات جاءت نتيجة اختلافات في قراءة

---

(١) الفوائد الطوسية، الشيخ الطوسي، ص ٤٤٢.

(٢) لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف البحراني، ص ١١٨.

النصوص والأخبار، إضافة إلى إعمال العقل بشكل مكثف عند الأُصوليين، أو الالتزام بظاهر النصوص ومتون الأخبار عند الأخباريين، ولذلك فهي ليست اختلافات في أُصول المذهب والعقيدة، بل هي اختلافات في الفروع، وبعض المسائل الفقهية، والتي نشاهدها عند فقهاء كل اتجاه.

ويمكننا تأكد ذلك من خلال نص للسيد المرعشي النجفي ﷺ، في كتابه (الردود والنقود) وذلك عند دفاعه عن ابن أبي جمهور الأحسائي وآرائه:

« وأما كونه أخبارياً: فهو خلاف ما يظهر من كلماته في بعض كتبه، كما هو غير مستور على من رجع إلى آثاره، ويبدو له أن لمؤلف كان مذاقه متوسطاً بين الأُصولية والإخبارية، ثم على فرض كونه إخبارياً فذلك غير مضر بحجية منقولاته بعد الاطمينان بالصدور. كما ذكرنا، وإلا فيتوجه النقد إلى عدّة كثيرة من أصحابنا الأعاظم كشيخنا الكليني، والصّدوق، وصاحب قرب الإسناد والإشتياني، وصاحب البحار، والوسائل، والوافي، والحدائق، وغيرهم.

فإنه لا فرق بيننا وبين الأخبارية إلاّ في أمور قليلة كحجية ظواهر الكتاب، هم نافوها ونحن مثبتوها، وإجراء البراءة في الشّبهات البدويّة التحريمية هم نافون ونحن مثبتون، أو في انفعال الماء القليل فإنّ أكثرهم ذهبوا إلى عدم الانفعال، والأكثر منّا إلى الانفعال، ومنجّسية المتنجس فأكثرهم على عدمها، وأكثرنا على ثبوتها، ووقوع التحريف، فإنّ أكثرهم ذهبوا إلى الوقوع، وأكثرنا وهم المحققون إلى العدم وهكذا »[1]

---

(١) رسالة الردود والنقود على الكتاب ومؤلفه، والأجوبة الشافية الكافية

وعندما «سئل السيد مهدي الطباطبائي ساكن النجف الأشرف والمقبور عند جده، عن حال الفريقين، فقال: لم أدرِ ما الفرق بين أهل الأُصول والأخبار؟ فأما أهل الأُصول فإنهم يأخذون أصل دينهم من الخبر المروي عن الأئمة عليهم السلام، وأما أهل الأخبار فإنهم يسندون دينهم إلى الأخبار المروية الصحيحية عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، والكل محق والسلام»[1]

رموز الاتجاه الأخباري:

ولقد لمعت شخصيات عديدة من هذا الاتجاه في الفكر الإمامي، في الفترة التي عاشها الميرزا الإسترابادي، وبعد وفاته أيضاً مثل:

١ـ السيد نعمة اللّه عبداللّه الموسوي الشوشتري (١٠٥٠هـ ـ ١١١٢هـ)، صاحب الأنوار النعمانية، ومؤلفات أخرى قيمة.

٢ـ الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين المشغري، المشهور بالحر العاملي، صاحب كتابي الوسائل وأمل الآمل، المتوفى سنة ١٠٩٦هـ.

٣ـ المولى محمد بن المرتضى، المشهور بالفيض محسن الكاشاني، صاحب سفينة النجاة، وكتاب الوافي والمحجة البيضاء، المتوفى سنة ١٠٩١.

٤ـ الشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، صاحب كتاب الاحتجاج، والمتوفى سنة.

عنهما، السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، ص ١١ ـ ١٢.

(١) حوار بين الشيخ أحمد آل طعان والشيخ محمد أبو المكارم، ص ١٥.

٥ـ الشيخ محمد تقي المجلسي (١٠٠٣هـ ـ ١٠٧٠هـ)، وهو أشهر من أن يُعرَّف.

٦ـ الشيخ محمد باقر المجلسي، صاحب بحار الأنوار ومرآة العقول، ابن المتقدم، والمتوفى سنة ١١١١ هـ، وقد تتلمذ على يده بعض علماء المنطقة حسب ما يأتي، وأجاز البعض الآخر.

مدرسة البحرين الأخبارية:

وهذا ما ميز مدرسة البحرين الإمامية، فعندها انتقل هذا الاتجاه وامتد إلى البحرين، وحيث جعل مدرسة البحرين الإمامية اتخذت لوناً أخبارياً صرفاً، وبالخصوص عندما انتقل ثقل هذا الاتجاه إلى البحرين، واستطاع أن يمد نفوذه إلى المنطقة وبالذات القطيف.

القدمي والرويسي والصادقي:

وأبرز الشخصيات التي رسخت هذا الاتجاه في البحرين، الشيخ علي بن سليمان القدمي المشهور بأم الحديث، الذي درس على يد الشيخ البهائي الحديث في إصفهان، وقد انتهت إليه رئاسة الإمامية في البحرين علماً وقضاءً وحسبة، وهو أول من نشر الحديث في البحرين، ولقد تتلمذ على يده الكثير من علماء البحرين وفقهائها، توفي سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م[1].

وقد ذكر المحدث البحراني في ترجمته: «أول من نشر علم الحديث في بلاد البحرين، وقد كان قبله لا أثر له ولا عين، وروجه وهذّبه،

---

(١) لؤلؤة البحرين، ص١٤ ، أنوار البدرين، ص ، أعلام الثقافة الإسلامية ١/ ٥٤٦ ـ ٥٤٨.

وكتب الحواشي والقيود على كتابي التهذيب والاستبصار، ولشدة ملازمته للحديث وممارسته له اشتهر في بلاد العجم بأُم الحديث، وكان رئيساً في بلاد البحرين، مشاراً إليه، تولى الأمور الحسبية وقام بها أحسن القيام، وقمع أيدي الحكام وذوي الفساد في تلك الأيام»[1]

وأكبر دليل على ذلك تتلمذ أُستاذه الشيخ محمد بن الحسن بن رجب الرويسي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، ولقد ساهم الرويسي في تدعيم هذا الاتجاه وتقويته، ويكفيه فخراً ما ذكره المحدث البحراني في لؤلؤته: «وكان هذا الشيخ فاضلاً فقيهاً إماماً في الجمعة والجماعة، وهو أول من صلّى الجمعة في البحرين بعد افتتاحها في الدولة الصفوية»[2].

وقبل الشيخ القدمي والرويسي، كانت هناك شخصية جديرة بالاهتمام، وهو السيد ماجد الصادقي البحراني، أُستاذ الفيض الكاشاني، وهو أول من نشر الحديث في شيراز، وكان تلميذاً للشيخ بهاء الدين محمد العاملي، توفي سنة ١٠٢٨هـ، وقيل سنة ١٠٢٢هـ، على رأي المحدث البحراني[3]

الشيخ السماهيجي وريث الإسترابادي:

ويأتي الشيخ عبدالله بن صالح السماهيجي (١٠٨٦ هـ ـ ١١٣٥ هـ)، على رأس المدرسة البحرانية الأخبارية التي تبنت آراء الميرزا الإسترابادي، فالشيخ السماهيجي بحق، يعد الوريث الشرعي للميرزا محمد أمين الاسترابادي، من حيث تصلبه وتشدده، ولقد وصفه صاحب

---

(١) لؤلؤة البحرين، ص ١٤.

(٢) لؤلؤة البحرين، ص ١٣٨.

(٣) لؤلؤة البحرين، ص

اللؤلؤة: «كان رحمه الله أخبارياً صرفاً كثير التشنيع على المجتهدين، وعكسه الوالد رحمه الله، فقد كان مجتهداً صرفاً كثير التشنيع على الأخباريين»[1]

والشيخ السماهيجي من فقهاء علماء البحرين المعدودين، له مؤلفات كثيرة مثل: جواهر البحرين في أحكام الثقلين، عيون المسائل الخلافية، رسالة العلوية، الرسالة السليمانية، مسائل الجداول وجداول المسائل، مصائب الشهداء ومناقب السعداء...

والشيخ السماهيجي من متصلبي الأخبارية مثلما مر، ولم يتأثر بالرغم من تتلمذه في بدء دراسته على والد الشيخ يوسف البحراني، وهو من متصلبي الأصولية، وتتلمذ على الشيخ سليمان الماحوزي (١٠٧٥هـ - ١١٢١هـ)، الذي انتهت إليه رئاسة الإمامية في البحرين لعلمه ودقته وحفظه، حتى لقب بالمحقق الثاني، وهو صاحب مؤلفات عديدة، ولا يخفى أنه تأرجح بين القول بالاجتهاد أو الرجوع إلى الأخبار، ولقد أشار صاحب اللؤلؤة إلى ذلك وهو يذكر كتبه: «كتاب العشرة الكاملة متضمن لعشر مسائل من أصول الفقه، وفيه دلالة على تصلبه في القول بالاجتهاد، إلا أن المفهوم من جملة فوائده المتأخرة عن هذا الكتاب، رجوعه إلى ما يقرب من طريقة الأخباريين»[2].

وبالرغم من تصلب الشيخ السماهيجي الشديد لرأيه، إلا أنه كما وصفه المحدث البحراني: «صالحاً عابداً ورعاً، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جواداً كريماً سخياً، كثير لملازمة التدريس والمطالعة والتصنيف لا تخلو أيامه من إحداهما»[3]. وبسبب الظروف

---

(١) لؤلؤة البحرين، ٩٨.

(٢) لؤلؤة البحرين، ص ١٠.

(٣) لؤلؤة البحرين، ص ٩٨.

السياسية التي عاشتها البحرين -الهجرة البحرانية للقطيف- هاجر الشيخ السماهيجي إلى أصفهان، واستلم هناك مشيخة الإسلام في الدولة الصفوية، وتوفي في بهبهان ودفن فيها.

المحدث البحراني والطريقة الوسطى:

ويأتي المحدث البحراني الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم آل عصفور، (١١٠٧هـ - ١١٨٦هـ)، على رأس الاتجاه الأخباري بكربلاء المقدسة في القرن الثاني عشر الهجري، حيث تزعم هذا الاتجاه وقام بدعمه وتهذيب أفكاره الرئيسية، بالرغم من خلافه مع تصلب الإسترابادي، إلا أنه يتفق معه في الجوهر، وهي العمل بمتون النصوص، ولذلك رجح الكثير أنه يتخذ طريقة وسطى في تبني المشرب الأخباري، تختلف عن الميرزا الاسترابادي والسماهيجي، ويظهر ذلك من مؤلفاته الكثيرة التي وصلت إلى ستة وعشرين مؤلفاً، أشهرها موسوعة (الحدائق الناضرة)، و (الدرر النجفية)، و (لؤلؤة البحرين).

وبلا شك أن الشيخ البحراني كان شخصية بارزة في الوسط الشيعي وحواضره المتعددة، وبالخصوص في كربلاء، ومازالت آراءه الفقهية محل نقاش وجدل من قبل العلماء، وبالخصوص تلك التي ضمنها موسوعته الحدائق الناضرة، والدرر النجفية.

وما يثير الاستغراب في حياة الشيخ يوسف البحراني، أنه خريج مدرسة البحرين الأصولية، فلقد درس على يد والده الشيخ أحمد بن إبراهيم آل عصفور المتوفى في القطيف (١١٣١هـ - ١٧١٨م)، وهو أحد العلماء الذين كانوا يتبنون الرأي الأُصولي بشدة كما مر، ودرس على يد الشيخ حسين الماحوزي عندما هاجر إلى القطيف، والشيخ الماحوزي إمام مدرسة علمية حضرها الكثير من علماء المنطقة، وأُستاذ الكثير من

علماء البحرين، ولقد نقل صاحب الأنوار في حقه أنه: «كان عالماً عاملاً فاضلاً كاملاً مجتهداً صرفاً، حكى الأُستاذ دام مجده أنه كان كثير الطعن على الأخباريين»[(١)]

بينما اتجه إلى تبني الأخبارية بشكلها المخفف الوسطي، وأصبح من أقطابها الذين يشار إليهم بالبنان، ولا يمكن أن ينسى أن المحدث البحراني قام بخدمة جليلة لهذا الاتجاه، عندما نقل آراء هذا الاتجاه من البحرين إلى إحدى الحواضر الرئيسية الإمامية وهي كربلاء المقدسة، ومن المظنون قطعاً أن هذا التواجد ساهم في نشر آرائه وأفكاره في كثير من أماكن تواجد الإمامية وعلمائها؛ لوجوده في حاضرة مهمة ككربلاء، برغم أن هذا التواجد كان يثير الجدل بشكل مستمر، كما ينقل لنا التاريخ وبالذات عند وصول الوحيد البهبهاني كربلاء، حيث حاول أن يقف حائلاً أمام انتشار أفكار هذا التيار واستطاع أن يحد من وجوده.

وبالرغم الصراع الفكري الذي نشأ بين المحدث البحراني والوحيد البهبهاني فيما بعد، إلا أن التاريخ ينقل لنا صوراً مشرقة عن صبر وحلم المحدث البحراني، فبينما كان الوحيد يشنع بخصمه، ويمنع تلاميذه من حضور درس الشيخ يوسف، حتى أن السيد علي ابن السيد محمد الطباطبائي، وهو ابن أُخت الوحيد البهبهاني، كان يحضر سراً درس المحدث البحراني خوفاً من خاله ووالد زوجته. بينما في الجانب الثاني كان الشيخ يوسف يشجع تلاميذه لحضور درس الوحيد البهبهاني، ولا يرى أي بأس في عدالته، وعندما توفي الشيخ يوسف صلّى عليه الوحيد البهبهاني، ويقال بوصية منه، والله العالم.

---

(١) أنوار البدرين، ص ١٥٩ ط. ق.

العصفور والستري:

إضافة إلى السماهيجي والمحدث البحراني، هناك شخصيتان جديرتان بالتأمل؛ لأنهما ساهمتا بشكل مباشر وجدي في الحفاظ على هذا الاتجاه من الاندثار والانقراض من البحرين، بل قامتا برعايته للامتداد إلى منطقة القطيف عبر تلاميذهما، وهما: الشهيد الشيخ حسين آل عصفور المتوفى سنة ١٢١٦هـ، وتلميذه الشيخ عبدالله بن عباس الستري المتوفى سنة ١٢٧٠هـ.

وبالتأكيد ليس من ينكر فضيلة وأعلمية الشيخ حسين صاحب سداد العباد، والذي يحتفظ إلى الآن بمقلدين له في البحرين ومنطقة القطيف والأحساء، ولذا لا غرابة عندما وصفه صاحب الأنوار قائلاً: «خاتمة الحفاظ والمحدثين، وبقية العلماء الراسخين... والحفاظ الماهرين، من أجلة متأخري المتأخرين، المجددين للمذهب على رأس ألف ومائتين»[1]. وقال عنه الشيخ عباس القمي في فوائده الرضوية: «وكان شيخ الأخبارية في عصره وعلامتهم في وقته، متبحراً في الفقه والحديث، طويل الباع، كثير الإطلاع، معروفاً بكثرة الحافظة»[2]

ولقد تتلمذ على يده بعض علماء المنطقة وأجاز مجموعة أُخرى مثل: الشيخ مرزوق الشويكي، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، والشيخ عبد المحسن اللويمي، وكان لدى الشيخ حسين آل عصفور، الكثير من المؤلفات بلغت في حدود ٤٩ مؤلفاً، أبرزها: الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع (١٤) مجلداً، وتتمة الحدائق الناضرة (مجلدان)،

---

(١) أنوار البدرين، ص ١٦٩ ط. ق.

(٢) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين ٢ / ٣٣٨.

ويكفيه فخراً أنه قتل شهيداً في محراب الصلاة بحربة غادرة بسبب عقيدته وموالاته لأهل البيت عليهم السلام.

أما تلميذه الشيخ عبدالله بن عباس الستري، فهو صاحب مدرسة علمية خرجت نخبة من علماء البحرين مثل: الشيخ عبدالله الستري المتوفى سنة ١٢٨٢ بالعوامية، والشيخ عبدالله ابن الشيخ علي الستري المتوفى بالبحرين، والشيخ محمد ابن الشيخ عبدالله (أبو المكارم) المتوفى سنة ١٣٦٠، والشيخ صالح آل طعان وابنه الشيخ أحمد صالح آل طعان.

وصفه صاحب الأنوار: «من بقايا علماء البحرين الأتقياء»[1]. ومازال تقليده إلى حد الآن في البحرين، وبالخصوص في سترة واديان، وصاحب المعتمد كان قد تبنى طريق الشيخ يوسف البحراني (الطريق الوسطى)، وتبعه بعض تلاميذه في ذلك، ويعد الشيخ الستري آخر علماء البحرين المراجع، ولذل اشتهر بالمقلد، له مؤلفات عديدة أبرزها: معتمد السائل (رسالة عملية)، الكنز، شرح المختصر النافع، نزهة الناظرين، الخلافيات، منية الراغبين، الجوهرة العزيزة.

شخصيات بحرانية أخرى:

وإضافة إلى تلك الشخصيات العلمية التي ذكرناها، هناك مجموعة كبيرة من علماء البحرين تبنوا هذا الاتجاه نذكر خمسة منهم:

١ـ السيد هاشم سليمان التوبلي، صاحب البرهان في تفسير القرآن، ومؤلفات أُخرى مثل: سلاسل الحديد، وترتيب التهذيب،

---

(١) أنوار البدرين، ص ١٨٨ ط. ق.

مدينة المعاجز، وقد تولّى السيد هاشم رئاسة الإمامية في البحرين، بعد وفاة الشيخ محمد بن ماجد الماحوزي، فقام بالقضاء والأُمور الحسبية، توفي سنة ١١٠٧هـ.

٢ـ الشيخ سليمان صالح آل عصفور، وهو عم جد المحدث البحراني، وصفه في لؤلؤته: « أما الشيخ سليمان المذكور، فكان عم جدي الشيخ إبراهيم ابن الحاج أحمد بن صالح، وكان فاضلاً فقيهاً محدثاً.. » [1]، وكان إماماً للجماعة في مسجد القدم، وصاحب مؤلفات منها: شرح كبير على رسالة قبلة الأقاليم، ورسالة في وجوب الجمعة عيناً، ولقد توفي في سنة ١٠٨٥ هـ.

٣ـ الشيخ محمد بن أحمد آل عصفور (شقيق المحدث البحراني)، مؤلف مرآة الأخبار في أحكام الأسفار، ترجم له الشيخ محمد علي العصفور في ذخائره قائلا: « إمام الفقه والحديث، وكان من أعيان هذه الطائفة، وانتهت إليه رئاسة البحرين بعد رحلة أبيه ومهاجرة أخيه (صاحب الحدائق)، إلى الديار العجمية، ثم اشتغل بالتدريس والتأليف، إلى أن قام بأعباء الفتوى » [2]، ولد عام ١١١٢هـ، وتوفي ١١٨٢هـ.

٤ـ الشيخ عبد علي بن أحمد آل عصفور (شقيق المحدث البحراني)، ذكر في ترجمته صاحب الأنوار: « وكان هذا الشيخ عالماً محدثاً كاملاً.. له كتاب معالم الدين ويسمى إحياء الدين، من متصلبي المحدثين، ومنه حدث القول بوجوب الجهر بالتسبيح في الأخيرتين على الإمام

---

(١) لؤلؤة البحرين، ص ٨٧.

(٢) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين ٢ / ١٩٨.

للحديث، يبغي للإمام أن يسمع من خلفه كلما يقول، ولا ينبغي لهم أن يسمعوه كلّ ما يقولون، وتبعه بعض من هو على مذاقه، كابن أخيه الشيخ حسين، صاحب السداد»[1]. توفي في كربلاء المقدسة سنة ١١٢٢هـ.

٥ـ الشيخ ياسين صلاح الدين البلادي، انتهت إليه رئاسة القضاء والحسبة الشرعية حتى وقوع البحرين تحت سيطرة اليعاربة سنة ١١٣٠هـ، وحدوث الفتن، وخروج علماء البحرين إلى القطيف وغيرها من البلدان، للشيخ ياسين مؤلفات عديدة أبرزها: معين النبيه في رجال من لا يحضره الفقيه، وحاشية على شرح زبدة الأُصول، وقد توفي بعد سنة ١١٤٧.

٦ـ الشيخ علي بن عبداللّه الستري، صاحب منار الهدى ولسان الصدق، أحد فقهاء البحرين الكبار، سكن مطرح في عمان، وكان داعية كبيراً لمذهب أهل البيت وعلى يديه تشيع الكثير، استشهد في لنجة على أيدي أعداء الدين والمذهب، وذلك في سنة ١٣١٩هـ.

وهناك شخصيات كثيرة في بلاد البحرين انتهجوا هذا المشرب، بل يغلب على علماء البحرين طوال القرون الماضية و إلى وقت قريب هذا الاتجاه، ومنهم: الشيخ علي عبداللّه الجد حفصي، والسيد شبر السيد مشعل الستري.

إن انتقال هذا الاتجاه للمنطقة جاء نتيجة الهجرة المتبادلة بين البلدين اعتبارهما بلداً واحداً، وبلا شك أن عملاً آخر ساهم في ترسيخه بشكل قوي، وهو ظروف البحرين السياسية في القرن الثاني

(١) أنوار البدرين، ص ١٧٧.

عشر الهجري، حيث مرت عليها بظروف سياسية قاهرة في سنة ١١٣٠هـ، عندما هجم اليعاربة على البحرين، عندها هاجر الكثير من العلماء الأعلام إلى المنطقة، وكان من ضمنهم الشيخ احمد آل عصفور والد صاحب الحدائق وأولاده العلماء، والشيخ حسين الماحوزي، والشيخ حسن الدمستاني، والبقية توجهوا إلى شيراز مثل الشيخ عبدالله السماهيجي المتقدم ذكره.

بعض العوائل العلمية للاتجاه الأخباري:

ولهذا الاتجاه رموز وعلماء استوطنوا المنطقة وبعضهم هاجر منها لحواضر الشيعة الإمامية، وبعضهم كان قادماً من مدرسة البحرين، وسوف يلاحظ المتتبع أن الاتجاه الإخباري في المنطقة يتأرجح بين الميل إلى طريقة الاسترابادي والسماهيجي، أو طريقة الشيخ يوسف البحراني، نلاحظ أن علماء منطقة القطيف والأحساء كانوا يميلون أكثر إلى طريقة صاحب الحدائق، أكثر من الإسترابادي، وان ذلك لا ينفي وجود مؤيدين للإسترابادي والسماهيجي، كما سوف نشاهد.

وأبرز علماء هذا الاتجاه القدامى عائلة الشيخ محمد بن يوسف الخطي، كان أبرزهم صاحب رياض الدلائل الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن يوسف الخطى أصلا البحراني المقابي منشأ وتحصيلاً، قال في حقه تلميذه الشيخ سليمان الماحوزي البحراني أثناء ترجمته له في علماء البحرين: « له مصنفات حسنة، فقيه محدث، عظيم الشأن، كثير العبادة والعمل »[1] وقد كان يروي عن الشيخ المجلسي ﵀، وقد توفي بالطاعون في الكاظمية بالعراق ١١٠٢هـ، ومعه أخوه الشيخ حسين

---

(١) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ٢ / ٦.

الخطي.

وقبلهما كان أبوهما الشيخ محمد بن يوسف الخطي المقابي المولود في القطيف، والمشهور في العلوم العقلية والفلكية والرياضية والهيئة والهندسة والحساب واللغة العربية، وصفه الشيخ السماهيجي قائلا: «فضل هذا الشيخ مما لا ينكره إلاً مكابر، وكان عدلاً ثقة ورعاً محدثاً عظيماً»[1].

وللأسف فإنه ليس بأيدينا معلومات وفيرة عن هذه العائلة، التي من المظنون أنها قامت بجهد كبير لنشر آرائها داخل المنطقة أو خارجها في العراق، فمن عبارات الشيخ الماحوزي في الابن، ومدح الشيخ السماهيجي في الأب، يمكن أن يخمن الباحث أنهما كانا ذوي شأن علمي كبير، ولكن ليس هناك لدينا ما يثبت أنهما قاما بدور علمي كبير لنشر آرائهما داخل المنطقة، غير التخمين فقط.

الشيخ ناصر الجارودي أحد رموزها العلمية:

وقد كانت هناك شخصيات أكثر شهرة من عائلة آل يوسف الخطي، ولكن هذا الإشكال يقع عليهم، وأُولى تلك الشخصيات، الشيخ ناصر بن محمد الجارودي الخطي، الذي درس في القطيف بدء الاتجاه العلمي، ومن ثم هاجر إلى البحرين، حيث درس على يد المحقق الشيخ سليمان الماحوزي لفترة ليست بقليلة، ومن ثم لازم تلميذه الشيخ عبدالله السماهيجي[2]، وهاجر معه إلى بهبهان أثناء احتلال اليعاربة للبحرين، ومات هناك.

---

(١) أنوار البدرين: ص ١١٩ ط. ق.

(٢) الموسم، العددان ٩ ـ ١٠، دراسة السيد سعيد الشريف: ص

ولقد أجازه السماهيجي في إجازة كبرى، أصبحت فيما بعد مرجعاً للتراجم؛ لأن السماهيجي ذكر فيها الكثير من المعلومات حول علماء البحرين،، وبالذات لمن عاصرهم، أو درس لديهم، وتعد هذه الإجازة اليوم من الوثائق المهمة حول تاريخ الحركة العلمية في البحرين والمنطقة.

ولم يذكر أحد ولادته أو وفاته أو مؤلفاته، غير الشيخ المهتدي البحراني، أكد على أنه مات سنة ١١٦٤هـ، ودفن في مدينة بهبهان[١]، والشيخ الجارودي خريج مدرسة البحرين الأُصولية والأخبارية في آن واحد، إلا أنه يبدو عليه أنه تبنى الاتجاه الأخباري، وذلك من خلال ملازمته لأستاذه السماهيجي وسفره إياه إلى بهبهان، ويتبين ذلك من خلال وصف صاحب الأنوار في حقه: «العالم الفاضل المحقق المحدث الكامل الفاخر الشيخ ناصر بن محمد الجارودي القطيفي»[٢]، ومن المتوقع أنه لم يلعب أي دور كبيرٍ في المنطقة لصالح آراء اتجاه الفكري. والسبب واضح من خلال هجرته إلى البحرين ومن ثم إلى بهبهان.

شخصيات أخبارية أخرى:

يضاف إلى الجارودي شخصيات عديدة لا نعرف عنها إلا النزر القليل عن دورهم العلمي والعملي وجدت هذا المجموعة في كتب التراجم، ولقد ولدت وعاش بعضها في المنطقة، أو هاجرت إلى حواضر الإمامية، وأعتقد أن هذا المجموعة تنتهج الطريق الأخباري، وذلك من خلال دراستهم على يد علماء تبنوا هذا المنهج:

---

(١) علماء البحرين دروس وعبر، عبد العظيم المهتدي البحراني، ص: ٢٨٤.
(٢) أنوار البدرين، ص ٢٤٠ ط. ق.

١ـ الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالله أبو عزيز الخطي، أحد علماء المنطقة وشعرائها، والشيخ أبو عزيز كتب الكثير من كتب الوفيات والمواليد عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، وله كتاب الذخيرة في المحشر، توفي سنة ١٢٠٠هـ.

٢ـ تلميذه الشيخ محمد بن سليمان بن زوير الخطي، أحد علماء القطيف المهاجرين إلى العراق، تتلمذ على يد الشيخ أبو الحسن الشريف العاملي، وعلى الشيخ أبو عزيز، وللأسف فإن المعلومات قليلة في هذا الشأن عنه وعن أستاذه.

٣ـ الشيخ عبد علي بن محمد بن قضيب القاروني البحراني الخطي من آل المقلد، تتلمذ على يد الشيخ حسن آل عصفور، وله منه إجازة، توفي بعد سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م.

وبعض هذه الأسماء غير موجود في كتب التراجم والأعلام، ولقد ذكرهم الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد تقي آل عصفور البحراني في تاريخ البحرين وهم:

٤ـ الشيخ نور الدين ابن الشيخ عبد الجبار القطيفي، تتلمذ على يد الشيخ المجلسي ومجاز عنه، وقد تصدى للإفتاء في كيلان بإيران، ثم أستون مدينة تبريز، وله مباحثات مع الملا خليل القزويني، وجمعها الشهيد الثاني في كتاب باسم (تحفة الحبيب)، وتوفي سنة ١١٠٥هـ.

٥ـ الشيخ جعفر الأحسائي، تتلمذ على يد الملا صدر الدين الشيرازي في الحكمة، وفي الفقه على الفيض الكاشاني، وغلب عليه الاعتزال؛ لأنه كانْ صوفياً حكمياً فلذا لم يشهر، وله كتاب في علم الأخلاق، وكتاب في الحكمة، توفي سنة ١١٠٦هـ في شيراز ودفن فيها.

٦ـ الشيخ أحمد بن سليمان الخطي، تتلمذ علي يد الشيخ سليمان بن أبي ظبية، كما درس الفقه على يد الشيخ الحر العاملي، وله كتاب في الحكمة، ورسالة في قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾، توفي سنة ١١١٠هـ، وله رسائل أخرى.

٧ـ السيد إبراهيم القطيفي، تتلمذ على يد الشيخ المجلسي، وتصدر بأمره في كاشان، له جملة من المؤلفات: رسالة في فتح باب العلم في زمن الغيبة، رسالة في المحرمات، وكتاب في الفقه، توفي سنة ١١١٢هـ.

وللأسف فإن التاريخ لا يذكر لنا تفاصيل أو معلومات وافية عن حياة هؤلاء الأعلام، بدءاً من الشيخ أبو عزيز وانتهاءً بالسيد إبراهيم القطيفي، ولكن من المظنون أن هؤلاء مارسوا أدواراً في نشر آرائهم بداخل المنطقة أو في خارج المنطقة في إيران، وحواضر الإمامية المختلفة.

بعض أعلام أسرة التغلبي ودورها في المنطقة:

إضافة إلى هؤلاء العلماء الأعلام، كانت هناك مجموعة علماء استقرت في المنطقة، ومارست دورها العلمي والديني المميز لنشر آراء هذا الاتجاه، ومن هؤلاء الشيخ عبداللّه بن الشيخ أحمد التغلبي الجدعلاني الستري، وهو أحد تلامذة ابن عمه الشيخ عبداللّه بن عباس الستري (صاحب معتمد السائل)، والذي استقر في العوامية، بدعوة وطلب من أهلها، أثناء حجه ومروه بالمنطقة سنة ١٢٦٣ هـ، حيث استقدموا أُسرته وأبناءه وأحفاده الذين استقروا في المنطقة.

ولقد ذكر حفيده الشيخ سعيد أبو المكارم في أعلام العوامية أن الشيخ عبداللّه الستري التغلبي، خلف أُستاذه الشيخ عبداللّه بن عباس الستري في مدرسته العلمية في سترة، وهذا يجعل زمان هجرته إلى

المنطقة متأخراً؛ وذلك لأن أستاذه توفي بعد سنة ١٢٧٠هـ، ويعلل ذلك بأنه حل مكانه فترة من الزمن أثناء حياته، وليس ذلك بغريب، فالتاريخ ينقل لنا أن الشيخ عبداللّه بن عباس الستري، مرض فترة من الزمن، وأصيبت عيناه.

وعلى العموم الشيخ عبداللّه الستري له مكانة علمية كبيرة وأدبية، ويكفيه فخراً أنه تتلمذ على ابن عمه الستري، ولقد ترك بعض التصانيف، مثل كتاب في الرضاع، وبعض القصائد التي نشرها حفيده في أعلام العوامية، وللأسف فإن غالبية تراث هذا الشيخ وابنه قد اندثر سوى بعض النزر القليل.

ولقد خلفه في مكانته العلمية والدينية ابنه الشيخ محمد الستري، المشهور بأبي المكارم، (١٢٥٥هـ ـ ١٣١٨) ، والذي تتلمذ على يد ابن عمه الشيخ الستري، وعلى يد والده، له مصنفات عديدة: أجوبة المسائل النحوية، عدة مناظرات، من رسالة محمد بن عبداللّه، مجموعته الشعرية الخلافية بالاستدلال، وهي حوار فقهي حول مسائل فقهية مرتبطة بموضوع الخلاف بين الأخباريين والأُصوليين، جرى بينه وبين الشيخ أحمد صالح آل طعان البحراني القديحي، ولقد تعرضنا لهذا الحوار في دراستنا للاتجاه الأُصولي. ولقد خلف الشيخ أبو المكارم، أربعة علماء أفاضل وهم: الشيخ جعفر صاحب التصانيف الكثيرة، والشيخ علي، والشيخ أحمد، والخطيب الشيخ محمد باقر(١).

ويعد الشيخ جعفر المتقدم ذكره أبرز شخصية علمية في أبناء الشيخ محمد أبو المكارم، بل هو أُستاذهم ومربيهم، وهو خريج مدرسة البحرين والنجف في آن واحد، فلقد درس على يد والده، وعلى يد

---

(١) أعلام العوامية ١ / ٣٨.

الشيخ أحمد آل طعان، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، ودرس على يد كبار علمائها مثل: السيد محمد محمود العاملي، والشيخ محمد حسين الإصفهاني، والشيخ على آل شبير الجزائري، وبقي فيها ١٨ سنة، عاد منها وهو مكللاً بتاج العلم والفضيلة[١].

وخَلَفَهُ ابنه الشيخ علي أبو المكارم (١٣١٣هـ - ١٣٦٤هـ)، في استلام زمام الأسرة العلمية، حيث درس على يد والده، ومن ثم هاجر إلى النجف الأشرف، ودرس على يد علمائها مثل: السيد مهدي الغريفي، والشيخ محمد بن نمر العوامي، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، والشيخ عبدالله بن معتوق التاروتي.

وبعد عودته من النجف الأشرف، استقر في بلاده القطيف، وحل في مكان والده متولياً إمامة الجمعة والجماعة، هاجر إلى البحرين وتولى القضاء الجعفري في البحرين بسترة واديان لمدة ست سنوات ثم رجع إلى القطيف واستقر بها إلى أن توفي في مدينة سيهات[٢].

ولقد ترك الشيخ علي مؤلفات كثيرة بلغت ثمانية عشر مؤلفاً منها: السداد في شرح السداد، دعوة الحق، اللؤلؤ المنظوم، ودعوة السلام، والجامع الكبير، المستدرك على الفوائد في شرح الصمدية.

ولقد سار ابنه الشيخ عبد المجيد أبو المكارم المولود سنة ١٣٤٤هـ، على نهج أجداده وسيرة آبائه العلماء في تبني الاتجاه الأخباري، فقد هاجر إلى النجف الأشرف، ومن ثم إلى كربلاء حيث درس على يد علماء المنطقة المستقرين فيها، مثل: الشيخ عبد الكريم الفرج، والشيخ

---

(١) راجع كتابنا الشيخ جعفر خلاصة الفقهاء والمجتهدين .

(٢) راجع كتابنا العوامية مجد وأعلام، ص ٧٦.

منصور آل غنام، والشيخ باقر أبو خمسين، وعندما عاد إلى المنطقة، خلفهم في القيام بمسؤولياته الشرعية، فهو إمام للجمعة والجماعة في مدينة سيهات وبعض قرى القطيف العامرة، وهو خطيب وأديب بارع، له مؤلفات عديدة منها: المنح الإلهية، هداية المسترشدين، أعمال الحج، المراثي الإسلامية في رثاء العترة النبوية، وصفه الشيخ علي العصفور في كتابه: علم من الأعلام، وبدل من الإبدال، فاضل شاعر ماهر، أخباري محدث، علامة فهامة.. انتقلت إليه الرئاسة الدينية في سيهات[1].

الشيخ محمد أمين زين الدين وتكريس المنهج الأخباري:

ومن الشخصيات الدينية البارزة اليوم التي ترعى هذا الاتجاه في العراق وسائر المناطق الأخبارية في البحرين والقطيف وغيرهم، أحد علماء الدين المعاصرين هو الشيخ محمد أمين زين الدين البحراني، المولود سنة ١٣٣٣هـ والمتوفى عام ١٤١٨هـ، والمقيم في العراق، وهو مرجع تقليد، يرجع إليه بعض أبناء البحرين، ولسنوات قريبة كان يتنقل بين القطيف والبحرين والبصرة، ثم يعود إلى النجف الأشرف حيث يقم هناك.

ولقد درس الشيخ محمد أمين زين الدين على يد كبار علماء النجف الأشرف مثل: الشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الإصفهاني، والسيد حسين البادكوبي، و السيد أبو القاسم الخوئي.

كما درس على يده مجموعة من علماء الدين المعاصرين المشهورين مثل: السيد مهدي الحكيم، الدكتور السيد مصطفى جمال الدين، والسيد رؤوف جمال الدين، والدكتور الشيخ عبد الهادي

---

(١) بعض فقهاء البحرين، الدكتور الشيخ علي محمد العصفور ٢ / ١٥٥. وكتابنا العوامية مجد وأعلام، ص ٥٤

الفضلي، والشيخ إبراهيم المبارك البحراني، والشيخ محمد مهدي الآصفي، والشيخ علي زين الدين البحراني.

والشيخ زين الدين شخصية علمية مشهود له بالكفاءة والعلم والأدب والثقافة، وهو من رجال الدين العاملين، بالرغم من عدم إلقائه بحث الخارج بالنجف، ويتضح من خلال مؤلفاته القيمة منزلته العلمية، ووعيه بحاجات المجتمع، مثل: إلى الطليعة المؤمنة، الإسلام ينابيعه ومناهجه، من أشعة القرآن، التعليقة على العروة الوثقى، وله رسالة عملية: كلمة التقوى في سبعة مجلدات، وتعد هذه الرسالة من أفضل الرسائل تبويباً في العهد الراهن، ولا يبعد أنها سبقت المتقدمين في هذا الشأن[١] وقد قام برحلات علمية وتثقيفية للمنطقة، كان يمارس فيها التوجيه والإصلاح، والتفقه، استفادت منه المنطقة في تلك المرحلة الحرجة التي عاشتها المنطقة دينيا واجتماعيا وسياسيا، وقد أشرنا في بعض الفصول الخاصة ببعض المناطق، للخدمات العلمية والثقافية، والإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد أمين ﷺ فراجع.

وكيف كان: لا يزال هناك بعض المناطق في القطيف تسير على هذا المنهج ـ الأخباري ـ[٢].

٢- اتجاه الحكمة الأحسائية:

شاءت الظروف أن يولد هذا الاتجاه في كربلاء المقدسة، كما ولد الاتجاه الأخباري على يد الميرزا الإسترابادي وقويت جذوره على يد

---

(١) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين ٣ / ٢٣٤.

(٢) وسوف نتحدث بشكل موسع عن تاريخ الحركة العلمية ومدارسها في المنطقة في كتابنا الحركة العلمية في القطيف إن شاء الله قريبا.

المحدث البحراني، ولكن ميزة هذا الاتجاه أنه ولد على يد شخصية علمية من ذات المنطقة وهو الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر، المشهور بالشيخ أحمد زين الأحسائي، وبالشيخ الأوحد.

ولد الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي في قرية المطيرفي في منطقة الأحساء سنة ١١٦٦ هـ، حيث ختم القرآن وعمره خمس سنين وابتدأ يدرس النحو قبل بلوغ الحلم فقد درس مبادئ العلوم الأولية في الأحساء على يد علمائها ثم هاجر إلى كربلاء وحضر بحوث علمائها مثل الآغا باقر الوحيد البهبهاني والسيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض) والسيد ميرزا مهدي الشهرستاني ثم هاجر إلى النجف الأشرف وحضر عند الشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيره[1]

والأحسائي يعد من عباقرة الإمامية وكبار حكمائها وفلاسفتها، ولا غرو في ذلك، فقد تنقل الشيخ الأحسائي إلى كثير من البلدان والحواضر الإمامية، ومارس التدريس، وقد يكون ذلك لأسباب متعددة، أهمها جهره بآرائه الفكرية، ولقد أجازه أغلب أساتذته الذين ذكرناهم، بالإضافة إلى الشيخ حسين آل عصفور البحراني والشيخ أحمد الدمستاني والشيخ محمد حسين بن أحمد بن عبد الجبار القطيفي ويمكن مراجعة إجازات الأحسائي للوقوف على أسماء مجيزيه ومن أجازهم..

كما تتلمذ على يديه الكثير من العلماء الذين بلغوا الاجتهاد ويناهزون المائة عالم، أما أهم تلامذته المذكورين في كتب السير والتراجم:

---

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩ ـ ١٣، وجوامع الكلم ٢ / ١٤١ ـ ٢٥٤، وأعلام هجر ١.

١ـ السيد كاظم الحسيني الرشتي المتوفى ١٢٥٩ هـ.
٢ـ الميرزا حسن بن علي المشهود بكوهر والمتوفى ١٢٦٦هـ.
٣ـ الملا محمد المعروف بـ(حجة الإسلام) المامقاني.
٤ـ السيد عبدالله ابن السيد محمد رضا شبر الحسيني المتوفى ١٢٤٢هـ.
٥ـ الشيخ هادي بن المهدي السبزواري صاحب المنظومة المتوفى ١٢٨٩هـ.
٦ـ الشيخ محمد حمزة الحمزة كلائي صاحب أسرار الشهادة.
٧ـ السيد حسين ابن السيد عبد القاهر بن حسين البحراني.
٨ـ الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طوق القطيفي.
٩ـ الشيخ عبد الخالق اليزدي.
١٠ـ المولى محمد حمزة شريعتمدار المازندراني.

إضافة إلى أبنائه الأربعة الشيخ محمد تقي والشيخ علي نقي، والشيخ عبدالله والشيخ حسن، والعديد الذين لا تسع هذه الدراسة لذكرهم، كما يروي عنه الكثير من العلماء الأعلام، أبرزهم: الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر المتوفى ١٢٦٦ هـ، والشيخ محمد إبراهيم الكرباسي صاحب الإشارات، والشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي القطيفي المتوفى ١٢٤٥هـ والشيخ محمد بن علي بن عبد الجبار القطيفي المتوفى ١٢٤٢هـ.

وقد توفي الشيخ الأحسائي في الثاني والعشرين من ذي القعدة من سنة ١٢٤١هـ، قرب المدينة المنورة في قرية هدية أثناء سفره للحج، ودفن في البقيع، بعد أن خلف عشرات من التلاميذ، والكثير من المؤلفات التي بلغت المائة ونيف، والتي ذكرت في عدة كتب أهمها: فهرست كتب شيخ أحمد، وفهرست مصنفات الأحسائي، وكتب السير،

وأثناء ترجمته، وجمع بعضها في جوامع الكلم، وطبعت بشكلها المخطوط، وتم طباعة بعض كتب الشيخ في الثمانينات من هذا القرن.

ولقد صنف الشيخ الأحسائي على الاتجاه الأخباري، بينما اتهمه البعض بالحلولية، ووصمه الشيخ الخالصي (سامحه الله)، بأنه أحد قسيسي الغرب جاء من أندنوسيا، بينما وصفه بعض العلماء بأنه أحد كبار علماء الإمامية وفلاسفتها، ومدحه كبار علماء الإمامية، مثل: الشيخ محمد حسن كاشف الغطاء، والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، والسيد محمد مهدي بحر العلوم، والشيخ حسين آل عصفور، وذلك في إجازاتهم إليه، وكذلك صاحب روضات الجنات في كتابه.

وبلا شك أن الشيخ الأحسائي، كان شخصية علمية بارزة وعظيمة في آن واحد، ويشهد بذلك كتبه المتنوعة والكثيرة، والتي شملت علوم متعددة من الرياضيات إلى النجوم والأُصول والحكمة والنحو وغيرها من العلوم، يضاف إلى ذلك شهادات العلماء بحقه وإجازاتهم له التي تفيض بالمدح والإكبار لشخصه وعلمه، مما يدل على مكانته العلمية وذكائه ونبوغه المبكر، إضافة إلى عبادته وزهده وروحانيته التي وصفت بشكل ليس لها مثيل، كل هذا شكل شخصية علمية وروحية جديرة بالاحترام حتى عند مناوئيه، الذين كانوا له بالمرصاد للرد على أرائه في الحكمة الإلهية.. ومما يؤسف أن بعض مناوئيه تعدى ذلك إلى شخصيته الجديرة بالاحترام والإكبار، واتهامه بشتى الاتهامات الشنيعة..

وأما عن آرائه ومدرسته الفلسفية، فيحدثنا الأُستاذ محمد كاظم الطريحي قائلا: «لم يكن الشيخ الأوحد حكيماً فحسب، بل إنه ممن أضاف إلى الحكمة الإسلامية آراء مبتكرة فيما يطابق العقل والنقل مما جاء في السنة النبوية، وأخبار أهل البيت عليهم السلام؛ لأنه كان ممن يرى

ضرورة التوفيق بين العقل والنقل، فهو وإن كان إمامياً اثني عشرياً موالياً إلا أنه ممن اغترف وتأثر بآراء من تقدمه من أئمة الحكمة والفرقان، وعلماء الفقه والأخبار، والمتمعن فيما كتبه شرحاً لما وراء الطبيعة يتلمس آثار ذلك، والكثير من أجوبته للمسائل الهامة كانت بداهة فطرية بدون مراجعة كتاب أو رجوع إلى أصل من الأُصول، وهي موهبة تفرد بها، وقل من شاركه فيها، ولا سبيل إلى إنكارها لما نتلمسه في تصفحنا لكتبه، وكانت حياته مطابقة لما اعتقده من الآراء وما اعتنقه من المبادئ قولاً وعملاً وأنه قد تمكن بما أوتى من سعة الإطلاع والمعرفة، وقوة التميز والحافظة والتخلص إلى النتائج من الجمع بين آراء من تقدمه من مفسري القرآن، وشراح الحديث، وحكماء الإسلام ورواة الأخبار، وبما أضافه أقطاب التصوف والعرفان، فوعى ذلك كله ولخصه وبسطه مضيفاً إليه آراءه الخاصة في حل ما اعترضه من المشاكل، وما أجاب عليه من المسائل »[1].

ويحاول الأستاذ صالح السليمي أن يوضح ما قام به الشيخ الأحسائي في ابتكار هذه المدرسة قائلاً: « وحقيقة الأمر ـ في هذا الشأن ـ أن الشيخ أحمد الأحسائي أسس مدرسة جديدة في الحكمة الإلهية، سداها ولحمتها أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فمن هذه الأحاديث ومن كتاب اللّٰه المجيد استقى مبادئ هذه المدرسة، ومنها استخلص قواعدها، فرسم معالمها وحدد مسائلها، حتى أضحت مدرسة تامة الأركان شامخة البنيان، فاستعان بها على دحض ما كان سائداً في زمانه من فلسفة تعتمد الجدل العقيم منهاجاً مختاراً في إثبات مسائل المبدأ والمعاد »[2]

---

(١) مجلة الموسم، العددان ٩ ـ ١٠، المجلد الثالث ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص ١١٥.

(٢) أضواء على مدرسة الأحسائي، ص ٢٤.

ويقول آخر: «إن الأحسائي كان من رجال الشيعة اللامعين الذين أخذوا بأسباب المعرفة والفكر والفلسفة والكلام والعرفان، هذا إلى جانب تمرسه بالطب والرياضيات والنجوم والكيمياء(الصنعة) وعلم الأعداد والكلمات والحديث والأُصول، وكانت حياته فريدة من نوعها فقد أنفقها على العلم والإنتاج»[١].

بينما نسب إليه معارضوه مؤاخذات عديدة أبرزها: إنكاره المعاد الجسماني، ودعوى أن الجسم المادي لا يمكن أن يعود بكل ما فيه من كثافة وكدورة، وإنكاره معراج النبي الجسماني إلى السماء، وإنكاره معجزة شق القمر للنبي، والغلو في شأن أهل البيت عليهم السلام[٢]

ولقد رد على ذلك الشيخ الأحسائي نفسه، ورد بعض تلك المؤاخذات تلامذته من بعده، ولقد كانت ردودهم تنفي هذا المؤخذات، وأهم حجتهم الأساسية، أن متهميه لم يفهموا رأي الشيخ بشكل واضح، إضافة إلى أن مسألة المعاد الجسماني يشاركه آخرون في الرأي، مثل الشيخ الطوسي في التجريد، والعلامة الحلي في شرح التجريد.

وبعد وفاة الشيخ أحمد الأحسائي خلفه في قيادة هذا الاتجاه السيد كاظم الرشتي، وهو من أبرز تلاميذه، والذي دافع عن آراء أُستاذه في مصنفاته العديدة مثل: رسالة كشف الحق، والحجة البالغة، ودليل المتحيرين، إضافة إلى دروسه التي كان يلقيها في كربلاء المقدسة.

ولقد تعرض السيد الرشتي لحملات معارضة كبيرة من قبل علماء

---

(١) أعلام هجر ١/ ١٨٤.

(٢) أعلام هجر ١/ ١٨٢.

الشيعة، وبالذات علماء النجف الأشرف، حيث قاموا بتتبع كلمات السيد الرشتي، واتهموه بالغلو، وطلبوه للمحاكمة أو الرجوع عن آرائه، فوافق على المحاكمة، بشرط أن يكون الحكم من غير الطرفين، فرشح للحكم جماعة بينهما جماعة من العلماء، وكان على رأسهم الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار القطيفي، أحد علماء المنطقة، إلا أنهم رفضوا ذلك، برغم قبول السيد الرشتي للمحاكمة وللشيخ آل عبد الجبار[1]. وهذه من عجائب الدهر، حيث نكثوا بالمحاكمة بعد أن اتهموه وشنعوا عليه، وإن دل ذلك فإنه يدل على ثقة السيد الرشتي بقناعته وآرائه، وقوة حجته، وإلا كيف قبل المحاكمة؟!

وآل عبدالجبار ووالده الشيخ عبد علي كانا ممن تتلمذ على يد الشيخ الأحسائي، وهما على منهجه ومشربه، ولديهما إجازة منه، وبعد رفض علماء النجف للمحاكمة والمناظرة، كتب الشيخ محمد عبدالجبار رسالة في هذا الشأن، دافع فيها عن السيد الرشتي ومنهجه ومظلوميته، وأسماها «منبع الأسرار وسيف الله على الأشرار»[2].

ولقد حدثت بعض التطورات بعد وفاة السيد الرشتي سنة ١٢٥٩هـ، ساهمت في إذكاء الفتنة بين هذه المدرسة وعلماء الإمامية، وبالخصوص علماء النجف الأشرف، والى ذلك يشير السليمي قائلا: «وكان تلاميذ مدرسة الأحسائي جميعاً في حياة السيد كاظم الرشتي رحمه الله معترفين بفضله عليهم وإمامته لهم.. وبعد وفاته انفرد تلميذه الحاج محمد كريم خان الكرماني المتوفى سنة ١٢٨٨هـ بآراء وأفكار لم يوافق

---

(١) ثلاث رسائل، العلامة الشيخ محمد بن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار القطيفي، ص ١٠ ـ ١١.
(٢) المصدر السابق.

عليها سائر تلاميذ السيد، فأدى هذا الاختلاف إلى أن ينبثق من مدرسة الأحسائي مدرسة حكمية جديدة وأن يكون لها أنصار وأتباع أطلق عليهم خصومهم لقب (الركنية) نسبة إلى ما قالوا به من الركن الرابع[1]

فالحاج كريم خان قال: بعدم كفاية الإمام الغائب، بل لابد من رجل من الرعية يكون بمثابة الباب والركن، كي يسد النقص في تأدية الأحكام الشرعية والكونية، ورأى أن الركن تمثل في الشيخ الأحسائي، ومن بعده في السيد الرشتي، حتى وصلت إليه النوبة بعد وفاة الرشتي، بينما لا يشاهد في كتابات الأحسائي والرشتي، ولا في تلاميذهما هذا الرأي، ويتهمه البعض بأن ذلك من تسويل نفسه والتفوه بهذا القول ونسبته إلى الشيخ والسيد[2]

وادعى أن هذا الرجل المكنى بالركن والباب هو السيد كاظم الرشتي والشيخ، وهما لم يقولا بمقولة الركن أبداً.. حيث لم يزعما أنهما هما الركن والباب اللذان يوصلان إلى الإمام الحجة (عج) فدعوى الباب والركن ونسبتهما إلى الشيخ والسيد شبيهة بدعوى الكيسانية من جعلهم محمد ابن الحنفية إماماً عن ابن أخيه الإمام السجاد عليه السلام.

ولقد ظلت هذه المدرسة في كرمان، واستوطنتها مع زعمائها من سلالة الكرماني، ولما قتل مرشدهم الحاج عبد الرضا بن أبي القاسم ابن زين العابدين بن كريم خان في حدود سنة ١٤٠٠هـ، انتقلت إلى

(١) أضواء على مدرسة الأحسائي، ص: ٤٤.

(٢) انظر: فكر ومنهج، دراسة تحليلية في فكر الشيخ أحمد الأحسائي، الشيخ عبد الجليل الأمير الأحسائي، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

البصرة مع زعيمهم الحالي، ولا يذكر لنا التاريخ بأن هذا الاتجاه تواجد في المنطقة، سواء كان القطيف أو الأحساء، بل ظل في كرمان بإيران، وفي الكويت، وفي البصرة فقط.

وهذا ما دعا بعض الباحثين يقسمون مدرسة الأحسائي إلى فرقتين رئيسيتين وهما: الكشفية والركنية، وان كان هذا الاتجاه لا يقبل هذا التقسيم ويعتبروها من «الاختلافات التي لاكتها الألسن والمغالاطات التي سطرتها الكتب زوراً من أسطورة الكشف والكشفية ونسبتها إلى بعض تلامذة الشيخ الأوحد، حتى أن البعض جعل الكشفية من أقسام الشيخية.

إن نسبة الكشفية إلى الشيخ وأتباعه كلام غير صحيح، ومبناه تفرقة الشيعة الإمامية إلى أحزاب وفرق، فلم يدّع الشيخ ولا تلامذته الكشف، ولا من مذهبهم الكشف والإلهام، فهو محمول على المبالغة في نعت أستاذه، لما يرى منه من عقلية متوقدة وسرعة البديهة واستحضاره لأغلب العلوم في وقته»[١]

وأما عن إنتحال لقب الشيخية، وتلقيبهم بهذا الاسم فإنهم يردون على ذلك قائلين: «كل تلامذة الشيخ أحمد ابن زين الدين الأحسائي -قديماً وحديثاً- لا يقلدون أستاذهم لا في الفروع ولا في الوصول، ولكن من كثرة دفاعهم عنه ونصرته لآرائه ومعتقداته عُرفوا بانتسابهم إلى الشيخ الأوحد، فأطلق عليهم الغير اسم (الشيخية)، وإلا في الحقيقة والواقع لم تكن نية الشيخ الأوحد ولا نية تلامذته تأسيس فرقة تدعى (بالشيخية)»[٢].

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق: ص ١٧٧.

ولهذا الاتجاه رموز كثر، أغلبهم تلاميذ الشيخ الأحسائي بطبيعة الحال، أو السائرين على نهجه، ولقد مر ذكرهم مثل: السيد كاظم الرشتي والميرزا حسن كوهر والماماقاني وهناك أيضاً الميرزا محمد باقر الأسكوئي المتوفى ١٣١٠هـ، وابنه الميرزا موسى الحائري الأحقاقي المتوفى ١٣٦٤هـ.

كما أن هناك شخصيات علمية من الأحساء والقطيف حملت هذا الاتجاه، وروجت له في أماكن تواجدها، والبعض فضلت اعتناقه فقط، وإن كانت منطقة الأحساء تمركزت فيها أكثر، بحكم ولادته في هذا المنطقة، ولقد سمعت من أحد المؤرخين المعاصرين، أن أغلب علماء القطيف في القرن الثالث عشر الهجريين ومتصف القرن الرابع عشر، تبنت هذا الاتجاه، ولكن نتيجة الاضطهاد الذي لاحق معتنقيه فضلت الصمت والانزواء خوفاً من الاتهامات والتشنيع، وبعض هؤلاء العلماء ظهر في كتبهم، حيث كان يميل مع هذا الاتجاه، ويعبر عنه في كتبه العقائدية. ويظهر كشاهد على ذلك في رسائل الشيخ الأحسائي وأجوبة المسائل الآتية إليه من منطقة القطيف، وبالخصوص الشيخ احمد بن طوق القطيفي.

ولقد كان في هذا الاتجاه شخصيات علمية في المنطقة، وبعضها مارس دوره في نشر آراء هذا الاتجاه، وبعضها شخصيات رفيعة الشأن في تاريخ المنطقة مثل:

١ ـ الشيخ عبد الإمام الأحسائي، أثنى عليه صاحب تاريخ البحرين: «كان فقهياً مفسراً، تصدر للإفتاء بأمر الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي في قرية الأحساء، وله رسالة في شرح أسماء اللّٰه الحسنى، كتاب في وجوب غسل الجمعة، ورسالة في العدالة، توفي

١٢٠٩هـ»[1]

٢ـ الشيخ عبد الحسين بن الشيخ يوسف البحراني، قال في حقه الشيخ محمد على العصفور: «وهو أحد فضلائنا للإفتاء بأمر الشيخ أحمد الأحسائي في القطيف، ولم أجد من تآليفه شيئاً، إلا رسالة في تركيب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، مات رحمه الله عليه سنة ١٢٤٧هـ»[2]. ولقد ألف الشيخ الأحسائي رسالة الإيمان والكفر كجواب للشيخ عبد الحسين البحراني، فرغ منها ١٥ جمادى الثاني ١٢١٢هـ، وطبعت ضمن المجلد الثاني من جوامع الكلم.

٣ ـ الشيخ أحمد بن صالح بن طوق القطيفي، من كبار علماء القطيف في القرن الثالث عشر الهجري، وهو أحد مراجع القطيف المعروفين، كان تلميذاً للشيخ الأحسائي، كتب له جوابات عديدة باسمه، طبعت في جوامع الكلم، الأولى: فرغ منها في كاشان ٢٤ رجب ١٢٢٣هـ، والثانية باسم المسائل الفقهية، والثالثة، عبارة عن ٧١ مسألة في التفسير والفلسفة وعلم الفلك وشرح لبعض الأحاديث، وطبعت في جوامع الكلم وغيرها كثير، توفي بعد سنة ١٢٤٥هـ.

٤ ـ الشيخ محمد بن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار القطيفي، الذي مر آنفاً، وهو أحد علماء القطيف الكبار، وهو أستاذ الشيخ أحمد بن طوق المتقدم، وكان مرجع تقليد في العراق والأحساء والقطيف، تتلمذ على يد الشيخ الأحسائي، ولقد سأله الكثير من الأسئلة ذات الطابع العقائدي والقرآني، طبعت في هذه الأجوبة في جوامع الكلم،

---

(١) تاريخ البحرين ـ محمد علي العصفور، مخطوط.
(٢) المصدر السابق.

له مؤلفات عديدة أبرزها: شرح كتاب الكافي في أربعة عشر مجلد، وطبع له أخيراً كتاب ثلاث رسائل، بتحقيق الشيخ حليم السنان، توفي هذا الشيخ بعد سنة ١٢٥٠هـ في سوق الشيوخ، ونقل إلى النجف الأشرف ودفن بالغري.

٥ ـ السيد مال الله بن السيد محمد الخطي المعروف بالفلفل، من فضلاء علماء القطيف، وهو أحد الرواة عن الشيخ الأحسائي، كتب له شرح لحديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك»، كجواب لسؤاله، توفي سنة ١٢٢٢هـ.

٦ ـ الشيخ محمد حسين أبو خمسين المتوفى سنة ١٣١٦هـ، وهو أحد تلامذة السيد الرشتي، بل قيل من أفضل طلابه، كان مرجع تقليد في الأحساء، وساهم في تأسيس المدرسة العلمية الإمامية في الهفوف بالأحساء، له مؤلفات عديدة منها: رسالته العملية، ومصابيح الأنوار، وتدل كتبه على انتمائه إلى هذا الاتجاه، ويكفيه تتلمذه على السيد الرشتي.

٧ـ الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان المتوفى ١٣٣١هـ، أحد كبار علماء الأحساء فضلاً وعلماً، استمر في الدراسة والتدريس في النجف الأشرف لمدة ثلاثين سنة، وهو أحد مفاخر المنطقة وعلمائها، حيث كان مرجع تقليد، له رسائل عدة منها: رسالة عملية في الطهارة والصلاة، كما أشار صاحب الأنوار.

٨ ـ الشيخ الميرزا على الحائري الأحقائي الأسكوئي، المتوفى سن ١٣٨٦هـ، كان أحد رواد هذا الاتجاه، ومرجع تقليده، عاش في الأحساء ينشر آراء وأفكار الشيخ الأحسائي، متنقلاً بين الأحساء والكويت وإيران.

٩ ـ الشيخ عبد اللّه معتوق آل مرهون التاروتي القطيفي، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ ، أحد مجتهدي القطيف ومراجعها الكبار، ومازال مقلداً في بعض بلدان فارس كما نقل مؤخراً، تتلمذ على يد الميرزا موسى الأحقائي الأسكوئي في النجف، ولقد مشهور عن الشيخ عبد اللّه الورع والزهد والإيمان والعلم، حتى سمي بابي ذر زمانه، له كتب كثيرة من بينها رسالة المساكين في الشكوك.

وهنالك من يؤكد أن السيد ناصر بن هاشم الأحسائي المتوفى ١٣٠٨هـ ، كان أحد الموالين لهذا الاتجاه، وينفى عنه أنه كان محارباً له[1]، السيد ناصر أحد مراجع الأحساء المشهورين علماً وورعاً وشجاعة وعزماً.

٦ ـ الشيخ عبد اللّه بن معتوق آل مرهون التاروتي المتوفى ١٣٦٢هـ ، وهو أحد تلاميذه الميرزا موسى الأحقاقي.

وأما عن المعاصرين فيقود هذا الاتجاه كمرجع تقليد وراعي لهذا الاتجاه الميرزا الشيخ حسن الأحقاقي المولود في والمقيم في الكويت، صاحب كتاب أحكام الشيعة، وابنه الميرزا الشيخ عبد الرسول الحائري إضافة إلى ثلة من علماء الأحساء، وذلك كوكلاء للميرزا الحائري، مثل: الشيخ حسين بن شبيث، والشيخ توفيق البوعلي، والشيخ عبد الجليل الأمير، وفي الكويت الشيخ علي الشمالي، وغيرهم كثير في الأحساء.

وتجدر الإشارة إلى انه كما ينفي الاتجاه الأخباري الاتهامات التي وصفته بعلاقته الفكرية بالحسيين في أوروبا، والتي حاولت رسم هذه العلاقة الوهمية، فإن اتجاه الحكمة الأحسائية يرفض علاقته بالبابية

---

(١) فكر ومنهج: ص١٨٨.

والبهائية، ويرى أن هذه الفرق خارجة عن الإمامية والإسلام، والأمر الأخر أن الأخبارية والحكمة يتفقان على قواسم مشترك وبالخصوص في موضوع أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وأن كان تختلفان في مواضيع أخرى، كما أنهما تعرضا لحملات هجومية وقمع فكرية بشكل مشترك من الأصولية، كما أن ولادة كلا الاتجاهين قد تمتا في كربلاء المقدسة، وهذا عامل مشترك، إضافة إلى رواية الشيخ الأحسائي عن الشيخ حسين العصفور البحراني.

وكبقية الاتجاهات الفكرية فإنهما تواجدا في المنطقة بشكل جيد، وأن كلا الاتجاهين يتمركز في منطقة دون الأخرى بشكل واضح، فالاتجاه الأخباري يتمركز في منطقة سيهات والقطيف وقراها، وان كانت بعض الفترات الزمنية تواجد في الأحساء، كما أن لهذا الاتجاه وجود قوي في البحرين إلى اليوم، ومازال له امتدادات في العراق وإيران.

أما اتجاه الحكمة الاحسائية فإنه يتمركز في الأحساء وقراها العامرة، وله وجود قوي في الكويت حيث يقيم مرجع تقليدهم الميرزا حسن الحائري قدس سره إضافة إلى امتدادات في تبريز بإيران، وفي باكستان، ودول أخرى، وقد يكون الامتداد الخارجي لتيار الحكمة الأحسائية أكبر من الاتجاه الأخباري، والسبب يرجع إلى النشاطات الدينية والاجتماعية مثل إقامة المدارس والمؤسسات الدينية، إضافة إلى العمل الديني الذي يمارسه تيار الحكمة الأحسائية.

٣- الاتجاه الأصولي في القطيف:

أما عن هذه الاتجاه وعلاقته بالمنطقة نقول: قبل الخوض في غماره لابد لنا من إلمامة سريعة بهذا العلم -علم الأُصول- حتى نكون في أجوائه وأجواء أتباعه، يقول الشهيد محمد باقر الصدر: نشأ علم

الأُصول في أحضان علم الفقه، كما نشأ علم الفقه في أحضان علم الحديث تبعاً للمراحل التي مر بها علم الشريعة.. ونريد بعلم الشريعة العلم الذي يحاول التعرف على الأحكام التي جاء الإسلام بها من عند اللّه تعالى. فقد بدأ هذا العلم في صدر الإسلام متمثلاً في الحملة التي قام بها عدد كبير من الرواة لحفظ الأحاديث الواردة في الأحكام وجمعها.. وأما طريقة فهم الحكم الشرعي من تلك النصوص والروايات فلم تكن ذات شأن في تلك المرحلة؛ لأنها لم تكن تعدو الطريقة الساذجة التي يفهم بها الناس بعض كلام بعض في المحاورات الاعتيادية[1].

بهذا النص نفتتح الحديث عن أقوى اتجاهات مدرس الإمامية اليوم، وإن دراسة هذا الاتجاه الرئيسي يحتاج إلى تسويد الآلاف من الأوراق، واعتماد من المئات من المصادر، إلا أن هذه الدراسة سوف تبحث عن كثير من الأُمور الأساسية التي لا يمكن تناسيها أثناء البحث، من قبيل النشأة والجذور والأفكار والحجج التي اعتمد عليها للوصول إلى طريقة استخراج الأحكام الشرعية من مصادر التشريع الإسلامي، والتي عدَّها الأُصوليون مصادر أساسية أربعة يجب الاعتماد عليها، وبالخصوص بعد إثبات حجيتها الشرعية.

ونظراً لتشعب البحث وكثرة المصادر التي تتناوله آثرنا السير بنفس الطريقة التي بحثنا فيها الاتجاهين الآخرين، وهي التركيز على الجانب التاريخي مع التعرض ضمناً للأفكار، وعلى هذا الأساس اخترنا كتاب (المعالم الجديدة للأُصول) للشهيد السيد محمد باقر الصدر، واعتمدنا أحياناً طريقة انتقاء المعلومات وترتيبها من دون كتابة

(١) المعالم الجديدة للأُصول، السيد محمد باقر الصدر، ص ٤٦.

النصوص بشكلها الوارد، كما أننا لم ننس الإشارة إليها في أغلب الأحيان؛ لكي يسهل علينا اختصار البحث.

ويجدر بنا قبل الخوض في تاريخ هذا الاتجاه التطرق إلى أمور مهمة، لابد من ذكرها عند التعرض لهذا الاتجاه وأهمها: تعريف علم الأُصول والذي اختلف عليه العلماء مثلما باقي العلوم في نشأة التعاريف من حيث النقض والإبرام.

فالشيخ محمد رضا المظفر يعرِّفه قائلاً: «علم أُصول الفقه هو علم يبحث فيه عن قواعد تقع نتيجتها في طرق استنباط الحكم الشرعي»[1]. والمثال الذي يأتي به المظفر وغيره، إن الصلاة واجبة في الشريعة، وقد دل على وجوبها من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾، و ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾، ولكن دلالة الآية متوقفة على ظهور صيغة الأمر في الآيتين نحو (أقيموا) كدلالة على الوجوب، ومتوقفة أيضاً على أن ظهور القرآن حجة يصح الاستدلال به، وهاتان المسألتان يتكفل ببيانهما علم الأصول، كما يدعون، وحسب ما يؤكده المظفر وغيره من الأُصوليين في بحوثهم الأُصولية والاستدلالية.

أما السيد الصدر فإنه يعرِّفه: «العلم بالعناصر المشتركة في عملية استنباط الحكم الشرعي»[2] ويستخلص من شرح وفير أن «علم الأُصول وعلم الفقه مرتبطان معاً باستنباط الحكم الشرعي، فعلم الفقه هو علم نفس عملية الاستنباط، وعلم الأُصول علم العناصر المشتركة

(١) أُصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر ١ / ٥.

(٢) المعالم الجديدة، ص ١٨.

في عملية الاستنباط، والفقيه يمارس في علم الفقه استنباط الحكم الشرعي بإضافة العناصر الخاصة للعملية في البحث الفقهي إلى العناصر المشتركة التي يستمدها من علم الأُصول، والأُصولي يدرس في علم الأُصول العناصر المشتركة في عملية الاستنباط ويضعها في خدمة الفقيه»[(١)]

ولقد اختلف علماء الأُصول في موضوعه، كما اختلفوا في الكثير من المواضيع، فلقد اعتبر الشيخ المظفر أن هذا «العلم غير متكفل للبحث عن موضوع خاص، بل يبحث في موضوعات شتى، تشترك كلها في غرضنا المهم منه، وهو استنباط الحكم الشرعي، ولا وجه لجعل موضوع هذا العلم خصوص الأدلة الأربعة.. أو إضافة الاستصحاب، أو إضافة القياس والاستحسان، كما فعل المتقدمون»[(٢)]

ولقد أشار الشيخ محمد جواد مغنية إلى هذا الخلاف قائلاً: «أطالوا الكلام حول موضوع علم الأُصول: هل هو الأدلة الأربعة: الكتاب، السنة، والاجماع والعقل، بما هي أدلة، أو بما هي هي بصرف النظر عن وصف الدلالة، أو (لا موضوع لعلم الأُصول واقعاً) على حد تعبير الشيخ الفياض المقرر لدرس السيد الخوئي، أو (لا لزوم للموضوع ولا دليل عليه) كما في أُصول المظفر.

والذي أفهمه ببساطة أن موضوع كل علم هو عين المسائل التي يبحثها ذلك العلم، كباب المبتدأ أو الخبر ونحوه في علم النحو، ومبحث التصورات والتصديقات والقياس في المنطق، وعليه فكل بحث يتصل

---

(١) المصدر، ص ١٢.
(٢) أُصول المظفر ١/ ٦.

بمبدأ من مبادئ الاستنباط لحكم من أحكام الشريعة فهو من مسائل علم الأُصول وموضوعه في الصميم »[١].

والأمر الآخر أن الأُصول والفقه يمثلان النظرية والتطبيق، ولا يعني ذلك أن العملية يسيرة الجهد مثلما يتصور الواحد منا للوهلة الأولى، بحيث تتحول العملية إلى جهد تجميع يسهل على جامعه استنباط الأحكام الشرعية، فهذا التصور خاطئ وهذا ما يحاول السيد الصدر تبنّيه، وذلك « لأن المجتهد إذا درس العناصر المشتركة لعملية الاستنباط وحددها في علم الأُصول لا يكتفي بعد ذلك بتجميع أعمى للعناصر الخاصة من كتب الأحاديث والروايات مثلا، بل يبقى عليه أن يمارس في علم الفقه تطبيق تلك العناصر المشتركة ونظرياتها العامة على العناصر الخاصة. والتطبيق مهمة فكرية بطبيعتها تحتاج إلى درس وتمحيص، ولا يغني الجهد العلمي المبذول أُصولياً في دراسة العناصر المشتركة وتحديد نظرياتها العامة عن بدل جهد جديد في التطبيق »[٢].

ولابد من معرفة أن المقصود بالعناصر المشتركة هي القواعد والنظريات التي استخلصها علماء الأُصول من الكتاب والسنة وبالخصوص أحاديث الرسول والأئمة عليهم الصلاة والسلام في هذا المجال، والقواعد المقصود بها العناصر كثيرة من قبيل الرجوع إلى العرف العام في فهم النصوص وحجية الظهور العرفي وحجية الخبر.. وباقي القواعد الأُصولية، وعموماً فإن العناصر المشتركة على نوعين، الأول قائم على أساس الدليل، مثل الدليل اللفظي والبرهاني والاستقرائي، أما النوع الثاني فقائمة على أساس الأصل العلمي من

---

(١) أُصول الفقه في ثوبه الجديد ـ الشيخ محمد جواد مغنية ـ ص ١٤.

(٢) المعالم الجديدة: ص ١٦.

قبيل الحكم الأساسي والثانوي والتعارض بين الأدلة.. وهذا التقسيم ينفرد به السيد الصدر لأن بقية العلماء يقسمون هذه القواعد إلى تقسيمات أُخرى، مثل الألفاظ والأُصول العملية.

مع الإشارة إلى أن مصادر التشريع عند الأُصوليين أربعة هي: القرآن والسنة والعقل والإجماع، وهذه تضاف إلى بحوث علم الأُصول، حيث تدرس ضمن البحوث الأُصولية والتقسيمات المتعددة لمصنفي علم الأُصول الكثيرة، وهنا يأتي الخلاف بين الاتجاه الأخباري والأُصولي حول العقل والإجماع من حيث إنهما مصدران للتشريع الإسلامي، وفي داخل الاتجاه الأخباري تتباين الرؤى حول هذين المصدرين، فالاتجاه الذي يتزعمه الشيخ يوسف البحراني لديه رؤية أُخرى تختلف عن رؤية الميرزا الإسترابادي في فوائده المدنية..

والأمر الآخر أن الاجتهاد كان مثار جدل بين مدرسة الإمامية ومدرسة الخلافة، وفي داخل مدرسة الإمامية أيضاً، حيث كان هذا المصطلح مثار جدل واسع بين الاتجاه الأُصولي والأخباري، ويعد هذا المفصل من الأُمور التي أُخذت على الأُصوليين في خلافهم مع الأخباريين.. فلفظة الاجتهاد لغوياً مأخوذة من الجهد وهو بذل الوسع للقيام بعمل ما، و إضافة إلى أنها تأتي بمعنى القياس كما أشار إليه الشافعي عندما سئل عن القياس والاجتهاد، قال: هما اسمان لمعنى واحد؟ وعندما سئل عن جماعهما؟ قال: كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم وجب اتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد، والاجتهاد القياس» .

وقد استعملت هذه الكلمة على الصعيد الفقهي في مدارس

الفقه السني وسارت على أساسها، وهي القاعدة القائلة: إن الفقيه إذا أراد أن يستنبط حكماً شرعياً ولم يجد نصاً يدل عليه في الكتاب أو السنة رجع إلى الاجتهاد بدلاً عن النص، بحيث أصبح الاجتهاد: إعمال الرأي والعقل والاجتهاد والقياس مقابل النص الشرعي، فقد أعيتهم الحيلة للحصول على الأحكام، بعد ابتعادهم عن أحكام الرسول وآله وأهل بيته. كما قال الشيخ المظفر: «فالتجأوا إلى أن يصطنعوا الرأي والاجتهادات الاستحسانية للفتيا والقضاء بين الناس، بل حكموا الرأي والاجتهاد حتى فيما يخالف النص، أو جعلوا ذلك عذراً مبرراً لمخالفة النص»[1].

وبهذا المعنى عدَّ الاجتهاد دليلاً من أدلة الفقيه ومصدراً من مصادره، وعلى رأس المدارس السنية التي نادت بهذا المعنى مدرسة أبي حنيفة، واستخدمت بالذات في عصر أهل البيت وعلى أثره رأينا روايات تذم هذا الاجتهاد وتريد به ذلك المبدأ الفقهي الذي يتخذ من التفكير الشخصي مصدراً من مصادر الحكم، وهناك الكثير من الأحاديث التي تذم الاعتماد على الرأي، وإعمال العقل مثل: عن عبدالرحمن بن الحجاج قال: قال لي أبو عبدالله: « إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك، إياك أن تفتي الناس برأيك، أو تدين الله بما لا تعلم».

ورافق ذلك فيما بعد مؤلفات إماميه تذم الاجتهاد، وقد استمر ذلك حتى في أعقاب الغيبة الصغرى، إضافة إلى أقوال أصحاب الأئمة وعلماء المذهب الذين يحاربون الاجتهاد، وكان على رأسهم الشيخ الصدوق والشيخ المفيد الذي كتب كتاباً باسم: «النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي»، يهاجمه فيه على الاجتهاد ويذمه، ويرد على

---

(١) أصول الفقه: ١/ ١٦٠.

ابن الجنيد الإسكافي الذي كان يؤيد الاجتهاد برغم أنه كان من أصحاب المذهب الإمامي.

واستمر علماء المذهب يحذّرون من الاجتهاد فهذا السيد المرتضى في كتابه الذريعة يقرر: « إن الاجتهاد باطل، وأن الإمامية لا يجوز عندهم العمل بالظن ولا الرأي ولا الاجتهاد » ، وفي كتاب أخر يقول: « إنما عول أبن الجنيد في هذه المسالة على ضرب من الرأي والاجتهاد وخطأه ظاهر » [1]. كما إننا نجد نصوص للشيخ الطوسي في هذا المضمار من قبيل « أما القياس والاجتهاد فعندنا أنهما ليسا بدليلين، بل محظور في الشريعة استعمالهما » [2]، أما أبن إدريس فإنه يقول في كتاب السرائر في معرض بحثه لمسألة تعارض البينتين: « ولا ترجيح بغير ذلك عند أصحابنا، والقياس والاستحسان والاجتهاد باطل عندنا » [3]

ولكن فيما بعد أخذا هذا المصطلح يطور إلى معنى أخر عند مدرسة الإمامية وبالذات عند الأصوليين، كما يدعي الشهيد السيد الصدر قائلاً:

« ولكن كلمة الاجتهاد تطورت بعد ذلك في مصطلح فقهائنا، ولا يوجد لدينا الآن نص شيعي يعكس هذا التطور أقدم تاريخياً من كتاب المعاج للمحقق الحلي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، إذ كتب المحقق تحت عنوان حقيقة الاجتهاد يقول: وهو في عرف الفقهاء بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية، وبهذا الاعتبار يكون استخراج الأحكام من أدلة

---

(١) الانتصار: ص ٥٣.

(٢) مصدر سابق ج ١ ص٥٤

(٣) السرائر: ج٤، ص١٦٥.

الشرع اجتهادا، لأنها تبتني على اعتبارات نظرية ليست مستفادة من ظواهر النصوص في الأكثر سواء كان ذلك الدليل قياساً أو غيره، فيكون القياس على هذا التقرير أحد أقسام الاجتهاد. فإن قيل: يلزم - على هذا- أن يكون الإمامية من أهل الاجتهاد. قلنا: الأمر كذلك لكن فيه إيهام من حيث أن القياس من جملة الاجتهاد، فإذا استثني القياس كنا من أهل الاجتهاد في تحصيل الأحكام بالطرق النظرية التي ليس أحدها القياس »[1]

وحاول فيما بعد الشهيد السيد الصدر أن يوضع لنا الفرق، بحيث أن يتحول الاجتهاد إلى مصدر للفقيه يصدر عنه ودليلاً يستدل به أما في الحالة الثانية فان معناه عملية استنباط الأحكام من مصادرها وأدلتها، إضافة إلى أتساع نطاق الاجتهاد فيما بعد الذي، أصبح يشمل عملية استنباط الحكم من ظاهر النص أيضا، لأن الأصوليين بعد هذا لاحظوا بحق أن عملية استنباط الحكم من ظاهر النص تستبطن كثيراً من الجهد العلمي في سبيل معرفة الظهور وتحديده وإثبات حجية الظهور العرفي.. وهكذا أصبح الاجتهاد يرادف عملية الاستنباط، وبالتالي أصبح علم الأصول العلم الضروري للاجتهاد لأنه العلم بالعناصر المشتركة في عملية الاستنباط[2]

وهذا ما ساعد المحدثين على قبول حججهم تجاه الأصوليين الذين أخذوا بمصطلحات أصولية سنية برغم تغييرهم لمعانيها وتطويرها إلى معاني أخري وراحت تتخذ ظلال تختلف عن ظلالها في السابق، وبالخصوص القياس المعتمد على المنطق الصوري، باعتبار أن الإخباريين

(١) المعالم الجديدة: ص ٢٦.

(٢) المصدر: ص ٢٧ ـ ٢٨.

رفضوا المنطق الأرسطي الذي لا يعصم عن الخطأ كما تقدم، فلذلك رفضوا هذه الطريقة من الاجتهاد.

أما عن تاريخ علم الأصول وتطوره ورموزه فهو حديث طويل وشائك، وبلا شك ن مدرسة الخلافة (السنة) كانوا الأسبق في تبني علم الأصول وبحوثه، أما مدرسة الإمامية فقد وجدت بذرة التفكير الأصولي لديهم منذ أيام الصادقين (عليهما السلام) على مستوى تفكيرهم الفقهي، ولقد وضح ذلك من خلال لأسئلة التي كانت تردهم من أصحابهم ومجمل الأحاديث في هذا الشأن، لقد ألف هشام بن الحكم رسالة في الألفاظ، وكان أصحاب الأئمة البعيدون يستخدمون بعض القواعد الأصولية المختلطة بقواعد الفقه وعلم الكلام لتحصيل الأحكام الشرعية.

بينما نجد أن أول من صنف في الأصول الإمام الشافعي المتوفى سنة ١٨٢هـ، ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ، أما في مدرسة الإمامة فلم يبدأ التصنيف الواسع إلا في أعقاب الغيبة الصغرى، بالرغم من وجود بعض الرسائل المتفرقة لأصحاب الأئمة في مواضيع أصولية متفرقة، ومبرر السبق لمدرسة الخلافة على مدرسة الإمامية في تبني الأصول والتصنيف فيه، نتيجة للخلاف بينما المدرستين وسببه، فالسنة زعموا انتهاء عصر النصوص بوفاة الرسول ﷺ، بينما كانوا الشيعة الإمامية يعتقدون بوجود من يسد مكان الرسول ﷺ وهم الأئمة عليهم السلام، وبالتالي فانهم لم يكونوا بحاجة إلى آليات وقواعد لاستنباط الأحكام الشرعية لوجود من يدلهم على الأحكام الشرعية وهو الإمام المنصوص عليه، ولم ينته هذا الوضع ألا بغياب الإمام المهدي (عج) حيث أنتهي عصر النص الشرعي.

وكان الرواد في هذا المجال من فقهاء المذهب الحسن بن علي بن

أبي عقيل ومحمد بن أحمد بن الجنيد الأسكافي في القرن الرابع وحققوا تقدماً جيداً في هذا المجال، وأن هذا لا ينفي أن علمائنا قاموا فيما بعد بنقد أبن الجنيد وابن عقيل لقبولهم بمسارات أصولية تتشابه مع مدرسة الخلافة وهذا الذي آثار الاتجاه الأخباري فيما بعد.

وكان رواد التصنيف الأصولي الشيخ محمد بن النعمان العبكري المشهور بالمفيد، والمتوفى سنة ٤١٣ هـ، الذي ألف كتاب في مختصر أصول الفقه، ومن بعده تلميذه السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ بكتابه الموسع الذريعة وكتب وأخرى.

إضافة إلى تلميذه الأخر سلار بن عبد العزيز الديلمي المتوفى سنة ٤٣٦هـ، إذ كتب كتاباً باسم التقريب في أُصول الفقه، وجاء الشيخ الفقيه محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ الذي تتلمذ على يد الشيخ المفيد والسيد المرتضى، واستطاع أن ينقل الفقه الإمامي إلى مرحلة نوعية تميزت بالاستدلال والتوسع، حيث ألف كتاب العدة في الأُصول إضافة إلى موسوعتيه الحديثيتين: التهذيب والاستبصار القيمتين مما ساعد على التكامل مع موسوعة الكافي للكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ، ومع من لا يحضره الفقيه للصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ، بحيث شكلت هذه الموسوعات الأربع المادة الخام للنصوص التي يستنبط منها الأحكام الشرعية فيما بعد لدى الشيعة وأضحى يشار إليها بالكتب الأربعة.

فقد كانت مساهمة الشيخ الطوسي في دعم مدرسة الإمامية وتقوية الاتجاه الأُصولي كبيرة ليس من خلال ما كتبه في عدة الأُصول فقط، بل أيضاً كتاباته الفقهية من قبيل كتاب المبسوط الفقهي، والذي استطاع فيه أن يوازي ويمزج بين علم الأُصول وتطبيقاته الفقهية في المسائل الشرعية، وإذا أردنا التعرف على دوره الضخم فلابد من قراءة

كتاب العدة، وبالخصوص مقدمته التي يقول فيها:

« سألتم أيدكم اللّه إملاء مختصر في أُصول الفقه يحيط بجميع أبوابه على سبيل الإيجاز والاختصار على ما يقتضيه مذهبنا وتوجيه أُصولنا، فإن من صنف في هذا الباب سلك كل قوم منهم المسلك الذي اقتضاه أُصولهم ولم يعهد من أصحابنا لأحد في هذا المعنى إلا ما ذكره شيخنا أبو عبداللّه (المفيد) رحمه اللّه في المختصر الذي له في أُصول الفقه.

ولم يستقصه وشد منه أشياء يحتاج إلى استدراكها وتحريرات غير ما حررها، فإن سيدنا الأجل المرتضى ـ أدام اللّه علوه ـ وإن كثر في (أماليه)، وما يقرأ عليه شرح ذلك، فلم يصنف في هذا المعنى شيئاً يرجع اليه ويجعله ظهراً يستند اليه، وقلتم: إن هذا فن من العلم لابد من شدة الاهتمام به؛ لأن الشريعة كلها مبنية عليه ولا يتم العلم بشيء منها دون إحكام أُصولها، ومن لم يحكم أُصولها، فإنما يكون حاكياً ومقلداً ولا يكون عالماً »[1].

وبسبب الاضطرابات والقلاقل التي حدثت في بغداد انتقل الشيخ الطوسي إلى النجف سنة ٤٤٨هـ، وهناك أسس حوزة النجف الأشرف، وإن كان الشيخ الطوسي لم يستطع استعادة الدور الكبير الذي كان يؤديه في بغداد وذلك للنشأة البدائية للحوزة، وتفرق تلاميذه الذين تتلمذوا على يده في بغداد، إلا أنه قام بدور كبير ساهم فيما بعد بتقوية هذه الحوزة، وإن كان في الجانب الآخر قامت حوزة كبرى في الحلة نتيجة تسرب التيار العلمي إليها وبدأت تنافس النجف الأشرف، وبالخصوص بعد وفاة الشيخ الطوسي وتزعم ابنه الحسن الحوزة الحديثة

---

(١) العدة في الأُصول، ١/ ٤.

التكون. مما دفع السيد الصدر إلى إطلاق (الوقوف النسبي للعلم) على هذه المرحلة لأسباب عديدة أهمها هجرة الشيخ الطوسي من بغداد.

ابن إدريس وابن زهرة:

وبظهور الشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن إدريس الحلي العجلي، المتوفى سنة ٥٩٨ هـ، وهو سبط الشيخ الطوسي رحمه الله، الذي استطاع أن يخلخل هذا الوقوف النسبي ويدفع بروح جديدة في الفكر العلمي بكتابه (السرائر)، حسب تعبير السيد الصدر.

وبالرغم من ابن إدريس نال اعجاب الكثير من علمائنا المعاصرين، وبعض القدامى، الإ أنه خالف مشهور العلماء في كثير من المسائل الفقهية، وهو أول من تجرأ على آراء الشيخ الطوسي، والتي استمرت قرابة القرن بعيدة عن النقد، وراح يفسرها بطريقة تلائمه، وذلك لكي يتحاشى نقد العلماء والعوام، وبلا شك أنّ ابن إدريس شكل صدمة أكبر من تلك الصدمة التي أشار إليها السيد الصدر، فابن إدريس بالرغم من إدعائه أن القياس باطل، إلا أنّ الكثير من متتبعيه اكتشفوا في سرائره بعض القياسات الباطلة.

وإلى ذلك أشار صاحب روضات الجنات: «كان فقيهاً أُصولياً بحتاً ومجتهداً صرفاً، وهو أول من فتح باب الطعن على الشيخ، وإلا فكل من كان في عصر الشيخ أو من بعده إنما كان يحذو حذوه غالباً إلى أن انتهت النوبة إليه، ثم إن المحقق والعلامة بعده أكثرا من الرد عليه والطعن فيه وفي أقواله، والتشنيع عليه غاية التشنيع»[1].

---

(١) روضات الجنات ٦ / ٢٥٥.

وشاركه في هذا النقد لآراء الشيخ الطوسي، السيد حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي المتوفى سنة ٥٨٩هـ، صاحب كتاب الغنية، وقد أحدث ابن إدريس وابن زهرة خلخلة في كثير من اراء الشيخ الطوسي وراحوا يفندون بعض آرائه وأدلته، فابن زهرة ناقش في كتابه الكثير من أدلة الشيخ الطوسي التي أوردها في العدة واستدل بوجهات نظر معارضة، بل أثار بعض المشاكل الأصولية الجدية، وفعل ابن إدريس أكثر من ابن زهرة، وهذا يعود لجرأته، حتى إنه أثار عليه الكثير من معاصريه بسبب تفنيد آراء الشيخ ومعاصريه ومناقشته لهم.

وبعد ابن إدريس وابن زهرة بأجيال عديدة نشاهد المحقق نجم الدين: جعفر بن حسن بن يحيى بن سعيد الحلي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، وهو تلميذ تلامذة ابن إدريس ومؤلف شرائع الإسلام الكتاب الفقهي الذي تحول فيما بعد وما زال كتاباً للدراسة الحوزوية، إضافة إلى مصنفاته الأُصولية مثل نهج الوصول إلى معرفة الأُصول، وكتاب المعارج.

ويأتي بعد المحقق الحلي ابن أخته وتلميذه العلامة الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر المتوفى سنة ٧٢٦هـ والذي كتب في الأُصول كتابات عديدة أبرزها تهذيب الوصول إلى علم الأُصول ومبادئ الوصول إلى علم الأُصول، وهو من مشاهير فقهاء الإمامية، ولقد تتلمذ على يده الكثير من علماء الإمامية، منهم الشيخ أحمد بن المتوج البحراني الذي عبره تسرب الاتجاه الأُصولي إلى المنطقة، بتتلمذ علماء من المنطقة على يده.

وفي أواخر هذا القرن يطلع علينا الحسن بن زين الدين المتوفى سنة ١٠١١هـ، صاحب كتاب المعالم الذي مثل فيه المستوى العالي للأُصول في عصره بتعبير سهل وتنظيم جديد لعلم الأُصول، والذي جعل كتابه

يدرس في الحوزات العلمية، وتناوله المعلقون بالتعليق والنقد والشرح، ويقارب المعالم كتاب زبدة الأُصول للشيخ البهائي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ.

وكان من المفترض أن يستمر هذا التطوير لولا ما عبر عنه السيد الصدر بالصدمة التي مني بها علم الأُصول، ويعني بذلك ظهور الحركة الأخبارية على يد الميرزا الإسترابادي، والتي حاول السيد الصدر أن يحلل بواعثها النفسية والعلمية وجذورها التاريخية وأورد العديد من النصوص المعارضة لهذا الاتجاه الأخباري، واتهامه بأن هذا الاتجاه استفاد من الحسيين في أوروبا.

وفي ذات الوقت أشار إلى الموسوعات الضخمة في الروايات والأخبار التي أُلفت مثل البحار للشيخ محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ، والوسائل للحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤هـ، وكتاب الوافي للفيض محسن الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١هـ، إضافة إلى كتب السيد هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧هـ وأبرزها تفسير البرهان المملوء بالأحاديث، ونفى أن يكون السبب الرئيسي للتأليف الحركة الأخبارية وصعودها واعتبرها عاملاً مساعداً فقط، ولا أدري كيف يفسر السيد الصدر (رحمه اللّٰه) هذا التفسير، مع أن الغالب لمؤلفي هذا الكتب ساروا في اتجاه المشرب الأخباري، بل يمكن اعتبار بعضهم رموز هذا التيار مثل الشيخ المجلسي، والحر العاملي(١)

وبالرغم من تصاعد الاتجاه الأخباري، وما مني به الأُصوليين من صدمة كما عبر آنفاً، فإن الحوزة لم تخلُ من وجود شخصيات دعمت البحث الأُصولي من قبيل: الملا عبداللّٰه التوني المتوفى سنة ١٠٧١هـ صاحب الوافية في الأُصول، والسيد حسين الخونساري المتوفى سنة

(١) انظر ما أفادوه في مدح الميرزا الاستراباده وكتابه الفوائد المدنية، ص

١٠٩٨هـ من خلال كتابه الفقهي: مشارق الشموس في شرح الدروس، والذي تلون بالفلسفة والأُصول، إضافة إلى معاصره المحقق محمد بن الحسن الشرواني المتوفى سنة ١٠٩٨ الذي قام بكتابة حاشية على المعالم، والسيد جمال الدين بن الخونساري صاحب التعليقة على شرح المختصر للعضدي، وتلميذه السيد صدرالدين القمي المتوفى سنة ١٠٧١ هـ والذي قام بشرح الوافية ولقد كان أستاذاً للوحيد البهبهاني.

وقد يكون تعبير الصدمة في هذا الفترة التاريخية، ليس صحيحاً بشكل كامل؛ وذلك لأن الميرزا الاسترابادي طرح منهجاً فقهياً قائماً على النصوص، وليس إغلاق باب العلم بأكمله، وقد يكون ذلك ساهم بشكلٍ كبير في منع غلو الفلسفة والمنطق على الفقه الإمامي، إضافة إلى أنّ علماء الأُصول لم يفقدوا مكانتهم بالكامل، بل وجد من يدعو إلى الاتجاه الأُصولي، ولكن بخجل، والسبب ان ماطرحه الإسترابادي كان شديد الوقع على مجمل علماء الطائفة، مما جعل الاتجاه الأخباري يعيش أقوى فتراته الزمنية.

ظهور الوحيد البهبهاني في كربلاء:

ومثلما ظهر الاتجاه الأخباري بقوة في كربلاء وانتشر منها، فإن المقاومة السلبية له جاءت من كربلاء أيضاً، على يد الآغا محمد باقر البهباني المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، الذي أنشأ مدرسة جديدة في الفقه والأُصول، ولقد لعب الوحيد البهباني دوراً كبيراً في إعلان الحرب على الحركة الأخبارية، والذي حاول مع تلامذته تقويض الاتجاه الأخباري، ويتوضح ذلك من خلال كتابه الأُصولي (الفوائد الحائرية) حيث تلمس ضراوة المعركة التي كان يخوضها ضد الحركة الأخبارية.

ولقد شن حربه بدون هوادة على المحدث البحراني (الشيخ

يوسف)، والذين كان من دعاة الطريقة الوسطى في الوسط الإمامي، وينقل التاريخ الكثير من هذه المخاصمات.

خلاصة السيد الصدر:

ويستخلص السيد الصدر ﯙ تاريخ علم الأُصول في نص مختصر: «وإنما الشيء الذي يمكننا تقريره الآن مع تلخيص كل ما تقدم عن تاريخ العلم هو أن الفكر العلمي مر بعصور ثلاثة:

الأول: العصر التمهيدي، وهو عصر وضع البذور الأساسية لعلم الأُصول، ويبدأ هذا العصر بابن أبي عقيل وابن الجنيد وينتهي بظهور الشيخ (الطوسي).

الثاني: عصر العلم، وهو العصر الذي اختمرت فيه تلك البذور وأثمرت وتحددت معالم الفكر الأُصولي وانعكست على مجالات البحث الفقهي في نطاق واسع، ورائد هذا العصر هو الشيخ الطوسي ومن رجالاته الكبار ابن إدريس والمحقق الحلي والعلامة والشهيد الأول وغيرهم من النوابغ.

الثالث: عصر الكمال العلمي، وهو العصر الذي افتتحته في تاريخ العلم المدرسة الجديدة التي ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر على يد الأُستاذ الوحيد البهبهاني، وبد أن تبنى للعلم عصره الثالث بما قدمته من جهود متضافرة في الميدانين الأُصولي والفقهي.

وقد تمثلت تلك الجهود في أفكار وبحوث رائد المدرسة الأُستاذ الوحيد وأقطاب مدرسته الذين واصلوا عمل الرائد حوالي نصف قرن، حتى استكمل العصر الثالث خصائصه العامة ووصل إلى القمة. ففي هذه المدة تعاقبت أجيال ثلاثة من نوابغ هذه المدرسة، كالسيد مهدي

بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢هـ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٧هـ، والميرزا أبي القاسم القمي المتوفى سنة ١٢٢٧هـ، والسيد علي الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٢١هـ، والشيخ أسد اللّٰه التستري المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ.

ويتمثل الجيل الثاني في النوابغ الذين تخرجوا على بعض هؤلاء، كالشيخ محمد تقي بن عبدالرحيم المتوفى سنة ١٢٤٨هـ، وشريف العلماء محمد شريف بن حسن علي المتوفى سنة ١٢٤٥هـ، والسيد محسن الأعرجي المتوفى سنة ١٢٢٧هـ، والمولى أحمد النراقي المتوفى سنة ١٢٤٥هـ، والشيخ محمد حسن النجفي المتوفى سنة ١٢٦٦هـ وغيرهم.

وأما الجيل الثالث فعلى رأسه تلميذ شريف العلماء المحقق الكبير الشيخ مرتضى الأنصاري الذي ولد بعيد ظهور المدرسة الجديدة عام ١٢١٤ هـ وعاصرها في مرحلته الدراسية وهي في أوج نموها ونشاطها، وقدر له أن يرتفع بالعلم في عصره الثالث إلى القمة التي كانت المدرسة الجديدة في طريقها إليها. ولا يزال علم الأُصول والفكر العلمي السائد في الحوزات العلمية الإمامية يعيش العصر الثالث الذي افتتحته مدرسة الأُستاذ الوحيد.

ولا يمنع تقسيمنا هذا لتاريخ العلم إلى عصور ثلاثة إمكانية تقسيم العصر الواحد من هذه العصور إلى مراحل من النمو، ولكلٍّ مرحلة رائدها وموجهها، وعلى هذا الأساس نعتبر الشيخ الأنصاري ﰆ المتوفى سنة ١٢٨١هـ رائداً لأرقى مرحلة من مراحل العصر الثالث، وهي المرحلة التي يتمثل فيها الفكر العلمي منذ أكثر من مائة سنة حتى اليوم[١].

---

(١) انظر: المعالم الجديدة، ص٧٨ ـ ٨٨ ـ ٨٩.

تواجد الاتجاه الأُصولي في المنطقة:

كما أن لا أحد يستطيع التهكن في أي فترة بالتحديد، انتشر الاتجاه الأُصولي في المنطقة؛ وذلك لأن الفترة التي أعقبت الغيبة الكبرى لم يحدث فيها الفرز بين الأتجاهين، بل إن الجيل الأول والثاني كان يغلب عليه الاهتمام بالأخبار أكثر من النزعة العقلية التي سادت في الفترات الزمنية اللاحقة، ولذا أصبح علماء المنطقة في الاتجاه العام للإمامية. ولقد أشرنا إلى ذلك في دراستنا للاتجاه الأخباري، يضاف إلى ذلك صعوبة التفريق بين علماء المنطقة القدامى وذلك لافتقاد المعلومات في هذا الشأن.

وحسب المعلومات المتوفرة لدينا، فإن الحركة الإمامية بدأت بشكل جدي في نهايات القرن السابع الهجري، حيث نشاهد أسماءهم في كتب التراجم، وإن كان لايستبعد وجود شخصيات علمية قبل هذا التاريخ، باستثناء أصحاب الأئمة عليهم السلام مثل: صعصعة بن صوحان العبدي، ورشيد الهجري، ولم نشاهد غير مجموعة قليلة في القرن الثامن الهجري، ونرجح أنّ هؤلاء قد تبنوا المشرب الأُصولي، مثل:

١ـ الشيخ حسين بن راشد القطيفي، المشهور برضي الدين، أحد أعلام القطيف المعروفين، يروي عن الشيخ أحمد بن فهد الحلي المتوفى سنة ٨٤١هـ.

٢ـ الشيخ يوسف بن حسين بن أُبَيّ الرشالي القديحي القطيفي، وهو من أساطين العلماء في القرن الثامن، كما يتبين من وصف صاحب الأنوار: «من أساطين العلماء وأكابر العظماء»[1]

(١) أنوار البدرين: ص ١٧٦.

ويبدو أنّ المشرب الأُصولي قد تسلل إلى المنطقة من خلال شخصية علمية بحرانية الأصل، وهو الشيخ جمال الدين: أحمد بن المتوج المتوفى سنة ٨٢٠هـ[1] صاحب فتح مقفلات القواعد، تلميذ العلامة ابن المطهر، ولقد تتلمذ على يد ابن المتوج عدة علماء من الأحساء والقطيف، ولقد عرفنا منهم:

١ـ الشيخ قوام الدين: عبدالله بن شبيب بن عباس الخطي، من علماء القرن الثامن.

٢ـ الشيخ زين الدين: أبو الحسن علي بن الحسن بن جعفر بن عثمان الخطي، من علماء القرن الثامن.

٣ـ الشيخ أحمد بن فهد المقرئ الأحسائي المتوفى بعد سنة ٨٠٦[2]

---

(١) الشيخ أحمد بن الشيخ عبدالله بن محمد بن علي بن حسن بن متوج الجزيري البحراني، قال الشيخ سليمان الماحوزي في حقه: «شيخ الإمامية في وقته»، ووصفه ابن أبي جمهور الأحسائي: «خاتمة المجتهدين، المنتشرة فتاواه في جميع العالمين»، انظر: أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين: ١/ ٣٤٩ ـ ٣٥١. ولا غرابة في ذلك فكثير من فتاواه موجودة في كتب علماء الإمامية، ويكفيه فخراً أنه من زملاء الشهيد الثاني، وكانا يتنافسان في العلم، حتى إن ابن المتوج كان يغلب الشهيد الثاني في الحلة، ومن ثم عندما انتقل إلى البحرين، والتقى بالشهيد الثاني في الحج، تناظرا فهزمه الشهيد الثاني، فقال له: لقد سهرنا وأضعتم. انظر: أنوار البدرين: ص١٧٦.

(٢) الشيخ شهاب الدين: أحمد بن محمد بن فهد بن حسن بن محمد بن إدريس بن فهد المقرئ الأحسائي الحلي. من علماء الإمامية المشهورين، عاش في الحلة، ودرس ومارس التدريس، وتوفي فيها بعد سنة ٨٠٦هـ، وكان معاصراً لسميه الشيخ أحمد بن محمد بن فهد الحلي المتوفى سنة ٨٤١هـ، وكلاهما يرويان عن ابن المتوج البحراني، وهما متشابهان في الكثير من الأُمور، بدءاً

٤ـ الشيخ أحمد بن محمد بن عبدالله السبعي الأحسائي من مشاهير علماء الإمامية، توفي بعد سنة ٨٥٤هـ[1].

ولكن للأسف فإن التاريخ لا يذكر لنا دوراً واضحاً عن هذه المجموعة (قوام الدين، زين الدين، و المقرئ والسبعي)، لنشر آرائهم في المنطقة، وذلك حسب معلوماتنا، فالتاريخ لا يذكر عكس ذلك، وبالنسبة للشيخ أحمد بن فهد فالمعلوم أنه استقر في الحلة، وفيها توفي ودفن بالعراق ، أما الشيخ أحمد السبعي فإنه هاجر إلى الهند واستوطنها، وفيها توفي أيضا، ويبدو أنهما لم يعودا للمنطقة بعد دراستهم في العراق لنشر آرائهم.

وهذا يوصلنا إلى فكرة مفادها أن الاتجاه الأُصولي لم يدخل إلى المنطقة إلا متأخراً بالرغم من اعتناق بعض علماء المنطقة للأُصولية، وهذا ما يمكن أن يستشفه الباحث من خلال انعدام الصراع بين الاتجاهين في ساحة القطيف والأحساء.

من الاسم إذا اختصر، إلى مكان مدفنها، مروراً بمؤلفاتهما، مما جعل أصحاب التراجم يقعون في الاشتباه بينهما دوماً.

(١) الشيخ فخر الدين: أحمد بن الشيخ محمد بن عبدالله بن علي بن حسن بن علي بن محمد بن سَبْع أو (سُبَيع)، بن سالم بن رفاعة الرفاعي السَّبعي أو (السُّبيعي) الأحسائي، فقيه ومجتهد كبير إمامي وشاعر مرموق، ولد في قرية القارة بالأحساء، وهاجر إلى النجف الأشرف وبقية حواضر العراق والإمامية، للدراسة على أيدي علماءها، ومن ثم غادر إلى الهند واستوطنها، وتوفي فيها بعد ٢٥ رجب ٨٥٤هـ، وله كتب كثيرة، منها:

١ ـ الأنوار العلوية في شرح الرسالة الألفية، للشهيد الثاني.

٢ ـ الحاشية على الأنوار العلوية.

وذلك ليس بغريب؛ لأن الصراع بين الاتجاهين بدأ في القرن الحادي عشر في كربلاء المقدسة، ولم يصل إلا متأخراً إلى المنطقة. بالرغم من وجود علماء دين وشخصيات علمية في القرن التاسع والعاشر في كلتا المنطقتين، وان كانت الأحساء أكثر توفقاً من زميلتها القطيف في تواجد العلماء بالقرن الثامن والتاسع والعاشر بشكل ملفت يثير الانتباه.

ففي القرنين التاسع والعاشر تواجد في الأحساء مجموعة من العلماء مثل: الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي وابنه الشيخ إبراهيم بن محمد علي بن أبي جمهور الأحسائي، والشيخ إبراهيم بن يحيى الأحسائي المتوفى بعد سنة ٩٩٩هـ، والشيخ حسن المطوع الجرواني الأحسائي من أعلام القرن التاسع، والشيخ إبراهيم بن نزار قاضي قضاة الإسلام في إحدى البلدان الإسلامية، وغيرهم كثير.

وفي القطيف نشاهد الشيخ حسن بن علي القطيفي من أعلام القطيف في القرن الثامن وشعرائها المشهورين ،إضافة إلى السابقين (رضي الدين، وقوام الدين، وزين الدين)، ونشاهد في القرن العاشر شخصية علمية جديرة بالاهتمام، وهو الشيخ إبراهيم القطيفي، صاحب المصنفات الكثيرة منها السراج الوهاج[١] وقاطعة اللجاج في حل الخراج، الذي رد فيه على أستاذه الشيخ الكركي[٢]. وفي القرن الحادي عشر الهجري شهد أكبر تواجد لعلماء الدين في المنطقة، مما شكل طفرة نوعية وكمية هائلة، بالنسبة لتواجد علماء الدين في القرن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كما بحث هذا المبحث الشيخ الأنصاري في المكاسب، وناقش الشيخ القطيفي في مبحث هدية السلطان، ج١، ص٢٤٠.

السابع حتى التاسع، حيث لم ينعدم في القرن الحادي عشر الهجري من وجود شخصيات علمية ودينية، وإن كان لا يعرف توجهها الفكري بالتحديد، بالرغم من أنها يمكن أن تصنف على الاتجاه الأُصولي، ولذا لا نشاهد الصراع بين التيارين إلا في القرن الثاني عشر والثالث عشر هجري، حيث نلاحظ تصاعداً كبيراً للاتجاه الأُصولي، وسبب ذلك الهجرة العلمائية البحرانية، بعد احتلال اليعاربة للبحرين في سنة ١٠٣٠هـ، حيث كانت هذه الشخصيات خليطاً من الاتجاهين، وإن كان الاتجاه الأخباري أكثر كثافة للامتداد الأخباري البحراني القوي.

ولقد تمثل الاتجاه الأُصولي آنذاك في شخصيات عديدة منها: الشيخ أحمد آل عصفور (والد الشيخ يوسف البحراني)، والشيخ حسين بن جعفر الماحوزي، ويرجع تصاعد الاتجاه الأُصولي في المنطقة في تلك الفترة الزمنية إلى تحول القطيف بالذات إلى حاضرة علمية، حيث انتشرت فيها الحلقات العلمية، ولقد لعب علماء البحرين دوراً كبيراً في تنشيط هذا المدرسة، وأضحت مكاناً يدرس فيه العلوم الدينية، والشواهد كثيرة، منها دراسة الشيخ يوسف البحراني في القطيف على يد الشيخ الماحوزي، وبالتالي من المظنون أنّ كل اتجاه راح ينشر أفكاره...[1].

---

(١) أخذنا بعض معلومات هذا الفصل عن الحركة العلمية من كتاب (مدرسة الإمامية في القطيف والأحساء) لمؤلفه سماحة الشيخ حسين صالح آل الشيخ العوامي (رحمه الله)، والكتاب بعد لم يكتمل ولا يزال مخطوطاً، وهو دراسة شاملة للمدارس العلمية في القطيف والأحساء، بذل مؤلفه ما في وسعه سنوات طويلة من البحث والتنقيب والتدوين من أجل إخراجها للنور، ولكن حال بينه وبين ذلك وفاته في ١٤/ ١/ ١٤١٩هـ في الرياض على أثر وعكة

أُسر وشخصيات علمية شاركت في الحركة العلمية في القطيف:

وكما التحق بركب الحركة العلمية شخصيات أُخرى كان لها دور فعال في تفعيل الحركة الثقافية في المنطقة، على صعيد أسر علمية وأفراد من بين هؤلاء:

أسرة آل المرهون:

الشيخ منصور المرهون وأُسرته العلمية التي انتشرت في أرجاء المنطقة، حيث قام بأعمال هي محل أنظار الواعين إلى هذا اليوم، فقد بذل ما في وسعه من أجل تفعيل الحركة الثقافية والعلمية في القطيف، فأقدم على إنشاء حوزة علمية بها، ولكن لم يكتب لها النجاح!! ومع هذا فقد كانت له حلقات علمية وأدبية وثقافية نشطة، بالإضافة إلى أبنائه الذين ساروا على منهجه في العلم والثقافة، فقد نبغ منهم العلماء والخطباء والأدباء، ومن بين شخصياتها العلمية الشيخ علي ابن الشيخ منصور المرهون المولود في ٥ من شهر ربيع الثاني من عام ١٣٣٤هـ فتلقى تربيته العلمية والإيمانية والأخلاقية في كنف أبيه، من ثم التحق بالحلقات العلمية في القطيف في ذلك الوقت فتتلمذ على يدي أساتذتها بعض المقدمات في اللغة والأُصول والفقه والمنطق، من ثم هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٥٤هـ فتتلمذ على يدي جهابذتها وعلمائها في ذلك الوقت من بينهم:

١ـ الشيخ علي الجشي.

٢ـ والشيخ طاهر المحمري.

صحية جاءته بعد أداء فريضة الحج، نقل على أثرها إلى مستشفى الملك فهد التخصصي في الرياض إلى أن وافته المنية هناك.

٣ـ والشيخ محي الدين البغدادي.
٤ـ والشيخ حسن بن علي المحروس.
٥ـ والشيخ طاهر ابن الشيخ حسن بن علي البدر.
٦ـ والشيخ كاظم ابن الشيخ عمران الأحسائي.
٧ـ والشيخ هادي حموزي.
٨ـ والسيد إبراهيم المقرم.

وكما أنه يحمل إجازات ووكالة عن بعض أعلام القطيف والنجف وإيران، وهو أديب وخطيب ومرشد، له نشاطات علمية واسعة، قام بعدة أدوار ثقافية وأدبية من أجل المنطقة،فألف كتابه (شعراء القطيف) أعطى بعمله الأدبي هذا لمحة موجزة عن الحركة الأدبية فيها، وكما أن له مصنفات كثيرة تربو على الخمسة والعشرين مصنفاً في مختلف العلوم الإسلامية والأدبية والشرعية، عرف بإيمانه وأخلاقه والتزامه الشديد، قام بتحقيق كثير من تراث أعلام القطيف من بينها _ ديون الدمعة القطيفية) للشيخ علي بن محمد بن مهدي بن محسن الكويكبي المتوفى عام ١٢٣٧هـ.

وكما أنه من الشعراء المحلقين ومن رواد الحركة الأدبية في القطيف.

ومن بينهم الخطيب المفوه الشيخ عبد الحميد المرهون الذي ترجمنا له ترجمة ضافية في الفصل الخاص بتاريخ أُم الحمام، وابنه الخطيب الشيخ مصطفى بن عبدالحميد المرهون المولود عام ١٣٨٣هـ، وقد ترجمنا له أيضا في الفصل الخاص بأم الحمام، والشيخ سعيد المرهون الذي يعد اليوم أحد الخطباء المنبر القديرين، له تجربة خطابية تعود إلى ستين سنة تقريبا، فقد تخرج على يدي أبيه، ثم تتلمذ على يدي أخيه الشيخ علي

المرهون، واستقل بالخطابة في سن مبكرة له نشاطات اجتماعية وأُخرى دينية ملموسة، وكما أنه من أهل الصلاح والإيمان فإنه صاحب طرافة حديث ودماثة أخلاق، تميزت خطابته بالمنهج القديم الذي يدور حول السيرة والتعزية، والشيخ عبدالعظيم المرهون، والذي ترجمنا له في الفصل الخاص بتاريخ أُم الحمام، والشيخ محمد حسن المرهون الذي يعد من خطباء المنطقة المفوهين، فهو صاحب دماثة أخلاق عالية، تتلمذ على يد أبيه ثم أخيه الشيخ علي المرهون الذي خصه برعايته واحترامه وتقديره، ثم استقل بالخطابة فأصبح خطيباً يشار إليه بالبنان، والشيخ صادق المرهون والشيخ كاظم المرهون ومنهم الشيخ عبدالحي بن منصور ابن صالح المرهون المتوفى يوم العشرين من شهر صفر عام ١٣٦٦هـ، وهو أحد رواد الحركة العلمية في القطيف هاجر إلى النجف بصحبة الشيخ منصور المرهون وتتلمذ على يدي أساتذتها ثم عاد إلى وطنه ومارس نشاطه العلمي، لعب دوراً مهماً في مسيرة الحركة العلمية في القطيف الأُم، وقريته التي ولد فيها وتوفي فيها أُم الحمام، تخرج على يديه جملة كبيرة من أهل الفضل والعلم وغيرهم.

آل عمران:

وهي من الأُسر العلمية في القطيف قد وذكرنا بعض شخصياتها في الصفحات السابقة، ومن بين شخصياتها الشيخ فرج بن حسن بن أحمد بن حسين المشهورة بآل عمران القطيفي المولود عام ١٣٢١هـ، أحد رجالات العلم والأدب والأخلاق والإصلاح في المنطقة، لقد عمت شهرته الأفاق، فهو أحد المهتمين بجمع التراث، وهذا يكفيه شاهدا على روحه العلمية مصنفاته، بما فيها الموسوعة التاريخية والرجالية الأزهار التي تعد اليوم من أُمهات المراجع العلمية والثقافية والتاريخية التي تغنى كل عارف، وتثقف

كل جاهل بتاريخ منطقتنا القطيف، تتلمذ على يد أساتذة القطيف في ذلك الوقت ثم هاجر لطلب العلم في العراق، وتتلمذ فيها على يد أساتذتها وأساطين علمها، وهو يحمل إجازات كثيرة منهم:

مصنفاته:

١ـ تحفة أهل الإيمان في تراجم علماء آل عمران.
٢ـ مستدرك التحفة.
٣ـ مجمع الأنس في شرح حديث النفس.
٤ـ ليلة القدر.
٥ـ ثمرات الإرشاد.
٦ـ مرشد العقول في علم الأُصول.
٧ـ الأُصوليون والأخباريون فرقة واحدة.
٨ـ الرحلة النجفية.
٩ـ تعليقة على كتاب (ماضي القطيف وحاضرها).
١٠ـ قبلة القطيف.
١١ـ وفاة زينب.
١٢ـ موسوعة الأزهار.

إلى غيرها من المخطوطات.

وابنه الشيخ حسين ابن الشيخ فرج آل عمران المولود عام ١٣٥٩هـ، أحد رجالات العلم والفقاهة في القطيف تتلمذ على أبيه، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وتتلمذ فيها على يد علمائها أمثال:

١ـ سماحة السيد محمد سعيد الحكيم المولود عام ١٣٥٣هـ.
٢ـ سماحة السيد عبدالصاحب الحكيم المولود عام ١٣١٦هـ.

٣ـ سماحة العلامة الشيخ أحمد البهادلي المولودعام ١٣٥٣هـ.

من ثم هاجر إلى إيران، وتتلمذ فيها على يد أساتذة الحوزات العلمية هناك أمثال:

١ـ سماحة آية اللّٰه السيد علي الفاني الأصفهاني، المولود عام ١٣٣٣هـ والمتوفى عام ١٤٠٩هـ.
٢ـ سماحة آية اللّٰه السيد محمد طاهر الخاقاني، المولود عام ١٣٢٨هـ والمتوفى عام ١٤٠٦هـ.
٣ـ سماحة آية اللّٰه السيد مهدي الروحاني.
٤ـ سماحة السيد محمد الروحاني.
٥ـ سماحة آية اللّٰه الميرزا هاشم الآملي.

ثم عاد بعدها إلى وطنه، فأخذ يمارس دوره العلمي والديني والاجتماعي، كما أنه من الرجالات الذي ساهموا مساهمة كبرى في تنمية الحركة العلمية والثقافية في القطيف، فمجلسه الخاص حوزة مصغرة تخرج منها ثلة كبيرة من أبناء المنطقة أمثال:
١ـ السيد منير الخباز.
٢ـ الشيخ عباس المحروس.
٣ـ الشيخ إبراهيم الغراش.
٤ـ السيد سعيد الخباز.
٥ـ الشيخ عادل الأسود.
٦ـ الشيخ مرتضى سليس.
٧ـ الشيخ حسين البدر.
٨ـ الشيخ كفاح العلويات.
٩ـ السيد مهدي الشعلة.

١٠ـ الشيخ عباس العنكي.
١١ـ الشيخ صادق المقيلي.
١٢ـ الشيخ مهدي العوازم.
١٣ـ الشيخ سعيد المدلوح.
١٤ـ الشيخ علي الزواد.
١٥ـ السيد علي الجراش.
١٦ـ الشيخ جاسم الدعسري.
١٧ـ الشيخ علي الشملاوي.
١٨ـ الشيخ مصطفى المرهون.
١٩ـ الشيخ حسن آل يحيى.
٢٠ـ الشيخ يوسف الجارودي.
٢١ـ السيد حيدر العوامي.
٢٢ـ السيد مجيد الشاخوري.
٢٣ـ الشيخ حسن المبيريك.
٢٤ـ الشيخ سعيد مضيخر.
٢٥ـ الشيخ محمد درويش.
٢٦ـ الشيخ عبدالرسول الدرويش.
٢٧ـ الشيخ عبدالرسول البيابي.
٢٨ـ الشيخ محمد علي البيابي.
٢٩ـ الشيخ عبدالعزيز المصلي.
٣٠ـ الشيخ عباس سباع.
٣١ـ الشيخ مهدي المصلي.
٣٢ـ الشيخ منصور الطاهر.

كما كانت له رحلات توجيهية في كافة مناطق المنطقة،وهو منهج أبيه الشيخ فرج الذي أعطى الكثير من أجل العلم والمجتمع.. كما أن الشيخ حسين يتمتع بسمات عالية ميزته على أقرانه، إذ عرف بالأخلاق والإيمان والحكمة.

شعره:

لقد نظم الشعر في ريعان شبابه، فقد كان ابن السابعة عشرة عندما نظم أول قصيدة في عيد الغدير، وهي عشرة أبيات قال في مطلعها:

أصبح الكون مزهرا بجمالك   يا إمام الهدى ونور جلالك

ثم تمكن من خلال دراسته العلمية ومعاشرة العلماء في معاقلها من تنمية هذا الجانب الذي ليس بالغريب على أمثال هذا الفذ العبقري، فقد حفل سجله الأدبي بكثير من القصائد والأشعار التي تنم عن مدى عشقه لمحمد وأهل بيت عليهم السلام وللدين والوطن. فمن قصائده الروائع قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام تحت عنوان (يا قطب دائرة الوجود) وهي ٥٠ بيتا تقريباً قال في مطلعها:

ذكراك في أفق الإمامة مطلع   وبِحفل مجدك للتحرر منبع[١]

كما أن في هذه الأسرة كثير من رجالات العلم ترجم لهم صاحب الأزهار في كتابة (تراجم علماء آل عمران) فراجع.

---

(١) الأزهار، ج ١٢، ص٦٩.

آل الخنيزي:

تعد هذه الأسرة من الأسر العلمية والأدبية في المنطقة، فقد كان منها الزعماء والأدباء والعلماء والقضاة والكتاب، من بينهم:

الشيخ علي بن حسن بن علي الخنيزي، ولد بالقطيف عام ١٢٨٥هـ، وتتلمذ على يد الحاج المعلم حسين بن الشيخ محمد ابن سيف القراءة والكتابة، وعند الحاج المعلم محمد علي الماحوزي القرآن، ثم التحق بطلب العلم، إذ كان منذ نعومة أظفاره مولعاً به، لكثرة مجالسته العلماء في ذلك الوقت، فهاجر إلى النجف الأشرف وتتلمذ على يد أساتذتها في ذلك الوقت، من بينهم:

١ـ الشيخ محمد علي بن محمد الجشي.
٢ـ الشيخ محمد بن ناصر آل نمر العوامي.
٤ـ الشيخ علي بن حسن التاروتي.
٥ـ الشيخ حسين ابن الشيخ محمد علي آل عبدالجبار.
٦ـ الشيخ حسن بن علي بن بدر القطيفي.
٧ـ الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد العاملي.
٨ـ السيد محمد بشر النجفي.
٩ـ الشيخ محمد طه نجف.
١٠ـ الشيخ ملا محمد كاظم الخرساني.
١١ـ السيد محمد كاظم اليزدي.
١٢ـ الشيخ محمود ذهب.
١٣ـ والشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة، فقد أجازه هؤلاء بالاجتهاد، ثم عاد إلى وطنه فأخذ على نفسه ممارسة الإصلاح والتوجيه وتنمية الكفاءات وتطوير عجلة العلم والأدب، بالخصوص بعد أن

تولّى منصب الإفتاء والقضاء في منطقة القطيف، فقد كانت الناس تلجأ إليه في حل مشكلاتها العلمية والاجتماعية والدينية والسياسية، وقد كانت له آراء سياسية مغايرة لسياسة الشيخ محمد بن نمر العوامي في احتلال القطيف، فدافع بكل قوته من أجل ترسيخ موقفه الداعم لاحتلال، ولكونه يهيمن على بعض الطبقات الاجتماعية رجح رأيه على رأي الرافضين للاحتلال.

مؤلفاته:

له بعض الرسائل الفقهية في الطهارة والشكوك والحج، وله شروح على كتاب تبصرة المتعلمين.

وفاته:

توفي في البحرين على أثر مرض ألم به بعد عام ١٣٦٢هـ، حمل بعدها إلى القطيف وشيع تشيعاً باهراً ورثاه العلماء والأدباء[(١)].

ومن بينهم: الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي المولود عام ١٢٩١هـ، والمتوفى عام ١٣٦٣هـ، أحد رجالات العلم والفقاهة في القطيف، وقطب من أقطاب المعرفة والأدب والثقافة، تتلمذ على يد أساتذة القطيف من ثم هاجر إلى النجف الأشرف، قضى فيها زهرة عمره وشبابه وحياته العلمية، تتلمذ فيها على يد أساتذتها وأساطين المذهب هناك، من بينهم:

١ـ الشيخ محمد كاظم الخرساني.
٢ـ والشيخ محمد طه نجف.

---

(١) الأزهار، المصدر السابق، ج ١٥، ص ٨، ٢٢٥، ١٥٨، ٢٢٢، ٣٢٢، ٣٢٦.

٣ـ والسيد أبو تراب الخوانساري.

٤ـ وشيخ الشريعة الأصفهاني. فقد أجازه هؤلاء بالاجتهاد في ذلك الوقت، ثم عاد إلى وطنه وأخذ على نفسه إصلاح المجتمع، فكون حوزة علمية مصغرة في القطيف، تخرج منها العلماء والأدباء والخطباء، ومن أشهر مصنفاته موسوعته الاستدلالية (دلائل الأحكام)، ولقد أسهبت الحديث حول ترجمته في كتاب (رجالات القضاء في القطيف) فراجع.

ومن بينهم: الشيخ محمد علي بن حسن بن علي الخنيزي المولود عام ١٣٠٤هـ في القطيف، تتلمذ على يدي أسرته الفاضلة، لا سيما العلمين الفاضلين العليين الخنيزيين، ثم التحق بطلب العلم في النجف الأشرف، فتتلمذ على يد أساتذتها في ذلك الوقت، من بينهم:

١ـ الشيخ منصور بن عبدالله آل سيف التاروتي المتوفى عام ١٣٦٢هـ.

٢ـ الشيخ منصور بن علي بن مرهون القطيفي المتوقي عام ١٣٦٢هـ.

٣ـ الشيخ محمد علي بن علي النهاش المتوفى عام ١٣٤٠هـ.

٤ـ والسيد ناصر الأحسائي المتوفى عام ١٣٥٨هـ.

٥ـ والشيخ أحمد كاشف الغطاء المتوفى عام ١٣٤٤هـ، والذي حضر عنده بحث الخارج.

٦ـ وحضر بحث الخارج في الفقه على يد السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي.

٧ـ وحضر بحث الخارج في الأُصول عند الشيخ مهدي المازندراني.

٨ـ وحضر بحث الخارج في القطيف عند الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي.

ثم عاد إلى وطنه فأخذ يمارس دوره العلمي والأدبي والاجتماعي، والقارئ للوكالة التي يحملها من الإمام كاشف الغطاء المؤرخة عام ١٣٣٤هـ يرى مقدار مكانته في نفوس الأعاظم من رجالات العلم والفقاهة، بالإضافة إلى أخلاقه العالية التي كان يتصف بها في الوسط الاجتماعي، فهو متخلق بأشرف الأخلاق والخصال لا سيما الزهد والتقوى والتواضع، والأمانة والوقار..

حياته الاجتماعية:

بعد أن فجعت المنطقة بنبأ وفاة الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، حمل أعباء القضاء من بعده السيد ماجد العوامي، ولضخامة المسؤولية وعظمها، ولعجز السيد ماجد لكبر سنه في ذلك الوقت نصب الشيخ المذكور محله في دفة القضاء والإفتاء، فكانت له اليد الطولى في القيام بأعباء الإصلاح الديني والاجتماعي الذي أحدث تغييراً في مسيرة الحركة العلمية والأدبية والدينية في المنطقة، فكان ﵀ أحد رموز الحركة العلمية النشطة في ذلك الوقت.

وفاته:

توفي في شهر شوال من عام ١٣٨٢هـ، في مستشفى الدمام العام وحمل جثمانه إلى القطيف وشيع تشييعاً باهراً، ورثاه العلماء والأدباء[1].

ومن بينهم: الكاتب والأديب المعروف حسن بن الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، وهو أحد رواد الحركة العلمية والأدبية في المنطقة، وتنم عن نشاطاته وأدبياته كتابه الموسوم بـ(لمحة من تاريخ الخط) الذي

---

(١) الأزهار، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٥ ـ ٩٠.

ترجم فيها لجملة كبيرة من أعلام القطيف الذين أدركهم في ذلك الوقت.

ومن بينهم: الشيخ عبدالكريم بن الشيخ علي أبو عبدالكريم الخنيزي المولود عام ١٣٣٧هـ تلقى تربيته العلمية والإيمانية والأخلاقية في مهد أُسرته آل الخنيزي، إلى أن أدخل عند الكتاتيب الأوائل وتعلم عنهم القرآن والتجويد والقراءة والكتابة، بالخصوص عند المعلم القدير الملا علي الرمضان، ثم التحق بالحلقات العلمية فدرس عند والده الحجة، وخاله الشيخ محمد صالح المبارك، وعمه الشيخ محمد علي الخنيزي.

تتلمذ على يده جملة من رواد الحركة العلمية والأدبية في القطيف من بينهم ملا علي الطويل، والأديب محمد سعيد الشيخ محمد علي الخنيزي.. وقد تمتعت شخصيته الفذة بعدة ميزات منها العلم والأخلاق والإصلاح، فكانت له نشاطات علمية وأُخرى إصلاحية، لا سيما القضايا الاجتماعية المتعلقة بالأحكام الشرعية، فكانت له رحلات توجيهية لأكثر من بلد إسلامي وخليجي، بالإضافة إلى سمو شخصيته النابغة التي تبهر العقول، فقد قال في حقه الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي: « إنني أقلد ابن أخي في المسائل العرفية » .

وفاته :

توفي عام ١٣٦٩هـ ورثاه العلماء والأدباء.

ومن بينهم ابنه البار ذو الشخصية الأخلاقية العالية، والإيمانية المثالية الشيخ زكي ابن الشيخ عبدالكريم الخنيزي، وهو أحد رواد الحركة العلمية والأدبية في المنطقة، يعد من رعيل العلماء والمثقفين في

المنطقة، له نشاطات ثقافية وأُخرى أدبيـة، دمـث الأخـلاق عـالي الهمـة والنشاط الثقافي.

ومن بينهـم: الشيخ عبدالحميـد ابـن الشـيخ علـي أبـو الحسـن الخنيزي، أحد رجالات العلم والقضاء في المنطقـة، ولـد بـالقطيف عـام ١٣٣١هـ، وتلقى تربيته في ظل أُسرته وبين أحضان أبيـه الشـيخ علـي، حيث خصه برعايته وتغذيته تغذية أخلاقية وعلميـة، فنشـأ محبـاً للعلـم والمعرفة والثقافة، ثم أدخله والده عند الكتاتيب الأوائل، فتتلمذ علـى يدهم القرآن والمعرفة الإسلامية، فـالتحق مـن بعدهـا بركـب الحلقـات العلمية في القطيف، فتتلمذ على يد أسـاتذتها ورواد المعرفـة فيهـا مـن بينهم:

١ـ الشيخ أحمد السنان.
٢ـ والشيخ طاهر البدر.
٣ـ والشيخ فرج العمران القطيفي.

وفي عام ١٣٥٦هـ هاجر لطلب العلم في النجف الأشـرف فتتلمـذ على يد جهابذتها هناك وكان من بينهم:

١ـ الشيخ كاظم الهجري.
٢ـ والشيخ علي الجشي.
٣ـ والسيد باقر الشخص.
٤ـ والشيخ محمد طاهر الخاقاني.
٥ـ والسيد نصر الله المستنبط.
٦ـ والشيخ عبدالكريم الفرج العوامي.
٧ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين.

٨ـ السيد حسين الحمامي. وغيرهم.

وبعد ذلك أجازه الفقهاء والعلماء باستلام دفة القضاء في المنطقة، فهو يحمل عن الشيخ كاشف الغطاء والسيد محسن الحكيم، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والسيد الشاهرودي، والسيد الخوئي إجازات تؤهله لاستلام دفة القضاء والافتاء، فبعد عودته من النجف استلم دفتها في عام ١٣٩٥هـ.

جانب من سماته:

تمتعت شخصيته الفذة بعدة ميزات أهمها الإصلاح، فقد سعة بكل جهده في تطوير عجلة العلم والأدب والتمدن في المنطقة، فهو يسعى دائما لتلبية حوائج الآخرين مهما كلفه ذلك، والقارئ لسجل حياته الاجتماعية التي أوقفها سماحته لكشف الكروبات عن المكروبين، وحل مشكلات المتخاصمين، ورفع المستوى العلمي والكفاءات لأبناء المنطقة يرى ذلك واضحاً كوضوح الشمس في رابعة النهار، فكم سعى للوساطة عند المسؤولين لفتح الحسينات والمساجد والإفراج عن المعتقلين، فقد كلّف الخطي ذلك ثمناً كبيراً إذ بذل نفسه وكماله وجاهه من أجل رفع سمعة المنطقة علميا وثقافيا وحضاريا، ولو أردنا أن نسجل الإصلاحات الكثيرة على مدار العمر القضائي الذي مارسه في المنطقة لاحتجنا إلى مجلد ضخم جدا..

كما أنه يتمتع بدماثة أخلاق عالية، فهو شخصية متواضعة، ولينة الجانب، وحكيمة التصرف، بالإضافة إلى مستواه الإيماني والعلمي والأخلاقي الذي لا يختلف فيه اثنان.

كما أنه من رواد الحركة الأدبية النشطة في المنطقة، فهو أحد

الشعراء الكبار في القطيف، فقد كان مشواره الأدبي يرافقه منذ صغره، وهو شبل يترعرع في أحضان والده الشيخ علي ﯹ، فعندما التحق بالنجف الأشرف تبلورت عقليته الأدبية أكثر، فقد تفاعل مع النشاط الأدبي والثقافي في النجف الأشرف، مما أبهر بذلك عقول الأدباء والمثقفين، فكانت له حركة نشر للأدب، فأكثر من صحيفة عراقية في ذلك الوقت، نشرت باكورة نشاطه الأدبي والثقافي وهو في الثلاثينات من عمره، فقد قال عنه أُستاذه العلامة الشيخ فرج العمران القطيفي: إن الخطي كان له ولع بالشعر منذ أن كان بالقطيف، وشعره مليح جداً، إلا أنه هاجر إلى النجف الأشرف، وقطن القطر العراقي، النقي الأيام العطر التربة، الصافي الجو، وشرب من نمير مائه، واستنشق من عبير هوائه، ازداد شعره جودة وملاحة وجلالة وفخامة ورقة ونبالة، فشعره اليوم صورة متحركة يهز الشعور بروعته ،ويبهر العقول بتلألئه، يمتاز بدقة التصوير وبراعة الأُسلوب...[1].

وعن روحه الأدبية قال المؤرخ الخاقاني في كتابه (شعراء الغري) ج ٥ ص ٣٣٥: أديب فذ وشاعر مطبوع وعالم جليل، عرفته يوم كان في النجف أديباً مرهف الحس، يقظ النفس رقيق الشعور...[2].

ومن بينهم: الشيخ الأديب الشيخ عبدالله ابن الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، المولود عام ١٢٥٠هـ، وهو أحد رواد الحركة العلمية والأدبية في القطيف، تتلمذ في الكتاتيب، ثم على يد أبيه، فالتحق بعد ذلك بالوظائف الحكومية، فعمل بها عدة سنوات، ثم التحق بطلب العلم في النجف الأشرف، وكان من الملتصقين بالإمام الخوئي ﯹ، له نشاطات

---

(١) الرحلة النجفية، ص ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق.

علمية وأُخرى أدبية ملموسة، كما أنه أحد الأدباء وحملة الأقلام الثقافية، والقارئ لمصنفاته الأدبية والثقافية يلمس ذلك جيداً.

من مصنفاته:

١ـ أبو طالب مؤمن قريش.

٢ـ مداميك عقدية.

٣ـ نسيم وزوبعة.

٤ـ ضوء في الظل.

٥ـ أدواؤنا وغيرها الكثير.

٦ـ ألق من الذكرى.

٧ـ ذكرى الزعيم الخنيزي.

ومن بينهم: الشاعر محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي المولود عام ١٣٤٣هـ وهو أحد رواد الحركة الأدبية في المنطقة، تتلمذ في ظل أبيه الشيخ علي عدة سنوات، وبعد فقد أبيه تحولت حياته إلى بؤس وشقاء، وقد عبر عن تلك المراحل الحرجة من حياته الأدبية والعلمية من خلال أشعاره التي كانت المتنفس الوحيد له، فتمكن بإصرار وعزم شديدين أن يتجاوز كافة العقبات التي حاولت أن تحول بينه وبين إكمال مشواره الأدبي والعلمي، فأصبح من الشعراء المشهورين والأدباء المرموقين، له نشاطات علمية وأُخرى أدبية وثقافية في المنطقة، من مصنفاته:

١ـ ديوان النغم الجريح.

٢ـ وشيء اسمه الحب.

٣ـ وشمس بلا أفق.

ومن بينهم: الأديب المعروف عبدالواحد ابن الشيخ علي

الخنيزي، المولود عام ١٣٤٥هـ، وهو أحد رواد الحركة الأدبية في المنطقة، له شاعريته رومانسية، ويعتبر في الوسط الأدبي من المجددين، له نشاطات أدبية ملموسة.

من مصنفاته:

١ـ ديون شعر تحت اسم رسمت قلبي.

آل الجشي:

الشيخ محمد علي بن أحمد بن الشيخ محمد بن علي بن مسعود ابن سليمان الجشي، أحد أعلام القطيف ومجتهديها، ولد بالقطيف عام ١٣٠٠هـ، وتوفي عام ١٣٦١هـ. وتربي في حجر أبيه، ثم التحق بطلب العلم في النجف الأشرف عام ١٣١٧هـ وتتلمذ على يد أساتذتها وجهابذة علمها، منهم:

١ـ السيد باقر ابن السيد محمد الهندي، المتوفى عام ١٣٢٩هـ.
٢ـ وأخوه السيد رضا الهندي المتوفى، عام ١٣٦٢هـ.
٣ـ والسيد ناصر ابن السيد هاشم الأحسائي، المتوفى عام ١٣٥٨هـ.
٤ـ والشيخ علي بن حسن الجشي، المتوفى عام ١٣٧٦هـ
٥ـ الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، فقد حضر عنده دروس البحث الخارج في القطيف، كما يقول ذلك صاحب الأزهار ج١٣، ص١٠٤.

تمتعت شخصيته بكثير من المزايا الأخلاقية والإيمانية، والعلمية العالية، فقد كان من المهتمين بتفعيل الحركة العلمية والثقافية في القطيف الأم، فعند رجوعه من النجف، كان مجلسه العائلي حوزة

علمية ومنتدىً أدبياً يرده العلماء والفضلاء والأدباء والخطباء. فقد ذكر صاحب الأزهار في نفس المجلد السابق الذكر، أن له مجلساً علمياً في كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع يحضره جمع غفير من العلماء على رأسهم الإمام الخنيزي ﷺ..

وكان مسؤولاً عن أوقاف أسرة آل الجشي في القطيف، التي يصرف منها على المناسبات الدينية.

الشيخ علي ابن الحاج حسن بن محمد بن علي الجشي:

وهو أحد المجتهدين في القطيف، ولد بها عام ١٢٩٦هـ وتوفى عام ١٣٧٦هـ. تلقى تربيته العلمية في داخل القطيف على يد أساتذتها في ذلك الوقت منهم:

١ـ الشيخ حسن بن علي البدر.
٢ـ الشيخ محمد علي النهاش.
٣ـ الشيخ عبدالله المعتوق التاروتي.
٤ـ الشيخ علي أبو عبدالكريم الخنيزي.
٥ـ الشيخ علي أبو حسن الخنيزي.
٦ـ السيد ماجد العوامي.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف بصحبة عمه الزعيم والشاعر الفذ في ذلك الوقت الحاج منصور بن محمد بن علي الجشي المتوفى عام ١٣٦١هـ، فتتلمذ على يد أساتذتها في ذلك الوقت أمثال: السيد إسماعيل الصدر، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والنائيني، والسيد أبو الحسن الأصفهاني و السيد محسن الحكيم، والشيخ مرتضى الأشتياني، حتى أجيز بالاجتهاد وعاد إلى وطنه وأخذ يمارس دوره العلمي

والإصلاحي في المنطقة، فقد كانت له حلقات علمية وأُخرى أدبية وثقافية، فتمكن من سد الفراغ الذي تعيشه الساحة الثقافية والعلمية في ذلك الوقت، ونستطيع القول: إنه تمكن من وضع الموازين الشرعية في محلها، وإرجاع ما سلب من الناس بغير حق شرعي، وإصلاح جزء كبير مما أعوج من الأخلاق في ذلك الوقت.

عرف ﵀ بتقواه وزهده وورعه وأخلاقه.

ومن أعلام هذه الأسرة الشاعر المتميز عبد رب الرسول الشيخ علي الجشي المولود عام ١٣٤٢هـ وهو أحد الشعراء المتميزين في الحركة الأدبية في القطيف الأُم، هاجر لطلب العلم في النجف الأشرف، تتلمذ مدة ليست بالقصيرة على يد أساتذتها، ثم عاد إلى وطنه، اشتغل فترة في الدولة، ثم اهتم بالأدب ونشر الشعر، وقاد حركة أدبية في العراق والقطيف، له عدة دواوين شعر منها ديوانه(غزل) وملحمة كبيرة في القطيف يقدر بـ(١١٠٠) بيت. ذكرته كثير من المصادر الأدبية.

ومنهم الخطيب عبد المهدي الجشي، ولد عام ١٣٤١هـ وتوفي في حياة والده عام ١٣٧١هـ تتلمذ على يد علماء المنطقة في ذلك الوقت، أمثال الشيخ منصور البيات ﵀ والشيخ عبدالله التاروتي وغيرهما..

ومنهم الوجيه الحاج محمد حسن بن علي الجشي المتوفى عام ١٣٤٠هـ، وهو أحد تجار اللؤلؤ في القطيف، عرف بإيمانه وصلاحه، وكان ينفق أكثر أموله في سبيل الخير ومناسبات أهل البيت ﵈، بل يقال إنه كان يصرف رواتب شهرية لبعض المتغربين من أهل العلم الذي يطلبون العلم في النجف في ذلك الوقت، من بينهم الشيخ محمد حسين بن الشيخ حسين بن عبدالجبار القطيفي المتوفى عام ١٣٨١هـ.

ومنهم الشاعر الفذ محمد سعيد بن أحمد بن محمد بن مسعود الجشي المولود عام ١٣٣٨هـ. يعد من الشعراء المحلقين في مسيرة الحركة الأدبية في القطيف، له نشاطات علمية وأدبية كبيرة، كما أنه ينظم الشعر باللغتين، وله ديون شعر تحت عنوان (في محراب الذكرى) وإلى غيرها من القصائد.

ومنهم: الحاج منصور بن محمد بن علي الجشي المتوفى عام١٣٦٠هـ، وهو أحد التجار القطيفيين الذين أثروا الأسواق بتجارة اللؤلؤ، وكانت تجارته محل شهرة كبيرة في ذلك الوقت على صعيد الخليج والهند، عرف بالإيمان والصلاح، يقول عنه صاحب الأزهار: أنه من أهل الإيمان و التقوى، والأخلاق، كما أنه من الناظمين للشعر باللغتين الفصحى والعامية، ذكرت له بعض نماذج شعرية في الأزهار، ج١٣، ص١٢٤.

ومنهم الشيخ الشاعر الشيخ عبدالعزيز بن مهدي بن حسن بن يوسف بن ناصر الجشي المتوفى عام ١٢٧٠هـ، وهو أحد رواد الحركة العلمية والأدبية في القطيف، له باع طويلة في تنمية الحركة العلمية، يعد أحد الأساتذة القديرين الذين تخرج من تحت منبرهم العديد من العلماء في ذلك الوقت. قال عنه صاحب الأنوار: كان له من الأدب الحظ الوافر ومن الشعر والمعرفة النصيب الكامل، له قصائد جيدة منها في رثاء الحسين عليه السلام من أبياتها:

أترضى وأنت الثاقب العزم غيرة   يلاحظها حسرى القناع يزيد

وقد ذكرها بطولها الشيخ علي المرهون في كتابه (شعراء القطيف) فراجع.

آل العوامي:

تعد هذه الأُسرة من الأسر العلمية في المنطقة لا سيما أن زعيمها السيد ماجد العوامي الذي يعد من رجالات الفقاهة والاجتهاد، قاد حركة علمية وثقافية وإصلاحية في زمانه، فقد تتلمذ على يد أساتذة العلم في القطيف، ثم التحق بالحركة العلمية في النجف الأشرف فتتلمذ على يد أساتذتها في ذلك الوقت، وقد استوفيت ترجمة كاملة للسيد ماجد في كتابي العوامية مجد وأعلام فراجع... ومن بين شخصياتها العلمية سماحة السيد حسين العوامي المولود عام ١٢٧٨هـ، المتوفى عام ١٣٥٨هـ، وهو أحد رواد الحركة العلمية في القطيف، تلقى تربيته العلمية في بداية الأمر عند الكتاتيب فأدخله والده عند المعلم القدير الحاج محمد بن علي بن سلمان آل سنان، ثم التحق بحركة طلب العلم فتتلمذ على يد أساتذتها، من بينهم:

١ـ الشيخ أحمد بن صالح بن حسين القديحي البحراني.
٢ـ والشيخ علي بن حسن القديحي.

ثم سافر لطلب العلم في النجف الأشرف عام ١٣٠٢هـ، فتتلمذ على يد أساتذتها أمثال:

١ـ السيد مصطفى العاملي.
٢ـ والشيخ عبدالله بن الشيخ عبدالعزيز القطيفي.
٣ـ والشيخ علي بن الشيخ حسن القديحي.

وحضر البحث الخارج عند الشيخ محمد حسين الكاظمي، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ علي المازندراني، والشيخ الملا هادي الهمداني، والميراز حبيب الله الرشتي. وبعد أن حصل على درجات عالية في العلم عاد إلى وطنه يمارس دوره العلمي ونشاطه الإصلاحي،

ثم عاد إلى النجف واستقر بها عدة سنوات، وعاد بعدها إلى القطيف ومارس نشاطه العلمي فترة طويلة حتى تخرج على يديه الكثير من العلماء، إلى أن توفي بها.

له عدة شروح على الكتب الحوزوية في الفقه والأُصول والفلسفة، والمنطق..

ومن بين شخصياتها السيد محفوظ بن السيد هاشم العوامي وهو أحد رواد الحركة العلمية في المنطقة، تتلمذ على يده عدد من طلاب العلم في القطيف، له بعض الشروح على بعض الكتب الحوزوية.

ومن بينهم أيضاً السيد علي ابن السيد هاشم العوامي المتوفى عام ١٣٣٩هـ، وهو أحد رواد العلم الفضلاء في القطيف، تتلمذ على يد علماء النجف الأشرف فترة زمنية، ثم عاد إلى وطنه يمارس دوره العلمي والإصلاحي إلى توفي بها.

ومن بينهم السيد باقر ابن السيد هاشم العوامي المولود عام ١٣٠٣هـ، وهو من رواد الحركة العلمية في ذلك الوقت، تتلمذ على يد أساتذتها، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وتتلمذ على يد جملة من أعلام القطيف والعراق من بينهم الشيخ عبدالله المعتوق كما يذكر صاحب الأزهار، ج ٦، ص ٦٧.

ومن بين شخصياتهم الوجاهتية السيد سعيد المولود عام ١٣٠٨هـ، والمتوفى عام ١٣٦٠هـ، وهو من الرجال المحترمين والخلوقين في مجتمعه وأسرته، فقد ملك محاسن الخصال الأخلاقية العالية، فقد كان يتمتع باحترام الجميع، وكان ملجأ لقضاء حوائج المحتاجين، يقول عنه صاحب الأزهار: كان من الرجال المحترمين ذوي الأقدار العلية والمراتب

السامية، يحمل بين جنبته نفساً كبيرة وروحاً شريفة متصفة بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات والملكات، وكان مرجعاً لقضاء حوائج الناس، وعندما توفي أثرت وفاته في نفوس الناس عامة..[1].

ومن بين شخصيات الأسرة السيد هاشم المولود عام ١٣١٤هـ، يعد من رواد العلم فقد تتلمذ على يد بعض أساتذة القطيف في ذلك الوقت أمثال الشيخ فرج العمران ﷺ فقال عنه أنه من أهل الإيمان والصلاح والتقوى، توفي عام ١٣٦٠هـ.

ومن بينهم السيد علي ابن السيد حسين ابن السيد يوسف العوامي من مواليد القطيف، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، فتتلمذ على يد أساتذتها فترة زمنية، من بين أساتذته: الشيخ علي بن الشيخ حسن القديحي البحراني، عاش طيلة حياته في مدينة المحمرة ولم يأتِ إلى القطيف إلا زائراً في عام ١٣١٤هـ، وعاد بعدها إلى المحمرة وتوفي فيها.

ومن بين شخصياتها الأدبية اليوم السيد حسن ابن السيد باقر العوامي، المولود عام ١٣٤٤هـ، أحد رواد الحركة الأدبية في القطيف، دمث الأخلاق عالي النشاط، له نشاطات علمية وثقافية على مسرح الحركة العلمية والأدبية والثقافية في المنطقة قديماً تعود إلى عشرات السنين، فهو بالإضافة إلى اهتماماته الأدبية والعلمية له اهتمامات ثقافية عالية، فقد امتهن المحاماة بعد أن تخرج من المدارس الأكاديمية، كما أنه من المصنفين فله عدة بحوث أدبية وأُخرى ثقافية مطبوعة، فكان ينشرها عن طريق المجلات العربية والخليجية. من ضمن مصنفاته:

١ـ المرأة، مطبوع في بيروت.

---

(١) الأزهار، المصدر السابق، ج ٦، ص ٦٦.

٢ـ الضائعون، مطبوع في بيروت.

كما أننا إذا وقفنا ملياً عند نشاطاته الاجتماعية الكثيرة التي أسداها إلى المنطقة وأبنائها على صعيد المطالبة بالحقوق الوطنية والطائفية، نراها رصيداً ضخماً جعل منه قدوة في حياة الجيل الصاعد، لقد عرفته عن كثب ورأيت فيه الأخلاق واللين، والحكمة، بالإضافة إلى باعه الطويل في الثقافة والعلوم، فقد ملئ قلبه حباً للعلم وحملته.

آل عبدالجبار:

تعد هذه الأُسرة من الأسر العلمية في المنطقة، فلها نشاط ثقافي وديني وتاريخ معروف، لاسيما إن منها العلماء والخطباء والوجهاء من بينهم:

الشيخ محمد بن عبدالعلي بن محمد علي بن أحمد بن حسين بن أحمد بن علي بن عبدالجبار القطيفي، المولود في القطيف عام١٣٠٠هـ، والمتوفى عام ١٣٨١هـ. تلقى تربيته في حجر والده المقدس الشيخ حسين، وبعد أن هاجر والده لطلب العلم في النجف الأشرف اختص بتربيته الدينية والإيمانية والأخلاقية الحاج علي ابن الشيخ محمد علي بن مسعود بن سليمان الجشي، يعد والده أحد وجهاء وزعماء وجهابذة الحركة العلمية والثقافية في المنطقة ودرس في النجف الأشرف مدة من الزمن، ثم عاد إليها يمارس نشاطه العلمي والثقافي، وكان والده الشيخ محمد حسين يشاطره الأنشطة العلمية والثقافية، فطلب منه أن يلتحق بالحلقات العلمية في القطيف، تتلمذ خلالها على يد أساتذتها من بينهم:

الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن عطية، المتوفى عام ١٣٥٣هـ.

ثم رحل لطلب العلم في النجف وتتلمذ على يد أساتذتها هناك من بينهم:

١ـ السيد مهدي آل بحر العلوم.
٢ـ الشيخ جعفر السوداني.
٣ـ السيد رضا الهندي.
٤ـ السيد جعفر بحر العلوم.
٥ـ الشيخ عبد الصاحب بن حسن بن محمد صاحب الجواهر.
٦ـ الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر.
٧ـ الشيخ مرتضى كاشف الغطاء.

وحضر بحث الخارج عند:

١ـ الشيخ عبد الهادي شليلة، المتوفى عام ١٣٣٣هـ.
٢ـ والشيخ أحمد كاشف الغطاء، المتوفى عام ١٣٤٤هـ.
٣ـ والشيخ ملا محمد كاظم الخراساني، المتوفى عام ١٣٢٩هـ.

وفي أواخر عام ١٣٣٣هـ عاد إلى وطنه يمارس دوره العلمي والثقافي، فكانت له حلقات علمية وثقافية عالية المستوى، وكان في نفس الوقت يحضر بحوث العلم على يد الشيخ أبو الحسن الخنيزي، والشيخ محمد بن ناصر آل نمر العوامي والشيخ علي أبو عبدالكريم الخنيزي.

وكالاته العلمية:

يحمل عدة وكالات تنم عن عقليته العلمية والثقافية، ومستواه الإيماني والأخلاقي منها:

١ـ وكالة من الشيخ كاشف الغطاء الكبير.

٢ـ وكالة من الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية.
٣ـ السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروة.
٤ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين، المتوفى عام ١٣٧٠هـ.

وإليك نص وكالة كاشف الغطاء كأنموذج: وبعد فقد وجب على العلماء المجتهدين نصب الوكلاء من أهل التقى والصلاح والعلم والمعرفة لذلك جعلت جناب العالم الفاضل عمده الأتقياء و الفضلاء الشيخ محمد حسين آل عبد الجبار القطيفي، وكيلا عني في بيان المسائل الشرعية وتعليم الأحكام الدينية من رسائلنا العملية، وكذلك هو وكيل عنا في قبض الحقوق الشرعية والحقوق المرعية بجميع أنواعها،حتى سهم الإمام أرواحنا فداه ومجهول المالك والمظالم و أمثالها وهو مجاز بأن يأخذ منها لنفسه قدر حاجته، ويوصل الباقي إلينا لصرفه على المحتاجين من طلاب العلوم الدينية و الحوزة العلمية في النجف الأشرف صونا لها عن التفرق، وقد أوصيته بملازمة الورع والاحتياط وأن لا ينسانا من صالح دعواته، كما لا ننساه والله تعالى ولي التوفيق له ولجميع المؤمنين وفقهم الله جميعاً لكل خير.بدعاء:

محمد حسين آل كاشف الغطاء
صدر من مدرستنا العلمية
في النجف الأشرف
٢٣ محرم ١٣٦٦ هـ.

بعض أعلام الأسرة:

من أشهر الأعلام قبل الشيخ محمد حسين آل عبدالجبار القطيفي، الشيخ علي، والشيخ سليمان ابنا الشيخ أحمد آل عبد الجبار اللذان

ملئت الدنيا بشهرتهما العلمية والأخلاقية والأدبية والفكرية والحركة العلمية التي قاما بها في المنطقة.

وقد تعرض لترجمتهما الشيخ الأديب عبدالله ابن الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي ،في كلمته المطبوعة في مجلة العرفان، الجزء الثامن من المجلد الثامن والثلاثين ص ٨٨٣ تحت عنوان (الحركات الفكرية في القطيف).

وبعد أن ذكر صاحب الكلمة في كلمته المذكورة طائفة من العلماء الأعلام ممن أهمل تاريخ تراجمهم و نتاجهم الفكري، قال ما يلي:ومن بين هؤلاء العلماء المنتجين الذين قسا الإهمال على نتاجهم الخصب العلامة المغفور له الشيخ علي الشيخ أحمد الشيخ حسين آل عبد الجبار، فإن له آثاراً علمية وهو أحد الشعراء الأولين، ولكنني أعدها فرصة سعيدة حينما أظفر بديوانه أو بكتاب من مؤلفاته القيمة.

توفي هذا العالم العظيم سنة ١٢٨٧هـ وفي هذا العام انتزع الترك القطيف من يد السلطة النجدية، وكان شيخنا آنذاك مريضاً، فقال له بعض عواده إثر هذه الحادثة: (ظهر الدين)، فقال الشيخ: لا، بل (خفي الدين).

ولشيخنا هذا من المؤلفات أُرجوزة في أُصول الدين عدد أبياتها ٤٤ بيتاً استوفى الموضوع دون أن يغادر منه شاردة ولا واردة، يفتتح هذه المنظومة بقوله:

الحمد للّه وصلّى أبدا   على محمد و أبواب الهدى
وبعد فالدين على خمس بُني   عقلا ونقلا بالدليل المتقن
فدن بتوحيد وعدل ونبي   ثم إمام والمعاد ارتقب

وله رسالة في (أُصول الدين الخمسة) أيضاً، ممتعة العرض واضحة الأداء نظيفة المقصد ويفتتحها بهذه الفاتحة:

« الحمد اللّه الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وصلّى اللّه على محمد وآله المعصومين، ومن تبعهم بإحسان » .

وله أيضا منظومة فلسفية في ١٣٤ بيتاً يرد فيها على مؤسس (الشيخية) الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

وأول هذه المنظومة قوله:

الحمد اللّه بما صدقت ما   علمه (الصادق) من تعلما

إذ عنون العلم بعنوان جلي   علمه (عنوان) فاسمع واعقل

وله منظومة في عدد سور القرآن الكريم وعدة أبياتها ٥٠ بيتاً، أولها:

ابدأ باسم اللّه طبق الخبر   مُصلّياً على البشير المنذر

وله كتاب مطبوع اسمه (فصل الخطاب في الرد على أهل الكتاب).

ومن بينهم: الشيخ سليمان آل عبد الجبار، وهو مؤلف عميق الفكر دقيق الملاحظة، كثير التأليف، وأكثر كتبه في الفلسفة، لا يتجه فكره إلى جهة واحدة، فهو يذهب في الفلسفة مذهب الفيلسوف الإسلامي الأكبر (صدر الدين الشيرازي)، وفي الفقه مذهب المحدثين

من مؤلفاته (إرشاد البشر) وهو شرح مبسط على الباب الحادي عشر للعلامة الحلي مسح يراعه من مداده يوم الثلاثاء الموافق ١٧ المحرم ١٢٣٠هـ

ومنها رسالة فلسفية موضوعها هذه المسألة المعقدة أتم التعقيد الشائك، حتى الغاية التي بلغ النزاع فيها بين المتكلمين و الفلاسفة حده الأعلى، تلك المسألة هي (الواحد لا يصدر منه إلا واحد) وناهيك

عمّا في هذه المسألة من نزاع واختلاف شديدين، فإن الفلاسفة اتهموا (الخواجة نصير الدين الطوسي)، إذ لم يقل بمقالاتهم في هذه المسألة.

وشرح على كتاب المفاتيح للفيلسوف الكاشاني المتوفى عام ١٠٩١هـ، وكتاب في الفقه تحت عنوان (النجوم الزاهرة في فقه العترة الطاهرة).

وقد ذكر[1] صاحب الذريعة أن للشيخ المذكور أرجوزة في علم المنطق مشروحة، وأرجوزة في أصول الفقه، وهي مرتبة على مباحث علم الأُصول، منها قسم في أصالة البراءة، وقسم في الاستصحاب، وقسم في الإجماع، وقسم في الكتاب، وقسم في دليل الانسداد، أي انسداد باب العلم وفتح باب الظن، وقسم في الأحاديث القطعية الصدور المأخوذة من الكتب الأربعة، وقسم في علاج الخبرين المختلفين.

ومنهم: الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي ابن الشيخ محمد بن أحمد بن علي، المتوفى في بلدة سوق الشيوخ في العراق، في حدود ١٢٥٠هـ والمدفون في النجف الأشرف، من أساتذته: الشيخ محمد بن عبد الجبار الكبير، والشيخ أحمد الأحسائي. ومن أشهر تلامذته: الشيخ أحمد آل طوق.

مصنفاته:

١- شرح حديث الثقلين.
٢- شرح تشريح الأفلاك في الهيئة للشيخ البهائي.
٣- رسالة في تفضيل الرسول محمد ﷺ.
٤- رسالة في بيان شرح بعض الأحاديث من الإنجيل.
٥- اللمع السنية في الأُصول الدينية.
٦- غاية المراد في تحقيق المعاد.
٧- الخلسة الملكوتية في تحقيق الطينة.
٨- الشهب الثواقب لرجم شياطين النواصب.

---

[1] للمزيد من المعرفة مراجعة الأزهار، ج٦، ص١٢٨ وما بعدها.

٩ـ الشوارق الحسينية في القول في بانسداد باب العلم وفتح باب الظن.
١٠ـ مختصر الشوارق.
١١ـ كتاب في الرد على النصارى.
١٢ـ رسالة في قبلة الأحساء.
١٣ـ البارقة الحسينية.
١٤ـ مشكاة الأنوار في الرجعة.
١٥ـ المصباح المبين لرفع الافتراق من الأخبار والأُصول.
١٦ـ مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن.
١٧ـ رسالة في جواب مجموعة من المسائل الموجهة من بعض العامة إلى موسى بن إبراهيم الأحسائي.
١٨ـ رسالة في تحقيق (هل يقدر أهل البيت عليهم السلام على أن يخلقوا ويرزقوا ويحيوا ويميتوا؟).
١٩ـ رسالة في الطهارة والصلاة.
٢٠ـ هدي العقول في شرح أحاديث الأُصول ـأُصول الكافي ـ وهو ثلاثة عشر مجلداً. كما هو منقول أن الشيخ المؤلف قدس سره أوقفها على علماء يزد دون غيرهم والله العالم.

آل المحروس:

وهي من الأسر العلمية والأدبية والوجاهتية في القطيف من بينهم:

الشيخ رضي ابن الحاج إبراهيم بن محروس الخطي الشويكي القطيفي المولود عام ١٢٨١هـ والمتوفى عام ١٣٥٢هـ، يعد هذا العلامة من رجالات العلم والفقاهة والأخلاق والورع في القطيف في ذلك

الوقت، فقد كانت له رئاسة الحركة العلمية فترة زمنية، لعب خلالها دوارا بارزا على الساحتين العلمية والاجتماعية، تتلمذ بداية مسيرته العلمية على يد أساتذتها بعد أن تعلم القرآن والتجويد والقراءة والكتابة عند الكتاتيب، من بعدها التحق بالحلقات العلمية في القطيف فدرس فيها ما يقارب العشر سنوات تقريبا، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، فتتلمذ على يد أساتذتها في ذلك الوقت، وبعد فترة من الزمن عاد إلى القطيف فانكب على البحث والتنقيب والتوجيه والإصلاح، فكانت له نشاطات علمية واضحة فقد تخرج على يديه جملة كبيرة من رواد العلم وحملة الفضيلة منهم:

١ـ الشيخ علي بن محمد بن مهدي بن علي بن محسن الكويكبي المتوفى عام ١٣٣٤هـ.
٢ـ الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن عطية الكويكبي المتوفى عام١٣٥٣ هـ.
٣ـ ومنهم الشيخ حسن بن علي بن عيسى المحروس المتوفى في كربلاء عام ١٣٦٢هـ.

قد عرف ﷺ بسماته العلمية والإيمانية والأخلاقية العالية، فهو رجل التقوى والورع، والتواضع. قال عنه الشيخ صاحب الأزهار: العالم الخضم والورع التقي والزاهد النقي ذو الأخلاق الحميدة والصفات المجيدة، والسجايا الحسنة والمزايا المستحسنة، العالم الفقيه والفاضل النبيه، صاحب الفضيلة الشيخ رضي المحروس...[1].

(١) الأزهار، المصدر السابق، ج١٦، ص ٧٤.

مصنفاته:

١ـ الكشكول، وهو كتاب يحوي على نوادر وطرائف وفكاهات، ومسائل علمية وحكايات تاريخية، وقد ترجم فيه لحادثة الشربة التي وقعت عام ١٣٢٦هـ، وذكرها مفصلا في قصيدة مطولة، يقول صاحب الأزهار: إنه رآها في هذا الكتاب عن المؤلف.

٢ـ منظومات علمية أحدها في منازل الأفلاك بالخصوص منازل القمر قال في مطلعها:

خذ يا أخي مني منازل القمر   عشراً وعشراً وثمان في الأثر
فبعضها سعد وبعض نحس   وفي الأخير لا يكون عرس
وبعضها لا تمنعن أن يعرسا   صدقة يخرجها كي يحرسا
أولها خمس فأتقن وانقل   عني بقول يا أخي واعمل

٣ـ ومنظومة في الفقه.

٤ـ كتاب المراسلات بينه وبين السيد ماجد العوامي أبان إقامته في العراق، وهي تشمل مراسلات فقهية وأُصولية وأدبية، ذكر جملة منها صاحب الأزهار.

شعره:

له قصائد كثيرة جداً جمعت في ديوان كبير، كما يقول صاحب الأزهار، وأكثره في المدح والرثاء، ومما ينقل أنه عرض على السيد جعفر الحلي المتوفى عام ١٣١٥هـ أن يدرسه دروسا في العروض والقوافي فقال:

أنشدني قصيدة من شعرك، فأنشده فقال له:

أنت لا تحتاج إلى دروس؛ لأنك تجيد نظم الشعر بحسن السليقة

من هذه القصائد قصيدة في الحسين تحت عنوان (اللّه يا حامي الشريعة):

اللّه يا حامي الشريعة   هذي قواعدها الرفيعه
قد هدمتها آل حرب   يالها دهيا فظيعه
ما جاءك العلم المشوم   ألم تكن أذناً سميعه
تخفي عليك مصيبة   احنت من الهادي ضلوعه
وكذلك جدك حيدر   من عينه أجرت دموعه
وكذلك فاطم قد بكت   لعويلها السبع الرفيعه
أبكت ملائكة السما   والجن أسبلت النجيعه
ماذا يهيجك والحسين   بكر بلاء ذبحوا رضيعه
ماذا يهيجك والخيول   بنعلها طحنت ضلوعه

وقصائد أُخرى كتبها الشيخ علي المرهون في كتابه (شعراء القطيف) فراجع.

ومن بين أعلام هذه الأُسرة الشيخ حسن بن علي بن عيسى المحروس وهو أحد رجالات العلم والأدب في القطيف تتلمذ، على يد أساتذتها، يعد من فضلاء المنطقة في زمانه توفي في القطيف.

ومن بينهم الأديب والشاعر المتميز وجدي المحروس أحد رجالات الأدب في المنطقة، له نشاطات اجتماعية ودينية وأدبية وثقافية ملموسة، توفي عام ١٤٢٠هـ، وخلف تراثاً ثقافياً وأدبياً ضخماً لا يزل مخطوطاً.

نموذج من شعره:

قصيدة بعنوان: (يا ليلة العمر)، ألقاها الناظم بنفسه في الحفل المقام لزفافه في ٢/ ٥/ ١٤٠٩هـ.

هَتَفَ الوحيُ والوفا في بيانِه   أَفَتُصغي لِهَيْنَماتِ آذانِه

أفتصغي له وقد ملأ الكو   نَ صداهُ فَعاشَ في ألحانِه

آيُهُ ذوبُ خافقٍ والمعاني   دَفَقَاتٌ مِنْ روحِهِ وكيانِه

إن يَكن عَبْقَرٌ مثارَ أغا   نيه ففي صَحْبِه مَدارُ حنانِه

عَرفَ الفضلَ في ذويه فكان الصد   قُ مضمارَ شعرِه وافتنانِه

هزَّ عِطْفَيهِ إن رأى السادة الغُـ   ـرُّ أشاعوا السرورَ في مِهْرجانِه

سكبوا دفءَ ودهم تهنئاتٍ   وأراقوا خمرَ الإخا في دنانِه

فاحتساها صفواً فطابَ له العيـ   ـشُ بصفو الوفاء من أخدانِه

أتلومونَهُ وقد شربَ الكأ   سَ سلافاً إن ماسَ في أردانِه

ليس عدلاً عدلُ الوفي إذا ما   هامَ وَجْداً فذابَ في إخوانِه

فَهُمُ مسعدوه إن غامَ أفقٌ   ومعيدو روحَ الرِّضا في جنانِه

كللوا هامَه بغار من النظـ   ـمِ يحارُ الخيالُ في إتقانِه

أحكمت نسجَهُ قرائحُ إبدا   عٍ سقاها الإخاءُ من تحنانِه

إيه يا ليلة بها صاغةُ الحر   فِ تنادوا والفكرُ في عنفوانِه

حدِّثينا عن الهوى فحديث الـ   ـحب أشهى للنفس من كتمانِه

حدِّثينا عنه حَديثَ نديم   شَدَّهُ أُنسُهُ إلى ندمانِه

أهوَ عذبُ المذاقِ يَلتذُّهُ القلـ   ـبُ فيهفو إليه في خفقانِه

أهوَ أندى من النسيم إذا اعتل   ونورِ الربيعِ في ريعانِه

أهوَ كالبلبل الطَّروبِ إلى السمـ   ـعِ شجي الغنا على أفنانِه

تجتليه العيونُ أبهى من البد   رِ وأسنا في الحسنِ من لمعانِه

تتملى صفاءه الروحُ كالجد   ولِ في بردِه وفي جريانِه

أم عذاباً يرى وبين مآسيـ   ـهِ يقيمُ المحب في أحزانِه

حدِّثينا يا ليلةَ العمرِ واحكي عن شؤون الهوى وعن أشجانِه
حدِّثينا وقد إخال حديثَ الليـ ـلِ مستعصياً في ترجمانِه
فتناهى لخاطري هاتف الشـ ـعرِ مبيناً والصدقُ في تبيانِه
الهوى لو علمتَ ألطفُ معنىً من أحاطت مدره وافتنانِه

ومن بينهم الخطيب المفوه الشيخ عباس المحروس أحد رجالات العلم ومشاهير الخطابة في المنطقة، درس في المدارس الحكومية، وبعد أن اجتاز مراحلها التحق بطلب العلم في النجف الأشرف، تتلمذ خلالها على يد أساتذتها، ثم عاد إلى وطنه يمارس دوره العلمي والخطابي والإصلاحي، فكانت له نشاطات في زمن الاضمحلال الثقافي في أكثر مناطق القطيف، وله حلقات علمية تخرج منها عدد من المثقفين والملتزمين، كما أنه من النشطين حول تطوير عجلة الحركة العلمية والثقافية في المنطقة، له مساهمات دينية وتربوية وثقافية ملموسة.

آل أبي السعود:

آل أبي السعود أُسرة علمية في القطيف نبغ فيها: الشيخ عبدالله بن ناصر بن أحمد بن نصرالله آل أبي السعود المولود في القطيف والمتوفى بها عام١٣٤١هـ، أحد رجالات العلم والفقاهة في القطيف تلقي تربيته العلمية في القطيف على يد أساتذتها في ذلك الوقت، ثم هاجر لطلب العلم في النجف الأشرف، تتلمذ خلالها على يد أساتذتها أمثال:

١ـ الشيخ محمد حسين الكاظمي المتوفى عام ١٣٠٨هـ.

٢ـ والشيخ محمد طه نجف المتوفى عام ١٣٢٨هـ.وغيرهما ويحمل عنهما إجازات بالقضاء والإفتاء وقبض الحقوق، عاد من بعدها إلى وطنه فأخذ يمارس دوره العلمي والإصلاحي والاجتماعي، فقد كان منزله

حوزة علمية تخرج منها عدد كبير من طلبة العلم في ذلك الوقت، وكما أن منزله مجلس للقضاء، فقد كان يحل المنازعات ويجري العقود والوكالات وغيرها، وكانت شخصيته الإيمانية محل أنظار العارفين والمؤمنين، لا سيما عند نزول البلايا والمشكلات الفادحة، عرف بالتقوى والزهد و الأخلاق..

كما أنه شاعر من شعراء المنطقة المحلقين، ويدلل على ذلك قصيدته التأبينية التي ألقاها في الشيخ أحمد بن صالح آل طعان البحراني القطيفي المتوفى عام ١٣١٥هـ ومطلعها:

قد نعى ناع فاشجى للهدى   وكسا الإسلام ثوبا أسودا
وغدا الإيمان يدعو هاتفاً   وخبت أنوارها إذ فقدا
وشموس الدين حزناً كسفت   فهي لا تشرق ما امتد المدى

كما ذكر له تلميذه صاحب الأزهار عدة قصائد وموشحات ومنظومات في الفقه والأُصول والتوحيد في المجلد ١١، ص ٩٤ فراجع.

ومن بينهم: الشيخ علي بن سعود بن إسماعيل آل أبي السعود المولود في القطيف، تتلمذ على أساتذتها ثم هاجر لطلب العلم في النجف الأشرف، وبعد أن أنهى مراحلها العلمية عاد إلى وطنه القطيف، فأخذ يمارس دوره العلمي والإصلاحي، عرف بالتقوى والزهد والأخلاق، فقدم عليه جماعة من أهالي أُم الحمام فطلبوا منه الاستقرار فيها للتوجيه والإصلاح والإرشاد فاستقر بها بعد أن أقاموه بينهم معززاً مكرماً، ويقال: إنهم اشتروا له منزلاً وأسكنوه فيه، إلى أن توجه للعراق مرة ثانية فتوفي فيه عام ١٣٣٠هـ.

ومن بينهم: الشيخ أحمد بن مهدي بن أحمد بن نصر اللّه أبو

السعود المتوفى عام ١٣٠٦هـ، والمدفون في مقبرة الحباكة بالقطيف، يعد أحد رواد العلم والفضيلة و الأدب والزعامة الوطنية في ذلك الوقت، أسدى خدمات جليلة في زمن المحنة التي حلت بالقطيف بسبب الحركة الوهابية، مما جعلها تتآمر عليه وتسلبه أملاكه وتأمر بمغادرته البلاد، فتوجه إلى دولة قطر في ذلك الوقت عن طريق بوشهر والبحرين، ثم عاد إلى البحرين مرة ثانية، وتدخلت الحكومة العثمانية برجوعه إلى القطيف مرة ثانية، وأُمر بإرجاع أملاكه وزعامته في البلاد.. وبعد أن استتب الأمر لسعود الكبير رفع إليه الوشاة أن الشيخ أحمد آل أبو السعود لا يؤيدك في الزعامة، مما جعل الأمير في ذلك الوقت يأمر بحمله من القطيف إلى نجد ويأمر بسجنه هناك مدة زمنية، ولم يطلق إلا بأمر الأميرة أخت سعود، إذ تعاطفت معه؛ لأنه شخصية دينية وليس وراءه ما نخافه، فأطلق سراحه بعد أن دبر له مكيدة كادت أن تؤدي بحياته، إلا أن اللّٰه نجاه منها، وعاد إلى القطيف بعد أن نزل بالبحرين..[1].

كما أنه يعد من فحول الشعراء القطيفين الذين أثروا المكتبة الأدبية بأدبهم، ويقال: إن له مائة قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام، وله قصائد مجاراة للكثير من الشعراء بما فيهم ابن أبي الحديد في قصيدته العلوية، وغيرها من القصائد الكثيرة التي امتدح فيها الزعماء والملوك والأُمراء في ذلك الوقت، بما فيهم السلطان عبدالحميد العثماني وغيره.

ومن شخصياتهم الزعيم عبداللّٰه بن نصر اللّٰه بن مهدي بن أحمد بن نصراللّٰه آل أبو السعود المولود عام ١٣١١هـ، وقد خصه والده برعايته من أُمه المغفور لها نصرة المتوفاة عام ١٣٥٢هـ التي اعتنت به كثيراً، حتى أصبح زعيماً وطنياً في ذلك الوقت، كانت له مواقف مشرفة

---

(١) الأزهار، المصدر السابق، ج ٥، ص١٠١.

من الأحدث التي مرت على القطيف وساهم مساهمة كبرى في رفع عجلتها الاقتصادية والاجتماعية في زمانه، كانت له سياسة وحكمة استفادها من علاقته بالعلماء في العراق في ذلك الوقت، وله مواقف عديدة خدم بها القطيف، ذكرها صاحب الأزهار في ج ٥، لسنا هنا في صددها.

ومن بينهم: الحاج منصور بن حسن بن نصر اللّٰه آل أبو السعود المولود عام ١٣٤٤هـ، تتلمذ على يد والده، ثم أدخله عند الكتاتيب الأوائل، فتعلم عندهم القرآن وتجويده والخطابة، من بين أساتذته الشيخ ميرزا حسين البريكي، والشيخ محمد صالح، والملا عيسى القطيفي المتوفى عام ١٣٥٦هـ، كما أن له مكتبة ضخمة ـ كما يقول صاحب الأزهار ـ تحوي نفائس الكتب والمخطوطات والتحف الأثرية، وهو كاتب له كتب قيمة منها كتابه الموسوم بـ(مختارات المنصور). توفي في القطيف ودفن فيها.

ومن بينهم: الحاج الزعيم علي بن حسن أبو السعود، وهو شخصية وجيهة في المنطقة، ومحل أنظار العارفين والعلماء والزعماء، أبَّنَهُ صاحب الأزهار بقصيدة في كتابه مطلعها:

حر الضمير مهذب التبيان　　　باق مدى الأيام والأزمان

ومن بينهم: الشيخ محمد علي بن عبداللّٰه أبو السعود المتوفى عام ١٣٤٣هـ وهو أحد الشخصيات العلمية والأدبية في القطيف.

ومن بينهم: الشيخ ناصر بن أحمد بن نصر اللّٰه أبو السعود المتوفى عام ١٢٩٩هـ، وهو أحد رجالات العلم والفقاهة في القطيف في ذلك الزمان، له منزلة علمية وأخلاقية عالية، والقارئ للمنظومة التي تبلغ (٣٠٠) مائة بيت مرتبة على مباحث الأُصول الخمسة يرى ذلك

واضحاً، ومطلعها:

أحمـــد ربـــاً خالقـــاً للخلـــقِ   يمدهـــم مـــن جـــوده بـــالرزق

ومن بينهم: الحاج حسن بن علي بن عبدالله أبو السعود المتوفى عام ١٣٤٨هـ، وهو أحد شخصيات القطيف الوجيهة، وله اهتمامات علمية وأدبية، وقد ذكر صاحب الأزهار أن له كتاباً يحتوي على معلومات كثيرة عن تاريخ القطيف وشخصياتها وحوادثها، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً بيد الورثة.

ومن بينهم: الشيخ منصور البيات:

يعد الشيخ منصور بن الحاج عبدالله البيات المولود عام ١٣٢٥هـ والمتوفى عام ١٤٢٠هـ، والذي فقد بصره بعد ثلاثة أعوام من ولاداته، التحق بالحلقات العلمية في القطيف في ذلك الوقت ودرس المقدمات، على يد أساتذتها أمثال: الشيخ عبدالعلي أوال التاروتي، والشيخ باقر الجشي المتوفى عام ١٣٥٧هـ، والشيخ ميراز حسين البريكي المولود عام ١٣٢٦هـ والمتوفى عام ١٣٩٦هـ، والشيخ محمد حسين آل عبدالجبار المولود عام ١٣٠٠هـ والمتوفى عام ١٣٨١هـ، والشيخ محمد علي الجشي المولود عام ١٣٠٠هـ والمتوفى عام ١٣٦١هـ، والسيد محفوظ العوامي المتوفى عام ١٣٤٦هـ، والسيد حسين العوامي المتوفى عام ١٣٥٨هـ، والشيخ محمد صالح الصفواني المتوفى عام ١٣٩٤هـ، والشيخ فرج العمران المولود عام ١٣٢١هـ والمتوفى عام ١٣٩٠هـ، والشيخ علي الجشي المولود عام ١٢٩٦هـ والمتوفى عام ١٣٧٦هـ، ثم التحق لطلب العلم في النجف الأشرف، واستقر بها مدة طويلة درس خلالها على يد أساتذتها أمثال: السيد محمد جمال الهاشمي المولود عام ١٣٣٢هـ والمتوفى عام ١٣٩٧هـ، والسيد محمد حسين الحكيم المولود عام ١٣٣٣هـ

والمتوفى عام ١٤١٠هـ، والسيد محسن الحكيم المولود عام ١٣٠٦هـ والمتوفى عام ١٣٩٠هـ، والسيد عبد الأعلى السبزواري المولود عام ١٣٢٨هـ والمتوفى عام ١٤١٤هـ، والسيد أبو القاسم الخوئي المولود عام ١٣١٧هـ والمتوفى عام ١٤١٣هـ.

ثم عاد إلى وطنه وأخذ يمارس دوره العلمي، حتى تتلمذ على يديه عدد كبير من التلامذة في داخل القطيف الأم وخارجها، مع أنه لا يبصر إلا أنه من المهتمين بالنشاطات العلمية والأدبية والاجتماعية والدينية.

تمتع الشيخ رحمه الله بعدة ميزات كانت محل أنظار العارفين منها: الزهد والعبادة والتقوى والإيمان وحبه الشديد لأهل البيت عليهم السلام، ويتضح ذلك من خلال مصنفاته التي صنفها تحت عنوان (النظرات) وهي تربو على العشرات.

من شخصيات آل البيات العلمية الشيخ حسن بن علي بن محمد البيات المولود عام ١٣٠٦هـ، وهو أحد رواد العلم في القطيف، تتلمذ على يد أساتذتها، ثم التحق بطلب العلم، فتتلمذ في النجف على يد أساتذتها في ذلك الوقت، وعاد إلى وطنه ومارس دوره العلمي فيها.

ومنهم الكاتب والأديب المعروف الأستاذ محمد رضا نصر الله أبو السعود، وهو أحد رجالات الثقافة في المنطقة، وشهرته أكثر من أن تذكر، له نشاطات ثقافية، واجتماعية وأدبية كثيرة..

آل سنبل:

من بينهم: الشيخ بدر بن أحمد بن كاظم آل سنبل المولود عام ١٢٩١هـ والمتوفى في البحرين عام ١٣٣٦هـ، أحد رجالات العلم والفقاهة في القطيف، تلقى تربيته العلمية في القطيف على يد

أساتذتها في ذلك الوقت، من بينهم الشيخ حسن بن علي البدر المتوفى عام ١٣٣٤هـ. ثم رحل إلى العراق فتتلمذ على يد أساتذتها، وعاد منها وأخذ على نفسه ممارسة العمل الإسلامي والتغييري في المنطقة، كما أنه يعد من شعرائها المشهورين.

ومنهم الشيخ فيصل بن عبدالله آل سنبل المولود عام ١٣٢٦هـ أحد الشخصيات العلمية في القطيف، تلقي تربيته عند الشيخ رضي المحروس، ويعد من شعرائها المشهورين.

ومن بينهم الشيخ نزار آل سنبل، أحد رجالات العلم والأخلاق في المنطقة، أدخله والده المدارس الحكومية، ثم هاجر لطلب العلم، تتلمذ على يد أساتذتها ولا يزال مواصلاً مسيرته العلمية بين الدرس والتدريس، كما أنه شاعر من شعراء المنطقة المجيدين.

آل الكويكبي والشويكي:

ومن الشخصيات العلمية في القطيف في ذلك الوقت الشيخ علي ابن محمد بن مهدي بن محسن الكويكبي، صاحب كتاب (الدمعة القطيفية) وكان أحد رجالات القطيف العلمية عرف بالتقوى والزهد والأخلاق، توفي عام ١٢٣٧هـ.

ومن بينهم: الشيخ عطية بن الشيخ محمد آل عصفور القطيفي المتوفى عام ١٢٧٠هـ أحد رجالات العلم والفقاهة في المنطقة، كان يتنقل بين القطيف والبحرين الأم في ذلك الوقت، له نشاطات علمية وأخرى أدبية أثرت الحركة العلمية في (القطيف والبحرين)[1].

(١) سالم مصدر سابق ج ٣ ص١٣٦ وج ٢ ص٤٥٨.

ومن بينهم: الشيخ أحمد بن علي بن عطية الكويكبي المتوفى عام ١٣٥٣هـ، وهو أحد رجالات العلم والخطابة في القطيف، تتلمذ في مدرسة الشيخ محمد بن نمر العوامي المتوفى عام ١٣٤٨هـ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، ثم عاد إلى وطنه وتوفي فيه.

آل الصفار:

ومن بينهم الشيخ: رضي بن علي الفردان التاروتي (الصفار) والشيخ علي بن يحيى بن ناصر بن أحمد الصفار التاروتي أحد رجالات العلم وحملة الأخلاق في المنطقة، ومن أفراد الأسرة العلمية والأدبية ملا موسى بن رضي الصفار أحد الواجهات الدينية في القطيف، يعد من شعرائها فهو ينظم الشعر باللغتين الفصحى والشعبية، دمث الأخلاق عالي النشاط، وابنه الشيخ الخطيب الشيخ حسن بن موسى الصفار الذي ملأ الدنيا بسمعته العلمية والأخلاقية والإصلاحية، وهو صاحب الجهاد الإصلاحي الطويل، هاجر لطلب العلم في العراق، ثم إلى الكويت، ثم إلى إيران، تتلمذ خلالها على يد أساتذة الحوزة العلمية، ثم استقر في السيدة زينب في سوريا يمارس نشاطاته العلمية والتربوية والإصلاحية، كوّن عدة لجان تهتم بتراث المنطقة العلمي.

من مصنفاته:

١ـ زينب.
٢ـ رؤًى وبصائر في نهج البلاغة.
٣ـ التعددية والحرية في المذاهب الإسلامية.
٤ـ الإمام المهدي.
٥ـ الإعلام المضاد.

٦ـ الشباب.

٧ـ الكوارث.

٨ـ الشيخ محمد أمين زين الدين رائد إصلاح.

وغيرها من المقالات التي نشرت له في الصحف والمجلات العربية والإسلامية.

وأخوه الشيخ محمد بن موسى الصفار، وهو أحد أساتذته الحوزة العلمية وفضلائها، رجل ذو سمات وأخلاق عالية.

آل البريكي:

ومن بين الشخصيات العلمية في القطيف الشيخ الخطيب محمد صالح البريكي المتوفى عام ١٣٧٤هـ، يعد من رجالاته العلمية فهو مدرسة علمية وخطابية تخرج على يديه العديد من العلماء والخطباء والأدباء، تتلمذ في مسيرة حياته العلمية أوّلاً في القطيف، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، تتلمذ فيها على يد أساتذتها وعلمائها، فعاد إلى وطنه فأصبح عالماً يشار إليه بالبنان، لقد كانت له نشاطات علمية ودينية وثقافية عالية ليس في القطيف فحسب، بل كان عطاؤه العلمي والثقافي لكافة المنطقة في زمن الاضمحلال الثقافي.

ومنهم الشيخ ميرزا حسين البريكي المولود عام ١٣٢٦هـ والمتوفى في القطيف، يعد أحد أساتذة الحركة العلمية والأدبية والثقافية في القطيف، ولد بها ونشأ في ظل أسرته آل البريكي التي تعد من الأسر العلمية والوجيهة في ذلك الوقت، تتلمذ خلالها على يد علماء القطيف، ثم هاجر لطلب العلم في العراق، تتلمذ فيها على أساتذتها وجهابذتها هناك كالسيد أبو الحسن الموسوي والسيد محسن الحكيم

والشيخ أبو الحسن الخنيزي، ثم عاد إلى وطنه فأخذ يمارس دوره العلمي والإصلاحي والثقافي والأدبي، فكان جيل الثقافة والأدب يجتمعون في منزله فخرج في تلك الفترة ثلة كبيرة من الخطباء والعلماء والأدباء.

من مصنفاته:

١ـ مذكرات الخطيب وهي ثلاثة مجلدات.

٢ـ مقالات ثقافية ومواضيع تأبين.

٣ـ ديوان شعر مخطوط.

ومن بينهم الشاعر محمد سعيد البريكي المولود عام ١٣٦١هـ، تتلمذ على يدي أبيه الشيخ ميرزا ثم أدخله المدارس الحكومية، ثم بُعث إلى الخارج لإكمال تعليمه العالي فحصل على شهادة الليسانس في علوم الكيمياء وشهادة ثانية في علوم الأحياء الطبية، ثم عاد إلى وطنه يمارس نشاطه العلمي والأدبي، عمل في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ثم التحق بالعمل في شركة سابك.

آل أبي ذئب:

ومنهم الشيخ يوسف ابن الشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد آل أبي ذئب القطيفي المتوفى في حدود عام ١٢٠٠هـ، أحد أعلام العلم والفقاهة والشعر في القطيف، فقد كان عالماً ناسكاً أديباً، قاد حركة علمية في زمانه له ديوان مخطوط فهو صاحب القصيد المشهورة:

حكم المنون عليك غالب غالبته أم لم تغالب

آل جواد وآل السويكت:

ومن بينهم: الشيخ عبد الرسول ابن ملا حميد بن حسين بن علي ابن جواد ابن الشيخ يوسف القطيفي أحد شخصيات القطيف العلمية

في زمانه، هاجر لطلب العلم في النجف الأشرف، وعاد منها واستقر في القطيف يمارس دوره العلمي والديني والأخلاقي إلى توفي فيها.

ومنهم: الشيخ عبدالله بن محمد بن الحسين بن محمد الشويكي أحد علماء المنطقة القدماء، يعد من رواد الحركة العلمية ومنميها، فهو أحد تلامذة الشيخ حسين العصفور المتوفى عام ١٢١٦هـ ومن المجازين منه، كثير التصنيف، ترجم له صاحب الذريعة بقوله: صاحب كتاب (الاقتباس والتضمين في عقائد الدين)، علم من أعلام القطيف كثير التصنيف..

ومنهم: الشيخ أحمد بن مهدي السويكت ،الذي فضل البقاء في العراق حتى توفي فيها، يعد من رواد الحركة العلمية في ذلك الوقت.

آل الخباز بشقيها السادة والعامة منهم:

الخطيب الملا حيدر ابن ملا عبدالله الخباز المولود عام ١٣٣٤هـ أحد خطباء المنبر الحسيني، ساهم في مسيرة الحركة الخطابية والعلمية في القطيف، توفي فيها ودفن في مقبرة الشريعة.

ومن بينهم: السيد أحمد ابن السيد علوي الخباز أحد قراء النسخة ومن رجالات القطيف الخيرين، نشر له ابنه السيد سعيد الخباز كتاباً في مقتل الحسين.

ومن بينهم: السيد سعيد ابن السيد أحمد بن علوي الخباز المولود عام ١٣٧١هـ، تلقى تربيته الإيمانية في ظل أُسرته، ثم هاجر لطلب العلم في النجف الأشرف، ومن بعدها إلى سوريا استقر بها مدة طويلة من الزمن مكباً على الدرس والتدريس، يعد اليوم من رجالات العلم والأدب في القطيف، له اهتمامات في تراجم الرجال من الماضين والمعاصرين للحركة العلمية في القطيف نشر بعضها في مجلة الموسم،

كما أنه من المهتمين بالعمل الثقافي والعلمي في المنطقة، له نشاطات علمية واجتماعية وثقافية.

ومن بينهم السيد منير السيد عدنان الخباز أحد رجالات العلم في المنطقة، تلقى تربيته في القطيف، ثم هاجر لطلب العلم في النجف الأشرف، درس فيها على يد أساتذتها، ثم هاجر إلى قم المقدسة واستقر بها، له نشاطات علمية وأُخرى ثقافية، قام بعدة ندوات تثقيفية لمعظم مناطق المنطقة، وساهم في تنمية الحس العلمي والثقافي والأخلاقي عبر محاضراته ومجالسه،من المهتمين بتنمية الحركة العلمية والأدبية في المنطقة ومن المساهمين لها في رفع مستواها العلمي والأدبي، دمث الأخلاق عالي النشاط، يقود اليوم حركة ثقافية وأدبية وعلمية في المنطقة، ومن بينهم أخوه السيد هاشم والسيد ضياء، وكلاهما من خطباء المنطقة الذين يشار إليهم بالبنان.

بعض الأعلام والشخصيات العلمية الأخرى:

ومن بينهم: الخطيب الملا حسن بن أحمد الجامد المتوفى عام ١٣٧٥هـ، أحد خطباء المنطقة الذي فاقت شهرته الآفاق، يعد من رجالات العلم المساهمين في رفع عجلة الثقافة والوعي والأخلاق في المنطقة، رجل كما يقول عنه الآباء ملؤه إيمان وعلم وأخلاق.

ومنهم: الخطيب ملا علي بن محمد الرمضان، أحد خطباء المنبر والشعراء الأوائل في المنطقة، له مساهمات في تنمية الحركة العلمية، فقد كان ملتصقاً بمجالس العلماء وحلقاتهم العلمية، إلا أن اهتماماته الكتابية شغلته عن حضور استكمال حلقات العلم، رجل ملؤه إيمان وأخلاق، ذكره صاحب الأزهار في كتابه، وسجل له عدة قصائد في رثاء

أهل البيت والعلماء، لو جمعت لأصبحت ديواناً كبيراً، من قصائده:

قصيدة تحت عنوان (حياة في خيالات) وهي ٥٥ بيتاً، وهذا مطلعها:

أتهوى عاجل الدنيا وتنسى آجل الأخرى

ومنها قصيدة تحت عنوان (حيٌ ذكرى أبي سعيد)، وهي في رثاء الشيخ محمد علي الخنيزي المتوفى عام ١٣٨٢هـ، وهي خمسة عشر بيتاً هذا مطلعها:

جددوا ذكر كل ذي تقدير وأشيدوا به ممر العصور

إلى غيرها من القصائد الكثيرة[1].

ومن بينهم: الخطيب الملا عبدالعلي بن أحمد بن علي بن محمد الفردان (الصفار) المولود عام ١٣١١هـ والمتوفى في القطيف، يعد من خطبائها المشهورين، تتلمذ على يد جملة كبيرة من علماء وخطباء المنطقة، من بينهم الشيخ عيسى بن محمد السني المتوفى عام ١٣٥٥هـ، ثم استقل بالخطابة وأصبح من مشاهيرها، ساهم مساهمات متعددة في رفع مستوى الحركة العلمية والثقافية في المنطقة، عرف بخصاله الإيمانية والأخلاقية.

ومن بينهم الخطيب الملا علي الطويل أحد خطباء المنبر الحسيني، له تجربة خطابية تقدر بستين سنة تقريباً، كانت له نشاطات ثقافية وأدبية في القطيف، اشتغل بالخطابة في سن مبكرة بعد أن تلقى تعليمه في الكتاتيب الأوائل، ثم استقل بها وأصبح خطيباً يشار إليه بالبنان..

---

(١) الأزهار، المصدر السابق، ج ٦، ١١، ١٢، ١٣، ١٥.

ومن بينهم الخطيب الملا عبدالله المخرق أحد شخصيات القطيف الدينية والعلمية مارس الخطابة في سن مبكرة، تتلمذ في القطيف على يد بعض أعلامها منهم:

العلامة الشيخ منصور البيات فدرس على يده النحو.و الملا علي بن محمد الرمضان حيث درس على عنده الخط والقراءة والكتابة والخطابة، فاستقل بعدها فأصبح خطيبا يشار إليه بالبنان، دمث الأخلاق عالي الإيمان والنشاط، له مساهمات اجتماعية وأخرى دينية ملموسة.

آل سيف:

أسرة فيها العلماء والزعماء والأدباء من بينهم الزعيم محمد تقي آل سيف رحمه الله الذي ساهم مساهمة كبرى في تنمية الحس الديني والأخلاقي والعلمي في المنطقة، فكان يوجه دعوات لكبار الخطباء والأدباء لزيارة القطيف والتعرف على حركتها العلمية والأدبية، وأغلب الخطباء الذين استضافتهم القطيف في ذلك الوقت كان قدومهم إلى القطيف عن طريقه، ومن بين أعلام هذه الأسرة: الخطيب المفوه والكاتب المتميز الشيخ فوزي الذي يعد من مشاهير الأعلام العلمية والثقافية في القطيف ترجمنا له في الفصل الخاص بمنطقة تاروت، ومن بينهم الخطيب الشيخ محمود السيف الذي يعد من رجالات القطيف العلمية والأدبية، ساهم مساهمة فعالة في تنمية الحركة العلمية في القطيف ترجمنا له في كتابنا العوامية فراجع، ومن بينهم الشيخ الكاتب توفيق الذي ملأ الدنيا سمعة وثقافة، يعد من أنشط رجالات العلم والثقافة في القطيف،له دور ثقافي وعلمي كبير، فهو من مشاهير الكتاب السياسيين والمثقفين،له عدة مصنفات مطبوعة، ومن بينهم الأديب

عبدالعلي السيف أحد رجالات الأدب في المنطقة ترجمنا له في الفصل الخاص بمنطقة تاروت، وكما أن بها من الشخصيات العلمية كالأطباء والمهندسين والشعراء والمثقفين مالا يسع المجال لذكرهم.

كما ساهم اليوم عدد كبير من رواد الحركة العلمية والثقافية والأدبية في القطيف، أمثال:

١ـ الشيخ حسين بن علي المصطفى.
٢ـ الشيخ حسين بن علي المرزوق.
٣ـ الشيخ بدر الشماع.
٤ـ الشيخ تيسير بن مهدي العصفور.
٥ـ الشيخ محمد بن مهدي العصفور.
٦ـ الشيخ علي بن موسى النشمي.
٧ـ الشيخ حسين بن موسى النشمي.
٨ـ الشيخ علي بن مال الله.
٩ـ الشيخ عادل الأسود.
١٠ـ الشيخ عبدالله الحمالي.
١١ـ الشيخ عبدالأمير بن عبدالكريم الصائغ.
١٢ـ السيد منير الماجد.
١٣ـ الشيخ محمد بن سلمان أبو جعيد.
١٤ـ الشيخ مهدي بن سلمان أبو جعيد.
١٥ـ الشيخ علي بن سلمان أبو جعيد.
١٦ـ الشيخ مدن بن علي الفتيل.
١٧ـ السيد هادي بن أمين الماجد.
١٨ـ الشيخ نزار بن إبراهيم آل إسماعيل.

١٩ـ الشيخ محمد صالح المغرور.
٢٠ـ الشيخ سعود بن عبدالحميد شروفنا.
٢١ـ الشيخ محمد عبدالله الأخضر.
٢٢ـ الشيخ علي بن عبدالحسن الحماده.
٢٣ـ الشيخ زكي آل يوسف الكفشات.
٢٤ـ الشيخ هاني الصنابير.
٢٥ـ السيد ياسين الصائغ.
٢٦ـ الشيخ علي بن عبدالكريم الجنبي.
٢٧ـ الخطيب الملا منصور بن أحمد المقابي.
٢٨ـ السيد محمد بن إبراهيم السادة.
٢٩ـ السيد مصطفى ابن السيد جعفر الشبركة.
٣٠ـ الشيخ عبد الغني محمد علي العباس.
٣١ـ الشيخ وصفي عبدالله بن جواد الشيوخ.
٣٢ـ الشيخ حسين بن عبد رب الرسول العباس.
٣٣ـ الشيخ جعفر بن سعيد آل عبدالعال.
٣٤ـ الشيخ جعفر بن حسن الشيخ.
٣٥ـ الشيخ عبدالعزيز بن حسن سليم.
٣٦ـ الشيخ محمد المادح.
٣٧ـ السيد محمد علوي السادة.
٣٨ـ الشيخ علي الفردان.
٣٩ـ الشيخ صالح الفردان.
٤٠ـ السيد طالع ابن السيد حسن المقبل.
٤١ـ الشيخ فيصل بن عبدالحسين العوامي.
٤٢ـ الشيخ محمد بن عبدالحسين العوامي.

٤٣- الشيخ محمد بن أحمد التاروتي.
٤٤- الشيخ زكي الميلاد.
٤٥- الشيخ كفاح العليوات.
٤٦- الشيخ حلمي السنان.
٤٧- الشيخ محمد سعيد الخميس.
٤٨- الشيخ حسين سعيد الخميس.
٤٩- الشيخ مفيد الجشي.
٥٠- الشيخ عبدالله الدار.
٥١- الشيخ منصور أبو السعود.
٥٢- الشيخ ميثم الخنيزي.

التعليم الحكومي منطلق ثقافي:

لقد أنشئت أول مدرسة أكاديمية في منطقة القطيف في عام ١٣٥٧هـ، وكانت مدرسة ابتدائية يدرس فيها القراءة والكتابة والحساب، وتعليم القرآن الكريم، وتسلم إدارتها الأستاذ رضوان الحجازي، وقد استعان ببعض الأهالي الذين يجيدون القراءة والكتابة.

وفي عام ١٣٦٩هـ افتتحت مدرسة ثانية تحت اسم الحسين بن علي، وهي مدرسة ابتدائية وكان عدد مدرسيها ٢٤ مدرساً، وعدد طلابها ٤٩٥ طالباً.

وفي عام ١٣٧٣هـ افتتحت في مدينة تاروت مدرسة أُخرى، وعلى غرارها في عام ١٣٧٨هـ افتتحت في مدينة دارين مدرسة أُخرى، وكانت هذه المدارس الخاصة بالقطاع التعليمي الابتدائي.

أما على مستوى المتوسطة، فافتتحت أول مدرسة تحت اسم معن

بن زائدة في القطيف، وكان ذلك عام ١٣٧٦هـ، وكان عدد مدرسيها ٢٣ مدرساً، وعدد طلابها ٣٣٢هـ طالباً، وبعد مرور ١٢ سنة تقريباً على افتتاح بعض المدارس الخاصة بالقطاع التعليمي على مستوى المتوسط، افتتحت مدرسة ثانوية في القطيف، وكان ذلك عام ١٣٨٨هـ، حيث كانت تزدحم بالطلاب الذين يأتون إليها من بعض المناطق المجاورة للقطيف الأم، وبعد ذلك أخذت الدولة اهتمامها بالقطاع التعليمي الأكاديمي في المنطقة، افتتحت عدة مدارس مختلفة المراحل العلمية في كافة المناطق التابعة للقطيف الأم..

أما على مستوى القطاع التعليمي النسائي، فقد أنشئت أول مدرسة خاصة بهذا القطاع عام ١٣٧٩هـ، وكانت تعلم القراءة والكتابة والحساب وعلوم القرآن الكريم واللغة العربية، وفي عام ١٣٨٠هـ افتتحت أول مندوبية خاصة بالقطاع التعليمي النسوي في مدينة القطيف، حيث أخذت على عاتقها تنمية الموارد النسوية في القطاعات الإنمائية والتعليمية والتدبيرات المنزلية مثل تعليم الخياطة والطبخ والتطريز والسراميك وغيرها. وإليك جدول توضيحي بأسماء المدارس التابعة للقطاعين التعليميين وزارة المعارف، والمندوبية العامة للتعليم البنات في القطيف وملحقاتها:

المدارس الابتدائية للبنين:

اسم المدرسة	الموقع	تاريخ الافتتاح
الحسين بن علي	مدينة القطيف	١٣٦٩ هـ
المهلب بن أبي صفرة	تاروت	١٣٧٣ هـ
علي بن أبي طالب	صفوى	١٣٧٨ هـ
سلمان الفارسي	القديح	١٣٧٩ هـ

اسم المدرسة	الموقع	تاريخ الافتتاح
عمار بن ياسر	سنابس	١٣٧٩ هـ
عبادة بن الصامت	القديح	
الأوجام	الأوجام	١٣٨٠ هـ
الأندلس	سيهات	١٣٨٠ هـ
عنك	عنك	١٣٨٠ هـ
الواحة	العوامية	١٣٨٠ هـ
اليرموك	صفوى	١٣٨٠ هـ
ابن بطوطة	أم الحمام	١٣٨١ هـ
الفلاح	مدينة القطيف	١٣٨٢ هـ
ابن تيمية	سيهات	١٣٨٥ هـ
أبو بكر الرازي	صفوى	١٣٨٥ هـ
الخويلدية	الخويلدية	١٣٨٦ هـ
ذات الصواري	مدينة القطيف	١٣٨٨ هـ
حلة محيش	حلة محيش	١٣٨٨ هـ
الجارودية	الجارودية	١٣٩٠ هـ
قرطبة	العوامية	١٣٩٠ هـ
أبو معن	أبو معن	١٣٩٠ هـ
الشاطئ	مدينة القطيف	١٣٩١ هـ
الملاحة	الملاحة	١٣٩١ هـ
الربيعية	الربيعية	١٣٩١ هـ
الكندي	سيهات	١٣٩٢ هـ
النابية	النابية	١٣٩٢ هـ
التوبي	التوبي	١٣٩٢ هـ
بلال بن رباح	سنابس	١٣٩٢ هـ
محمد بن القاسم	القديح	١٣٩٢ هـ
أبو ذر الغفاري	مدينة القطيف	١٣٩٣ هـ
عبد الرحمن بن عوف	صفوى	١٣٩٣ هـ

اسم المدرسة	الموقع	تاريخ الافتتاح
جعفر الطيار	أم الحمام	١٣٩٥ هـ
البراء بن عازب	أم الحمام	
الحسن بن علي	تاروت	١٣٩٧ هـ
حزم أم الساهك	أم الساهك	١٣٩٧ هـ
زيد بن ثابت	مدينة القطيف	١٣٩٨ هـ
الإمام مسلم	سنابس	١٣٩٨ هـ
نعيم بن مسعود	القديح	١٣٩٨ هـ
البخاري	العوامية	١٣٩٨ هـ
ابن الأرقم	دارين	
حي الريف	العوامية	
جعفر الصادق	مدينة القطيف	١٣٩٩ هـ
النخيل	مدينة القطيف	١٣٩٩ هـ
أبو أيوب الأنصاري	عنك	١٣٩٩ هـ
ثابت بن قيس	مدينة القطيف	١٤٠٠ هـ
طلحة بن عبدالله	مدينة القطيف	١٤٠١ هـ

المدارس المتوسطة للبنين:

اسم المدرسة	الموقع	تاريخ الافتتاح
معن بن زائدة	مدينة القطيف	١٣٧٦ هـ
الساحل	تاروت	١٣٧٩ هـ
الخوارزمي	صفوى	١٣٨٦ هـ
موسى بن نصير	سيهات	١٣٨٧ هـ
عنك	عنك	١٣٨٩ هـ
المحدثة	حلة محيش	
أم الحمام	أم الحمام	
أم الساهك	أم الساهك	١٣٨٩ هـ
الجارودية	الجارودية	١٣٩٠ هـ

اسم المدرسة	الموقع	تاريخ الافتتاح
الجش	الجش	١٣٩١ هـ
سعيد بن المسيب	القديح	١٣٩١ هـ
الأوجام	الأوجام	١٣٩٦ هـ
الخويلدية	الخويلدية	١٣٩٨ هـ
ابن كثير	مدينة القطيف	١٣٩٨ هـ
النموذجية	مدينة القطيف	
النموذجية	صفوى	
الخليل بن أحمد	تاروت	١٣٩٩ هـ
التوبي	التوبي	١٣٩٩ هـ
سنابس	سنابس	
محمد بن سلمة	القديح	١٤٠٠ هـ

المدارس الثانوية للبنين:

اسم المدرسة	الموقع	تاريخ الافتتاح
القطيف	مدينة القطيف	١٣٨٨ هـ
سيهات	سيهات	١٣٩٤ هـ
صفوى	صفوى	١٣٩٥ هـ
تاروت	تاروت	١٣٩٧ هـ
القديح	القديح	
العوامية	العوامية	١٣٩٨ هـ
أم الحمام	أم الحمام	١٤٠٠ هـ

المدارس الابتدائية للبنات:

اسم البلدة	عدد المدارس	تاريخ الافتتاح
صفوى	١١	١٣٨٢ هـ
القطيف	١٢	١٣٨٣ هـ
العوامية	٤	١٣٨٣ هـ

اسم البلدة	عدد المدارس	تاريخ الافتتاح
دارين	١	١٣٨٣ هـ
تاروت	٣	١٣٨٦ هـ
سيهات	٧	١٣٨٧ هـ
أم الحمام	٣	١٣٨٨ هـ
القديح	٦	١٣٩١ هـ
الجش	١	١٣٩١ هـ
البحاري	٢	
الجارودية	٢	١٣٩٢ هـ
سنابس	٣	١٣٩٣ هـ
الخويلدية	٢	١٣٩٤ هـ
حلة محيش	١	١٣٩٤ هـ
التوبي	١	١٣٩٥ هـ
الملاحة	٢	١٣٩٦ هـ
الربيعية	٢	١٣٩٦ هـ

المدارس المتوسطة للبنات:

اسم البلدة	عدد المدارس	تاريخ الافتتاح
القطيف	٣	١٣٨٥ هـ
صفوى	٥	١٣٩١ هـ
دارين	١	١٣٩٢ هـ
سيهات	٢	١٣٩٣ هـ
القديح	٥	١٣٩٥ هـ
عنك	١	١٣٩٧ هـ
العوامية	٢	١٣٩٨ هـ
الخويلدية	٢	
الجارودية	٢	
تاروت	١	١٣٩٨ هـ
سنابس	١	١٣٩٨ هـ

اسم البلدة	عدد المدارس	تاريخ الافتتاح
أم الحمام	٢	١٣٩٩ هـ
الجش	٢	١٤٠٠ هـ
التوبي	٢	
الحلة	١	
أم الساهك	٢	

المدارس الثانوية للبنات:

اسم البلد	عدد المدارس	تاريخ الافتتاح
عنك	١	١٣٩٧ هـ
تاروت	٢	
القديح	٢	١٣٩٨ هـ
العوامية	٢	
أم الحمام	٢	
القطيف	٤	
الجش	٢	
الأوجام	١	
الجارودية	١	
الخويلدية	١	
صفوى	٣	
الملاحة	١	
أم الساهك	٢	
الحلة	١	
التوبي[1]	١	

(١) للمزيد من المعرفة راجع مجلة الفصحى، العدد الثاني لعام ١٤٢٠هـ. حيث إن هذه المدارس تشمل قطاع البنين والبنات فتأمل.

خطيبات القطيف أنموذج آخر:

كما أن القطيف حضيت بكثير من الخطيبات اللاتي ساهمن في رفع عجلة الوعي والحفاظ على موروثنا العقائدي والتربوي والديني والاجتماعي، وساهمن في الحركة الإنمائية الوطنية، منهن من تلقت تعليمها ضمن الحلقات العلمية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت في بيوت الكتاتيب والعلماء، ومنهن من تخرجت على يد أستاذة في الخطابة المنبرية، وهن يتوزعن على أحياء منطقة القطيف الكثيرة. وهن كما يلي:

١ـ الخطيبة مريم بنة مهدي آل عمار.
٢ـ الخطيبة طياب بنة سلمان العباس.
٣ـ الخطيبة وداد بنة مبارك العباس.
٤ـ الخطيبة معصومة بنة السيد علي.
٥ـ الخطيبة معصومة بنة مكي الدبيسي.
٦ـ الخطيبة شيخة بنة محمود الشيوخ.
٧ـ الخطيبة نجاح آل إبراهيم.
٨ـ الخطيبة خديجة بنة صالح آل عمار.
٩ـ الخطيبة مريم بنة الشيخ علي بن الشيخ منصور المرهون.
١٠ـ الخطيبة عطاء الدهان.
١١ـ الخطيبة بتول الشبركة.
١٢ـ الخطيبة خاتون دعبل.
١٣ـ الخطيبة معصومة بنة أحمد الراهب.
١٤ـ الخطيبة رباب آل سيف.
١٥ـ الخطيبة أم السيد حسين بنة المرحوم الشيخ فرج العمران القطيفي.

١٦ـ الخطيبة أم نادر بنة المرحوم الشيخ فرج العمران القطيفي.
١٧ـ الخطيبة أم ميثم البحراني.
١٨ـ الخطيبة بلقيس بنة السيد علي الخباز.
١٩ـ الخطيبة خاتون آل خميس.
٢٠ـ الخطيبة معصومة آل ربيع أم شاكر.
٢١ـ الخطيبة أم زكي السنان.
٢٢ـ الخطيبة مريم الشرفاء.
٢٣ـ الخطيبة أمامة بنة محمد الربابي.
٢٤ـ الخطيبة علوية بنة السيد صالح الهاشم.
٢٥ـ الخطيبة خديجة بنة عبداللّٰه آل حمدون.
٢٦ـ الخطيبة فاطمة بنة سلمان آل خلف.
٢٧ـ الخطيبة حميدة بنة إبراهيم الخطي.
٢٨ـ الخطيبة فاطمة بنة سعيد بنت عبد الرضا.

وهناك الكثيرات منهن من لم يسعفنا الوقت لإحصائهن، وبعضهن ذكرناهن في الفصول الخاصة بمناطقهن فراجع.

أطباء القطيف أنموذج آخر:

يعود تاريخ هذا الفن في القطيف لما قبل آلاف السنين التي منذ أن وجدت القطيف على هذه الأرض واحتضنت هذا التراب الطيب، فتاريخ الشعوب التي استوطنتها تدل على براعة أهلها وشهرتهم في هذا الفن، بالخصوص في طب الأعشاب المسمى اليوم بـ(الطب البديل) الذي يعد اليوم من أشهر العلاجات في العالم الغربي.

لقد عرفت القطيف وخلال حقبات زمنية متباعدة ـ لا يسع المجال لذكره هنا إلا على سبيل الإيجاز، كما سوف نفرد لها كتاباً خاصاً في

المستقبل القريب- شخصيات برعت في هذا الفن فالشيخ محمد بن ناصر آل نمر العوامي ﵀) الذي يعتبر أحد شخصيات الطب البديل في القطيف قبل مائة عام تقريباً تمكن من إعطاء علاجات متميزة لبعض الأمراض الشائعة في ذلك الزمان، فقد تحدث عن طرق علاجاته المتميزة الآباء والأمهات بأمر يصل في بعض الأحيان إلى الاستغراب، إذ كانت خبرته الطبية عن دراسة ودراية،فقد درسها خمسة عشر سنة في العراق على يد أستاذه الميرزا خليل الطهراني ﵀ الذي عرف ببراعته الطبيبة في ذلك الوقت، إذ كانت له مدرسة مستقلة تدرس الطب البديل في العراق.. فقد تحدثنا عن بعضها في كتبانا العوامية مجد وأعلام فراجع.

أما الحاج الشيخ مهنا أبو السعود ﵀ والذي تمرس في معرفة الأمراض النفسية والبدنية، وتمكن من إعطاء علاج لكل مرض، حتى إنه كان يعرف مرض المريض بمجرد جس النبط، كما هو حاصل اليوم في بعض المدارس الطبية في أوربا من معرفة مرض المريض بمجرد اللمس، أو النظر، فقد اطلعت مؤخراً على بعض المعلومات التي تؤكد هذه الحقيقة.

فقد جاء في مجلة العلوم والثقافة، العدد الثاني تحت عنوان (العلاج بالطاقة الحيوية يبعث الأمل للمرضى): تتجه الكثير من المدارس الطبيية نحو العلاج البديل، وبإمكان هذا النوع من الطب أن يعالج الأمراض المستعصية على الطب العادي، وقد انتشر هذا النوع من الطب بعد محاولة دكتورة أمريكية -أسلمت سابقاً- بمعالجة الأمراض الجسمانية، وفي أحيان كثيرة لا تلجأ إلى الأعشاب، بل تكتفي بالعمل مع المرضى لمساعدتهم على شفاء أمراضهم بأنفسهم، وهي تعتقد بأن معظم الأمراض ذات منشأ نفساني، وخلال عملها طورت قواها الداخلية وأصبحت تستطيع كشف الأمراض من خلال مصافحة

المرضى!وتستطيع كشف الأمراض بواسطة السمع واللمس والكلام،ومن خلال رائحة المريض نفسه فلكل مرض رائحة خاصة يعكسها من خلال جسم المريض..[١].وهذا العلاج يعتبر اليوم من الشهرة بمكان بعد أن تخلينا عنه وسخرنا منه! فكان ﷺ يمارس هذه العلاجات بمجرد جس النبض بيده، فقد نقل عنه أنه أُصيب بمرض أقعده على الفرش، ونصحه بعض الأصدقاء بالذهاب إلى الهند للعلاج، وعندما وصل إلى المستشفى المخصص لعلاجه، دخل على الطبيب المعين، وبعد أن كشف عليه، أخبر المرافق بأنه يموت بعد ساعات، عاد المرفق إلى الغرفة فسأله ماذا أخبرك الطبيب؟

قال: لا شي.

قال له: أخبر بحق الرفقة التي جمعتنا.

قال له المرافق: إن الطبيب يقول: إنك تموت بعد ساعات، ضحك وقال: إنه هو الذي يموت بعد ساعات وليس أنا!

فعلاً بعد ساعات أُعلن خبر وفاة الطبيب!

قالوا له: كيف عرفت ذلك؟

قال: عندما جس نبضي ليعرف مرضي اكتشفت من خلال نبضه، إنه لا يعيش، سوف يموت بعد ساعات!

عندها تلقى العلاج اللازم وعاد إلى وطنه بالسلامة.

كما أن في أغلب مناطق القطيف أناسٌ متخصصون بعلاجات الطب البديل (الأعشاب، والعلاجات الطبيعية) فبعضهم على معرفة كبيرة بأنواع الأمراض العضوية كالرضوض، والكسور، والقولنج،

---

(١) مجلة العلوم والثقافة، العدد الثاني.

والأمراض الأُخرى التي كانت شائعة في ذلك الوقت، والتي تمكن الأهالي من معالجتها معالجة دقيقة ، ذكرنا بعض شخصيات هذا الفن في الفصول الخاصة بالمناطق فراجع.

الطب الشعبي في القطيف:

حظيت القطيف بمجموعة كبيرة من العارفين بمبادئ الطب الشعبي القديم، فقد مارسها الآباء والأجداد مستفيدين من الطب العربي ومن كتب الطب القديمة كالطب النبوي وتذكرة السويدي، وطب الأئمة عليهم السلام وتذكرة داود الأنطاكي ومدرسة الإمام النمر والشيخ المهنا وغيرهما، فكان لرجالها يد في نشأته وتطوره ومبادئه التي اعتمدت بدرجة أولى على التداوي بالقرآن الكريم وبث روح الطمأنينة في نفسية المريض، فوجد بها أمهر الأطباء وأحذقهم في زمانه الإمام الشيخ محمد بن نمر العوامي ﷺ الذي جعل من حوزته العلمية في العوامية والقديح والقطيف مشفى يداوي فيه المرضى[1].

كما أن القطيف الأم حضت كذلك بعدد من أعلام الطب الشعبي منهم:

١- الحاج إبراهيم بن عبدالله الجامع:

الذي يعد من أشهر عطاري المنطقة، فقد زاول هذه المهنة منذ صغره، واستفاد من زياراته التي قام بها إلى كثير من بلدان العالم الذي عرف باهتمامه بهذا الفن كالهند والصين وغيرهما، كما أنه يجيد صناعة الدواء الشعبي المكون من الأعشاب، والمساحيق والمراهم والبخور

(١) لمزيد من المعرفة راجع كتابنا العوامية مجد وأعلام ص٢٤٢

واللبان وغيرها.

توفي في القطيف وخلفه ابنه في فن هذا العلم، له صيدلية شعبية توفر أنواع النباتات والأعشاب.

٢- الشيخ مهنا أبو السعود:

من أشهر أعلام هذه الفن في الخليج يعد الشيخ من أعلام الدين وأعلام الطب الشعبي؛فقد درس علوم الشريعة والطب على أمهر العلماء في عصره، فكان يمارس مهنته كعالم وطبيب أيضا، نقل عنه الآباء والأمهات بعض طرق العلاجية وكيف كان يكتشف الداء بمجرد النظر إلى وجهة المريض ما يبهر العقول؟!

توفي في القطيف ودفن بها.

٣- زاهر بن علي بن أحمد آل زاهر:

شخصية بارزة لها مكانتها الاجتماعية والإيمانية والأخلاقية، ولد بالعوامية وبها نشأ، تلقى تربيته في الطب القديم على يد الإمام الشيخ محمد بن نمر العوامي ﵀ نبغ في معرفة طرق علاج الكسور وتجبيرها، وتركيب الأدوية النباتية والعشبية وفوائدها.

توفي في العوامية عام ١٣٩٩هـ[١].

٤- محمد صالح الصفار:

طبيب له معرفة بعلم الفلك وله مصنف في هذا الفن، وكما أنه

---

(١) راجع المصدر السابق ص ٢٤٢

من العارفين بطرق العلاجات النباتية والعشبية وخصائصها ومفردتها، وهو أول من استخدم المعالجة بحمامات البخار لأمراض الزكام وتكاثر البلغم، وإذابة الشحوم، فقد تعجب من صنعه هذا أحد الأطباء الأكاديميين في إيران، عندما عجز عن معالجة البلغم الذي كتم على أنفاس مريضه، فعالجه الحاج محمد الصفار بهذا العلاج الشعبي القديم!

توفي في القطيف ودفن في مقبرة تاروت.

ومنهم أيضا:

١ـ الحاج سليمان المسلم.
٢ـ الحاجة أم عبدالجبار محمد حسين.
٣ـ الحاج ناصر بن أحمد الغزوي.
٤ـ الحاج عبدالله بن علي آل ربح.
٥ـ الحاج محمد بن إبراهيم المنيدي.
٦ـ الحاج حسين بن محمد بن علي الغاوي.
٧ـ الحاجة حبيبة خليفة الصالح.
٨ـالحاجة زينب الهاشمي.

كما ذكرنا بعض تراجم المتخصصين بهذا الفن في منطقتنا في الفصول الخاصة بكل منطقة من مناطق القطيف الأم فراجع.

الطب الأكاديمي في القطيف:

وأغلب الظن أول طبيب أكاديمي في القطيف الأُم الطبيب حسن البريكي، أحد رجالات هذا الفن، وهو من الاستشاريين في الجراحة العامة، تخرج في المدارس الحكومية، ثم التحق بالجامعات الغربية، وعاد إلى وطنه يمارس مهنته في عدة مستشفيات منها: مستشفى الملك فهد

بالخبر، وبعد عدة سنوات من خدمته أحيل على التقاعد وفتح له مجمعاً طبياً في القطيف. و حظيت القطيف في ما بعد بعدد كبير من المتهنين مهنة الطب البشري من كلا الجنسين رجالا ونساء، وأغلبهم من حملة الشهادات العليا تلقوا تعليمهم في دول غربية وعربية مدة من الزمن وعادوا إلى وطنهم يمارسون أدوارهم العلمية والإنسانية، يعمل بعضهم في القطاعات الحكومية والبعض الآخر في القطاعات الأهلية والشركات، إليك بعض أسماء أطباء وطبيبات القطيف الأم دون الملحقات، فقد ذكرنا غيرهم في الفصول الخاصة بالمناطق الأخرى.. وهم:

١ـ الطبيب عادل الخطي.
٢ـ الطبيب ماجد العوامي.
٣ـ الطبيب وديع الخنيزي.
٤ـ الطبيب باقر العوامي.
٥ـ الطبيب حسين شعبان.
٦ـ الطبيب محمد المعتوق.
٧ـ الطبيب محمد الجشي.
٨ـ الطبيب جمال السعيد.
٩ـ الطبيب عبدالواحد السعيد.
١٠ـ الطبيب حسين العيسى.
١١ـ الطبيب عيسى العقيلي.
١٢ـ الطبيب حسن الخواهر.
١٣ـ الطبيب سمير المعيلو.
١٤ـ الطبيب فيصل الزاير.
١٥ـ الطبيب كمال الزاير.

١٦ـ الطبيب غازي القطري.
١٧ـ الطبيب ناصر الخاطر.
١٨ـ الطبيب أنور السنان.
١٩ـ الطبيب عادل السنان.
٢٠ـ الطبيب عبد الإله الخميس.
٢١ـ الطبيب حسين العبكري.
٢٢ـ الطبيب عبدالعزيز الغزوي.
٢٣ـ الطبيب عبد الأمير السيف.
٢٤ـ الطبيب حسين بن جواد.
٢٥ـ الطبيب عباس علوي القصاب.
٢٦ـ الطبيب قاسم الدولة.
٢٧ـ الطبيب فؤاد الكواي.
٢٨ـ الطبيب سائد الحبيب.
٢٩ـ الطبيب حسام الحبيب.
٣٠ـ الطبيب شكري السيف.
٣١ـ الطبيب ماجد العوامي.
٣٢ـ الطبيب أحمد حسن سالم.
٣٣ـ الطبيب حسين أبو سرير.
٣٤ـ الطبيب زكي نصرالله.
٣٥ـ الطبيب أسامة حسين السيف.
٣٦ـ الطبيب عبد الرزاق السيف.
٣٧ـ الطبيب أمين أبو الرحي.
٣٨ـ الطبيب سعيد الجشي.
٣٩ـ الطبيب محمد المبارك.

٤٠ـ الطبيب علي شروفنا.
٤١ـ الطبيب عبد الرزاق المحفوظ.
٤٢ـ الطبيب علي الجامع.
٤٣ـ الطبيب عبدالعزيز الجامع.
٤٤ـ الطبيب عبدالجبار التاروتي.
٤٥ـ الطبيب رضا آل كاظم.
٤٦ـ الطبيب ميرزا الجامد.
٤٧ـ الطبيب عبدالله الملا.
٤٨ـ الطبيب جمال اليوسف.
٤٩ـ الطبيبة سوسن عبدالله عبدالحي.
٥٠ـ الطبيبة فائزة سعيد الجشي.
٥١ـ الطبيبة ضياء ناجي الحجاج.
٥٢ـ الطبيبة مي الدعبل.
٥٣ـ الطبيبة ليلى الجارودي.
٥٤ـ الطبيبة حنان تمبل.
٥٥ـ الطبيبة فائزة شروفنا.
٥٦ـ الطبيبة عطية الحوري.
٥٧ـ الطبيبة عاليا الحجاج.
٥٨ـ الطبيبة كوثر العمران.
٥٩ـ الطبيبة جميلة علي الفارس.
٦٠ـ الطبيبة ليلى الجشي.
٦١ـ الطبيبة أمل الزاير.
٦٢ـ الطبيبة سعاد الزاير.
٦٣ـ الطبيبة إلهام الزاير.

٦٤ـ الطبيبة هدى الصناع.

٦٥ـ الطبيبة غادة الصناع.

٦٦ـ الطبيبة نوارة الصناع.

٦٧ـ الطبيبة فاطمة منصور الشماسي.

٦٨ـ الطبيبة حنان الغريافي.

٦٩ـ الطبيبة زهراء المرهون.

٧٠ـ الطبيبة أمل ماجد العوامي.

٧١ـ الطبيبة فتحية علي البيش.

٧٢ـ الطبيبة سعاد علي البيش.

٧٣ـ الطبيبة نضال الجشي.

٧٤ـ الطبيبة حياة الجمعة.

٧٥ـ الطبيبة نهاد عبدالكريم الجشي.

٧٦ـ الطبيبة هدى عبدالكريم الجشي.

٧٧ـ الطبيبة أحلام عبدالكريم القطري.

٧٨ـ الطبيبة منى عبدالله القطري.

٧٩ـ الطبيبة يسرى ضياء العوامي.

٨٠ـ الطبيبة أمل العوامي.

٨١ـ الطبيبة ساهرة السنان.

٨٢ـ الطبيبة امتثال أحمد الجشي.

٨٣ـ الطبيبة خديجة الربيعان.

٨٤ـ الطبيبة أمل الصناع.

٨٥ـ شيخة الشويخات.

٨٦ـ الطبيبة ابتسام الجشي.

٨٧ـ الطبيبة فائزة الغانم.

٨٨ـ الطبيبة إيمان السلمان.

٨٩ـ الطبيبة غالية الناصر.

٩٠ـ الطبيبة رائدة اليوسف.

٩١ـ الطبيبة هدى الرمضان.

٩٢ـ الطبيبة زينب القديحي.

٩٣ـ الطبيبة سكينة الشيخ.

٩٤ـ الطبيبة غادة الشماسي.

٩٥ـ الطبيبة منى السيهاتي.

وهناك الكثير منهن ترجمنا لهن في الصفحات الخاصة بمناطقهن، وبعضهن لم نستطع العثور على أسمائهن.

الحركة التشكيلية في القطيف:

يعود تاريخ مسيرة الحركة التشكيلية في القطيف،إلى تاريخ القرار الصادرمن الجهات المسؤولة من عام ١٩٨٥م بإنشاء لجنة خاصة تُعنى بالعلوم التشكيلية في القطيف، حيث قامت هذه اللجنة بعناية فائقة لصقل المواهب والإبداعات والكفاءات الشابة،التي نتج عنها في ما بعد اللجنة الفنية للعلوم التشكيلية في القطيف اليوم، وكان لجمعية الفنانات بالدمام دور بارز أيضاً في تنمية هذا الحس الفني في منطقة القطيف، نقد ساهم بشكل كبير في تعليم مجوعات مختلفة من الفتيات على فترات متباعدة من الزمن، حيث خرج عدداً كبيراً منهن، ثم قامت اللجنة الخيرية للخدمات الاجتماعية بإتاحة الفرصة، عن طريق إنشاء المؤتمرات والندوات، وفتح أبواب الدوارات التعليمية لصقل المواهب الشبابية أمام الأهالي، فكان أول مرسم أقيم عام ١٣٩٦هـ للفنان حسين القطري فهو صاحب أول معرض شخصي أقيم في القطيف، وتلاه بعد

ذلك معرض الفنان علي الصفار عام ١٣٩٩هـ وكذلك المعرض الثنائي للفنانين صلاح الجشي، ومنير الحجي وكان عام ١٤٠٥هـ.

وقد كان لوجود أخصائيات للفنون في المنطقة الدور الكبير الذي أهل العديد من القطاع النسوي من تفجير مواهبهن في القطيف، فقد أتاحت اللجان في مركز الخدمة الاجتماعية الفرصة للعديد من الفتيات بالمشاركة في الدوارات التي أقيمت على أرضها، فكانت الدورة الأولى بها ما يقارب من (٣٨) فتاة موهوبة أصبحن في ما بعد من الفنانات المتميزات، وكان ذلك مع بداية عام ١٤٠٤هـ.

بالإضافة إلى أن مركز الحركة التشكيلية في القطيف، اهتم بالجانب التراثي والذي ظهر في تفجير مواهب وكفاءات الفتيات والشبان، عن طريق المعسكرات وعقد المؤتمرات والندوات الفنية، فقد أتاح أيضا المجال لفن الأشغال اليدوية دوراً كبيراً، فبرزت على صعيد هذه الساحة الفنية الفنانة لجيبة العوامي التي أقامت عدة معارض شخصية للأشغال اليدوية، وكان أول مشغل عام ١٤١٣هـ، حيث برزت فيها قدراتها ومواهبها وإبداعاتها الفنية.

كما أن للمراسم الفنية دواراً كبيراً، منها مرسم نادي النور بجزيرة تاروت السنابس الذي افتتح عدة دوارات تدريبية، وأقام عدة معسكرات وندوات تأهيلية لصقل المواهب والإبداعات في الجيل الشبابي، فقد أنشئ أول مرسم عام ١٩٨٤م حيث شارك في هذه الدوارات العديد من الموهوبين من جيل الشباب.

كما كان لمرسم نادي مضر بالقديح والذي أنشئ عام ١٩٩٢م دور كبير، فقد أقام لجاناً تهتم بالجيل الشبابي، وخرج عدداً لا بأس به من

الفنانين الموهوبين. بالإضافة إلى مراسم النوادي الرياضية في المنطقة، والتي تعتبر معقلاً غنياً لاكتشاف الموهوبين والموهوبات في المنطقة؛ فكان من أبرزهم:

١- الفنان علي الصفار التاروتي:

أحد أساتذة الفن التشكيلي في المنطقة، يحمل شهادة دبلوم علوم تربية فنية من الكلية المتوسطة بالرياض عام ١٣٩٨هـ،كما أنه من المؤسسين لجان العلوم التشكيلية في القطيف وهو:

- عضو ومؤسس جماعة عش تاروت.
- عضو ومؤسس جماعة الفنون التشكيلية بالقطيف.
- عضو جمعية الفن المعاصر بالبحرين.
- عضو رابطة الآداب والفنون حول العالم سيئول، كوريا.
- رئيس جماعة الفنون التشكيلية بالقطيف سابقاً.

المشاركات:

- مشاركات مختلفة داخل المملكة وخارجها.
- المهرجانات المئوية بالشرقية.
- مهرجان الطفل بالشرقية ـ الشؤون الاجتماعية ـ الأمسيات والدورات
- مصمم شعارات، وأغلفة كتب ـ مقيم دورات فنية ـ منسق معارض أطفال وفنون تشكيلية.

المعارض الشخصية:

أقام ١٤ معرضاً شخصياً وثنائياً بالمملكة: الدمام، الخبر، القطيف، البحرين، جدة، الرياض، المدينة المنورة، ٢٧ معرض أطفال.

الجوائز:

الملون الذهبي، من وحي البيئة السعودية الجائزة الأولى، إبداع السابعة، جمعية الفنون بالأحساء الرابعة، ٢٧٠ لوحة اقتناء في العديد من الدول العربية والأجنبية، ٣٠ لوحة اقتناء للشيخ عبد الرؤوف خليل. وله مرسم دائم لأعماله الخاصة بالقطيف.

٢- الفنان: عبد العظيم محمد شلي:

أحد أساتذة الفن التشكيلي في المنطقة، من مواليد جزيرة تاروت عام ١٣٨٠هـ، أنهى دراسته المتوسطة فيها، ثم التحق بمعهد الفنون التشكيلية بالرياض، وتخرج منه عام ١٤٠٢هـ، وهو أحد الأعضاء البارزين لجمعية الفنانين بالمنطقة الشرقية ومدينة القطيف، قال عنه النقاد: تتمتع أعماله بروح شفافة تحمل المتلقي إلى ساحات تمتزج فيها المناهج في عمل واحد أحياناً، وتفترق في عمل أُخرى، وتنقل به من السريانية غير المفرقة في التغريب إلى الانطباعية الممزوجة بالإشراق الرؤوي إلى الخيال مستخدما موجات من الألوان المتألقة..[1].

المشاركات:

- معارض جماعة الفنون التشكيلية بمركز الخدمة الاجتماعية في المملكة.
- معارض نادي الهدى بتاروت.
- مشاركة بنادي النور معرض جماعي.
- معارض رعاية الشباب بالمملكة.
- المعرض الجماعي الأول لجماعة عشتاروت القطيف ـ جدة.

---

(١) الحركة التشكيلية في الشرقية، ص ٩٣.

- معارض المعلمين بالشرقية و الرياض.
- معارض متفرقة في السعودية.

الجوائز:

- جائزة تشجيعية في معرض المسابقة الأولى.
- الجائزة الرابعة في معرض المسابقة الثاني لرعاية الشباب.
- الجائزة الأولى في المسابقة الثالثة لرعاية الشباب.
- حاصل على العديد من الجوائز وشهادات تقديرية وميداليات من جهات متفرقة

٣- الفنان رشاد الفضل:

من مواليد عام ١٣٨٣ هـ.له عدة مشاركات فنية من هذه المشاركات:

- عدة مشاركات على صالة الخدمة الاجتماعية بالقطيف.
- عدة مشاركات بمعارض رعاية الشباب بالدمام.
- عدة مشاركات بمعارض أسواق الراشد بالخبر.
- مشاركة بالمعرض الجماعي بمجمع الجمعة ستي سنتر بالخبر.

الجوائز:

عدة جوائز وشهادات تقديرية من عدة أماكن متفرقة.

٤- الفنانة خاتون عبدالعلي الجشي:

المؤهل الدراسي: بكالوريوس عمارة وتخطيط، من أوائل الفنانات التشكيليات في المنطقة.

التحقت بعدة دوارات تدريبية منها: دورة في الكولاج عند

الفنانة منيرة الموصلي، والرسم على الحرير مع الفنانة آمنة عبدالله، ودورة في الرسم الزيتي والمائي والأكرليك مع الفنانة سهى الجوهري.

المكتب أو النادي أو فرع الجمعية التابعة له:

كما أنها من أعضاء جماعة الفنون التشكيلية بمركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.

المعارض والمسابقات التي شاركت فيها الفنانة:

- معارض رعاية الشباب بالقطيف و الدمام والرياض.
- معارض مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.
- معرض فنانات الشرقية بالدمام ١٤١٣هـ.
- معرض فنانات المملكة بجدة عام ١٤١٥هـ.
- معرض التراث بالجنادرية في الرياض عام ١٤١٥هـ.
- المعرض الجماعي لفنانات الشرقية بالرياض عام ١٤١٥هـ.

الجوائز الحاصلة عليها الفنانة:

عدة جوائز وشهادات تقديرية من رعاية الشباب.

٥- الفنانة سوسن الحمالي:

متخصصة في اللغة العربية تعمل في إدارة التعليم في قطاع التدريس والتربية، التحقت بعدة دورات تدريبية، كما أنها حاصلة على دورة في الرسم الزيتي والرسم على الزجاج.

وهي عضوة في جماعة الفنون التشكيلية بمركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.

المعارض والمسابقات التي شاركت فيها الفنانة:

- معارض رعاية الشباب بالقطيف و الدمام والرياض.
- معارض مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.
- معرض فنانات الشرقية بالدمام ١٤١٣هـ.
- معرض الفنانات السعوديات بجدة.
- معرض الفنون التشكيلية بالمنطقة الشرقية / شركة الزيت العربية المحدودة الخفجي.
- المعرض الدوري للفنون التشكيلية لفناني مجلس التعاون لدول الخليج العربية الشارقة.
- معرض مهرجان الجنادرية.
- معرض المسابقة الكبرى.

الجوائز الحاصلة عليها الفنانة:

عدة جوائز وشهادات تقديرية.

منها: جائزة تقديرية من المعرض الدوري للفنون التشكيلية لفناني مجلس التعاون لدول الخليج العربية / الشارقة.

٦- الفنان منير منصور الحجي:

من مواليد القطيف، يعمل في وزارة التعليم والتربية كمدرس تربية فنية، حاصل على شهادة بكالوريوس خدمة اجتماعية، كما أنه عضو مؤسس جماعة الفنون التشكيلية، وعضو جمعية الفن المعاصر البحرين.

المشاركات:

- معارض جماعة الفنون التشكيلية بالقطيف.
- معارض جماعة عش تاروت بالقطيف وجدة.

- معارض جامعة الملك فيصل بالأحساء والدمام والرياض ودول مجلس التعاون الخليجي.
- معارض إدارة التعليم بالشرقية.
- معارض الأندية المحلية.

المعارض الشخصية:

- أقام العديد من المعارض الفردية والثنائية مع الفنان علي الصفار، والفنان صلاح الجشي.
- معارض في أمريكا، بريطانيا، البحرين.
- تنظيم عدد كبير من المعارض.
- تصميم مجسم جمالي في القطيف.
- له معرض دائم في جامعة فلوردا بأمريكا.

الجوائز:

- العديد من شهادات التقدير والميداليات والدروع.
- عدد ٣٢ لوحة اقتناء في الأحساء، الدمام، الجبيل، أمريكا، لندن، وله أكثر من ٤٠ ألف بوستر.
- الجائزة الأولى: ٤ مرات على التوالي، جامعة الملك فيصل ١٤٠٣هـ ـ ١٤٠٧هـ:
- الجائزة الثانية، معرض جامعات الخليج بالإمارات ١٤٠٦هـ.
- الجائزة الثانية، معرض جامعات المملكة بالظهران ١٤٠٧هـ.
- طبعت لوحاته بأحجام مختلفة وموزعة دولياً.

٧- الفنان محمد هلال الحمران:

من مواليد ١٣٨٩هـ القطيف، التحق بالمدارس الأكاديمية وتخرج

منها، ثم التحق بدوارات تدريبية فنية حتى صقل موهبته الفنية، يعمل حالياً موظفاً في شركة دلمون للكيماويات، وسكرتير جماعة نادي شباب المركز، وهو عضو جماعة الفنون التشكيلية بمركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف

المشاركات:

- شارك في عدة معارض جماعية في المملكة.
- شهادة شكر وتقدير من المعرض الثاني للفنون التشكيلية الخاص بالمكتب الرئيسي بالمنطقة الشرقية لرعاية الشباب.
- شهادة تقدير للمشاركة في معرض التصوير الضوئي بنادي النور قسم النشاط الثقافي.
- المشاركة في معرض فناني تاروت عام ١٤١٢هـ.
- معرض المسابقة الأولى للفنون التشكيلية الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالقطيف عام ١٤١٣هـ.
- المشاركة في معرض مجمع الجمعة ستي سنتر بالخبر ١٤٢٠هـ.
- المشاركة في معرض أسبوع العمل الاجتماعي لمركز الخدمة الاجتماعية بالغرفة التجارية بالدمام ١٤٢٠ هـ.
- حاصل على عدة شهادات تقدير من عدة معارض متفرقة.
- اشترك في تنظيم بعض المعارض في منطقة القطيف.
- دورة في مجال الرسم الزيتي والرصاص عام ١٤١٢هـ.
- زار العديد من المعارض الداخلية والخليجية وبعض الدول العربية.

٨- الفنان محمد يوسف السيهاتي:

مؤهله العلمي بكالوريوس اجتماعيات، يعتبر أحد الفنانين التشكيليين الذين يشار إليهم بالبنان، قام بعدة معارض شخصية منها:

معرض شخصي بجامعة الكويت عام ١٩٩٦م.

المشاركات:

- معارض رعاية الشباب بالقطيف و الدمام.
- معرض المقتنيات بالرياض.
- معارض جماعية بالكويت.
- معرض الأندلسية بأسبانية.
- معرض الأسبوع الثقافي بالقاهرة.
- معرض جامعات الخليج بالظهران.

٩- الفنانة مهدية علي جواد آل طالب:

إحدى الفنانات التشكيليات الشهيرات في المنطقة، التحق بالمدارس الأكاديمية ولم تنهِ مراحلها العلمية، ثم التحقت بالمعهد الفني في المنطقة فصقلت موهبتها الفنية، قامت بعدة دوارة تدريبية منها: دورات في التصوير الزيتي و غيره في مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.

المكتب أو النادي أو فرع الجمعية التابعة له:

وهي عضوة في جماعة الفنون التشكيلية بمركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف

المعارض والمسابقات التي شاركت فيها الفنانة:

- معارض الفنانات التشكيليات بالقطيف ١٤١٦هـ، ١٤١٧هـ، ١٤١٩هـ.
- معارض رعاية الشباب بالقطيف و الدمام.
- معارض مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.
- معارض جمعية الثقافة والفنون بالدمام و الرياض.
- معارض القطاع الطبي الثاني والثالث.

الجوائز الحاصلة عليها الفنانة:

عدة جوائز وشهادات تقديرية وميداليات مـن عـدة معـارض مـن داخل وخارج المملكة.

١٠- الفنانة خلود آل سالم:

من الموهوبات فنياً، التحقت بالمدارس الأكاديمية وأنهت مراحلها، ثم التحقت بدورات التعليم التشكيلي في المنطقة، ومن هذه الدوارت: دورات في التصوير الزيتي في مركز الخدمة الاجتماعية بـالقطيف و دورة في الرسم على الحرير بالمركز أيضاً.

المكتب أو النادي أو فرع الجمعية التابعة له:

عضـوة في جماعـة الفنـون التشـكيلية بمركـز الخدمـة الاجتماعيـة بالقطيف.

المعارض والمسابقات التي شاركت فيها الفنانة:

- معارض الفنانات التشكيليات بـالقطيف ١٤١٦هـ، ١٤١٧هـ، ١٤١٩هـ.
- معارض رعاية الشباب بالقطيف و الدمام والرياض.
- معارض مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.
- معرض فنانات الشرقية بالدمام ١٤١٣هـ.
- المعرض الجماعي الثاني والثالث للفنون التشـكيلية بـالقطيف ١٤١٨هـ - ١٤١٩.

الجوائز الحاصلة عليها الفنانة:

عدة جوائز وشهادات تقديرية من رعاية الشباب.

١١- الفنانة حميدة منصور السنان :

إحدى الموهوبات والمبدعات في عالم الفـن التشـكيلي في المنطقـة، برزت موهبتها عندما التحقت بمعهد الفنانين التشـكيليين في القطيـف، فتميزت على مثيلاتها في هذا الفن، فكان لها عدة مشاركات فعاله منها:

- مشاركة في معرض المسابقة الأولى الذي أقيـم عـام ١٤٠٧هـ في مدينة القطيف.
- المشاركة في معرض الرسم المقام بنادي السنابس بتاروت عام ١٤٠٩هـ.
- المشاركة بمعرض رعاية الشاب بالدمام عام ١٤١١هـ.
- المشاركة بمعرض الرسم المقام من أجـل غـزو الكويـت في عـام ١٤١١هـ بتاروت.
- معرض شخصي عام ١٤١٣هـ
- ومعرض شخصي آخر عام ١٤١٤هـ بمدينة جدة.
- المشاركة في معرض الفنانين القطيفيين المقام بجدة عام ١٤١٤هـ.

١٢- الفنانة ابتسام عبدالعظيم الجراش :

من مواليد القطيف، إحدى المتميزات في علم الفن التشكيلي بالمنطقة، لها مساهمات كثيرة بالخصوص في المعارض المقامة في القطيف والدمام.

١٣- الفنان محمد المصلي:

المؤهل العلمي: دبلوم تربية فنية، دبلوم الكلية المتوسـطة، عضـو مؤسس جماعة الفنون التشكيلية.

المشاركات :

- معارض جماعة الفنون التشكيلية بالمملكة.

- معارض رعاية الشباب بالمملكة.
- معارض الجمعية العربية السعودية بالمملكة.
- معارض المعلمين بالشرقية.
- معارض متفرقة في السعودية.
- الأسابيع الثقافية بالشرقية والرياض، الجنادرية.
- أقام معرضاً شخصياً بالخبر.

الجوائز:

حاصل على العديد من الجوائز وشهادات تقديرية وميداليات.

١٤- الفنان قصي العوامي:

من مواليد عام ١٣٨٩/٧/٢٧هـ.

المؤهل العلمي: بكالوريوس هندسة معمارية.

المشاركات:

- معارض رعاية الشباب بالقطيف والدمام.
- معارض مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.
- مسابقة الخطوط السعودية.
- معرض الفن السعودي المعاصر.

الجوائز:

- الجائزة الأولى للتفوق في التربية الفنية على مستوى المملكة للمدارس.
- جوائز وشهادات تقديرية من عدة معارض.

١٥- الفنان منير علي الحمدان:

من مواليد القطيف ـ القديح. يعمل في القطاع التعليمي في وزارة المعارف كمدرس تربية فنية ،و عضو جماعة الفنون التشكيلية بالقطيف ،و عضو جماعة التصوير الضوئي بالقطيف.

المشاركات:

- معارض جماعة الفنون التشكيلية والتصوير الضوئي بالقطيف، القطيف الدمام الخبر.
- معارض رعاية الشباب بالدمام.
- معارض إدارة التعليم بالشرقية.
- الاحتفالات والمهرجانات بالشرقية والرياض.

الجوائز:

جوائز ميداليات وشهادات تقدير من جهات متفرقة.

١٦- الفنان جعفر المرهون العوامي:

أحد الفنانين التشكيليين المبدعين في المنطقة من مواليد مدينة العوامية، يعمل حاليا كمدرس في القطاع التعليمي بوزارة المعارف في الدمام.كان مولعاً منذ طفولته بهواية الرسم، صقلها بعد تخرجه من معهد المعلمين بشهادة البكالوريوس في علوم التربية الفنية، له مشاركات فعالة منها:

- شارك في العديد من المعارض المقامة في الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
- شارك في المعارض المقامة في الدمام والرياض، كما أنه عضو في لجنة اتحاد الفنانين التشكيليين في القطيف.

١٧- الفنان سلطان القلاف التاروتي:

من مواليد تاروت عام ١٣٨٣هـ كان مولعاً منذ طفولته بالرسم، وظل يمارسه عندما التحق ببعض الفنانين كتلميذ لهم، كما أن للّجنان التي كونت في المنطقة دوارا بارزا في صقل مواهبه، له العديد من المساهمات لا سيما في حادث القديح الأليم.

١٨- الفنان عبدالله اللباد العوامي:

أحد المهتمين بالرسم لا سيما بالنحت على الأخشاب، وأغلب تشكيلاته الفنية يمارسها يدويا عن طريق النحت، قليل المشاركات في المعارض.

١٩- الفنان ميرزا الصالح الصفواني:

من مواليد مدينة صفوى تخرج من معهد التربية الفنية بالرياض عام ١٣٩٢هـ كمدرس للمادة التربية الفنية له عدة مساهمات فعالة منها:

- أحد المشرفين على اللجنة الفنية بنادي الصفا الرياضي بمدينة صفوى.
- شارك بالمعارض المقامة داخل المنطقة وخارجها.
- شارك في معارض الجمعيات الخيرية في المنطقة.
- عضو اللجنة الفنية التشكيلية في القطيف.

٢٠- الفنان نافع التحيفة العوامي:

من مواليد ١٣٨٦هـ أحد الفنانين التشكيليين المتميزين في المنطقة، له مواهب فنية كبيرة، صقلها عن طريق اللجان والمؤتمرات

الفنية التي تعقد بين الحين والآخر في المنطقة وخارجها، كما أن له مشاركات كثيرة، ويتميز بأنه يجمع بين الفن التشكيلي والمعرفة بأنواع الخطوط بالخصوص خط الثلث.

٢١- الفنان إبراهيم عبدالله آل هبوب التاروتي:

من مواليد تاروت عام ١٣٨٨هـ من أبرز الفنانين التشكيليين في المنطقة، أنهى دراسته الأكاديمية، ثم التحق بمعاهد التربية الفنية بالمنطقة الشرقية، له مشاركات فعالة داخل وخارج المملكة منها:

- معرض بمراسم بأبها عام ١٩٨٩م.
- معرض بمراسم رعاية الشباب بالدمام.
- معرض بمراسم نادي النور بتاروت.
- معرض الأصدقاء المقام بالرياض عام ١٩٩١م.
- معرض شباب دول الخليج المقام بالرياض عام ١٩٩١م. إلى غيرها من المعارض والمؤتمرات الفنية.

٢٣- الفنان فاضل أبو شومي:

من مواليد ١/ ٢/ ١٣٨٨هـ أحد الفنانين التشكيليين في المنطقة.

المؤهل العلمي: بكالوريوس تربية فنية.

المشاركات الداخلية:

- عدة مشاركات بالرياض - جامعة الملك سعود.
- حفر الباطن، وزارة الدفاع والطيران.
- عدة مشاركات على صالة الخدمة الاجتماعية بالقطيف.
- عدة مشاركات بمعارض رعاية الشباب بالدمام.

- عدة مشاركات بمعارض أسواق الراشد بالخبر.
- مشاركة بالمعرض الجماعي بمجمع الجمعة ستي سنتر بالخبر.

الجوائز:

عدة جوائز وشهادات تقديرية من أماكن متفرقة.

٢٣- الفنان حسن بن عبدالرسول الزاهر العوامي:

أحد الفنانين التشكيليين القديرين في المنطقة، له مشاركات كثيرة في أغلب المعارض التي تقام على صالات المعارض الخاصة للقطاع التعليمي في وزارة المعارف، والنوادي الرياضية، كما أنه من المتميزين الذين يتقنون الكتابة التشكيلية لعشرات الخطوط الإسلامية، حصل على عدة جوائز من القطاعات التعليمية والرياضية.

٢٤- الفنان حسين عبدالله المحسن:

من مواليد القطيف، طالب أعمال إدارية في البحرين حاصل على شهادة دراسات علوم إدارية ولغة إنجليزية من أمريكا. وهو عضو جماعة الفنون التشكيلية بالقطيف.

المشاركات:

- معرض رعاية الشباب بالقطيف والدمام.
- معارض جماعة الفنون التشكيلية بالقطيف.
- معرض الصيف بمركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.
- المعرض التشكيلي الخيري لكارثة القديح.

الجوائز:

شهادات من معارض مختلفة في مجال الفنون التشكيلية.

٢٥- الفنان علي بن حسن هويدي السيهاتي:

من مواليد مدينة سيهات عام ١٣٧٢هـ وأحد الفنانين القديرين، التحق بمعهد إعداد المعلمين بالدمام وتخرج منه عام ١٣٩٣هـ بشهادة تخصص فنون تشكيلية، وأقام في نفس العام معرضاً تشيكلياً حاز على إعجاب الكثيرين من أهل المعرفة والفن، وحصل فيه على الجائزة الثالثة عن لوحته الإبداعية التي جاءت تحت عنوان (طبيعة صامتة)، وبعدها بعام حاز على الجائزة الأولى في المعرض التشكيلي الذي أقامته لجنة الفنانين التشكيليين في الشرقية عن لوحته التي عنوانها بـ(الثلاثي المقدس).

كما أن الفنان الهويدي يمتلك تجربة قديمة تعود لعشرات السنوات من الممارسة الفنية في العلوم التشكيلية.

الجوائز الحاصل عليها:

- حصل على الجائزة الثالثة في عام ١٣٩٦ من مكتب الغرفة التجارية بالدمام.
- حصل على الجائزة الثانية من مكتب دار الكتب الوطنية عام ١٣٩٧.
- حصل على الجائزة الأولى من مركز الخدمة الاجتماعية بالرياض عام١٣٩٩.
- كما حصل على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية جزاءً لخدمته وإبداعاته الفنية.

٢٦- الفنان مكي درويش العوامي:

أحد الفنانين التشكيليين، تعود خبرته الفنية لما قبل (٢٥) عاماً

تقريباً، له مشاركات فنية في مكاتب وزارة المعارف، وصالات النوادي الرياضية، وهو من الذين يجيدون الكتابة بعشرات الخطوط الإسلامية.

وهناك المزيد:

كما أن هناك عدداً كبيراً من البارعين في الفن التشكيلي، الذين ساهموا مساهمة كبرى في تنمية المواهب وصقل الكفاءات الفنية في المنطقة لم نتمكن من إحصائهم، بشكل كبير، إذ إن في كل مدينة وقرية من القطيف عدداً كبيراً من الفنانين التشكيليين، قد ذكرنا بعضهم في الفصول الخاصة بهم، وهنا لا يسعنا إلا أن نسجل إليك عزيزي القارئ بعض أسمائهم وهي كالتالي:

١ـ علي الخباز.
٢ـ عيسى آل طلاق.
٣ـ حسن علي أبو حسين.
٤ـ عبدالقادر الجبراني.
٥ـ هشام عتوق.
٦ـ محمد السيهاتي.
٧ـ معصومة الماحوزي.
٨ـ تهاني الجراش.
٩ـ عائشة الشماسي.
١٠ـ صالح ناصر الحداد.
١١ـ فاضل صالح التركي.
١٢ـ عباس الحايك.
١٣ـ محمد أبو السعود.
١٤ـ زهرة الضامن.

١٥- منى المروحن.

١٦- سامية النصيب.

١٧- عاتكة آل داود.

١٨- ليلى العوامي.

١٩- أميرة المحاسنة.

٢٠- ماهر السيف.

٢١- علي إبراهيم الدرورة.

٢٢- سعيد آل طلاق.

٢٣- رضا الناصر.

٢٤- كوكب حسن الجارودية.

٢٥- عون علي المشعل.

٢٦- علي حسين آل كاظم.

٢٧- ناصر أحمد الناصر.

٢٨- عبدالله الغانم القطيفي..الخ[١].

شخصيات علمية وتجارية وسياسية زارت القطيف:

١- حركات التبشير للمسيحي في البحرين والقطيف (١٩٠٠):

الممرضة كورنيليا دالينبرج، وتسمى عند العرب شريفة، وأُطلق عليها هذا الاسم بعد أن وصلت إلى البحرين عام ١٩٢٢، كجزء من الخطة التبشيرية المرسومة لنشر الفكر المسيحي في المنطقة، ولتبدأ في اليوم التالي -كما تقول- دروسها العربية، وقد بقيت في البحرين لمدة

(١) للمزيد راجع كتاب الحركة التشكيلية في المنطقة الشرقية، عبدالعظيم الضامن.

وصلت إلى أربعين عاماً في خدمة الإرسالية (العربية) عبر مستشفاها الواقع داخل المنامة البحرينية.

وعمليات التغيير الفكري لأهل المنطقة عن طريق الإرسالية التبشيرية المسيحية لم تكن وليدة حركة بعثات الممرضة شريفة، كما تؤكده بعض الأدبيات الخاطئة، بل كانت هناك حملات إرسالية تبشيرية للمنطقة قبل وصول الممرضة (شريفة) بما يقارب أربعين عاماً، بل قبل هذا التاريخ، فما حركة الاستعمار البرتغالي الذي حاول بقدر ما يمكنه من ترسيخ مفاهيم الدين المسيحي في عقلية الأهالي في المنطقة،إلا بداية لتلك الحملات التي قادها فيما بعد رئيس الحركة التبشرية (صموئيل زويمر) المؤسس الحقيقي للإرسالية في نيويورك عام ١٨٨٩، بزيارة البحرين ١٨٩٠ و ١٨٩٢، وفي العام التالي أسس في البحرين أول مركز تبشيري في منطقة الخليج، وكانت حملاتهم التي تستهدف إبادة الديانة المحمدية التي يعتبرونها الجذام المتفشي بين الناس، ولم يكتفوا بلصق شتى الصفات والنعوت السيئة بشخصية رسول الله ﷺ، بغية التأثير في نفس المسلمين لترك إسلامهم، بل راحت حملاتهم التبشيرية تشكك المسلمين بنبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم، ففي ذلك هدفان الأول: هدف ديني وآخر سياسي، فحين يتوصل المسلمون إلى حالة من الشك في تراثهم الحضاري، ويقنعون بأنهم لم يكونوا أصحاب إبداع فكري ولا ابتكار حضاري، وكانت حضارتهم تحوي كل النقائص، حينها يسهل على الاستعمار الغربي تشديد وطأته محاولاً ضرب روح الاتحاد بين للمسلمين عبر إحياء النعرات الطائفية والقومية وتضعيف أي حالة من الاجتماع والوحدة، فسعت لتحقيق أهدافها التبشرية عن طريق الأعمال الصالحة تارة وعن طريق التعليم تارة أُخرى فأقاموا في عدة مناطق من دول الخليج العربي مدارس للتعليم ومستشفيات للتمريض

وهكذا دواليك ....»[1].

في عام ١٨٩٣ كان زويمر في زيارة للأحساء والقطيف، بغرض التعرّف عليهما، والبحث في إمكانيّة قيام عمل تبشيري، فكانت ملاحظاته جزءاً من كتابه الموسوم (ARABIA: THE CARDLE OF ISLAM) والذي حوى تحاملاً على الإسلام وعلى السكان وعلى السلطات العثمانية الحاكمة آنئذٍ، وإن كانت ملاحظاته في الجملة ذات فائدة للباحثين التاريخيين.

وشجعت رحلة زويمر تلك، الدكتور هنري وورل الذي اتخذ نشاطه من البحرين مع زويمر، وبرفقة أحد بائعي الكتب على القيام برحلة إلى القطيف عام ١٩٠٠، ولم تكن رحلته سهلة، لولا أن وورل كان حاصلاً على شهادة دبلوم تركية تسمح له بممارسة الطب، فكانت الشهادة مفتاحاً له لممارسة التطبيب في منطقة القطيف.

في العام التالي ١٩٠١، قام الدكتور هاري ويرسوم وأحد باعة الكتب المسيحية بزيارة المنطقة في قارب صغير، وقد اعترضتهم السلطات الجمركية التركية وصادرت الكتب التبشيرية.

ويبقى صموئيل زويمر أحد رواد التبشير الذين زاروا المنطقة الشرقية (الأحساء والقطيف)، وقد عاود زيارة القطيف والعقير (الأحساء) في عام ١٩١١.

أما شريفة (كورنيليا دالينبرج) فتنظر لزويمر نظرة تقديس، وقد

---

(١) راجع كتابنا أعداء الأمة الإسلامية، ص ١١ـ ٢٩، فقد أسهبنا القول ووضحنا ما فيه الكفاية عن تحركات حركات التبشير والاستشراق للعالم الإسلامي في هذا الكتب فراجع..

استهواها كتابه آنف الذكر وقرأته في أميركا، وقد كان أدريان زويمر أبا صموئيل، راعي الطائفة المسيحية في قريتها. وصموئيل أول من قام برحلة تبشيرية طبية، رغم أنه لم يكن طبيباً بل قسيساً، وكان يعتمد على خبرته الضئيلة في بعض نواحي العلاج الطبي، مما ساعده على دخول العديد من القرى حيث شهد الوسائل البدائية في خلع الأضراس بالمطارق وأدوات الحدادة ، فطلب من الولايات المتحدة بعض معدات خلع الأسنان وكمية من الأسبرين، وكان يحمل هذه المعدات معه في حقيبة سوداء طبية، ورثتها (كونيليا) عنه وبالصدفة!.

الدكتور بول هارسون في القطيف:

وفي عام ١٩١٤،قام هارسون الطبيب الجراح المشهور في أوربا، بزيارة إلى القطيف لتقديم بعض خدماته الطبية، بعد رجوعه من عمان، وكان يرافقه فيها السيد والسيدة فان بيرسام، ولا تشير تقارير المعتمدية السياسية البريطانية إلى نشاطه الإنساني في تلك الزيارة، ولكنها تأكدت عبره من خبر وفاة عبد الحسين بن جمعة. وتشير رسالة من المقيم السياسي في الخليج الميجور نوكس إلى خارجية حكومة الهند، إلى أن زيارة هارسون إلى القطيف لم تلق أي تشجيع من المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، والذي لم يستشر في موضوع الزيارة. ونقل عن هارسون قوله بأنه لقي في زيارته استقبالاً حسناً في القطيف، وأنه متفائل بشأن التطورات التي قام بها موظفو الأمير، وأن هارسون طلب زيارة نجد ولكنه لم يتلق جواباً من ابن سعود.

وفي الوثائق البريطانية هناك إشارة إلى أن الطبيب والمبشر هارسون قد غادر البحرين إلى الأحساء في ٩ يوليو ١٩١٧، ثم الرياض حسب طلب الأمير ابن سعود، وعاد في ١٤ أغسطس من نفس العام، ثم عاد

فغادر البحرين إلى القطيف في ٢٦ ديسمبر ١٩١٧.

وفي الوثائق أيضاً، فقد قام الدكتور هارسون وزوجته من الإرسالية العربية بالزيارات التالية:

- الأحساء في ١٧ ابريل ١٩١٩، وعاد في ٣١ مايو ١٩١٩
- دارين والقطيف في ١٩ يوليو ١٩١٩، وعاد ٢٣ أغسطس ١٩١٩ .
- الأحساء في ١٥ سبتمبر ١٩١٩، وعاد في ٢٤ سبتمبر ١٩١٩.

تجدر الإشارة إلى أن هذا العام يعد عام نكبة في المنطقة، فقد أُصيبت الأحساء والقطيف وربما نجد بوباء الأنفلونزا والإسهال، وقضت على أمير القطيف عبداللّه بن عبد الرحمن آل سويلم، وعلى الأمير تركي، الابن البكر للملك عبد العزيز، وعلى كثير من المواطنين.

وفي عام ١٩٢٧ قام بول هارسون برفقة زوجته والممرضة شريفة بزيارة القطيف من أجل تقديم الخدمات الطبيّة، ودراسة الأوضاع الاجتماعية.

وفي عام ١٩٤١، زار هارسون الأحساء وكتب حالماً!: «إننا نضع الأسس الصلبة للحصول على موطئ قدم لنا في الصحراء الداخلية الجرداء بين الرجال نصف الجياع من البدو الذين لا يقهرون . إن الناس يتزاحمون حولنا، وهم بحاجة إلينا أكثر من أي وقت مضى، ولم يعد المعارضون يناصبوننا العداء، وفي واحدة من الرحلات مستقبلاً سنحصل على الإذن الذي نريده لبناء أول صرح تبشيري في معقل الإسلام!» .

معلومات عن القطيف في مذكرات شريفة:

في الفصل السادس عشر من مذكرات شريفة، بعض التفاصيل حول إحدى رحلات الطبيب الغربي هارسون للقطيف. تقول:

فتح عمل الدكتور هارسون الأبواب أمام بعثة الإرسالية (الأميركية في البحرين) إلى الجزيرة العربية، حيث ذهبت في دفعة أُخرى من الإرسالية على رأسها القس جيمز موردايك إلى الجزيرة العربية، فقد قطع (هارسون) آلاف الأميال ووصل إلى مدن لم يصل إليها الإرساليون أو غيرهم من باعة الكتب من قبل.

كانت الإرسالية تأمل النفس بأن تفتح لنفسها مركزاً في الجزيرة العربية خصوصاً بعد هاتين الرحلتين الناجحتين، إلا أن الأبواب عادت وأُغلقت حيث كانت الأوضاع السياسية لا تشجع.

في عام ١٩١٤ (الأقرب أنَّ الحدث وقع عام ١٩١٥، بعيد معركة كنزان بين الملك عبد العزيز والعجمان)، وبينما كان الملك عبد العزيز لا يزال يحارب في الصحراء، دعا الدكتور ستانلي إلى مخيمه في الأحساء للعناية بالمرضى والجرحى، وفي أثناء إحدى جلساته معه، وجه ابن سعود الدعوة إلى الدكتور ومعاونية الطبيين لزيارة الرياض في وقت لاحق، وحان ذلك الوقت في عام ١٩١٩ حيث كان الدكتور هارسون موجوداً هناك. في تلك الأيام كان الدكتور مضطراً للسفر بالسفينة الشراعية، ثم الركوب على ظهر الحمير والجمال عبر الـ ٢٥٠ ميلاً بين البحرين والرياض، كان لباسه في ذلك الوقت هو لباس العرب أنفسهم. وفي كتاب (تاريخ الإرساليات العربية) للكاتب ميسرن وبارني يظهر الدكتور لويس ديم وهو يلبس الزي العربي كاملاً، ويجلس على ظهر جمل نحيف الشكل، وعلى أتم الأهبة للسفر في عام ١٩٢١.

ولقد قضيت أنا نفسي العديد من الساعات على ظهور الجمال بعد ذلك، وكنا نلبس فقط الملابس الأمريكية العادية؛ لأن الممرضات في العادة كنّ يلبسن ثياب النسوة العرب.

كانت أولى جولاتي في عام ١٩٢٣ وذهبت يومها بصحبة الدكتور هارسون إلى القطيف، وهي مدينة تبعد ٥٠ ميلاً شمال البحرين على ساحل الجزيرة العربية، وكان أميرها قد طلب إلينا الحضور لأداء بعض الخدمات الطبيّة.

في تلك الأثناء كان الدكتور هارسون قد امتلك أول سيارة تدخل الإرسالية، وكانت من نوع فورد صالون، ونظراً لرغبة ذلك الأمير الشديدة في إحضارنا للقطيف، وعد بأن يوسّع لنا الطرق ويمهّد بعضها لعبور السيارة، وكان الدكتور هارسون يتمنى أن يكون ذلك الكلام صحيحاً؛ لأن السيارة لا يمكنها أن تمر إلى بعض تلك القرى نظراً لرداءة الطرق.

وقع الاختيار عليّ لمصاحبة الدكتور، ولذلك فقد أسهمت في تحميل الجمال بالصناديق المملوءة بالمواقد والقناديل والشراشف والأدوات الطبيّة، وغيرها من الأدوات اللازمة. كانت صناديق أمتعتنا الشخصية خفيفة لا تحتوي إلاّ على القليل من الملابس وبعض الأغطية؛ لأن الجو كان بارداً في يناير، كما أخذنا معنا بعض المعلبات المحفوظة والكتب.

ابتدأ الجزء الأول من الرحلة على سفينة شراعية، وأذكر الآن كيف أمضى الدكتور هارسون وقتاً طويلاً يعمل في قاع السفينة في إعداد الصناديق وربطها، والنسيم يهب عبر الخليج ويضرب الأمواج بعضها ببعض، وأتذكر أنني سمعت العمال وهم يتكلمون عن مواعيد المد

والجزر، وجعلني هذا المشهد أتذكر قصص الحواري بولس الذي لا بدّ أن فكر مراراً بمواعيد المد والجزر قبل أن ينطلق في رحلاته التبشيرية.

كان آخر ما تمّ تحميله هو السيارة، وقد صاحب حملها وإنزالها الكثير من المتعة بين المتفرجين من العرب على الشاطئ، وعلى السفن الشراعية المجاورة، وبعد أن انتهينا من عملنا في ربط السيارة أصبح الوقت متأخرا، والنسيم قد توقف، لكن العمال قرروا بدء الرحلة على كل الأحوال؛ لأن السفينة الشراعية كانت ذات محرك صغير يعمل بالكيروسين.

وفي تلك الأمسية راقبنا الشمس وهي تغيب فوق شبه الجزيرة من على ظهر القارب ونحن مبحرون في طريقنا إلى القطيف، كان الدكتور هارسون في سعادة لا توصف، وكذلك أنا لأن المغامرات والرحلات الجديدة كانت دائماً تؤثر فِيَّ، لم يكن هناك أي شيء مستحيلاً أمامنا، هكذا تصورناه على الأقل، حتى عملية تنصير المسلمين في الجزيرة العربية كان أمراً متوقعاً، ولكن يستلزم بعض الوقت.

وصلنا إلى ساحل القطيف مع ساعات الصباح الأُولى، إلا أننا لم نستطع الاقتراب من الشاطئ؛ لأن الماء كان جزراً، ولذلك وقفنا على مسافة من الساحل وحاولنا النوم لبعض الوقت، وبالفعل فقد نمت متكئة على الصناديق من شدة الإجهاد والنعاس، وبعد بزوغ الشمس بقليل، خرج اثنان من رجالنا لإبلاغ الحاكم بوصولنا، والذي وجدناه مستعداً للقائنا حيث رأى بمنظاره سفينتنا عن بُعد، ولذلك فقد أعدّ لنا كل شيء، حتى قبل وصول رجالنا للشاطئ، فقد أعدّ قطيعاً من الحمير ركبنا على بعضها وحمّلنا الصناديق بعضها الآخر، وقبل أن نصل إلى الشاطئ رأينا جماعات من الناس رجالاً وأطفالاً واقفين على الشاطئ

يراقبون نزولنا ونزول السيارة بشغف كبير.

عند وصولي للشاطئ قادني أحد العاملين إلى منزل الحاكم، ولذلك لم أتمكن من المساعدة في عملية إنزال السيارة للشاطئ، وفي المنزل تمّ الترحيب بنا وإبلاغنا بأن الأمير مستعد لمساعدتنا بكل ما يملك من قوة لنكون مرتاحين.

وعندما علم الأمير بأننا على استعداد للبقاء ثلاثة أسابيع، أصرّ على أن تكون الزيارة لمدّة ثلاثة أشهر، وطلب لنا القهوة وتمّ إرسالنا لنقيم مع الحريم اللاتي كنّ يرقبننا طيلة الوقت من شقوق الجدران الخشبية منذ الصباح الباكر، وكنّ يلبسن العباءة وقناع الوجه وقد أجلسونا في الجزء الأقل فوضى في الغرفة.

كنّا سعداء بدفء الغرفة وإن كان الدخان المتصاعد من موقد الفحم يضايقنا ويولّد سحابات من الدخان، وقدمت صينية الإفطار التي كانت تحتوي على الشاي الحار والحلى، والخبز العربي والحلوى والبيض المقلي، والفاكهة.

كان علينا أن نسرع في إعداد المستشفى (الميداني) بعد الإفطار، فتركنا غرفة الحريم، حيث وجدنا العمال والمساعدين العرب ينزلون الصناديق ويفتحونها. وتمّ إعداد غرفة إعطاء الأدوية للرجال، وغرفة أخرى كانت للعمليات والثالثة لعلاج السيدات والأطفال.

ازدادت أفواج البعوض بعد فترة قصيرة بسبب دفء الجو بعد طلوع الشمس، إذ كانت تلك المنطقة مليئة بمياه المستنقعات المتخلفة عن مياه الري. وكان علينا أن نحصّن أنفسنا بالعقاقير الطبيّة اللازمة خوفاً من الإصابة بالأمراض، وهذا بالفعل ما حدث لنا حيث إنني

ورفقائي الإرساليين أصابتنا الملاريا المزمنة والإنتكاسات المرضية من ذلك الوقت وحتى الفترة اللاحقة، وأصبح من اللازم البقاء في السرير والخلود للراحة كروتين من جراء الإصابة بالمرض.

وبعد العمل في المدينة (القطيف) لبضعة أيام، طلب منا الأمير أن نزور القرى، وكان قد وفّى بوعده لنا، وأنهى ترتيب الشوارع لمرور السيارة، وهنا تساءلت ماذا يكون وضع القرى إن كان الوضع في المدينة هكذا، خصوصاً البق والبعوض، فأخبرتني الممرضة الهندية التي كانت ترافقني بأن في القرية بيوتاً من سعف النخيل، وهي عادة ما تكون أجف من بيوت الطين التي في المدينة.

لم تكن الشوارع أكثر من ممرات لعبور الحمير، أي أن الأمير لم يستطع أن يحسّنها كثيراً، حتى الجزء الأول من الرحلة كان يمرّ عبر بساتين النخيل حيث انتشرت مستنقعات الماء على الجانبين.

وقد صادفنا حفرة في الشارع مليئة بالماء والطين ولذلك وجدنا أنفسنا ملتصقين في الأرض، ولم يستطع السائق العربي أن يخرجنا منها، فنزلت أنا والممرضة في محاولة فاشلة لدفع السيارة، ولكن مجهودنا ضاع سدى، والنتيجة أن السيارة غاصت أكثر في الوحل، فهرع أحد معاونينا من الصبية إلى القرية المجاورة، وعاد ومعه أكثر من عشرين رجلاً حركوا السيارة، بل رفعوها من مكانها خلال دقائق معدودة، وتابعنا الرحلة. وأثنائها كنا نقف عند بعض القرى داخل مزارع النخيل، إلا أننا في النهاية وصلنا إلى الأرض الصلبة عند أطراف الشاطئ، حيث أصبح سير السيارة اكثر سهولة.

وصادفنا في رحلتنا بناية يبدو عليها من مظهرها الخارجي بأنها تستخدم لغرض حكومي أو رسمي كانت قابعة على جزء ناءٍ من الأرض

الممتدة في البحر. لم نكن نعهد اي مبنى بهذا الشكل سوى ذلك الخاص بالجمارك، وبينما كنا نحاول التعرف على ماهية هذا المبنى، لمحنا مجموعة من الرجال يجرون نحونا، فخفنا منهم للوهلة الأُولى، ولكن عندما اقتربوا منّا لاحظنا أنهم لا يحملون أية أسلحة، وإن كانت الشمس تنعكس على شيء معدني يحملونه، فانشدت عضلاتنا من الخوف وتذكرنا قصص القراصنة، وتيقنت بأن قدومنا لم يكن عملاً حسناً وكان من الأفضل أن لو حضر معنا الدكتور هارسون، وأخيراً وصل الرجال وتبينا أن معهم صينية عليها أكواب صغيرة وقدر به ماء مغلي، وأربع دجاجات حيّة في سلّة. لم يكن ذلك غزوة حرب، بل كانت عملية ضيافة.

لم نستطع أن ننتظر ذبح وطبخ الدجاج، بل شربنا الشاي بسرعة وعلقنا السلة التي تحتوي على الدجاج على طرف السيارة وتابعنا سيرنا إلى وجهتنا، ووعدنا الرجال بالعودة إليهم لعلاج مرضاهم.

بلغنا وجهتنا مع الغروب، وعلى الرغم من برودة الجو إلا أن حشداً من الأطفال وقف ليتفرج علينا، فهم لم يروا سيارة من قبل، وكذلك لم يروا امرأة أوروبية أو أمريكية من قبل. ولما سأل أحدهم عن اسمي وأجبته، نُقل الخبر إلى الصفوف الخلفية، وسمعتُ اسمي يتردد في كل مكان بعد ذلك.

كانت هنالك غرفة قد أعدّت لنا، وقد فرشت أرضيتها الرملية بالسجاد الفارسي، ووضع بها موقد فحم لتدفئة أيدينا. وبعد قليل أحضرت إلينا الصينية وعليها الأرز والخضار، ثم جاءت ربّة البيت ـ مضيفتنا ـ وهي في قمّة غضبها، كانت تحمل في يدها رأس دجاجة، وأعلنت بأنها كانت قد طبخت الدجاجة استعداداً لقدومنا، إلا أن

الخدم ـ لعنة الله عليهم ـ قد أكلوها، ولم يبق سوى الرأس، ولذلك ألقت به في المرق الذي أمامنا لنأكله!

وهكذا انتهت أُولى جولاتنا بعيداً عن القطيف، وكنا من شدة البرد نستطيع أن نرى أنفاسنا تتكاثف على المصابيح الزجاجية، وحمدنا الله؛ لأننا أحضرنا معنا الأغطية الدافئة التي حمتنا طيلة إقامتنا هناك.

وبعد عدة أيام أتتنا فرصة أُخرى لنتوغل داخل الصحراء، فقد طلبنا من قبل أحد الشيوخ لنرى بعض مرضاه، وقد كان ـ كالعادة أغنى الأغنياء في هذه البقعة من العالم ـ حيث خرج للنزهة مع عائلته في الصحراء للاستمتاع بالأزهار البريّة والخضرة التي تنمو عادة في مثل هذا الوقت من العام، خصوصاً بعد هطول المطر النادر. ركبنا الجمال؛ لأن الرحلة كانت داخل الصحراء، وجلسنا في وضع جانبي على الجمل؛ لأن تلك كانت عادتنا إذا ما كانت الرحلة قصيرة، أما في الرحلات الطويلة فكنا نلبس الثياب الفضفاضة ونركب الجمال كالرجال.

وصلنا إلى مخيم الشيخ بعد ساعة ونصف الساعة من السير على الجمال، وذكرنا المشهد بالنبي إبراهيم واسحق في خيامهم المصنوعة من وبر الجمال وجلد الماعز.

كانت هناك العديد من الأغنام والحيوانات تحيط بالخيام، وبلغنا أنّ الشيخ سوف يغادر هذه البقعة بعد أن تنتهي حيواناته من رعي الحشائش الموجودة إلى بقعة أُخرى أكثر خضرة لترعى فيها. كانت حياتهم صحراوية هادئة متمشية تماماً مع الطبيعة الهادئة.

وند أعدت النسوة لنا الأرض ومهدتها أمام الخيام استعداداً

لقدومنا. كن يلبسن الثياب الطويلة والبراقع تغطي وجوههن، وتم إدخالنا إلى الخيمة الكبرى في ذلك المخيم، حيث رأينا السجادة الشرقية مفروشة على الأرض وعلى العمود الرئيسي للخيمة كان هناك سيف معلق وخنجر وبندقية ومسدس والعديد من الأحزمة المليئة بالذخيرة، ونظارتي استكشاف.

أما وجبة الطعام فكانت مؤلفة هذه المرة من دجاج مطهو بشكل ليّن، ولم تنزع الرؤوس عن الدجاجات، وكحلوى قدم لنا الجراد، ولابد أنّ الجراد كان مطهواً بالماء المالح، ولا أعتقد بأن أكل هذا الجراد يشبه إلى أي حد طعم الجراد الذي أكلناه في البحرين؛ لأن هذا الجراد يبدو كأنه لا يزال حياً، وكان علينا أن نأكله هكذا، وهذا أمر صعب، وبكل خفة، التقطت الجرادات ووضعتها في جيبي وشربنا القهوة والشاي بعد الوجبة، وبعد ذلك طلب مني أن أقرأ حيث كانوا يعلمون بأنني أحمل الإنجيل، لذلك تظاهرت بأنني أخرج الكتاب، إلا أن الكلمات كانت محفورة في قلبي: «من يعرف نعمة اللّه، والذي قال إن طلبتم الماء فإنني سأعطيكم ماء الحياة» .

وعندما نضبت ذخيرتنا من الأدوية والمعدات أصبح لزاماً علينا أن نرحل، ولذلك أنهينا علاجنا في القرى المجاورة وبدأنا في إعداد حاجياتنا للسفر إلى القطيف، وكنا أيضاً نعالج المرضى أثناء رحلة عودتنا عند مرورنا بالقرى على طول الطريق والذين دائماً كانوا يطلبون منا أن نبقى لفترة أطول، أو يطلبون منا أن نميل إلى قرية أُخرى لنعالج أخاً أو قريباً لهم، أو يتعللون بأن الأطفال استفادوا كثيرا من العلاج الذي قدمناه لأعينهم المصابة.

التطبيب والتبشير في الخليج:

بين التطبيب والتبشير علاقة قويّة، أقوى -بالنسبة لمنطقة الخليج- من العلاقة بين الجوع والتبشير، أو بين التعليم والتبشير، وهو العنصر الآخر من نشاط المبشرين في البحرين والكويت وباقي إمارات الخليج.

كانت هناك بدائل للتعليم متاحة للسكان، وكانت المنطقة على أبواب فتح مداس أهلية للتعليم، أما بدائل الطبّ فقد كانت قليلة. وقد كانت الخدمات الطبية وسيلة وحيدة لإقناع الناس والسلطات المحلية بقبول عمل المبشرين (الإنساني)، ولطالما ثار الخلاف بين المبشرين بسبب تضخّم الخدمات الطبيّة على حساب العمل التبشيري الأصلي، باعتبار أن التطبيب وسيلة وليس غاية. وكما أن المستشفى وسيلة للعلاج الجسدي، فإنه وسيلة للعلاج الروحي، كما يقول بعضهم!. ويعتقد الدكتور هارسون بأن المستشفى يجب أن يكون مكاناً للتبشير بالإنجيل.

كان يهم المسؤولين في المنطقة تقديم بعض الخدمات الطبيّة التي توفرها الإرسالية، ولكنهم -كبقية السكان- يرفضون موضوع التبشير، إن فهموا منذ البداية بأن ذلك هو مقصد الأطباء، وهو أمر مشكوك فيه بالنسبة لمنطقة القطيف والأحساء وما حولهما، فأكثرية السكان لا تعلم بالأهداف التبشيرية وراء التطبيب.

تقول شريفة: إنّ إحدى جولاتها كادت أن تقطع؛ لأنها وزعت بضع نسخ من (الكتاب المقدس) وقد كانت تحت المراقبة، فالخدمة الطبية مقبولة وماعداها كان غير مقبول. تقول:

حدث أنني مرة كنت في الهفوف وكادت جولتي تقطع عندما أمر حاكم المنطقة بإبعادي من البلد في أسرع فرصة، حيث بعث مرسوله إلى

الدكتور ستورم، وطلب منه ان ينصاع لذلك دون أن يبدي الأسباب، ولكن كان في الأمر شيء وإلا لما طلب مني ذلك.

وحضر الدكتور ستورم إليَّ ليسألني عما كنت قد فعلته، ولما أجبته بأنني لا أدري، ذهب وطلب مقابلة الحاكم شخصياً. وهناك تبيّن للدكتور بأن الحاكم قد تسلّم ٤ خطابات تشير إلى أنني أُعطي صوراً من الإنجيل وأنني أوزع نسخاً من الكتاب المقدس. من جانبي، لم أنكر ذلك فقد قمتُ بالتوزيع بالفعل، ولطالما كنت أوزع نسخاً من الكتاب المقدس، إلا أن أحداً لم يحتج من قبل، كما لم يحدث ذلك مشكلة في السابق.

وقال الحاكم (الأمير) للدكتور: إن مثل هذه الاتهامات لو تم النقاش فيها ومحاكمة شريفة فإن العواقب لن تكون مرضية أبداً بالنسبة لجميع أفراد البعثة، لذلك فإنه من الأفضل عدم الخوض في هذه المحاكمة ويجب على شريفة (أي أنا) أن تترك المدينة.

وبعد جهد بالغ تمكن الدكتور ستورم من أن يقنع الأمير بعدم سفري، شرط أن يتم طرد جميع أفراد البعثة إن عدت لارتكاب مثل ذلك الإثم.

وعندما عاد الدكتور إلى مركز البعثة وأخبرني بالأمر، تبين لي أن هناك من يريد طردنا من المدينة (الهفوف) لعله من أطباء الحكومة الذين لم يعجبهم وجودنا في المدينة لمنافستهم، أو ربما يكون الشخص الحقيقي وراء ذلك الاحتجاج هو الحاكم نفسه، أو أخوه الذي طلب منا منذ فترة أن نعطيه نسخة من الإنجيل.

وبعد فترة طلب إلينا الحاكم أن نذهب لعلاج طفله، كان لطيفاً

جداً معنا يومها ولذلك هـدأت معظم مخاوفنـا منـه، ولكـن بعـد مـدة وخلال جولة من جولاتنـا، كنتُ أحمـل معـي صندوقـاً مليئـاً بـالكتب المقدسة ولكنه صودر عنـد دخولنـا المدينـة، إلا أنـه لم يكـن هنـاك أيـة مشاكل تذكر بسبب ذلك.

مـن المؤكـد، أن الأكثريـة في منطقـة الخليـج، لم تكـن ترغـب في الخدمات الطبية التي تقدمهـا الإرسـاليات التبشـيرية، وهـي ــ حسـب اعتراف شريفة ــ لا تـأتي أو تطلـب المسـاعدة إلاّ إذا اسـتنفذت جميـع الوسائل للعلاج، وإذا ما وصل المريض قاب قوسين أو أدنى من الموت، حينها يمكن استدعاء الطبيب أو الممرضة إن كان من سكنة البحرين.

أما في القطيف والأحساء، فإن القليل من الأغنياء يذهبون للعلاج في البحرين، في حالات نادرة وشديدة الخطورة، أما الأكثرية فهي ليست فقط يصعب عليها السفر والتنقل لفقرها، بل أنها لا تقبل الخدمة مـن أيدٍ مسيحية. وكثيراً ما سمع المبشرون كلاماً قاسياً في الشـارع وغـيره مـن شتم ولعنات، تقول شريفة في أكثر من موقع ما يلـي: «كـان الوضـع في البحرين لا يمكن وصفه عام ١٩١٢.. وعندمـا يخرجـون للنزهـة، يتبعهـم الأطفال ويلقون عليهم كلاماً يفهم منه أنّ المسيحين كفار».

وفي موقعٍ ثان تقول: إنها حين عادت لأول مرة إلى موطنها أميركـا: «سألونا إن كنّا نعتبر كفرة هناك؟ فقلت نعم، ولطالما كان الناس يدعون الدكتور ديم عندما يرونـه في الشـارع بـالملحد ويقولـون: إن شـاء اللّـه تهلك أيها الكافر!». وقالت في موقع ثالث إن راعياً مرّ عليها، «وسمعته يقول شيئاً أشبه ما يكون بالدعوة علينا لنموت قبل نهاية الليل».

وإذا كان مبرر التطبيب هو الأساس في عملية التبشير، فـإن توفّـر الخدمات الطبيّة من قبل حكومات المنطقة وإن جاء بشكل متـأخر، فقـد

قضى على أيّ أمل للمبشرين في توسيع نشاطهم وكسب الزبائن. لم يحدث هذا إلاّ بعد ظهور النفط، وحينها أيضا ترافق التطبيب المجاني مع انتشار التعليم المجاني، وبالتالي (أصبحنا بالفعل نشعر ببعض التواضع في حضرة ثروة النفط) كما تقول المرضة كورنيليا دالينبرج[1].

٢ـ الشيخ محمد طاهر الخاقاني آل شبير، وهو أحد الفقهاء المجتهدين الذي يشار إليهم بالبنان، كانت له رحالات سنوية إلى القطيف ويستقر عادة عند زيارته للقطيف في مدينة سيهات في منزل الحاج أحمد ابن الحاج عبدالله بن حسين بن نصر، ثم يقوم بإحياء الندوات العلمية والمجالس الثقافية والتوجيهية، وكانت له حلقات علمية في بعض أيام الأسبوع يدرس فيها الفقه والفلسفة والأخلاق، يحضرها العلماء والأدباء والكتاب.

٣ـ السيد الخطيب مرتضى ابن السيد محمد صادق القزويني أحد رجالات العلم والخطابة والثقافة في العراق، جاء إلى المنطقة عام ١٣٨٥هـ وكان برفقته عند قدومه الحاج الوجيه محمد تقي بن علي آل سيف التاروتي، كان نشاط السيد التثقيف والتوجيه والندوات العلمية في مختلف مناطق القطيف، وفي عام ١٤٠٠هـ على أثر بعض الأحداث السياسية أبعد إلى الكويت، وكانت هي المرة الأولى والأخيرة.

٤ـ السيد الخطيب السيد حسين ابن السيد هادي الشامي، وهو أحد رجالات العلم والخطابة في العراق جاء إلى القطيف عام ١٣٨٥هـ، فكان يمارس دوره التوجيهي والتثقيفي في مدن القطيف وقراها، أخذت

---

(١) مذكرات الممرضة كورنيليا الينبرج المبشرة المسيحية التي زارت البحرين، ثم القطيف وذكرت خواطرها. راجع الواحة العدد الثاني.

شهرته الخطابية أبعادها في عقلية الجيل الواعي في ذلك الوقت.

٥- السيد حسن ابن السيد مهدي الشيرازي، لقد جاءها زائراً بعد فراغه من أداء مناسك الحج، وأقام في القطيف ما يقارب الأُسبوع، ثم غادرها هو والوفد المرافق له، وكان ذلك عام ١٣٨٨هـ.

٦- العالم الفقيه الشيخ محمد أمين زين الدين، مكثر من المجيء إلى القطيف، وإذا جاء كان ينزل في منزل الحاج عبدالله بن حسين المطوع في مدينة سيهات، فكانت له مجالس علمية وأُخرى أخلاقية وأدبية في أنحاء مناطق القطيف، ولم ينقطع عن مجيئه إليها إلا بعد تأزم الوضع السياسي في الخليج.

٧- الكاتب المعروف والعالم المشهور الشيخ علي الخاقاني، صاحب مجلة (البيان) لقد زار القطيف عام ١٣٩١هـ وكانت أسباب مجيئه إلى القطيف رحلات استطلاعية وعلمية للمناطق العلمية في التاريخ الإسلامي، فكانت له ندوات علمية وفي مختلف مناطق القطيف.

٨- السيد علوي بن أحمد الموسوي الغريفي أحد علماء العراق كانت له زيارات متعددة إلى القطيف، وكان محل سكنه منزل الحاج محمد تقي آل سيف.

٩- السيد القبانجي صاحب كتاب (شرح رسالة الحقوق)، أحد علماء العراق، كانت له رحلات متعددة إلى القطيف على فترات متباعدة من الزمن، وكانت مجالسه العلمية ونواديه الأدبية ومحاضراته الخطابية حافلة بالعلماء والشعراء والخطباء، يعد من أنشط رجالات العلم والإصلاح الذين جاءوا إلى القطيف، فقد احتفلت به القطيف أيما احتفال وأجلوه عظيم الإجلال والاحترام.

١٠ـ الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) الكاتبة والصحفية والأديبة المصرية، التي زارت القطيف عام ١٩٥١م واحتفى بها الأهالي في المنطقة، فكانت لها مجالس وندوات أدبية وعلمية، فقد خرجت بانطباع عن القطيف بقولها:

كانت زيارتنا لهذه المنطقة على غير موعد، فما دار بخلدنا ونحن نتهيأ للسفر إلى الجزيرة العربية، أننا قادرون على أن نبلغ أقصى شرقها، في رحلة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، لولا رعاية كريمة من جلالة عاهل الجزيرة العربية، هيأت لنا أن نذهب حيث شئنا على متن طائرة فطويت لنا الأبعاد،..هناك ذكرنا القطيف فيما ذكرنا ورأينا حقاً علينا أن نلم بمكان لعب في تاريخنا العربي والديني والسياسي والأدبي دوراً ذا بال.... فمضينا إلى القطيف ونحن نردد قول الشاعر:

وتركن عنتر لا يقاتل بعده   أهل القطيف قتال خيل تنفع

وقول الآخر:

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها   أما خير نصح قيل لم يُتقبلِ
كانت في أهل القطيف فوارسٌ   حماة إذا ما الحرب ألقت بكلكلِ

اتجهت بنا السيارات إليها في الطريق الصحراوي المعبد من ميناء الدمام، و بعد برهة لاحت لنا القطيف عن بعيد واحة ناضرة على حدود الصحراء وجنة خضراء على حافة القفر الجدب، ومراحا عامراً شمالي الربع الخالي، وإذ ذاك بدأت السيارات تتعثر في دروب ضيقة، تحف بها البساتين عن يمين وشمال، وتجري فيها الغدران فياضة بمياه العيون والآبار.

وتهادى إلينا نسيم المساء رخياً عليلاً معطراً بأريج الأزهار، وشذا الثمار ورائحة العشب، وانبثقت أضواء الشفق الوردي فتوجت هامات

النخيل الباسقات، ثم نفذت من بين الفروع والأغصان، واستلقت في وهنٍ وتراخ على صفحات الغدير المتألق وفوق الندى، غير مكترثة لصراخ (الكلاكسون) ولا عابثة بنباح الكلاب في آثار القطعان.

وكذلك استغرقنا نحن في خمول هنيء، لم نكد نفيق منه إلا على هتاف أهل القطيف وقد خرجوا بمشاعلهم يستقبلون ضيوفهم أبناء الكنانة..

ولم يكتفوا منا بحفلة الاستقبال في دار الأمير حمود أمير القطيف، أو جولة عابرة في المنطقة، بل دعونا إلى مجلس حافل أُعدَّ لنا في بستان الوجيه الحاج عبدالله إخوان أحد الأدباء والأعيان.

وكانت أمسية لا تنسى!

لم يبق في القطيف من لم يسع إلى مجلسنا هناك ليلقي إلينا كلمة تحية في عتاب:

أما التحية فلمصر العزيزة الغالية، قبلة أنظار العرب والشرق، ومهوى عقول أبنائه، وكعبة الرواد والقاصدين من طلبة العلم وراغبي الثقافة.

وأما العتاب فلأدباء مصر الذين نسوا أن في شرق الجزيرة العربية واحة اسمها القطيف شاركت في صنع تاريخنا الإسلامي وتركت في تراثنا الأدبي أثرها الباقي...

وقد ألقيت في هذا الحفل عدة قصائد ترحيبيه منها قصيدة الأستاذ الشاعر عبدالرسول ابن الشيخ علي الجشي، وهي ٢٠ بيتاً قال في مطلعها:

هذي بلادي وهي ماضٍ عامر   مجداً وآتٍ بالمشيئة أعمرُ

وقصيدة الأستاذ الشاعر محمد سعيد الجشي قال في مطلعها:

هذي القطيف شيوخها وشبابها هبت تحييكم بكل لسانِ[(١)]

١٢ـ الشيخ عبداللّه السبيتي، أحد رجالات العلم والأدب في العراق، له مصنفات علمية وثقافية وأدبية كثيرة.. كانت له زيارات متكررة للقطيف، كان يقوم خلالها بعدة ندوات علمية وأدبية وثقافية.

١٣ـ الشيخ أحمد مغنية اللبناني: أحد أعلام الدين وحملة العلم والفضيلة، وكاتب بارع، ومصنفاته تدل على منزلته العلمية والثقافية والأدبية منها: (شعراء الشيعة) و (موسوعة سيرة العرب) المكونة من خمسة وأربعين جزءاً) و (التفسير المسمى خلاصة التفاسير) و (كتابه نحو إسلام سليم) الذي ترجم فيه لبعض الأسر العلمية وأعلامها في القطيف والخليج).

لقد قام بجولة مطولة متتالية إلى الخليج العربي ومر على المنطقة الشرقية زائرا الأحساء والقطيف في المملكة العربية السعودية، فقد استضافه أعلامها وتجول في ربوع أراضيها التي تركت فيها الشعوب التي احتلتها أو مرت عليها بصماتها الواضحة، وكان يقيم عند قدومه إلى القطيف في منزل سماحة الشيخ سعيد بن الحجة الشيخ علي آل أبي المكارم العوامي، الذي كان على اتصال وثيق به في حياته، وبعد ممات الشيخ مغنية ارتبط ـ الشيخ سعيد ـ بإخوانه وأولاده من آل مغنية إلى هذا اليوم، وقد خرج الشيخ مغنية بعد زيارته من القطيف بانطباع مميز بقوله: إني كنت عزمت على تأليف كتاب يشبه موسوعة عن الخليج العربي وأهل الخليج، غير أن الظروف حالت بيني وبين تحقيق الرغبة...

---

(١) لقد سجلت خواطرها عن القطيف في كتابها (أرض المعجزات) المطبوع عام ١٣٩٢هـ، طبعة دار الكتاب العربي بيروت، ص ١٣١.

وزرت المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وعلى وجه التعيين (الدمام، والأحساء، والقطيف) وقد فوجئت ـ يومئذ ـ خلال تجوالي في مدنها وقراها بأشياء لم أكن أعرفها وأتصورها من قبل.

فوجئت بشعب تعمر قلوبه بالإيمان، وناس يؤمنون بالمثل العليا وبمزايا لم أعرفها من قبل في بلد عربي آخر ولا في قطر إسلامي من أقطاره المنتشرة في الأرض والموزعة في أنحاء الدنيا، وقد أشرت في بعض كتبي المطبوعة في مناسبة عابرة إلى ذلك القطر الإسلامي تحت عنوان: (الأحساء، والقطيف بلد المؤمنين)[١].

كما أن هناك الكثير من الشخصيات التي زارت القطيف وأعطت انطباعات جيدة عنها وعن الحركة الثقافية والعلمية والاجتماعية فيها، سوف نذكرها في كتاب مستقل في المستقبل القريب إن شاء اللّه تعالى، وجئنا بهؤلاء كأنموذج على ذلك.

إلى هنا ينتهي الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني.

---

(١) للمزيد راجع كتابه (نحو إسلام سليم)، وكتاب (دراسة الأحياء) لمؤلفه: الشيخ سعيد أبو المكارم، ص٩ـ١٩.



الفهارس

فهرس إجمالي

فهرس تفصيلي